

التفسير والنفس

للقراءات

برواية أهل البيت

الجزء السابع

الشيخ محمد ناصر الدين

علاء الدين

التيسير في التفسير

للقرآن

ترواية أم كلثوم بنت

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى

٢٠٠٧م - ١٤٢٨

الرويس - خلف محفوظ ستورز - بناية رمال

ص ب، ٥٤٧٩/٤ - هاتف، ٢٨٧٧٩/٠٢ - ٥٤١٣١١/٠١ - تليفاكس، ٥٥٢٨٤٧/٠١

E-mail: almahajja@terra.net.lb

www.daralmahaja.com

info@daralmahaja.com



للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

النَّبِيُّ فِي النَّفْسِ

لِلْقُرَّانِ

بِرُؤْيَا أَهْلِ الْبَيْتِ

السَّيِّحُ مَا جَدُّ نَاصِرِ الزَّيْبِيِّ

شبكة كتب الشيعة

للجزء السابع

دار المعجزة البيضاء - بغداد



shiabooks.net

رابط بديل < mktba.net

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الشورى

❁ س ١: ما هو فضل سُورَةِ الشورى؟!

الجواب/ قال أبو عبد الله عليه السلام: «من قرأ ﴿حم عسق﴾ بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالثلج، أو كالشمس، حتى يقف بين يدي الله عز وجل، فيقول: عبدي أدمت قراءة ﴿حم عسق﴾ ولم تدر ما ثوابها؟ أما لو دريت ما هي وما ثوابها؟ لما مللت قراءتها، ولكن سأجزيك جزاءك، أدخلوه الجنة وله فيها قصر من ياقوتة حمراء، أبوابها وشرفها ودرجها منها، يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، وله حوراء من الحور العين، وألف جارية وألف غلام من الولدان المخلدين، الذين وصفهم الله عز وجل»^(١).

ومن (خواص القرآن): روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «من قرأ هذه السورة صلت عليه الملائكة، وترحموا عليه بعد موته؛ ومن كتبها بماء المطر، وسحق بذلك الماء كحلًا، واكتحل به من بعينه بياض قلعه، وزال عنه كل ما كان عارضاً في عينه من الآلام بإذن الله تعالى»^(٢).

وقال الصادق عليه السلام: «من كتبها وعلقها عليه أمين من الناس، ومن شربها في سفر أمين»^(٣).

(١) ثواب الأعمال: ص ١١٣.

(٢) البرهان: ج ٨، ص ٤٨١ - ٤٨٢.

(٣) البرهان: ج ٨، ص ٤٨١ - ٤٨٢.

❁ س ٢: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿حَمَّ عَسَقًا﴾ [سورة الشورى: ١ - ٢]؟!

الجواب/ قال الصادق عليه السلام: «...» وأما ﴿حم عسق﴾ فمعناه الحلِيم المثيب العالم السميع القادر القوي^(١).

وقال علي بن إبراهيم: هو حرف من اسم الله الأعظم المقطوع، يؤلفه الرسول أو الإمام، فيكون الاسم الأعظم الذي إذا دعا الله به أجاب، ثم قال: ﴿كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم﴾^(٢).

وقال أبو جعفر عليه السلام: ﴿حم عسق﴾ عدد سنّي القائم، و﴿ق﴾^(٣): جبل محيط بالدنيا من زمرد أخضر، وخضرة السماء من ذلك الجبل، وعلم كل شيء في ﴿عسق﴾^(٤).

وقال أبو جعفر عليه السلام: ﴿حم﴾ حتم، و﴿عين﴾ عذاب، و﴿سين﴾ سنون كسنّي يوسف عليه السلام، و﴿قاف﴾ قذف [وخسف] ومسخ يكون في آخر الزمان بالسفّيانى وأصحابه، وناس من كلب ثلاثون ألف يخرجون معه، وذلك حين يخرج القائم عليه السلام بمكة، وهو مهدي هذه الأمة^(٥).

❁ س ٣: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿كَذَلِكَ يُوحى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ لَمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿﴾ [سورة الشورى: ٣ - ٤]؟!

الجواب/ أقول: بعد الحروب المقطعة تتحدث الآية الكريمة عن

(٤) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٦٧.

(١) معاني الأخبار: ص ٢٢، ح ١.

(٥) تأويل الآيات: ج ٢، ص ٥٤٢، ح ٣.

(٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٦٧.

(٣) سورة ق: ١.

الوحي، فتقول: ﴿كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم﴾.

«كذلك» إشارة إلى محتوى السورة ومضامينها.

ومصدر الوحي واحد، وهو علم الله وقدرته، ومحتوى الوحي في الأصول والخطوط العريضة واحد أيضاً بالنسبة لجميع الأنبياء والرسالات، بالرغم من أن هناك خصوصيات بين دعوة نبي وآخر بحسب حاجة الزمان والمسيرة التكاملية للبشر^(١).

وضروري أن نشير إلى أنّ الآيات التي أشارت إلى عدة صفات سبقت من صفات الله الكمالية، لكل منها دور في قضية الوحي بشكل معين، ومن ضمنها الصفتان اللتان نقرؤهما في هذه الآية: ﴿العزيز الحكيم﴾.

فعزته تعالى وقدرته المطلقة تقتضي سيطرته على الوحي ومحتواه العظيم. وحكمته تستوجب أن يكون الوحي الإلهي حكيماً متناسقاً مع حاجات الإنسان التكاملية في جميع الأمور والشؤون.

وتعبير «الوحي» دليل على استمرار الوحي منذ خلق الله آدم ﷺ حتى عصر النبي الخاتم ﷺ لأن الفعل المضارع يفيد الاستمرار.

قوله تعالى: ﴿له ما في السماوات وما في الأرض وهو العلي العظيم﴾. إن مالكيته تعالى لما في السماء والأرض تستوجب ألا يكون غريباً عن مخلوقاته وما يؤول إليه مصيرها، بل يقوم بتدبير أمورها وحاجاتها عن طريق الوحي، وهذه هي إحدى الصفات.

(١) بالرغم من الكلام الكثير للمفسرين حول المشار إليه في اسم الإشارة «كذلك» لكن يظهر أنّ المشار إليه هو نفس هذه الآيات النازلة على النبي الأكرم ﷺ لذا يكون مفهوم الآية: إن الوحي هو بهذا الشكل الذي أنزله الله عليك وعلى الأنبياء السابقين، وقد استخدم اسم الإشارة البعيد بالرغم من قرب المشار إليه، وذلك للتعظيم والاحترام.

أما «العلوي» و«العظيم» اللذان هما صفة له (سبحانه وتعالى) في هذه الآيات، فهما يشيران إلى عدم حاجته لأي طاعة أو عبودية من عباده، وإنما قام تعالى بتدبير أمر العباد عن طريق الوحي من أجل أن ينعم على عباده.

س ٤: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَّقَطِرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ سَاجِدُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَسْتَغْفِرُونَ
لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنْ اللَّهُ هُوَ الْفَقِيرُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾ [سورة الشورى: ٥]!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم، في قوله تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَّقَطِرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ سَاجِدُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾، قال: للمؤمنين من الشيعة التوابين خاصة، ولفظ الآية عام ومعناه خاص^(١).

وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿يَتَّقَطِرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾: «أي يتصدعن»^(٢).

س ٥: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾﴾ [سورة الشورى: ٦]!

الجواب/ قال الشيخ الطوسي: أخبار من الله تعالى ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء﴾ يعني الكفار الذين اتخذوا الأصنام آلهة ووجهوا عبادتهم إليها. وجعلوهم أولياء لهم وأنصاراً من دونه. وإنما قال ﴿من دونه﴾ لأن من اتخذ ولياً بأمر الله لم يتخذه من دون الله. وقوله ﴿الله حفيظ عليهم﴾ أي حافظ عليهم أعمالهم وحفيظ عليها بأنه لا يعزب عنه شيء منها، وأنه قد كتبها في

(٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٦٨.

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٦٨.

اللوح المحفوظ مظهرة في الحجة عليهم وما هو أقرب إلى إفهامهم إذا تصوروا مكتوبة لهم وعليهم . وقوله ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ معناه إنك لم توكل بحفظ أعمالهم ، فلا يظن ظان هذا ، فإنه ظن فاسد وإنما بعثك الله نذيراً لهم وداعياً إلى الحق ومبيناً لهم سبيل الرشاد ، وقيل : معناه إنك لم توكل عليهم أي تمنعهم من الكفر بالله ، لأنه قد يكفر من لا يتهبأ له منعه من كفره بقتله^(١) .

❁ س ٦ : ما هو معنى قوله تعالى :

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْحَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾﴾

[سورة الثورى : ٧ - ٨]!

الجواب/ قال جعفر بن محمد الصوفى : سألت أبا جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام ، فقلت له : يا بن رسول الله ، لم سمي النبي الأمي - وذكر الحديث إلى أن قال فيه - : «وإنما سمي الأمي لأنه من أهل مكة ، ومكة من أمهات القرى ، وذلك قول الله تعالى في كتابه : ﴿لتنذر أم القرى ومن حولها﴾^(٢) .

وقال علي بن إبراهيم : أم القرى مكة ، سميت أم القرى لأنها أول بقعة خلقها الله من الأرض ، لقوله تعالى : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾^(٣) .

(١) التبيان : ج ٩ ، ص ١٤٤ .

(٢) بصائر الدرجات : ص ٢٤٥ ، ح ١ .

(٣) تفسير القمي : ج ٢ ، ص ٢٦٨ ، والآية من سورة آل عمران : ٩٦ .

وقال أبو عبد الله عليه السلام : «لما بلغ أمير المؤمنين عليه السلام أمر معاوية وأنه في مائة ألف، قال: من أي القوم؟ قالوا: من أهل الشام. قال عليه السلام : لا تقولوا من أهل الشام، ولكن قولوا من أهل الشؤم، هم من أبناء مضر لعنوا على لسان داود، فجعل الله منهم القردة والخنازير.

ثم كتب عليه السلام إلى معاوية: لا تقتل الناس بيني وبينك، ولكن هلم إلى المبارزة، فإن أنا قتلتك فألى النار أنت، وتستريح الناس منك ومن ضلالتك، وإن قتلتني فأنا إلى الجنة، ويغمد عنك السيف الذي لا يسعني غمده حتى أرد مكرك وخديعتك وبدعتك، وأنا الذي ذكر الله اسمي في التوراة والإنجيل بمؤازرة رسول الله ﷺ، وأنا أول من بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة، في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾^(١).

فلما قرأ معاوية كتابه وعنده جلساؤه، قالوا: والله لقد أنصفك. فقال معاوية: والله ما أنصفتي، والله لأرميته بمائة ألف سيف من أهل الشام من قبل أن يصل إليّ، والله ما أنا من رجاله، ولقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: والله يا عليّ، لو بارزك أهل المشرق والمغرب لتقتلهم أجمعين. فقال له رجل من القوم: فما يحملك يا معاوية، على قتال من تعلم وتخبر فيه عن رسول الله ﷺ بما تخبر! وما أنت ونحن في قتاله إلا على ضلالة. فقال معاوية: إنما هذا بلاغ من الله ورسالاته، والله ما أستطيع أنا وأصحابي رد ذلك، حتى يكون ما هو كائن.

قال: وبلغ ذلك ملك الروم، وأخبر أن رجلين قد خرجا يطلبان الملك، فسأل: من أين خرجا؟ فقبل له: رجل بالكوفة ورجل بالشام. قال: فلمن الملك الآن؟ قال: فأمر وزراه، وقال: تخللوا هل تصيبون من تجار العرب من يصفهما لي؟ فأني برجلين من تجار الشام، ورجلين من تجار مكة، فسألهم عن صفتهما، فوصفوهما له، ثم قال لخزان بيوت خزائنه: أخرجوا

إلي الأصنام. فأخرجوها، فنظر إليها، فقال: الشامي ضال، والكوفي هادٍ، ثم كتب إلى معاوية: أن ابعث إلي أعلم أهل بيتك، وكتب إلى أمير المؤمنين عليه السلام: أن ابعث إلي أعلم أهل بيتك، فاسمع منهما، ثم أنظر في الإنجيل كتابنا، ثم أخبركما من أحق بهذا الأمر؛ وخشي على ملكه، فبعث معاوية يزيد ابنه، وبعث أمير المؤمنين الحسن ابنه عليه السلام.

فلما دخل يزيد على الملك، أخذ بيده وقبلها، ثم قبل رأسه، ثم دخل الحسن بن علي عليه السلام، فقال: الحمد لله الذي لم يجعلني يهودياً، ولا نصرانياً، ولا مجوسياً، ولا عابداً للشمس ولا للقمر ولا لصنم ولا لبقر، وجعلني حنيفاً مسلماً، ولم يجعلني من المشركين، تبارك الله رب العرش العظيم، ثم جلس، لا يرفع بصره، فلما نظر ملك الروم إلى الرجلين أخرجهما، ثم فرّق بينهما، ثم بعث إلى يزيد فأحضره، ثم أخرج من خزائنه ثلاث مائة وثلاثة عشرة صندوقاً، فيها تماثيل الأنبياء عليهم السلام، وقد زينت بزينة كل نبي مرسل، فأخرج صنماً فعرضه على يزيد فلم يعرفه، ثم عرض عليه صنماً صنماً فلا يعرف منها شيئاً، ولا يجيب عنها بشيء، ثم سأله عن أرزاق الخلائق، وعن أرواح المؤمنين، أين تجتمع؟ وعن أرواح الكفار، أين تكون إذا ماتوا؟ فلم يعرف من ذلك شيئاً.

ثم دعا الملك الحسن بن علي عليه السلام، فقال: إنما بدأت بيزيد بن معاوية لكي يعلم أنك تعلم ما لا يعلم، ويعلم أبوك ما لا يعلم أبوه، فقد وصف لي أبوك وأبوه، ونظرت في الإنجيل، فرأيت فيه محمداً رسول الله، والوزير علياً، ونظرت في الأوصياء، فرأيت فيها أباك وصي محمد رسول الله. فقال له الحسن عليه السلام: سلني عما بدا لك مما تجده في الإنجيل، وعما في التوراة، وعما في القرآن، أخبرك به، إن شاء الله تعالى: فدعا الملك بالأصنام، فأول صنم عرض عليه في صورة القمر، فقال الحسن عليه السلام: هذه

صفة آدم أبي البشر. ثم عرض عليه آخر في صفة الشمس. فقال الحسن عليه السلام: هذه صفة حواء، أم البشر. ثم عرض عليه آخر في صفة حسنة. فقال: هذه صفة شيث بن آدم عليه السلام، وكان أول من بعث، وبلغ [عمره] في الدنيا ألف سنة وأربعين عاماً. ثم عرض عليه صنم آخر، فقال: هذه صفة نوح صاحب السفينة، وكان عمره ألفاً وأربع مائة سنة، ولبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً. ثم عرض عليه صنم آخر، فقال: هذه صفة إبراهيم عليه السلام، عريض الصدر، طويل الجبهة. ثم عرض عليه صنم آخر، فقال: هذه صفة إسرائيل وهو يعقوب. ثم عرض عليه صنم آخر، فقال: هذه صفة إسماعيل. ثم أخرج إليه صنم آخر، فقال: هذه صفة يوسف بن يعقوب بن إسحاق. ثم أخرج إليه صنم آخر، فقال: هذه صفة موسى بن عمران، وكان عمره مائتين وأربعين سنة، وكان بينه وبين إبراهيم خمس مائة عام، ثم أخرج إليه صنم آخر، فقال: هذه صفة داود صاحب المحراب، ثم أخرج إليه صنم آخر، فقال: هذه صفة شعيب. ثم زكريا، ثم يحيى، ثم عيسى بن مريم روح الله وكلمته، وكان عمره في الدنيا ثلاثة وثلاثين سنة، ثم رفعه الله إلى السماء، ويهبط إلى الأرض بدمشق، وهو الذي يقتل الدجال.

ثم عرضت عليه صنماً صنماً، فيخبر باسم نبي نبي، ثم عرض عليه الأوصياء والوزراء، فكان يخبر باسم وصي وصي، ووزير وزير. ثم عرض عليه أصنام بصفة الملوك. فقال الحسن عليه السلام: هذه أصنام لم نجد صفتها في التوراة، ولا في الإنجيل، ولا في الزبور، ولا في القرآن، فلعلها من صفة الملوك. فقال الملك: أشهد عليكم، يا أهل بيت محمد، أنكم قد أعطيتم علم الأولين والآخرين، وعلم التوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم، وألواح موسى.

ثم عرض عليه صنم بلوح، فلما رآه الحسن بكى بكاء شديداً، فقال له

الملك: ما يبكيك؟ فقال: هذه صفة جدي رسول الله ﷺ كثيف اللحية، عريض الصدر، طويل العنق، عريض الجبهة، أفتى الأنف، أفلج الأسنان، حسن الوجه قطط الشعر، طيب الريح، حسن الكلام، فصيح اللسان، كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، بلغ عمره ثلاثاً وستين سنة، ولم يخلف بعده إلا خاتماً مكتوب عليه: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وكان يتختم بيمينه، وخلف سيف ذي الفقار، وقضيبه، وجبة صوف، وكساء صوف، وكان يتسرول به، لم يقطعه ولم يخطه حتى لحق بالله، فقال الملك: إنا نجد في الإنجيل أن يكون له ما يتصدق به على سبطيه، فهل كان ذلك؟ فقال الحسن عليه السلام: قد كان ذلك. فقال الملك: فبقي لكم ذلك؟ فقال: لا، فقال الملك: أول فتنة هذه الأمة غلبها أباكما، وهما الأول والثاني، على ملك نبيكم، واختيار هذه الأمة على ذرية نبيهم، منكم القائم بالحق، والأمر بالمعروف، والناهي عن المنكر.

قال: ثم سأل الملك الحسن بن علي عليه السلام عن سبعة أشياء خلقها، لم تركز في رحم. فقال الحسن عليه السلام: أول هذه آدم، ثم حواء، ثم كبش إبراهيم، ثم ناقة صالح، ثم إبليس الملعون، ثم الحية، ثم الغراب التي ذكرها الله في القرآن.

قال: وسأله عن أرزاق الخلائق، فقال الحسن عليه السلام: أرزاق الخلائق في السماء الرابعة، منها ينزل بقدرٍ ويسط بقدر.

ثم سأله عن أرواح المؤمنين أين تكون إذا ماتوا؟ قال: تجسع عند صخرة بيت المقدس في كل ليلة جمعة، وهو عرش الله الأدنى، منها يسط الله الأرض، وإليه يطورها، ومنها المحشر، ومنها استوى ربنا إلى السماء أي استولى على السماء والملائكة.

ثم سأله عن أرواح الكفار أين تجتمع؟ قال: تجتمع في وادي

حضر موت، وراء مدينة اليمن، ثم يبعث الله ناراً من المشرق وناراً من المغرب، ويتبعهما بريحين شديدتين، فيبعث الله عند صخرة بيت المقدس، فيحشر أهل الجنة عن يمين الصخرة، ويزلف المتقين وتصير جهنم عن يسار الصخرة في تخوم الأرضين السابعة، وفيها الفلق والسجين، فتفرق الخلائق عند الصخرة، فمن وجبت له الجنة دخلها، ومن وجبت له النار دخلها، وذلك قوله تعالى: ﴿فريق في الجنة وفريق في السعير﴾.

فلما أخبر الحسن عليه السلام بصفة ما عرض عليه من الأصنام وتفسير ما سأله؛ التفت الملك إلى يزيد بن معاوية، فقال: أشعرت أن ذلك علم لا يعلمه إلا نبي مرسل أو وصي مؤازر، قد أكرمه الله بمؤازرة نبيه أو عترته نبي مصطفى، وغيره فقد طبع الله على قلبه، وأثر دنياه على آخرته، وهواه على دينه وهو من الظالمين؟ قال: فسكت يزيد وخمد.

قال: فأحسن الملك جائزة الحسن وأكرمه وقال له: ادعُ ربك حتى يرزقني دين نبيك، فإن حلاوة الملك قد حالت بيني وبين ذلك، فأظنه شقاء مردياً وعذاباً أليماً.

قال: فرجع يزيد إلى معاوية، وكتب إليه الملك كتاباً: أن من آتاه الله العلم بعد نبيكم، وحكم بالتوراة وما فيها، والإنجيل وما فيه، والزيور وما فيه، والقرآن وما فيه، فالحق والخلافة له. وكتب إلى علي بن أبي طالب عليه السلام: أن الحق والخلافة لك، وبيت النبوة فيك وفي ولدك، فقاتل من قاتلك، فإن من قاتلك يعذبه الله بيدك ثم يخلده نار جهنم، فإن من قاتلك نجده عندنا في الإنجيل أن عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وعليه لعنة أهل السماوات والأرضين^(١).

وقال علي بن إبراهيم، في قوله تعالى: ﴿ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة﴾، قال: لو شاء الله يجعلهم كلهم معصومين مثل الملائكة بلا طباغ، لقدر عليه، ﴿ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون﴾ لآل محمد ﷺ حقهم ﴿ما لهم من ولي ولا نصير﴾^(١).

وقال جعفر بن محمد عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿ولكن يدخل من يشاء في رحمته﴾: «الرحمة: ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام» والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير^(٢).

● س ٧: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿أَرَأَيْتُمْ أَفْعَاكُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّهُ هُوَ الْوَكِيلُ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتِ وَيُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١) وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (٢) فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّوكُمْ فِيهَا لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٣) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٤) شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ (٥) وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْوَعْدُ بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِلَى الَّذِينَ أُورِثُوا الْكُتُبَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَنَبَىٰ لَنَبَىٰ مِنْهُ مَرِيبٌ (٦) فَلِذَلِكَ قَادَعُ وَأَسْتَقِمَ كَمَا أُمِرْتُ وَلَا نَنْبَغُ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَأَمِنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ

(٢) تاويل الآيات: ج ٢، ص ٥٤٢، ح ٤.

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٦٨.

رَبَّنَا وَرَبِّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا
 وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ يَخْشَوْنَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُ مِنْهُمْ
 دَائِحَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٦﴾ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ
 الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَمَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿٧﴾ يَسْتَعْمِلُ بِهَا الَّذِينَ
 لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ آلَا إِنَّ الَّذِينَ
 يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَمِنَ صَلَائِلِ بَعِيدٍ ﴿٨﴾ [سورة الشورى: ٩ - ١٨]!

الجواب/ قال ابن شهر آشوب: من كتاب العلوي البصري: أن جماعة
 من اليمن أتوا إلى النبي ﷺ فقالوا: نحن بقايا الملك المقدم من آل نوح،
 وكان لنبينا وصي اسمه سام، وأخبرني كتابه: أن لكل نبي معجزة، وله وصي
 يقوم مقامه؛ فمن وصيك؟ فأشار بيده نحو علي عليه السلام، فقالوا: يا محمد، إن
 سألناه أن يرينا سام بن نوح، فيفعل؟ فقال ﷺ: «نعم، بإذن الله» وقال: «يا
 علي، قم معهم إلى داخل المسجد فصل ركعتين، واضرب برجلك الأرض
 عند المحراب».

فذهب علي، وبأيديهم صحف، إلى أن دخل محراب رسول الله ﷺ
 داخل المسجد، فصلى ركعتين، ثم قام فضرب برجله على الأرض فانشق
 الأرض وظهر لحد وتابوت، فقام من التابوت شيخ يتلأأ وجهه مثل القمر ليلة
 البدر، وينفض الشراب من رأسه، وله لحية إلى سرتة، وصلى على
 علي عليه السلام، وقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، سيد
 المرسلين، وأنت علي وصي محمد، سيد الوصيين، أنا سام بن نوح، فنشروا
 أولئك صحفهم، فوجدوه كما وصفوه في الصحف، ثم قالوا: نريد أن يقرأ
 من صحفه سورة، فأخذ في قراءته حتى تمم السورة، ثم سلم على علي،
 ونام كما كان، فانضمت الأرض، وقالوا بأسرهم: إن الدين عند الله الإسلام.
 وآمنوا، فأنزل الله تعالى: ﴿أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي وهو

يحيي الموتى ﴿ إلى قوله: ﴿أنيب﴾^(١).

وقال علي بن إبراهيم: قوله تعالى: ﴿وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله﴾ يعني وما اختلفتم فيه من المذاهب، واخترتم لأنفسكم من الأديان، فحكم ذلك كله إلى الله يوم القيامة.

وقوله: ﴿جعل لكم من أنفسكم أزواجا﴾ يعني النساء ﴿ومن الأنعام أزواجا﴾ يعني ذكوراً وإناثاً ﴿يذروكم فيه﴾ يعني النسل الذي يكون من الذكور والإناث. ثم ردّ على من وصف الله فقال: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾^(٢).

وكتب الرضا عليه السلام إلى عبد الله بن جندب: «أما بعد، فإنّ محمداً صلى الله عليه وآله كان أمين الله في خلقه، فلما قبض صلى الله عليه وآله كنا أهل البيت ورثته، فنحن أمناء الله في أرضه، عندنا علم البلايا والمعاني، وأنساب العرب، ومولد الإسلام، وإنا نعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان وحقيقة النفاق، وإن شيعتنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم، أخذ الله علينا وعليهم الميثاق، يردون موردنا، ويدخلون مدخلنا، ليس على ملّة الإسلام غيرنا وغيرهم.

نحن النجباء والنجاة، ونحن أفراط الأنبياء، ونحن أبناء الأوصياء، ونحن المخصوصون في كتاب الله عز وجل، ونحن أولى الناس بكتاب الله، ونحن أولى الناس برسول الله صلى الله عليه وآله، ونحن الذين شرع لنا دينه، فقال في كتابه: ﴿شرع لكم﴾ يا آل محمد ﴿من الدين ما وصى به نوحاً﴾ قد وصانا بما وصى به نوحاً ﴿والذي أوحينا إليك﴾ يا محمد ﴿وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى﴾ فقد علمنا وبلغنا علم ما علمنا واستودعنا علمهم، نحن ورثة أولي العزم من الرسل ﴿أن أقيموا الدين﴾ يا آل محمد ﴿ولا تتفرقوا فيه﴾ وكونوا

(٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٧٣.

(١) المناقب: ج ٢، ص ٣٣٩.

على جماعة ﴿كبر على المشركين﴾ من أشرك بولاية عليٍّ ﴿ما تدعوهم إليه﴾ من ولاية علي، إِنَّ ﴿الله﴾ يا محمد ﴿يهدى إليه من ينيب﴾ من يجيبك إلى ولاية عليٍّ عليه السلام ^(١).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «إن الله عز وجل قال لنبيه عليه السلام: ولقد وصيناك بما وصينا به آدم ونوحاً وإبراهيم والنبيين من قبلك ﴿أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه﴾ من تولية ^(٢) علي بن أبي طالب عليه السلام. قال عليه السلام: «إن الله عز وجل أخذ ميثاق كل نبي، وكل مؤمن ليؤمنن بمحمد وعلي، وبكل نبي، وبالولاية، ثم قال لمحمد عليه السلام: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْدَامُهُ﴾ ^(٣)، يعني آدم ونوحاً وكل نبي بعده» ^(٤).

وقال علي بن إبراهيم: قوله تعالى: ﴿شرع لكم من الدين﴾ مخاطبة لرسول الله عليه السلام ﴿وما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك﴾ يا محمد ﴿وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين﴾ أي تعلموا الدين، يعني التوحيد، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم شهر رمضان، وحج البيت، والسنن والأحكام التي في الكتب، والإقرار بولاية أمير المؤمنين عليه السلام ﴿ولا تتفرقوا فيه﴾ [أي لا تختلفوا فيه] ﴿كبر على المشركين ما تدعوهم إليه﴾ من ذكر هذه الشرائع.

ثم قال: ﴿الله يجتبي إليه من يشاء﴾ أي يختار ﴿ويهدي إليه من ينيب﴾ وهم الأئمة الذين اجتباهم الله واختارهم، قال: ﴿وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم﴾ قال: لم يتفرقوا بجهل، ولكنهم تفرقوا لما جاءهم العلم وعرفوه، وحسد بعضهم بعضاً، وبغى بعضهم على بعض، لما رأوا من

(١) الكافي: ج ١، ص ١٧٤، ح ١.

(٢) الأنعام: ٩٠.

(٤) مختصر بصائر الدرجات: ص ٦٣.

(٢) في السنخ: من قول.

تفضيل أمير المؤمنين عليه السلام بأمر الله، فتفرقوا في المذاهب، وأخذوا بالآراء والأهواء.

ثم قال عز وجل: ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضى بينهم﴾، قال: لولا أن الله قدر ذلك أن يكون في التقدير الأول لقضى بينهم إذا اختلفوا، وأهلكهم ولم ينظرهم، ولكن آخزهم إلى أجل مسمى مقدر.

﴿وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب﴾ كناية عن الذين نقضوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: ﴿فلذلك فادع﴾ يعني هذه الأمور، والذي تقدم ذكره، وموالة أمير المؤمنين عليه السلام ﴿واستقم كما أمرت﴾^(١).

وقال أبو عبد الله عليه السلام، في قول الله تعالى: ﴿أن أقيموا الدين﴾، الإمام ﴿ولا تفرقوا فيه﴾ كناية عن أمير المؤمنين عليه السلام، ثم قال: ﴿كبر على المشركين ما تدعوهم إليه﴾ من ولاية علي عليه السلام ﴿الله يجتبي إليه من يشاء﴾ كناية عن علي عليه السلام ﴿ويهدي إليه من ينيب﴾، ثم قال: ﴿فلذلك فادع﴾ يعنى إلى ولاية علي أمير المؤمنين عليه السلام، ﴿ولا تتبع أهواءهم﴾ فيه ﴿وقل ءامنتم بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم﴾ إلى قوله: ﴿وإليه المصير﴾^(٢).

وقال الرضا عليه السلام، في قول الله عز وجل: ﴿كبر على المشركين﴾ بولاية علي عليه السلام ﴿ما تدعوهم إليه﴾ يا محمد من ولاية علي، هكذا في الكتاب مخطوطة^(٣).

نرجع إلى رواية علي بن إبراهيم: ثم قال عز وجل: ﴿والذين يحاجون في الله﴾ أي يحتجون على الله بعد ما شاء [الله] أن يبعث إليهم الرسل

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٧٣. (٢) الكافي: ج ١، ص ٣٤٦، ح ٣٢.

(٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٧٣.

[والكتب]، فبعث الله إليهم الرُّسل والكتب فغيروا وبدلوا، ثم يحتجون يوم القيامة على الله ﴿حجتهم داحضة﴾ أي باطلة ﴿عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد﴾.

ثم قال عز وجل: ﴿الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان﴾، قال: الميزان: أمير المؤمنين عليه السلام، والدليل على ذلك قوله في سورة الرحمن: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾^(١) يعني الإمام.

وقوله تعالى: ﴿يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها﴾ كناية عن القيامة فإنهم كانوا يقولون لرسول الله ﷺ: أقم لنا الساعة واتنا بما تعدنا من العذاب إن كنت من الصادقين، قال الله: ﴿ألا إن الذين يمارون في الساعة﴾ أي يخاصمون^(٢).

س ٨: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِمَا يَدِينُ يُرِزُّكَ مِنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْعَزِيزُ﴾^(١) مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُمْ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾^(٢) [سورة الشورى: ١٩ - ٢٠]؟!

الجواب/ قال الرضا عليه السلام: - في معنى بعض أسماء الله تعالى -: «وأما اللطيف فليس على قلة وقصافة»^(٣) وصغر، ولكن ذلك على النفاذ في الأشياء والامتناع من أن يدرك، كقولك للرجل: لطف عني هذا الأمر. ولطف فلان في مذهبه، وقوله يخبرك: أنه غمض فبهر العقل، وفات الطلب، وعاد متعمقاً

(١) الرحمن: ٧.

(٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٧٤.

(٣) القضاة: قلة اللحم، والقضيف: الدقيق العظيم، القليل اللحم. «لسان العرب - قصف - ج ٩، ص ٢٨٤».

متطلقاً لا يدركه الوهم، وكذلك لطف الله تبارك وتعالى عن أن يدرك بحد يوصف والطاقة من الصغر والقلة، فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى^(١).

وقال أبو بصير: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «الله لطيف بعباده يرزق من يشاء»، قال: «ولاية أمير المؤمنين عليه السلام».

قلت: «من كان يريد حرث الآخرة»، فقال: «معرفة أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام». «نزد له في حرثه»، قال: «نزيده منها»، قال: «يستوفي نصيبه من دولتهم» «ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب». قال: «ليس له في دولة الحق مع القائم نصيب»^(٢).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «المال والبنون حرث الدنيا، والعمل الصالح حرث الآخرة، وقد يجمعهما [الله] لأقوام»^(٣).

س ٩: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِّ يَتَّبِعُهُمْ وَإِنَّا لَلظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿١٢﴾ ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَعْرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿١٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَنُزِّلُ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ بَشَّرْنَا اللَّهُ أَنَّهُ يُخَيِّدُ عَلَى قَلْبِكَ وَنَمُنَّ اللَّهُ أَبْتَدِلَ وَنُحْيِي لَمَنَّا بِكَلِمَتِهِ إِنَّهُ

(١) التوحيد: ص ١٨٩، ح ٢.

(٢) الكافي: ج ١، ص ٣٦١، ح ٩٢.

(٣) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٧٤.

عَلِيمٌ يَذَاتُ الصُّدُورِ ﴿١٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٧﴾ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٨﴾ [سورة الشورى: ٢١ - ٢٦]!

الجواب/ ١ - قال أبو جعفر عليه السلام: أما قوله عز وجل: ﴿ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم وإن الظالمين لهم عذاب أليم﴾ قال: ﴿لولا ما تقدم فيهم من أمر الله عز وجل ما أبى القائم عليه السلام منهم واحداً﴾^(١).

٢ - قال علي بن إبراهيم: الكلمة: الإمام، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَآيَةً فِي عَقْبِهِ، لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(٢) [يعني الإمامة]، ثم قال: ﴿وإن الظالمين﴾ يعني الذين ظلموا هذه الكلمة ﴿لهم عذاب أليم﴾ ثم قال: ﴿هرى الظالمين﴾ لآل محمد حقهم، ﴿مشفقين مما كسبوا﴾، قال: خائفون مما ارتكبوا [وعملوا] ﴿وهو واقع بهم﴾ [أي ما يخافونه].

ثم ذكر الله الذين آمنوا بالكتب واتبعوها، فقال: ﴿والذين آمنوا و عملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا﴾ [بهذه الكلمة] ﴿و عملوا الصالحات﴾ [مما أمروا به]^(٣).

٣ - قال إسماعيل بن عبد الخالق: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول لأبي جعفر الأحول، وأنا أسمع: «أتيت البصرة؟» فقال: نعم. قال: «كيف رأيت مسارعة الناس إلى هذا الأمر، ودخولهم فيه؟» فقال: والله إنهم لقليل، وقد فعلوا، وإن ذلك لقليل. فقال: «عليك بالأحداث، فإنهم أسرع إلى كل خير». ثم قال: «ما يقول أهل البصرة في هذه الآية ﴿قل لا أسئلكم عليه أجرا

(١) الكافي: ج ٨، ص ٢٨٧، ح ٤٣٢. (٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٧٤.

(٣) الزخرف: ٢٨.

إلا المودة في القربى؟» قلت: جعلت فداك، إنهم يقولون: [إنها] لأقارب رسول الله ﷺ. فقال: «كذبوا، إنما نزلت فينا خاصة، في أهل البيت، في علي وفاطمة والحسن والحسين، أصحاب الكساء ﷺ»^(١).

وقال الريان بن الصلت: حضر الرضا ﷺ مجلس المأمون بمرو، وقد اجتمع في مجلسه جماعة من علماء أهل العراق وخراسان - وذكر الحديث وذكر ﷺ آيات الاصطفاء وهي اثنتا عشرة - قال ﷺ: «والسادسة: قوله عز وجل: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾، وهذه خصوصية للنبي ﷺ [إلى] يوم القيامة، وخصوصية للآل دون غيرهم، وذلك أن الله عز وجل حكى ذكر نوح في كتابه: ﴿وَيَقُولُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلْكُوا رَبِّهِمْ وَلِنُكْفِيَ تَ وَجْهَكَ فَجْرًا﴾^(٢)، وحكى عز وجل عن هود أنه قال: ﴿يَقُولُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٣)، وقال عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ يَا مُحَمَّدُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْرَفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حَسَنًا﴾، ولم يفرض الله تعالى مودتهم إلا وقد علم أنهم لا يرتدون عن الدين أبداً ولا يرجعون إلى ضلال أبداً، وأخرى أن يكون الرجل واداً للرجل، فيكون بعض أهل بيته عدواً له، فلم يسلم قلب الرجل له، فأحب الله عز وجل أن لا يكون في قلب رسول الله ﷺ على المؤمنين شيء، ففرض [الله] عليهم مودة ذوي القربى، فمن أخذ بها وأحب رسول الله ﷺ وأحب أهل بيته، لم يستطع رسول الله ﷺ أن يبغضه، ومن تركها ولم يأخذ بها وأبغض أهل بيته، فعلى رسول الله ﷺ أن يبغضه لأنه قد ترك فريضة من

(١) الكافي: ج ٨، ص ٩٣، ح ٦٦، وقرب الإسناد: ص ٦٠.

(٢) هود: ٢٩.

(٣) هود: ٥١.

فرائض الله تعالى، فأني فضيلة وأي شرف يتقدّم هذا أو يدانيه؟

فأنزل الله تعالى هذه الآية على نبيه ﷺ ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾، فقام رسول الله ﷺ في أصحابه، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: أيها الناس، إن الله عزّ وجلّ قد فرض لي عليكم فرضاً فهل أنتم مؤدوه؟ فلم يجبه أحد، فقال: يا أيها الناس، إنه ليس بذهب ولا فضة [ولا مأكول] ولا مشروب، فقالوا: هات إذن، فتلا عليهم هذه الآية، فقالوا: أما هذا فنعم. فما وفي بها أكثرهم.

وما بعث الله عزّ وجلّ نبياً إلا أوحى إليه أن لا يسأل قومه أجراً، لأن الله يوفي أجر الأنبياء، ومحمد ﷺ فرض الله عزّ وجلّ مودة قرابته على أمته، وأمره أن يجعل أجره فيهم، ليؤدّوه في قرابته، لمعرفة فضلهم الذي أوجب الله عزّ وجلّ لهم، فإن المودة إنما تكون على قدر معرفة الفضل، فلما أوجب الله تعالى ذلك ثقل لثقل وجوب الطاعة، فأخذ بها قوم أخذ الله ميثاقهم على الوفاء، وعاند أهل الشقاق والنفاق، وألحدوا في ذلك، فصرفوه عن حذّه الذي قد حذّه الله تعالى، فقالوا: القرابة هم العرب كلّها، وأهل دعوته، فعلى أيّ الحالتين كان، فقد علمنا أن المودة هي للقرابة، فأقربهم من النبي ﷺ أولاهم بالمودة، وكلما قربت القرابة كانت المودة على قدرها.

وما أنصفوا نبيّ الله ﷺ في حيطته ورافته، وما منّ الله به على أمته، مما تعجز الألسن عن وصف الشكر عليه، أن يودون في قرابته وذريته وأهل بيته، وأن يجعلوهم فيهم بمنزلة العين من الرأس، حفظاً لرسول الله ﷺ فيهم، وحباً لهم، وكيف القرآن ينطق به ويدعو إليه، والأخبار ثابتة أنهم أهل المودة والذين فرض الله تعالى مودتهم، ووعد الجزاء عليها! فما وفي أحد بهذه المودة مؤمناً مخلصاً إلا استوجب الجنة، لقول الله عزّ وجلّ في هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْحَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ

ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ذَلِكَ الَّذِي يُبَيِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴿١﴾ مفسراً ومبيناً .

ثم قال أبو الحسن عليه السلام : «حدثني أبي، عن جدي، عن أبائه، عن الحسين بن علي عليه السلام قال: اجتمع المهاجرون والأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: يا رسول الله، إن لك مؤونةً في نفقتك ومن يأتيك من الوفود، وهذه أموالنا مع دماننا، فاحكم فيها مأجوراً، أعط منها ما شئت [وأمسك ما شئت] من غير حرج، فأنزل الله عز وجل عليه الروح الأمين، فقال: يا محمد ﴿قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾ يعني [أن] تودّوا قرابتي من بعدي، فخرجوا.

فقال المنافقون: ما حمل رسول الله على ترك ما عرضنا عليه إلا ليحسنا على قرابته [من بعده]، إن هو إلا شيء افتراه في مجلسه. فكان ذلك من قولهم عظيماً، فأنزل الله عز وجل: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُمْ فَلَا تَكُونُوا لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئاً هُوَ أَكْبَرُ بِمَا تُفْعَلُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٢)، فبعث إليهم النبي صلى الله عليه وآله، فقال: هل من حديث؟ فقالوا: إي والله يا رسول الله، لقد قال بعضنا كلاماً غليظاً كرهناه. فتلا عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله [الآية]، فبكوا واشتد بكاؤهم، فأنزل الله عز وجل: ﴿هو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون﴾ (٣).

٤ - قال جعفر بن محمد: «لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾، قام رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: أيها الناس، إن الله تبارك وتعالى قد فرض لي عليكم فرضاً، فهل أنتم مؤدّوه؟

(١) الشورى: ٢٢، ٢٣.

(٢) الأحقاف: ٨.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١، ص ٢٣٣، ح ١.

قال: فلم يجبه أحد منهم، فانصرف. فلما كان من الغد قام فيهم فقال مثل ذلك، ثم قام فيهم، وقال [مثل] ذلك في اليوم الثالث، فلم يتكلم أحد، فقال: أيها الناس، إنه ليس من ذهب ولا فضة ولا مطعم ولا مشرب. قالوا: فألقه إذن. قال: إن الله تبارك وتعالى أنزل عليّ ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ قالوا: أما هذه فنعم» فقال أبو عبد الله عليه السلام: «فوالله ما وفى بها إلا سبعة نفر: سلمان، وأبو ذر، وعمار، والمقداد بن الأسود الكندي، وجابر بن عبد الله الأنصاري، ومولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له الثبت، وزيد بن أرقم»^(١).

وقال أبو جعفر عليه السلام، في قول الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حَسَنًا﴾: «من تولى الأوصياء من آل محمد، واتبع آثارهم، فذاك يزيده ولاية من مضى من النبيين والمؤمنين الأولين حتى يصل ولايتهم إلى آدم عليه السلام، وهو قول الله عز وجل: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾^(٢) يدخله الجنة، وهو قول الله عز وجل: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾^(٣) يقول: أجر المودة الذي لم أسألكم غيره فهو لكم، تهتدون به وتنجون من عذاب يوم القيامة.

وقال لأعداء الله، أولياء الشيطان، أهل التكذيب والإنكار: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكْفِرِينَ﴾^(٤) يقول: متكلفاً أن أسألكم ما لستم بأهله. فقال المنافقون عند ذلك بعضهم لبعض: أما يكفي محمداً أن يكون قهرنا عشرين سنة حتى يريد أن يحمل أهل بيته على رقابنا؟ [فقالوا]: ما أنزل الله هذا، وما هو إلا شيء يتقوله، يريد أن يرفع أهل بيته على رقابنا، ولئن

(١) قرب الإسناد، والاختصاص: ص ٦٣ (والمولى اسمه: شبيب).

(٢) النمل: ٨٩.

(٣) سبأ: ٤٧.

(٤) سورة ص: ٨٦.

قتل محمد أو مات، لتنزعتها من أهل بيته [ثم] لا نعيدها فيهم أبداً.

[وقال أبو جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً﴾: «الاقتراف للحسنة: وهو التسليم لنا والصدق علينا، [وَأَلَّا يَكْذِبَ عَلَيْنَا]»^(١).

وأراد الله عزّ ذكره أن يعلم نبيّه عليه السلام الذي أخفوا في صدورهم وأسروا به، فقال عزّ وجلّ في كتابه: ﴿أم يقولون افترى على الله كذباً فإن يشأ الله يختم على قلبك﴾ يقول: لو شئت حبست عنك الوحي فلم تكلم بفضل أهل بيتك ولا بمودتهم، وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته﴾ يقول: الحقّ لأهل بيتك الولاية ﴿إنه عليهم بذات الصدور﴾، يقول: بما ألقوه في صدورهم من العداوة لأهل بيتك، والظلم بعدك، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَسْرَأُ الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ بُصُورٌ﴾^(٢)،^(٣).

وقال محمد بن مسلم: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول في قول الله: ﴿قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾: «يعني في أهل بيته» قال: «جاءت الأنصار إلى رسول الله عليه السلام، فقالوا: إنا قد آوينا ونصرنا، فخذ طائفة من أموالنا، استعن بها على ما نابك. فأنزل الله: ﴿قل لا أسئلكم عليه أجر﴾ يعني على النبوة ﴿إلا المودة في القربى﴾ أي في أهل بيته.

وقال أبو جعفر عليه السلام: «هم الأئمة الذين لا يأكلون الصدقة ولا تحل لهم»^(٤).

ثم قال: «ألا ترى أن الرجل يكون له صديق، وفي [نفس] ذلك

(١) مختصر بصائر الدرجات: ص ٧٢. (٢) الكافي: ج ٨، ص ٣٧٩، ح ٥٧٤.

(٣) الأنبياء: ٣. (٤) المحاسن: ص ١٤٥، ح ٤٨.

[الرجل] شيء على أهل بيته فلم يسلم صدره، فأراد الله أن لا يكون في نفس رسول الله ﷺ شيء على أمته، ففرض عليهم المودة [في القربى]، فإن أخذوا أخذوا مفروضاً، وإن تركوا تركوا مفروضاً.

قال: «فانصرفوا من عنده وبعضهم يقول: عرضنا عليه أموالنا، فقال: قاتلوا عن أهل بيتي [من بعدي] وقالت طائفة: ما قال هذا رسول الله. وجحدوه، وقالوا كما حكى الله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افترى على الله كذباً﴾. فقال الله: ﴿فإن يشأ الله يختم على قلبك﴾ قال: لو افتريت ﴿ويمح الله الباطل﴾ يعني يبطله ﴿ويحق الحق بكلماته﴾ يعني بالأئمة والقائم من آل محمد ﴿إنه عليهم بذات الصدور﴾ ثم قال: ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات﴾ إلى قوله: ﴿ويزيدهم من فضله﴾ يعني الذين قالوا: القول ما قال رسول الله ﷺ. ثم قال: ﴿والكافرون لهم عذاب شديد﴾، وقال أيضاً: ﴿قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾، قال: أجر النبوة أن لا تؤذوهم ولا تقطعوهم ولا تبغضوهم، وتصلوهم، ولا تنقضوا العهد فيهم، لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَمِيلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾^(١).

قال: «جاءت الأنصار إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: إنا قد نصرنا وفعلنا فخذ من أموالنا ما شئت، فأنزل الله: ﴿قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾ يعني في أهل بيته، ثم قال رسول الله ﷺ بعد ذلك: من حبس أجييراً أجره فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقلل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً، وهو محبة آل محمد».

ثم قال: «ومن يقترف حسنة نزل له فيها حسناً وهي [إقرار] الإمامة لهم، والإحسان إليهم، ويزمهم وصلتهم ﴿نزل له فيها حسناً﴾ أي نكافئه على

ذلك بالإحسان»^(١).

وقال الطبرسي: ذكر أبو حمزة الشمالي في تفسيره، قال: حدثني عثمان ابن عمير، عن سعيد بن جبير، عن عبد الله بن عباس، قال: إن رسول الله ﷺ حين قدم المدينة واستحکم الإسلام، قالت الأنصار فيما بينها: تأتي رسول الله ﷺ فنقول له: إن تغزك أمور، فهذه أموالنا تحکم فيها من غير حرج ولا محذور [عليك]. فأتوه في ذلك، فنزلت: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾، فقرأها عليهم، وقال: «تودون قرابتي من بعدي». فخرجوا من عنده مسلمين لقوله، فقال المنافقون: إن هذا لشيء افتراه في مجلسه، وأراد أن يذلنا لقرابته من بعده. فنزلت: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ فأرسل إليهم فتلا عليهم، فبكوا واشتد عليهم، فأنزل الله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ الآية، فأرسل في أثرهم فبشّرهم، وقال: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ وهم الذين سلّموا لقوله^(٢).

وقال أبو جعفر عليه السلام، في قول الله تبارك: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾: «هو المؤمن يدعو لأخيه بظهر الغيب، فيقول له الملك: آمين؛ ويقول الله العزيز الجبار: ولك مثل ما سألت، وقد أعطيت ما سألت لحبك إياه»^(٣).

س ١٠: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ نُنزِلُ يَقْدَرُ مَا يُشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ

خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٧﴾ [سورة الثورى: ٢٧]!

الجواب/ قال الصادق عليه السلام: «لو فعل لفعلوا، ولكن جعلهم محتاجين

(٣) الكافي: ج ٢، ص ٣٦٨، ح ٣.

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٧٥.

(٢) مجمع البيان: ج ٩، ص ٤٤.

بعضهم إلى بعض واستعبدهم بذلك، ولو جعلهم كلهم أغنياء لبغوا في الأرض ﴿ولكن ينزل بقدر ما يشاء﴾ مما يعلم أنه يصلحهم في دينهم وديارهم ﴿إنه بعباده خير بصير﴾^(١).

وقال أبو الحسن الرضائي: «وأما الخبير فهو الذي لا يعزب عنه شيء، ولا يفوته شيء، ليس للتجربة ولا للاعتبار بالأشياء. فعند التجربة والاعتبار علمان، ولولاهما ما علم لأن كل من كان كذلك كان جاهلاً، والله لم يزل خبيراً بما يخلق، والخبير من الناس المستخبر عن جهل المتعلم، وقد جمعنا الاسم واختلف المعنى، والبصير لا بخرت^(٢) كما أننا نبصر بخرت منا لا نتفع به في غيره، ولكن الله بصير لا يحتمل شخصاً منظوراً إليه، فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى»^(٣).

❁ س ١١ : ما هو معنى قوله تعالى :

﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْقَبْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَكِيلُ
الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَائِبَةٍ وَهُوَ عَلَى
جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة الشورى: ٢٨ - ٢٩]؟

الجواب/ قال الشيخ الطوسي: قال ﴿وهو الذي ينزل الغيث من بعدما قنطوا﴾ أي ينزله عليهم من بعد أياسهم من نزوله، ووجه إنزاله بعد القنوط أنه ادعى إلى شكر الآتي به وتعظيمه والمعرفة بمواقع إحسانه، وكذلك الشدائد التي تمر بالإنسان، ويأتي الفرج بعدها، تعلق الأمل بمن يأتي به وتكسب المعرفة بحسن تدبيره في ما يدعو إليه من العمل بأمره والانتهاه إلى نهيه.

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٧٦.

(٢) الخرت: ثقب الإبرة والفأس والأذن ونحوها. «الصحاح»: ج ١، ص ٢٤٨.

(٣) عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ١٤٨، ح ٥٠.

ونشر الرحمة عمومها لجميع خلقه، فهكذا نشر رحمة الله مجددة حالاً بعد حال. ثم يضاعفها لمن يشاء، وكل ذلك على مقتضى الحكمة وحسن التدبير الذي ليس شيء لحسن منه ﴿وهو الولي الحميد﴾ معناه هو الأولى بكم وبتدبيركم المحمود على جميع أفعاله لكونها منافعاً وإحساناً^(١).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: سئل عن السحاب، أين يكون؟ قال: «يكون على شجرٍ كثيفٍ على ساحل البحر يأوي إليه، فإذا أراد الله أن يرسله، أرسل ريحاً فأثاره، ووكل به ملائكةً يضربونه بالمخاريق، وهو البرق، فيرتفع»^(٢).

وقال الشيخ الطوسي: ﴿ومن آياته﴾ أي من حججه الدالة على توحيدهِ وصفاته التي باين بها خلقه ﴿خلق السموات والأرض﴾ لأنه لا يقدر على ذلك غيره لما فيهما من العجائب والأجناس التي لا يقدر عليها قادر بقدرة ﴿وما بعث فيهما من دابة﴾ أي من سائر أجناس الحيوان ﴿وهو على جمعهم إذا يشاء قدير﴾ أي على جمعهم يوم القيامة وحشرهم إلى الموقف بعد إمامتهم قادر، لا يتعذر عليه ذلك^(٣).

س ١٢: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾^(٤)
[سورة الشورى: ٣٠]!

الجواب/ قال أمير المؤمنين عليه السلام، في قول الله عز وجل: ﴿وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير﴾: «ليس من التواء عرق، ولا نكبة حجر، ولا عثرة قدم، ولا خدش عود إلا بذنب، ولما يعفو الله عز وجل أكثر، ومن عجل الله عقوبة ذنبه في الدنيا، فإن الله عز وجل أجل

(٣) الكافي: ج ٢، ص ٣٢٣، ح ٦.

(١) التبيان: ج ٩، ص ١٦٢.

(٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٧٦.

وأعظم من أن يعود في عقوبته في الآخرة^(١).

وقال علي بن رثاب: [سألت أبا عبد الله عليه السلام] عن قول الله عز وجل: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير﴾، قال: رأيت ما أصاب علياً عليه السلام وأهل بيته، هو بما كسبت أيديهم، وهم أهل طهارة معصومون؟ قال: [إن رسول الله عليه السلام كان يتوب إلى الله ويستغفره في كل يوم وليلة مائة مرة من غير ذنب، إن الله يخص أوليائه بالمصائب ليأجرهم عليها من غير ذنب]^(٢).

وعن الأصبغ بن نباتة، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «سمعته يقول: إني أحدثكم بحديث ينبغي لكل مسلم أن يعيه» ثم أقبل علينا، فقال: «ما عاقب الله عبداً مؤمناً في هذه الدنيا وعفا عنه إلا كان الله أجراً وأمجداً وأجوداً [من] أن يعود في عقوبته يوم القيامة، وما ستر الله على عبده مؤمناً في هذه الدنيا وعفا عنه إلا كان الله أجوداً وأمجداً وأكرم من أن يعود في عقوبته يوم القيامة». ثم قال: «وقد يتلى الله المؤمن بالبلية في بدنه أو ماله أو ولده أو أهله». ثم تلا هذه الآية ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير﴾ وحثا بيده ثلاث مرات^(٣).

❁ س ١٣: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَمَا أَنْتَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٦٦﴾
وَمِنْ مَائِنَةِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿١٦٧﴾ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَنَنَّ رَوَاكِدَ عَالَمِ
ظُهُورِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٦٨﴾ أَوْ يُوبِقُهُنَّ يَمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ

(١) التبيان: ج ٩، ص ١٦٢.

(٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٧٧.

(٣) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٧٦.

كَثِيرٍ ﴿٣١﴾ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُخَدِّلُونَ فِيْءَايِنِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ ﴿٣٢﴾

[سورة الشورى: ٣١ - ٣٥] ١٩

الجواب/ قال الشيخ الطوسي: ﴿وما أنتم بمعجزين في الأرض﴾ خطاب من الله تعالى للكفار بأنكم لستم تفوتون الله بالهرب منه في الأرض ولا في السماء، فإنه يقدر عليكم في جميع الأماكن ولا يمكن النجاة من عذابه إلا بطاعته، فواجب عليكم طاعته، ففي ذلك استدعاء إلى عبادة الله وترغيب في كل ما أمر به وتحذير عما نهى عنه. ووجه الحجة بذلك على العبد أنه إذا كان لا يعجز الله، ولا يجد دافعاً عن عقابه خف عليه عمل كل شيء في جنب ما توعد به. وقوله ﴿وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير﴾ أي ليس لكم من يدفع عنكم عقاب الله إذا أراد فعله بكم ولا ينصركم عليه، فيجب أن ترجعوا إلى طاعة من هذه صفته. وقوله ﴿ومن آياته الجوارى في البحر كالأعلام﴾ معناه من آياته الدالة على أنه تعالى مختص بصفات لا يشركه فيها أحد، السفن الجارية في البحر مثل الجبال، لأنه تعالى يسيرها بالريح لا يقدر على تسييرها غيره، ووجه الدلالة في السفن الجارية هو أن الله خلق الماء العظيم وعدل الريح بما يمكن أن يجري فيه على حسب المراد لأنه إذا هبت الريح في جهة وسارت بها السفينة فيها، فلو اجتمعت الخلائق على صرفها إلى جهة أخرى لما قدروا، وكذلك لو سكنت الريح لوقفت. وما قدر أحد على تحريكها، ولا إجرائها غيره تعالى. ثم بين ذلك بأن قال ﴿إن يشأ يسكن الريح﴾ وتقديره إن يشأ يسكن الريح أسكنها أو إن يشأ أن يسكنها سكنت، وليس المعنى إن وقعت منه مشيئة أسكن لا محالة، لأنه قد وقعت منه مشيئة لأشياء كثيرة ولم تسكن الريح. والجوارى السفن - في قول مجاهد والسدي - والأعلام الجبال - في قولهما - وقوله ﴿فيظللن رواكد على ظهره﴾ قال ابن عباس: معناه تظل السفن واقفة على ظهر الماء... وقوله ﴿إن في ذلك﴾ يعني في تسخير البحر

وجريان السفن فيها لآيات أي حججاً واضحات ﴿لكل صبار﴾ على أمر الله ﴿شكور﴾ على نعمه، وإنما أضاف الآيات إلى كل صبار وإن كانت دلالات لغيرهم أيضاً من حيث هم الذين انتفعوا بها دون غيرهم، ممن لم ينظر فيها. وقوله ﴿أو يوبقهن بما كسبوا﴾ معناه يهلكهن بالغرق - في قول ابن عباس والسدي ومجاهد - ﴿بما كسبوا﴾ أي جزاء على ما فعلوا من المعاصي ﴿ويعفو عن كثير﴾ أخبار منه تعالى أنه يعفو عن معاصيهم لا يعاجلهم الله بعقوبتها. وقوله ﴿ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص﴾ إخبار منه تعالى أن الذين يجادلون في إبطال آيات الله تعالى ويدفعونها سيعلمون أنه ليس لهم محيص أي ملجأ يلجأون إليه^(١).

س ١٤: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿فَأُوتِيتُمْ مِّنْ رَبِّهِ فَنِعْمَ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [سورة الشورى: ٣٦]؟

الجواب/ قال الشيخ الطوسي: الله تعالى مخاطباً لمن تقدم وصفه ﴿وما أوتيتم﴾ يعني إن الذي أوتيتموه وأعطيتموه ﴿من شيء﴾ من الأموال، ﴿فتمتاع الحياة الدنيا﴾ أي هو شيء ينتفع به عاجلاً لا بقاء له ولا محصول له. والتمتع يخير به عن الإمتاع ويعبر به عن الأثاث، ففي ذلك تزهد في الدنيا وحث على عمل الآخرة. ثم قال ﴿وما عند الله﴾ يعني من الثواب في الجنة ﴿خير وأبقى﴾ من هذه المنافع العاجلة التي هي قليلة والآخرة باقية دائمة، وهذه فانية منقطعة. ثم بين أنها حاصلة ﴿للذين آمنوا﴾ بتوحيد الله وتصديق رسله ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ أي يفوضون أمرهم إليه تعالى دون غيره فالتوكل على الله تفويض الأمر إليه باعتقاد أنها جارية من قبله على أحسن التدبير مع الفرع

(١) التبيان: ج ٩، ص ١٦٥.

إليه بالدعاء في كلما ينوب. والتوكل واجب، الترغيب فيه كالترغيب في جملة الإيمان^(١).

س ١٥: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يَخْتَفُونَ كِبَرَهُ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾^(٢٧)
[سورة الشورى: ٣٧]!

الجواب/ ١ - قال الشيخ الطوسي (رحمه الله تعالى): وقوله ﴿والذين يخفون كبر الإثم والفواحش﴾ يحتمل أن يكون ﴿الذين﴾ في موضع جر بالعطف على قوله ﴿للذين﴾ فكأنه قال وما عند الله خير وأبقى المؤمنين المتوكلين على ربهم المجتنبين كبائر الإثم والذنوب. والفواحش جمع فاحشة، وهي أقيح القبيح. ويحتمل أن يكون في موضع رفع الابتداء، ويكون الخبر محذوفاً، وتقديره الذين يجتنون كبائر الإثم والفواحش^(٢).

٢ - قال أبو جعفر عليه السلام: «من كظم غيظاً، وهو يقدر على إمضائه، حشا الله قلبه أمناً وإيماناً يوم القيامة». قال: «ومن ملك نفسه إذا رغب وإذا رهب وإذا غضب، حرم الله جسده على النار»^(٣).

س ١٦: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾^(٢٨)
وَالَّذِينَ إِذَا اسَاءَ بِهِمْ أَلْتَمَسُوا مَغْفِرَةً يَخْتَفُونَ ﴿٢٩﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلَهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٣٠﴾ [سورة الشورى: ٣٨ - ٤٠]!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم، في قوله تعالى: ﴿والذين استجابوا

(٣) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٧٧.

(١) التبيان: ج ٩، ص ١٦١.

(٢) التبيان: ج ٩، ص ١٦١.

لربهم»، قال: في إقامة الإمام «وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم» أي يقبلون ما أمروا به ويشاورون الإمام فيما يحتاجون إليه من أمر دينهم كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ (١).

وأما قوله تعالى: ﴿والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون﴾ يعني إذا بغي عليهم هم ينتصرون، وهي الرخصة التي صاحبها فيها بالخيار، إن شاء فعل، وإن شاء ترك، ثم جرى ذلك، فقال تعالى: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ أي لا يتعدى ولا يجازي بأكثر مما فعل [به]، ثم قال تعالى: ﴿فمن عفا وأصلح فأجره على الله﴾ (٢).

❁ س ١٧: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ (١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢) وَلَمَنْ صَبَرَ وَعَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (٣) وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأُوا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ (٤) وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعِينَ مِنَ الَّذِينَ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَبِيرِينَ الَّذِينَ خَيْرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَّا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ (٥) وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ (٦)﴾ [سورة الشورى: ٤١ - ٤٦]؟

الجواب/ قال أبو جعفر (عليه السلام): «ولمن انتصر بعد ظلمه» يعني القائم (عليه السلام) وأصحابه «فأولئك ما عليهم من سبيل» والقائم إذا قام انتصر من بني أمية ومن المكذبين والنصاب هو وأصحابه، وهو قول الله تبارك وتعالى:

﴿إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبيعون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم﴾ .

ثم قال أيضاً: «قوله تعالى: ﴿وترى الظالمين﴾ لآل محمد حقهم ﴿لما رأوا العذاب﴾ وعليه عليه السلام هو العذاب في هذا الوجه ﴿يقولون هل إلى مرد من سبيل﴾ فنوالي علياً عليه السلام .

- [وقال أبو جعفر عليه السلام]: «يعني أنه سبب العذاب، لأنه قسيم الجنة والنار»^(١) . - ﴿وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل﴾ لعلّي ﴿ينظرون﴾ إلى عليّ ﴿من طرف خفي وقال الذين ءامنوا﴾ يعني آل محمد وشيعتهم .
- [وقال أبو جعفر عليه السلام]: «يعني [إلى] القائم عليه السلام»^(٢) . -

﴿إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا إن الظالمين﴾ لآل محمد حقهم ﴿في عذاب مقيم﴾ ، قال: والله يعني النصاب الذين نصبوا العداوة لأمير المؤمنين وذريته عليه السلام والمكذّبين ﴿وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضل الله فما له من سبيل﴾^(٣) .

س ١٨: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلَجٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴿١٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَرَبًا وَإِنْ نَضِيبَهُمْ سَيْئَةً يَمَسُّهَا قَدَمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴿١٨﴾﴾ [سورة الشورى: ٤٧ - ٤٨]!

الجواب/ قال الشيخ الطوسي: قال تعالى لخلقهم ﴿استجيبوا لربكم﴾ يعني أجبوه إلى ما دعاكم إليه ورجبكم فيه من المصير إلى طاعته والانقياد

(١) تأويل الآيات: ج ٢، ص ٥٥٠، ح ١٩ . (٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٧٨ .

(٢) تأويل الآيات: ج ٢، ص ٥٥٠، ح ٢٠ .

لأمره ﴿من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجأ يومئذ﴾ أي لا مرجع له بعد ما حكم به . وقيل معناه لا يتهياً لأحد رده ولا يكون لكم ملجأ تلجأون إليه في ذلك اليوم . والملجأ والمحرز نظائر ﴿وما لكم من نكير﴾ أي تعبير إنكار . وقيل : معناه من نصير ينكر ما يحل بكم ثم قال لنبيه ﴿فإن أعرضوا﴾ يعني هؤلاء الكفار وعدلوا عما دعوناهم إليه ولا يستجيبون إليه ﴿فما أرسلناك عليهم حفياً﴾ أي حافظاً تمنعهم من الكفر ﴿إن عليك﴾ أي ليس عليك ﴿إلا البلاغ﴾ وهو إيصال المعنى إلى إفهامهم وتبين لهم ما فيه رشدهم ، فالذي يلزم الرسول دعاؤهم إلى الحق ، ولا يلزمه أن يحفظهم من اعتقاد خلاف الحق . ثم أخبر تعالى عن حال الإنسان وسرعة تنقله من حال إلى حال فقال : ﴿وانا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة﴾ وأوصلنا إليه نعمة ﴿فرح بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم﴾ أي عقوبة جزاء بما قدمته أيديهم من المعاصي ﴿فإن الإنسان كفور﴾ يعدد المصائب ويحدد النعم^(١) .

❁ س ١٩ : ما هو معنى قوله تعالى :

﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذَّكَورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يَزْوِجُهُمْ ذَكَرًا وَإِنثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُمْ عَلَيْهِ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة الشورى : ٤٩ - ٥٠]!

الجواب/ ١ - قال أبو جعفر عليه السلام ، في قوله تعالى : ﴿يهب لمن يشاء إناثاً﴾ : «يعني ليس معهن ذكر ﴿ويهب لمن يشاء الذكور﴾ يعني ليس معهم أنثى ﴿أو يزوجهم ذكراً وإناثاً﴾ أي يهب لمن يشاء ذكراً وإناثاً جميعاً ، يجمع له البنين والبنات ، أي يهبهم جميعاً لواحد^(٢) .
رووي أن يحيى ابن أكثم سأل موسى بن محمد ، عن مسائل وفيها :

(٢) تفسير القمي : ج ٢ ، ص ٢٧٨ .

(١) التبيان : ج ٩ ، ص ١٧٣ .

أخبرنا عن قول الله عز وجل: ﴿أَوْ يَزُوجَهُمْ ذَكَرَانًا وَإِنَاثًا﴾، فهل يزوج الله عباده الذكران، وقد عاقب قوماً فعلوا ذلك؟ فسأل موسى أخاه أبا الحسن العسكري عليه السلام، وكان من جواب أبي الحسن عليه السلام: «أما قوله تعالى: ﴿أَوْ يَزُوجَهُمْ ذَكَرَانًا وَإِنَاثًا﴾، فإن الله تبارك وتعالى يزوج المطيعين إناثا من الحور العين، وإناث المطيعات من النساء من ذكران المطيعين، ومعاذ الله أن يكون الجليل عنى ما لبست على نفسك تطلباً للرخصة لارتكاب المأثم ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْمَكَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخَلَّدُ فِيهِ مُهَكَمًا﴾^(١) أي إن لم يتب^(٢).

٢ - أقول: من الضروري أن نشير إلى أن كلمة ﴿عقيم﴾ المأخوذة من كلمة ﴿عقم﴾ - على وزن ﴿بخل﴾ وكذلك على وزن ﴿فهم﴾. وتعني في الأصل الجفاف والتصلب المانع من قبول التأثير، والنساء العقيقات تطلق على اللواتي تكون أرحامهن غير مستعدة لتقبل النطفة ونمو الطفل، كما تسمى بعض الرياح بالرياح العقيمة لعدم قدرتها على ربط الغيوم الممطرة، و﴿اليوم العقيم﴾ يطلق على اليوم الذي ليس فيه سرور وفرح، كما يسمى يوم القيامة باليوم العقيم بسبب عدم وجود يوم بعد ذلك اليوم يمكن فيه التعويض عن الماضي. وعلى أية حال، فإن المشيئة الإلهية هي التي تتحكم في كل شيء وليس في قضية ولادة الأبناء فحسب، فهو القادر والعليم والحكيم، حيث يقترن علمه بقدرته، لذا فإن الآية تقول في نهايتها: ﴿إنه عليم قدير﴾.

س ٢٠: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِنَسْرِ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِي حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا

فِيُوحِي بِأُذُنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُمْ عَلَىٰ حَكِيمٍ عَدِيمٍ﴾ (سورة الشورى: ٥١)!

الجواب/ قال أبو معمر السعداني: أن رجلاً أتى أمير المؤمنين عليه السلام -

ذكر حديث الشاك إلى أن قال - فقال أمير المؤمنين عليه السلام له : «وأما قوله تعالى : ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب﴾ ، ما ينبغي لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً ، وليس بكائن إلا من وراء حجاب ، أو يرسل رسولاً فيوحى بإذنه ما يشاء [كذلك] قال الله تبارك وتعالى علواً كبيراً ، قد كان الرسول يوحى إليه من رسل السماء ، فيبلغ رسل السماء رسل الأرض ، وقد كان الكلام بين رسل الأرض وبينه من غير أن يرسل بالكلام مع رسل أهل السماء .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا جبرئيل ، هل رأيت ربك؟ فقال عليه السلام : إن ربي لا يُرى . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : من أين تأخذ الوحي؟ فقال : آخذه من إسرافيل . فقال : و[من] أين يأخذه إسرافيل؟ قال : يأخذه من ملكٍ فوقه من الروحانيين . فقال : فمن أين يأخذه ذلك الملك؟ ، قال : يقذف في قلبه قذفاً . فهذا وحي ، وهو كلام الله عز وجل ، وكلام الله ليس بنحوٍ واحدٍ ، منه ما كلم الله به الرسل ، ومنه ما قذفه في قلوبهم ، ومنه رؤيا يريها الرسل ، ومنه وحي وتنزيل يتلى ويقرأ ، فهو كلام الله ، فاكتف بما وصفت لك من كلام الله ، فإن معنى كلام الله ليس بنحوٍ واحدٍ ، فإنَّ منه ما يبلغ رسل السماء رسل الأرض . فقال : فرُجت عني فرج الله عنك ، وحللت عني عقدة ، فعظم الله أجرك يا أمير المؤمنين^(١) .

وقال المفيد : في حديث مسائل عبد الله بن سلام لرسول الله صلى الله عليه وآله ، قال له : يا محمد ، فأخبرني ، كلمك الله قبلاً ، قال : «ما لعبد أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب» . قال : صدقت يا محمد^(٢) .
وقال علي بن إبراهيم : في معنى الآية ، وحي مشافهة منه ، ووحى إلهام ، وهو الذي يقع في القلب أو من وراء حجاب ، كما كلم الله نبيه صلى الله عليه وآله

(١) التوحيد : ص ٢٦٤ ، ح ٥ .

(٢) الاختصاص : ص ٤٣ .

وكما كلم الله موسى عليه السلام من النار، أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء، قال: وحي مشافهة يعني إلى الناس^(١).

س ٢١: ما هو معنى قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ (سورة الشورى: ٥٢ - ٥٣)!

الجواب/ قال أبو بصير: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾، قال: «خلق من خلق الله عز وجل، أعظم من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله يخبره ويسدده، وهو مع الأئمة من بعده»^(٢).

وقال أبو حمزة: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن العلم، هو شيء يتعلمه العالم من أفواه الرجال، أم في الكتاب عندكم تقرأونه فتعلمون منه؟ قال: «الأمر أعظم من ذلك وأوجب، أما سمعت قول الله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾».

ثم قال: «أي شيء يقول أصحابك في هذه الآية؟ أيقرون أنه كان في حال ما يدري ما الكتاب ولا الإيمان؟ فقلت: لا أدري - جعلت فداك - ما يقولون. فقال: «بلى، قد كان في حال لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان حتى بعث الله عز وجل الروح التي ذكر في الكتاب، فلما أوحاها إليه علم بها العلم والفهم، وهي الروح التي يعطيها الله عز وجل من شاء، فإذا أعطها عبداً علمه الفهم»^(٣).

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٧٩.

(٢) الكافي: ج ١، ص ٢١٤، ح ١، ومختصر بصائر الدرجات: ص ٢.

(٣) الكافي: ج ١، ص ٢١٥، ح ٥.

وقال أبو جعفر عليه السلام: «لقد أنزل الله عزّ وجلّ ذلك الروح على نبيه عليه السلام، وما صعد إلى السّماء منذ أنزل، وإنّه لفينا»^(١).

وقال أبو جعفر عليه السلام، في قول الله لنبيه عليه السلام: «ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا»: «يعني علياً عليه السلام، وعلي هو النور، فقال: «يهدي به من نشاء من عبادنا» يعني علياً عليه السلام، هدى به من هدى من خلقه.

وقال لنبيه عليه السلام: «وانك لتهدى إلى صراط مستقيم» يعني إنك لتأمر بولاية أمير المؤمنين عليه السلام، وتدعو إليها، وعلي هو الصراط المستقيم «صراط الله» يعني علياً عليه السلام «الذي له ما في السماوات وما في الأرض» يعني علياً عليه السلام أن جعله خازنه على ما في السماوات وما في الأرض من شيء، واتمته عليه «ألا إلى الله تصير الأمور»^(٢).

ثم قال علي بن إبراهيم، في قوله تعالى: «وانك لتهدى إلى صراط مستقيم»: أي تدعو إلى الإمامة المستوية. ثم قال: «صراط الله» أي حجته «الذي له ما في السماوات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور»^(٣).

وقال الصّلت بن الحرّ، كنتُ جالساً مع زيد بن علي عليه السلام فقراً: «وانك لتهدى إلى صراط مُستقيم» [قال]: هدىّ الناس وربّ الكعبة إلى علي عليه السلام، ضلّ عنه من ضلّ، واهتدى من اهتدى^(٤).

وقال أبو جعفر عليه السلام: «وقع مُصحفٌ في البحر فوجدوه قد ذهب ما فيه إلا هذه الآية: «ألا إلى الله تصير الأمور»»^(٥).

(٤) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٨٠.

(١) مختصر بصائر الدرجات: ص ٣.

(٥) الكافي: ج ٢، ص ٤٦٢، ح ١٨.

(٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٧٩.

(٣) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٨٠.

تفسير
سورة الزخرف

رقم السورة - ٤٣ -

سورة الزخرف

س ١: ما هو فضل سورة الزخرف؟!

الجواب/ قال أبو جعفر عليه السلام: «من أدمن قراءة حم الزخرف، آمنه الله في قبره من هوام الأرض، وضغطة القبر، حتى يقف بين يدي الله عز وجل، ثم جاءت حتى تدخله الجنة [بأمر الله تبارك وتعالى]»^(١).

ومن (خواص القرآن): روي عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «من قرأ هذه السورة كان ممن يقال له يوم القيامة: يا عباد الله، لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون. ومن كتبها وشربها لم يحتج إلى دواء يصيبه لمرض، وإذا رش بمائها مصروع أفاق من صرعه، واحترق شيطانه، بإذن الله تعالى»^(٢).

س ٢: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿حَمَّ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ وَإِنَّهُ فِي آدَارِ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعِلَّ لَكُم حَكِيمٌ ۝﴾ [سورة الزخرف: ١ - ٤]؟!

الجواب/ قال الصادق عليه السلام: «أما ﴿حم﴾ فمعناه الحميد المجيد...»^(٣).

وقال علي بن إبراهيم: ﴿حم﴾ حروف من اسم الله الأعظم ﴿والكتاب المبين﴾ يعني القرآن الواضح ﴿إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون﴾.

(١) ثواب الأعمال: ص ١١٣. (٢) معاني الأخبار: ص ٢٢، ح ١.

(٢) خواص القرآن...

قال قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ فِي أَمِّ الْكِتَابِ لَدِينَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ﴾ يعني أمير المؤمنين عليه السلام مكتوب في الفاتحة، في قوله تعالى: ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(١)، قال أبو عبد الله عليه السلام: «هو أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)»^(٢).

وقال أبو عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾: «هو أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ومعرفة، والدليل على أنه أمير المؤمنين قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ فِي أَمِّ الْكِتَابِ لَدِينَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ﴾»^(٣).

❁ سر ٣: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ﴾^(٥) وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ^(٦) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ^(٧) فَأَهْلَكْنَا أَسَدًّا مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ^(٨) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ^(٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ^(١٠) وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدِرُ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ نُخْرِجُوكَ^(١١) وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمُ مِنَ الْفَلَائِكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرَكُونَ^(١٢) ﴿[سورة الزخرف: ٥ - ١٢]!﴾

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: قوله تعالى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا﴾ استفهام، أي ندعكم مهملين لا نحتج عليكم برسول أو بإمام أو بحجج، وقوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ وَمَا يَأْتِيهِمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ يعني من قريش ﴿بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾، وقوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ أي مستقراً ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾

(١) الفاتحة: ٦.

(٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٨٠.

(٣) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٨٠.

أي طرفاً ﴿لعلكم تهتدون﴾ أي كي تهتدون.

ثم احتج على الدهرية، فقال: ﴿والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون﴾. وقوله تعالى: ﴿وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون﴾ هو معطوف على قوله تعالى: ﴿وَاللَّاتَمَنَّادَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾^(١).

❁ س ٤: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿لَيْسَتُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا لَكَنَّا مُنْفِلُونَ ﴿١٤﴾﴾

[سورة الزخرف: ١٣ - ١٤]!

الجواب/ قال أبو بصير: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: هل للشكر حدٌ إذا فعله العبد كان شاكرًا؟ قال: «نعم».

قلت: ما هو؟ قال: «يحمد الله على كل نعمةٍ عليه في أهلٍ ومالٍ، وإن كان فيما أنعم عليه في ماله حق أداء، ومنه قوله عز وجل: ﴿سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين﴾، ومنه قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا﴾^(٣).

وقال الأصمعي بن نباتة: أمسكت لأمير المؤمنين عليه السلام بالركاب، وهو يريد أن يركب، فرفع رأسه ثم تبسم، فقلت له: يا أمير المؤمنين، رأيتك رفعت رأسك، ثم تبسمت؟

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٨٠، والآية من سورة النحل: ٥.

(٢) المؤمنون: ٢٩.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ٧٨، ح ١٢، والآية من سورة الإسراء: ٨٠.

قال: «نعم يا أصبغ، أمسكت أنا لرسول الله ﷺ، كما أمسكت أنت لي الركاب، فرفع رأسه وتبسم، فسألته عن تبسمه كما سألتني، وسأخبرك كما أخبرني رسول الله ﷺ. أمسكت لرسول الله ﷺ بغلته الشهباء، فرفع رأسه إلى السماء وتبسم، فقلت: يا رسول الله، رفعت رأسك [إلى السماء] وتبسمت، لماذا؟ فقال: يا علي، إنه ليس أحد يركب فيقرأ آية الكرسي، ثم يقول: استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، وأتوب إليه، اللهم اغفر لي ذنوبي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، إلا قال السيد الكريم: يا ملائكتي، عبدي يعلم أنه لا يغفر الذنوب غيري، اشهدوا أنني قد غفرت له ذنوبه»^(١).

وقال علي بن أسباط: حملت متاعاً إلى مكة فكسد عليّ، فجئت إلى المدينة، فدخلت على أبي الحسن الرضا عليه السلام، فقلت: جعلت فداك، إني قد حملت متاعاً إلى مكة، وكسد عليّ، وأردت مصر، فأركب براً أو بحراً؟ فقال: «مصر الحتوف، ويقبض إليها أقصر الناس أعماراً، قال رسول الله ﷺ: لا تغسلوا رؤوسكم بطينها، ولا تشربوا في فخارها، فإنه يورث الذلة، ويذهب بالغيرة».

ثم قال: «لا، عليك أن تأتي مسجد رسول الله ﷺ، فتصلي ركعتين، وتستخير الله مائة مرة ومرة، فإذا عزمت على شيء، وركبت البر، واستويت على راحلتك، فقل: ﴿سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون﴾، فإنه ما ركب أحد ظهراً قط فقال هذا وسقط، إلا لم يصبه كسر ولا وبال ولا وهن. وإن ركبت بحراً، فقل [حين تركب]: ﴿يَسِّرْ اللَّهُ مَجْرِبَهَا وَمُزْمِنَهَا﴾^(٢)، فإذا ضربت بك الأمواج فاتكىء على يسارك، وأشر إلى الموج بيدك، وقل: اسكن بسكينة الله، وقرّ بقرار الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله».

(٢) هود: ٤١.

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٨١.

قال علي بن أسباط: قد ركبت البحر، وكان إذا هاج الموج قلت كما أمرني أبو الحسن عليه السلام، فيتنفس الموج، ولا يصيبنا منه شيء. فقلت: جعلت فداك، ما السكينة؟ قال: «ريح من الجنة، لها وجه كوجه الإنسان، طيبة، وكانت مع الأنبياء، وتكون مع المؤمنين»^(١).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «ذكر النعمة أن تقول: الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وعلمنا القرآن ومن علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم، وتقول بعده: ﴿سبحان الذي سخر لنا هذا﴾ إلى آخر الآية»^(٢).

❁ س ٥: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ﴾ (٥) أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ مِنَّا مِثْلَ بَنَاتٍ وَأَصْفَنَكُمْ بِالْبَنِينَ ﴿١١﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوْ مَنْ يَنْشُؤُا فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَكَنُوبٌ شَهِدَتْهُمْ وَنَسُوا لَهَا ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْتَهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ [سورة الزخرف: ١٥ - ٢٠]!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: قوله تعالى: ﴿وجعلوا له من عباده جزءا﴾: قالت قريش: إن الملائكة هم بنات الله، ثم قال علي حد الاستفهام: ﴿أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا﴾ يعن إذا ولدت لهم البنات ﴿ظل وجهه مسودا وهو كظيم﴾ وهو معطوف على قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ﴾^(٣).

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٨٢.

(٢) مجمع البيان: ج ٩، ص ٦٣.

(٣) النحل: ٥٧.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ مِنْ يَنْشُؤُا فِي الْحَلِيَةِ﴾ أي ينشؤ في الذهب ﴿وهو في الخصام غير مبين﴾، قال: إن موسى عليه السلام أعطاه الله من القوة أن أرى فرعون صورته على فرش من ذهب رطب، عليه ثياب من ذهب رطب، فقال فرعون: ﴿أَوْ مِنْ يَنْشُؤُا فِي الْحَلِيَةِ﴾ أي ينشؤ في الذهب ﴿وهو في الخصام غير مبين﴾، قال: لا يبين الكلام، ولا يتبين من الناس، ولو كان نبياً لكان خلاف الناس.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثَاءً﴾ معطوف على ما قالت قريش: إن الملائكة بنات الله؛ في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جِزَاءً﴾، فرد الله عليهم، فقال تعالى: ﴿أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتَكْتَبُ شَهَادَتَهُمْ وَيَسْتَلُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ أي يحتجون بلا علم^(١).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أبا بكر وعمر وعلياً عليهم السلام أن يعضوا إلى الكهف والرقيم، فيسبغ أبو بكر الوضوء ويصف قدميه ويصلي ركعتين، وينادي ثلاثاً، فإن أجابوه وإلا فليقل مثل ذلك عمر، فإن أجابوه وإلا فليقل مثل ذلك علي عليه السلام فعضوا وفعلوا ما أمرهم به رسول الله صلى الله عليه وآله، فلم يجيبوا أبا بكر ولا عمر، فقام علي عليه السلام وفعل ذلك فأجابوه، وقالوا: لبيك لبيك. ثلاثاً، فقال لهم: ما لكم لم تجيبوا الأول والثاني، وأجبتم الثالث؟ فقالوا: إنا أمرنا أن لا نجيب إلا نبياً أو وصي نبي. ثم انصرفوا إلى النبي صلى الله عليه وآله، فسألهم ما فعلوا؟ فأخبروه، فأخرج رسول الله صلى الله عليه وآله صحيفة حمراء، وقال لهم: اكتبوا شهادتكم بخطوطكم فيها بما رأيتم وسمعتم، فأنزل الله عز وجل: ﴿سَتَكْتَبُ شَهَادَتَهُمْ وَيَسْتَلُونَ﴾ يوم القيامة^(٢).

(٢) تاويل الآيات: ج ٢، ص ٥٥٣، ح ٧.

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٨١.

وقال أبو صير: ذكر أبو جعفر عليه السلام الكتاب الذي تعاقدوا عليه في الكعبة، وأشهدوا فيه، وختموا عليه بخواتيمهم، فقال: «يا [أبا] محمد، إن الله أخبر نبيه بما يصنعه قبل أن يكتبه، وأنزل الله فيه كتاباً» قلت: وأنزل فيه كتاباً؟ قال: «نعم، ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿سَتَكْتُبُ شَهَادَتَهُمْ وَيَسْتَلُونَ﴾»^(١).

وقال يعقوب بن جعفر: كنت مع أبي الحسن عليه السلام بمكة، فقال له رجل: إنك لتفسر من كتاب الله ما لم يسمع؟ فقال عليه السلام: «علينا نزل قبل الناس، ولنا فسر قبل أن يفسر في الناس، فنحن نعرف حلاله وحرامه، وناسخه ومنسوخه، وسفريه وحضره، وفي أي ليلة نزلت من آية، وفيمن نزلت، فنحن حكماء الله في أرضه، وشهادة على خلقه، وهو قوله تبارك وتعالى: ﴿سَتَكْتُبُ شَهَادَتَهُمْ وَيَسْتَلُونَ﴾، فالشهادة لنا، والمسألة للمشهود عليه، فهذا [علم ما] قد أنهيته [إليك وأديته إليك ما لزمني، فإن قبلت فاشكر، وإن تركت فإن الله على كل شيء شهيد]»^(٢).

❁ س ٦: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ، فَهُمْ بِهِ مُسْتَسْكِرُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا
 آبَاءَنَا عَلَىٰ آثَرِ آلِهِمْ مُتَّبِعُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي
 قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ آثَرِ آلِهِمْ
 مُتَّبِعُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ أُولَٰئِكَ جُنُودُكَ بِأَهْدَىٰ مِنَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا
 أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَانظُرْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٢٥﴾
 وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ
 سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الزخرف: ٢١ - ٢٧]!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسي: لما حكى الله سبحانه تخرص من أضاف

(١) تأويل الآيات: ج ٢، ص ٥٥٥، ح ٩. (٢) بصائر الدرجات: ص ٢١٨، ح ٤.

عبادة الأصنام والملائكة إلى مشيئة الله، قال: ﴿أم آتيناكم كتاباً﴾ وهو استفهام بمعنى التقرير لهم على خطئهم، والتقدير: أهذا الذي ذكروه شيء تخرصوه وافتعلوه، أم آتيناكم كتاباً. ﴿من قبله فهم به مستمسكون﴾ أي مستمسكون بذلك. فإذا لم يمكنهم ادعاء أن الله تعالى أنزل بذلك كتاباً، علم أن ذلك من تخرصهم، ودل أم على حذف حرف الاستفهام، لأنه المعادل له. ثم أعلم أنهم اتبعوا آباءهم في الضلالة فقال: ليس الأمر كذلك ﴿بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة﴾ أي على ملة وطريقة. وقيل: على جماعة، أي كانوا مجتمعين موافقين على ما نحن عليه ﴿وإنا على آثارهم مهتدون﴾ نهندي بهداهم. ثم قال سبحانه: ﴿وكذلك﴾ أي ومثل ما قال هؤلاء في الحوالة على تقليد آباءهم في الكفر ﴿ما أرسلنا من قبلك﴾ يا محمد ﴿في قرية﴾ ومجمع من الناس ﴿من نذير﴾ أي نذيراً، لأن ﴿من﴾ زائدة. ﴿إلا قال مترفوها﴾ وهم المتعمون الذين آثروا الترفه على طلب الحجة، يريد الرؤساء ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾ نفتدي بهم، فلا نخالفهم. وأحال جميعهم على التقليد للآباء فحسب، دون الحجة والتقليد قبيح في العقول، إذ لو كان جائزاً لكان يلزم في ذلك أن يكون الحق في الشيء ونقيضه، فكل فريق يقلد أسلافه مع أن كلاً منهم يعتقد أن من سواه على خطأ وضلال، وهذا باطل لا شبهة في بطلانه. فإذا لا بد من الرجوع إلى حجة عقلية أو سمعية. ثم قال سبحانه للنذير: ﴿قل﴾ لهم ﴿أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم﴾ تتبعون ما وجدتم عليه آباءكم، ولا تقبلون ما جئتكم به. وفي هذا أحسن التلطف في الاستدعاء إلى الحق، وهو أنه لو كان ما يدعونه حقاً وهدى، وكان ما جئتكم به من الحق أهدى منه، كان أوجب أن يتبع ويرجع إليه.

ثم أخبر أنهم أبوا أن يقبلوا ذلك و﴿قالوا إنا بما أرسلتم به﴾ أيها الرسل ﴿كافرون﴾. ثم ذكر سبحانه ما فعل بهم، فقال: ﴿فانتقمنا منهم﴾ بأن

أهلكناهم، وعجلنا عقوبتهم ﴿فانظر كيف كان عاقبة المكذبين﴾ أنبياء الله، والجاحدين لهم، وفي هذا إشارة إلى أن العاقبة المحمودة تكون لأهل الحق، والمصدقين لرسول الله ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه﴾ حين رآهم يعبدون الأصنام والكواكب. ﴿إنني براء﴾ أي بريء ﴿مما تعبدون﴾ ثم استثنى خالقه من جملة ما كانوا يعبدون، فقال: ﴿إلا الذي فطرني﴾ أي سوى الله الذي خلقني وابتدأني، وتقديره: إلا من الذي فطرني. قال قتادة: كانوا يقولون الله ربنا مع عبادتهم الأوثان ﴿فإنه سيهديني﴾ إلى طريق الجنة بلطف من ألطافه. وقيل: سيهديني إلى الحق بما نصب لي من الأدلة. وفيه بيان ثقته بالله تعالى، ودعاء لقومه إلى أن يطلبوا الهداية من عنده^(١).

❁ س ٧: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ. لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٧٨) بَلْ مَتَّتْ هَنُوكَآءَ وَآبَاءَهُمْ حَقٌّ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٧٩﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٨٠﴾ [سورة الزخرف: ٢٨ - ٣٠]!

الجواب/ ١ - قال أبو جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿وجعلها كلمة باقية في عقبه﴾، فقال: «في عقب الحسين عليه السلام، فلم يزل هذا الأمر منذ أفضي إلى الحسين ينتقل من ولد إلى ولد، لا يرجع إلى أخ ولا عم، ولم يتم بعلم أحد منهم إلا وله ولد». وإن عبد الله^(٢) خرج من الدنيا ولا ولد له، ولم يمكث بين ظهرائي أصحابه إلا شهراً^(٣).

وقال المفضل بن عمر: قلت للصادق جعفر بن محمد عليه السلام: يا بن

(١) مجمع البيان: ج ٩، ص ٧٥ - ٧٦.

(٢) هو عبد الله الأنطع، ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وقد قالت الفطحية بإمامته.

(٣) علل الشرائع: ص ٢٠٧، ح ٦.

رسول الله، فأخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿وجعلها كلمة باقية في عقبه﴾، قال: «يعني بذلك الإمامة، جعلها في عقب الحسين عليه السلام إلى يوم القيامة»^(١).

وقال هشام بن سالم: قلت للصادق جعفر بن محمد عليه السلام: الحسن أفضل أم الحسين؟ قال: «الحسن أفضل من الحسين».

قلت: وكيف صارت [الإمامة] من بعد الحسين في عقبه دون ولد الحسن؟ فقال: «إن الله تبارك وتعالى أحب أن يجعل سنة موسى وهارون جارية في الحسن والحسين عليهما السلام، ألا ترى أنهما كانا شريكين في النبوة، كما كان الحسن والحسين شريكين في الإمامة، وأن الله عز وجل جعل النبوة في ولد هارون ولم يجعلها في ولد موسى، وإن كان موسى أفضل من هارون».

قلت: فهل يكون إمامان في وقت واحد؟ قال: «لا، إلا أن يكون أحدهما صامتاً مأموراً لصاحبه، والآخر ناطقاً إماماً لصاحبه، فاما أن يكون إمامين ناطقين [في وقت واحد] فلا».

قلت: فهل تكون الإمامة في أخوين بعد الحسن والحسين عليهما السلام؟

قال: «لا، إنما هي جارية في عقب الحسين عليه السلام، كما قال الله عز وجل: ﴿وجعلها كلمة باقية في عقبه﴾ ثم هي جارية في الأعقاب وأعقاب الأعقاب إلى يوم القيامة»^(٢).

وقال ابن بابويه في كتاب (النبوة): بإسناده إلى المفضل بن عمر، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: يا بن رسول الله، أخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿وجعلها كلمة باقية في عقبه﴾. قال: «يعني بذلك الإمامة جعلها الله في عقب الحسين عليه السلام إلى يوم القيامة».

(١) الخصال: ص ٣٠٥، ح ٨٤.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة: ص ٤١٦، ح ٩.

فقلت: يا بن رسول الله، أخبرني كيف صارت الإمامة في ولد الحسين دون ولد الحسن عليه السلام، وهما ولدا رسول الله صلى الله عليه وآله، وسبطاه، وسيدا شباب أهل الجنة؟ فقال: «يا مفضل، إن موسى وهارون نبيان مرسلان أخوان، فجعل الله النبوة في صلب هارون، ولم يكن لأحد أن يقول: [لم فعل ذلك؟ وكذلك الإمامة، وهي خلافة الله عز وجل، وليس لأحد أن يقول: [لم جعلها في صلب الحسين ولم يجعلها في صلب الحسن، لأن الله عز وجل الحكيم في أفعاله، لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون»^(١).

٢ - قال الشيخ الطبرسي (رحمه الله تعالى): ثم ذكر سبحانه نعمه على قريش فقال: (بل تمتعت هؤلاء وأبائهم) المشركين بأنفسهم وأموالهم وأنواع النعم، ولم اعاجلهم بالعقوبة لكفرهم (حتى جاءهم الحق) أي القرآن... وقيل: الآيات الدالة على الصدق (ورسول مبين) يبين الحق ويظهره، وهو محمد صلى الله عليه وآله. (ولما جاءهم الحق) أي القرآن (قالوا هذا سحر) أي حيلة خفية وتمويه (وإنا به كافرون) جاحدون لكونه من قبل الله تعالى^(٢).

س ٨: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهْمٌ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحِمَتْ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾

[سورة الزخرف: ٣١ - ٣٢]!

الجواب/ قال أبو عبد الله عليه السلام: «أنه عروة بن مسعود الثقفي، وكان

(١) مجمع البيان: ج ٩، ص ٧٧.

(٢) تأويل الآيات: ج ٢، ص ٥٥٦، ح ١٢، الخصال: ص ٣٠٥، ح ٨٤، معاني الأخبار: ص ١٢٦، ح ١.

عاقلاً لبيباً، وهو الذي أنزل الله تعالى فيه: ﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾^(١).

وقال علي بن إبراهيم: ثم حكى الله عز وجل قول قريش: ﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن﴾ يعني هلا نزل القرآن ﴿على رجل من القريتين عظيم﴾؟ وهو عروة بن مسعود، والقريتين: مكة والطائف، وكان جزاهم بما يحتمل الديات، وكان عم المغيرة بن شعبة، فرد الله عليهم، فقال: ﴿أهم يقسمون رحمت ربك﴾، يعني النبوة والقرآن حين قالوا: لم لم ينزل على عروة بن مسعود، ثم قال تعالى: ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات﴾ يعني في المال والبنين ﴿ليتخذ بعضهم بعضا سخرياً ورحمت ربك خير مما يجمعون﴾.

وهذا من أعظم دلالة الله على التوحيد، لأنه خالف بين هياتهم وتشابهم ودلالانهم وإراداتهم وأهوائهم، ليستعين بعضهم على بعض، لأن أحدهم لا يقوم بنفسه لنفسه، والملوك والخلفاء لا يستغنون عن الناس، وبهذا قامت الدنيا والخلق المأمورون المنهتون المكلفون، ولو احتاج كل إنسان أن يكون بناء لنفسه وخياطاً لنفسه وحجماً لنفسه وجميع الصناعات التي يحتاج إليها، لما قام العالم طرفة عين، لأنه لو طلب كل إنسان العلم، ما دامت الدنيا، ولكنه عز وجل خالف بين هياتهم، وذلك من أعظم الدلالة على التوحيد^(٢).

وقال الإمام الحسن بن علي عليهما السلام: «قلت لأبي علي بن محمد عليهما السلام: فهل كان رسول الله صلى الله عليه وآله يناظرهم إذا عانتوه ويحاجهم؟ قال: بلى، مراراً كثيرة، منها ما حكى الله من قولهم: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ

(٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٨٣.

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣١٠.

وَيَتَشَى فِي الْأَنْتَابِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا أَوْ يُنْفِقَ إِلَيْنَا كَثْرًا أَوْ نَكُونُ لَمْ جَنَّةً يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَشْحُورًا^(١)، «وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم»، «وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا» إلى قوله: ﴿كُنَّا نَقْرُؤُكُمْ﴾^(٢)، ثم قيل له في آخر ذلك: لو كنت نبياً كموسى لنزلت علينا لصاعقة في مساء لتنا إياك، لأن مساء لتنا أشد من مساء قوم موسى لموسى. وذلك أن رسول الله ﷺ كان قاعداً ذات يوم بمكة، بغناء الكعبة، إذ اجتمع جماعة من رؤساء قريش، منهم: الوليد بن المغيرة المخزومي، وأبو البختری بن هشام، وأبو جهل بن هشام، والعاص بن وائل السهمي، وعبد الله بن أبي أمية، وجمع ممن يليهم كثير، ورسول الله ﷺ في نفر من أصحابه، يقرأ عليهم كتاب الله، ويذكرهم عن الله أمره ونهيه، فقال المشركون بعضهم لبعض: لقد استفحل أمر محمد، وعظم خطبه، تعالوا نبداً بتقريره وتبكيته وتوبيخه والاحتجاج عليه، وإبطال ما جاء به، ليهون خطبه على أصحابه، ويصغر قدره عندهم، فلعله أن ينزع عما هو فيه من غيّه وباطله وتمرده وطغيانه، فإن انتهى وإلا عاملناه بالسيف الباتر.

قال أبو جهل: فمن ذا الذي يلي كلامه ومحاورته؟ فقال عبد الله بن أبي أمية المخزومي: أنا لذلك، أفما ترضاني قرناً حسيباً، ومجادلاً كفيئاً؟ قال أبو جهل: بلى. فأتوه بأجمعهم، فابتدأ عبد الله بن أبي أمية، فقال: يا محمد - وذكر طلبه من محمد ﷺ وما أجابه به - فقال: وأما قولك: ﴿لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾، الوليد بن المغيرة بمكة، أو عروة بن مسعود بالطائف، فإن الله تعالى ليس يستعظم مال الدنيا كما تستعظمه أنت،

ولا خطر له عنده كما كان له عندك، بل لو كانت الدنيا عنده تعدل جناح بعوضة لما سقى كافراً به مخالفاً له شربة ماء، وليس قسمة رحمة الله إليك، بل الله القاسم للرحمة، والفاعل لما يشاء في عبده وإمانته، وليس هو عز وجل ممن يخاف أحداً كما تخافه لماله أو لحاله فتعرفه بالنبوة لذلك، ولا ممن يطمع في أحدٍ في ماله وحاله كما تطمع فتخصه بالنبوة لذلك، ولا ممن يحب أحداً محبة الهوى كما تحب فتقدم من لا يستحق التقديم، وإنما معاملته بالعدل، فلا يؤثر بأفضل مراتب الدين وجلاله، إلا الأفضل في طاعته، والآخذ في خدمته، وكذلك لا يؤخر في مراتب الدين وجلاله، إلا أشدهم تباطواً عن طاعته، وإذا كان هذا صفته لم ينظر إلى مالٍ ولا إلى حالٍ، بل هذا المال والحال من فضله، وليس لأحد من عباده عليه ضربة لازب.

فلا يقال له: إذا تفضلت بالمال على عبد، فلا بد أن تفضل عليه بالنبوة أيضاً، لأنه ليس لأحد إكراهه على خلاف مراده، ولا إلزامه تفضلاً، لأنه تفضل قبله بنعمة، ألا ترى - يا عبد الله - كيف أغنى واحداً وقبح صورته؟ وكيف حسن صورة واحد وأفقره؟ وكيف شرف واحداً وأفقره؟ وكيف أغنى واحداً ووضع؟ ثم ليس لهذا الغني أن يقول: هلا أضيف إلى يساري جمال فلان؟ ولا للجميل أن يقول: هلا أضيف إلى جمالي مال فلان؟ ولا للشريف أن يقول: هلا أضيف إلى شرفي مال فلان؟ ولا للوضيع أن يقول: هلا أضيف إلى ضعفي شرف فلان؟ ولكن الحكم لله يقسم كيف يشاء، ويفعل ما يشاء، وهو حكيم في أفعاله، محمود في أعماله، وذلك قوله تعالى: ﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾.

قال الله تعالى: ﴿أهم يقسمون رحمت ربك﴾ يا محمد ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا﴾ فأحوجنا بعضاً إلى بعض، أحوجنا هذا إلى مال ذاك، وأحوجنا ذاك إلى سلعة هذا وإلى خدمته، فترى أجل الملوك وأغنى

الأغنياء محتاجاً إلى أفقر الفقراء في ضرب من الضروب، إما سلعة معه ليست معه، وإما خدمة يصلح لها؛ لا يتهياً لذلك الملك إلا أن يستعين به، وإما باب من العلم والحكم هو فقيرٌ أن يستفيدا من هذا الفقير، وهذا الفقير يحتاج إلى مال ذلك الملك الغني، وذلك الملك يحتاج إلى علم ذلك الفقير أو رأيه أو معرفته، ثم ليس للملك أن يقول: هلا أجمع إلى ملكي ومالي علمه ورأيه؟ ولا لذلك الفقير أن يقول: هلا أجمع إلى رأبي وعلمي وما أتصرف فيه من فنون الحكم مال هذا الغني؟ ثم قال تعالى: ﴿ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخرياً﴾، ثم قال: يا محمد ﴿ورحمت ربك خير مما يجمعون﴾ يجمعه هؤلاء من أموال الدنيا^(١).

س ٩: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُوبِتَهُمْ سُقْفًا
مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ (٣٣) ﴿وَلِيُوبِتَهُمْ آتُونَا وَمُرَرًا عَلَيْهَا يَتَكُونَ﴾ (٣٤)
﴿وَزُخْرَفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٣٥)
﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (٣٦) ﴿وَأَنَّهُمْ لِيَصُدُّوهُمْ
عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ (٣٧) [سورة الزخرف: ٣٣ - ٣٧]!

الجواب/ قال سعيد بن المسيب: سألت علي بن الحسين عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة﴾، قال: «عنى بذلك أمة محمد أن يكونوا على دين واحد كفاراً كلهم ﴿لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون﴾ ولو فعل ذلك بأمة محمد عليه السلام لحزن المؤمنون وغمهم ذلك، ولم يناكحوهم ولم يوارثوهم»^(٢).

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٥٠٠، ح ٣١٤.

(٢) علل الشرائع: ص ٥٨٩، ح ٣٣.

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «لو فعل، لكفر الناس جميعاً»^(١).

وقال علي بن إبراهيم قوله تعالى: ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة﴾ أي على مذهب واحد ﴿لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون﴾، قال: المعارج التي يظهرون بها ﴿ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكثون وزخرفا﴾ البيت المزخرف بالذهب. قال: فقال الصادق عليه السلام: «لو فعل الله ذلك لما آمن أحد، ولكنه جعل في المؤمنين أغنياء، وفي الكافرين فقراء، وجعل في الكافرين أغنياء، وفي المؤمنين فقراء، ثم امتحنهم بالأمر والنهي والصبر والرضا». قال: قوله تعالى: ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن﴾ أي يعمى ﴿نقيض له شيطانا فهو له قرين﴾^(٢).

وقال: الشيخ الطبرسي (رحمه الله تعالى): ﴿وانهم﴾ يعني: وإن الشياطين: وإنما جمع، لأن قوله: ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا﴾ في مذهب جمع، وإن كان اللفظ على الواحد. ﴿ليصدونهم﴾ أي يصرفون هؤلاء الكفار ﴿عن السبيل﴾ أي عن طريق الجنة ﴿ويحسبون أنهم مهتدون﴾ أي ويحسب الكفار أنهم على الهدى فيتبعونهم^(٣).

س ١٠: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا آلِ بَنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَنسُ الْقُرِينَ ﴿٣٨﴾ وَلَنْ يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَلَمْتُمْ أَنْكُرًا فِي الْمَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة الزخرف: ٣٨ - ٣٩]!

الجواب/ قال أبو جعفر عليه السلام: قال أمير المؤمنين عليه السلام، في خطبة الوسيلة: «ولئن تقمصها دوني الأشقيان، ونازعاني فيما ليس لهما بحق، وركباها ضلالة، واعتقداها جهالة، فلبس ما عليه وردا، ولبس ما لأنفسهما

(٣) مجمع البيان: ج ٩، ص ٨٢.

(١) الزهد: ص ٤٧، ح ١٢٧.

(٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٨٤.

مهتداً، يتلاعنان في دورهما، ويتبرأ كل منهما من صاحبه، يقول لقرينه: ﴿يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين﴾، فيجيبه الأشقى على رثوتة: ﴿يا ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً﴾، فأنا الذكر الذي عنه ضلّ، والسبيل الذي عنه مال، والإيمان الذي به كفر، والقرآن الذي إياه هجر، والذين الذي به كذب، والصراط الذي عنه نكب^(١).

وقال أبو جعفر: «ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم آل محمد حقهم، إنكم في العذاب مُشتركون»^(٢).

وقال أبو جعفر عليه السلام - في حديث يذكر فيه حال الكافرين يوم القيامة - قال: «ثم يدفع - يعني الكافر - في صدره دفعة، فيهوي على رأسه سبعين ألف عام حتى يواقع الحطمة، فإذا واقعها دقت عليه وعلى شيطانه، وجاذبه الشيطان بالسلسلة، كلما رفع رأسه ونظر إلى قبح وجهه، كلح في وجهه، قال: فيقول: ﴿يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين﴾، ويحك كما أغويتني أحمل عني من عذاب الله من شيء. فيقول: يا شقي، كيف أحمل عنك من عذاب الله من شيء، وأنا وأنت في العذاب مُشتركون»^(٣).

❁ س ١١: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصَّمْتَ أَوْ تَهْدِي السَّمَى وَمَنْ كَانَتْ فِي صَنْكَلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٢﴾ فَأَيَّمَا نَذَاهِبَ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْقِمُونَ ﴿٤٣﴾ أَوْ زُرِينَا أَلَّذِي وَعَدْتَهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة الزخرف: ٤٠ - ٤٢]!

الجواب/ ١ - قال الشيخ الطبرسي (رحمه الله): (أفأنت تسمع الصم أو

(١) الكافي: ج ٨، ص ٢٧، ح ٤.

(٢) الاختصاص: ص ٣٦٢.

(٣) تأويل الآيات: ج ٢، ص ٥٥٧، ح ١٣.

تهدي العمي) شبه الكفار في عدم انتفاعهم بما يسمعونه ويرونه بالصم والعمي (ومن كان في ضلال ميين) أي بين ظاهر مضاف .

٢ - قال أبو عبد الله عليه السلام: «فإما نذهبن بك يا محمد من مكة إلى المدينة، فإننا رادوك إليها ومتقمون منهم بعلي بن أبي طالب عليه السلام»^(١).

وقال محمد بن علي عليه السلام، قال جابر بن عبد الله الأنصاري: إني لأدناهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بمعنى، فقال: «لأعرفنكم ترجعون بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، وأيم الله لئن فعلتموها لتعرفنني في الكتيبة التي تُضاربكم». ثم التفت إلى خلفه [فقال]: «أو علي أو علي أو علي أو علي» ثلاثاً، فرأينا أن جبرئيل عليه السلام غمزه، وأنزل الله عز وجل: «فإما نذهبن بك فإننا منهم منتقمون» بعلي عليه السلام «أَوْ نُرِيكَ الَّذِي وَعَدْتُهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ»^(٢)، ثم نزلت: «قُلْ رَبِّ إِنَّمَا نُرِي بِكَ مَا يُوعَدُونَ أَدْفَعُ بِأَلْفِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ»^(٣)، ثم نزلت: «فاستمسك بالذي أوحى إليك» من أمر علي بن أبي طالب «إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ»^(٤) وإن علياً لعلمٌ للساعة لك ولقومك ولسوف تسألون عن محبة علي بن أبي طالب عليه السلام^(٥).

٣ - قال الشيخ الطبرسي (رحمه الله تعالى): «أو نريك الذي وعدناهم» معناه: أو نبقينك ونرينك في حياتك ما وعدناهم من العذاب «فإننا عليهم مقتدرون» أي قادرون على الانتقام منهم، وعقوبتهم في حياتك: وبعد وفاتك^(٦).

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٨٤.

(٤) الزخرف: ٤٣.

(٥) الأماي: ج ١، ص ٣٧٣.

(٢) الزخرف: ٤٢.

(٦) مجمع البيان: ج ٩، ص ٨٣.

(٣) المؤمنون: ٩٣ - ٩٦.

س ١٢: ما هو معنى قوله تعالى: ﴿فَأَسْتَمِعُ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾ [سورة الزخرف: ٤٣ - ٤٤]؟!

الجواب/ قال أبو جعفر عليه السلام: «... ثم أوحى الله إلى نبيه صلى الله عليه وسلم فاستمك بالذي أوحى إليك في علي عليه السلام إنك على صراط مستقيم، يعني إنك على ولاية علي، وعلي هو الصراط المستقيم»^(١).
وقال أبو عبد الله عليه السلام، في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾، قال: «الذكر: القرآن، ونحن قومه، ونحن المسؤولون»^(٢).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «فرسول الله صلى الله عليه وسلم الذكر، وأهل بيته (صلوات الله عليهم) أهل الذكر، وهم المسؤولون، أمر الله الناس يسألونهم، فهم ولاية الناس وأولاهم، فليس يحل لأحد من الناس أن يأخذ هذا الحق الذي افترضه الله لهم»^(٣).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «قوله: ﴿ولقومك﴾ يعني علياً أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ﴿وسوف تسألون﴾ عن ولايته»^(٤).

س ١٣: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَسَلِّ مَنَ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجْعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلهَةً يُعْبَدُونَ﴾ ﴿٤٥﴾ [سورة الزخرف: ٤٥]؟!

الجواب/ قال أبو الربيع: حججنا مع أبي جعفر عليه السلام، في السنة التي

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٨٦.

(٢) الكافي: ج ١، ص ١٦٤، ح ٥، وبصائر الدرجات: ص ٥٧، ح ١.

(٣) تأويل الآيات: ج ٢، ص ٥٦١، ح ٢٥.

(٤) تأويل الآيات: ج ٢، ص ٥٦٢، ح ٢٧.

حج فيها هشام بن عبد الملك، وكان معه نافع مولى عمر بن الخطاب، فنظر نافع إلى أبي جعفر عليه السلام في ركن البيت، وقد اجتمع عليه الناس، فقال: يا أمير المؤمنين، من هذا الذي قد تذاك عليه الناس؟ فقال: هذا نبيّ أهل الكوفة، هذا محمد بن علي. فقال: اشهد لآتيته، فلا سأله عن مسائل لا يجيبني فيها إلا نبي أو ابن نبي أو وصي نبي. قال: فاذهب فاسأله لعلك تخجله.

فجاء نافع حتى اتكأ على الناس، ثم أشرف على أبي جعفر عليه السلام، فقال: يا محمد بن علي، إني قرأت التوراة والأنجيل والزبور والفرقان، وقد عرفت حلالها وحرامها، وقد جئت أسألك عن مسائل لا يجيب فيها إلا نبي أو وصي نبي أو ابن نبي. قال: فرفع أبو جعفر عليه السلام رأسه، فقال: «سل عما بدا لك» فقال: أخبرني كم بين عيسى ومحمد ﷺ من سنة؟ فقال: «أخبرك بقولي أو بقولك؟» قال: أخبرني عن القولين جميعاً. قال: «أما في قولي فخمس مائة سنة، وأما في قولك فست مائة سنة».

قال: فأخبرني عن قول الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿وسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجمعنا من دون الرحمن ءالهة يعبدون﴾، من الذي سأل محمد ﷺ، وكان بينه وبين عيسى خمس مائة سنة؟ [قال:] فتلا أبو جعفر عليه السلام هذه الآية: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِمَبْدُوهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ لِئَلِمْتَهُ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي أَرَاهَا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُحَمَّدًا ﷺ حَيْثُ أَسْرَى بِهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ أَنْ حَشَرَ اللَّهُ عَزَّ ذِكْرَهُ الْأُولِينَ وَالْآخِرِينَ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، ثُمَّ أَمَرَ جِبْرِئِيلَ عليه السلام فَأَذَّنَ شَفَعًا، وَأَقَامَ شَفَعًا، وَقَالَ فِي أَذَانِهِ: حَيَّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ، ثُمَّ تَقَدَّمَ

محمد ﷺ فصلى بالقوم، فلما انصرف، قال [لهم]: على ما تشهدون؟ وما كنتم تعبدون؟ قالوا: نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنت رسول الله، أخذ على ذلك عهدنا وموائقنا. قال نافع: صدقت، يا أبا جعفر^(١). وأضاف في تفسير القمي: أنتم والله أوصياء رسول الله ﷺ وخلفاؤه في التوراة، وأسماؤكم في الإنجيل والزبور وفي القرآن، وأنتم أحق بالأمر من غيركم^(٢).

وقال الطبرسي: عن أمير المؤمنين عليه السلام: ، في قوله تعالى: ﴿وسئل من أرسلنا من قبلك من قبلك من رسلنا﴾: «فهذا من براهين نبينا ﷺ التي أتاه الله إياها، وأوجب به الحجة على سائر خلقه، لأنه لما ختم به الأنبياء، وجعله الله رسولاً إلى جميع الأمم، وسائر الملل، خصه بالارتقاء إلى السماء عند المعراج، وجمع له يومئذ الأنبياء، فعلم منهم ما أرسلوا به وحملوه من عزائم الله وآياته وبراهينه، وأقروا أجمعين بفضله، وفضل الأوصياء والحجج في الأرض من بعده، وفضل شيعة وصية من المؤمنين والمؤمنات، الذين سلموا لأهل الفضل فضلهم، ولم يستكبروا عن أمرهم، وعرف من أطاعهم وعصاهم من أممهم، وسائر من مضى ومن غير، أو تقدم أو تأخر»^(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «لما عرج بي إلى السماء، انتهى بي المسير مع جبرئيل إلى السماء الرابعة، فرأيت بيتاً من ياقوت أحمر، فقال لي جبرئيل: يا محمد، هذا البيت المعمور، خلقه الله قبل خلق السماوات والأرضين بخمسين ألف عام، فصل فيه. فقامت للصلاة، وجمع الله النبيين والمرسلين، فصفهم جبرئيل صفاً، فصليت بهم.

(١) الكافي: ج ٨، ص ١٢٠، ح ٩٣.

(٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٨٥.

(٣) الاحتجاج: ص ٢٤٨.

فلما سلمت أتاني آت من عند ربي، فقال: يا محمد، ربك يقرئك السلام، ويقول لك: سل الرسل: على ماذا أرسلتم من قبلي؟ فقلت: معاشر الأنبياء والرسل، على ماذا بعثكم ربي قبلي؟ قالوا: على ولايتك وولاية علي بن أبي طالب، وذلك قوله تعالى: ﴿وسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا﴾^(١).

❁ س ١٤: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِۦ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِِِِّّّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنَّا بِغَضُوبٍ ﴿٤٧﴾ وَمَا تُرِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾﴾

[سورة الزخرف: ٤٦ - ٤٨]!

الجواب/ أقول: في هذه الآيات إشارة إلى جانب مما جرى بين نبي الله موسى بن عمران عليه السلام وبين فرعون، ليكون جواباً لمقالة المشركين التي لا أساس لها بأن الله إن كان يريد أن يرسل رسولاً، فلماذا لم يختار رجلاً من أثرياء مكة والطائف لهذه المهمة العظمى؟

وذلك لأن فرعون كان قد أشكل على موسى نفس هذا الإشكال، وكان منطقهم عين هذا المنطق، إذ جعل موسى في معرض التقريع والتوبيخ والسخرية للباسه الصوفي وعدم امتلاكه لأدوات الزينة، وبلغ أمير المؤمنين علي عليه السلام في هذا الباب غايته حيث يقول: «ولقد دخل موسى بن عمران وأخوه هارون عليهما السلام على فرعون وعليهما مدارع الصوف وبأيديهما العصي، فشرطا له أن أسلم بقاء ملكه ودوام عزه، فقال: ألا تعجبون من هذين يشرطان لي دوام العز وبقاء الملك وهما بما ترون من حال الفقر والذل، فهلا ألقى عليهما

(١) تأويل الآيات: ج ٢، ص ٥٦٣، ح ٣٠.

أساورة من ذهب، إعظاماً للذهب وجمعه، واحتقاراً للصوف ولبسه، ولو أراد الله سبحانه بأنبيائه حيث بعثهم أن فتح لهم كنوز الذهبان، ومعادن العقيان، ومغارس الجنان، وأن يحشر معهم طيور السماء ووحوش الأرض لفعل، ولو فعل لسقط البلاء، وبطل الجزاء^(١).

فقال الآية الأولى: ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملائه فقال إني رسول رب العالمين﴾.

المراد من الآيات: المعجزات التي كانت لدى موسى، والتي كان يثبت حقانيته بواسطتها، وكان أهمها العصا واليد البيضاء. الملاء، من مادة الملاء، أي القوم أو الجماعة الذين يتبعون هدفاً واحداً، وظاهرهم يملأ العيون لكثرتهم، وقرانياً فإن هذه الكلمة تعني الأشراف والأثرياء أو رجال البلاط عادة.

والتأكيد على صفة: ﴿رب العالمين﴾ هو في الحقيقة من قبيل بيان مدعى مقترن بالدليل، لأن من هو رب العالمين ومالكهم ومعلمهم هو الذي له أهلية العبودية، لا المخلوقات الضعيفة المحتاجة كالفراعة والأصنام! ولنر الآن ماذا كان أول تعامل لفرعون وآل فرعون مع الأدلة المنطقية والمعجزات البينة لموسى ﷺ؟

يقول القرآن الكريم في الآية التالية: ﴿فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون﴾ وهذا الموقف هو الموقف الأول لكل الطواغيت والجهال المستكبرين أمام القادة الحقيقيين، إذ لا يأخذون دعوتهم وأدلتهم بجديّة ليبحثوا فيها ويصلوا إلى الحقيقة، ثم يجيبونهم بسخرية واستهزاء ليفهموا الآخرين أن دعوة هؤلاء لا تستحق البحث والتحقيق والإجابة أصلاً، وليست

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢ الخطبة الفاصلة.

أهلاً للتلقي الجاد.

إلا أننا أرسلنا بآياتنا الواحدة تلو الأخرى لإتمام الحجة: ﴿وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها﴾^(١) والخلاصة: أننا أريناهم من آياتنا ما كل واحدة أعظم من أختها وأبلغ وأشد، لئلا يبقى لهم أي عذر وحجة ولينزلوا عن دابة الغرور والعجب والأنانية، وقد أريناهم بعد معجزتي العصا واليد البيضاء معاجز الطوفان والجراد والقمل والضفادع وغيرها.

ثم تضيف الآية: ﴿وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون﴾ فمرة أتاها الجفاف والقحط ونقص الثمرات كما جاء في الآية: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّيْنِ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾^(٢).

وكان العذاب أحياناً يتبدل لون ماء النيل إلى لون الدم، فلم يعد صالحاً للشرب، ولا للزراعة، وأحياناً كانت الآفات النباتية تقضي على مزارعهم.

❁ س ١٥: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهُ السَّاحِرُ الْاُنْعُ لَنَا رَبُّكَ بِمَا عٰهَدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ﴾^(١) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ^(٢) وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ^(٣) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ^(٤) فَلَوْلَا أَلْقَى عَلَيْهِ آسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلٰٓئِكَةُ مُقَرَّرِينَ^(٥) فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ^(٦) ﴿ [سورة الزخرف: ٤٩ - ٥٤]!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: ثم حكى قول فرعون وأصحابه

(١) التعبير بالأخت في لغة العرب يعني ما يوازي الشيء في الجنس والمرتبة كالأختين في الموازاة.

(٢) الأعراف: ١٣٠.

[لموسى عليه السلام]، فقال: ﴿وقالوا يا أيها الساحر﴾ أي يا أيها العالم ﴿ادع لنا ربك بما عهد عندك إننا لمهتدون﴾.

[أقول: إلا أن موسى رغم كل هذه التعبيرات اللاذعة والمحقرة لم يكف عن السعي لهدايتهم مطلقاً، ولم ييأس نتيجة عنادهم وتعصبهم، بل استمر في طريقه، ودعا ربه مرات كي تهدأ عواصف البلاد، وهدأت، لكنهم كما تقول الآية التالية: ﴿فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون﴾ وإن التعبير بـ﴿نادى﴾ يوحي بأن فرعون قد عقد مجلساً عظيماً لخبراء البلد ومستشاريه، وخاطبهم جميعاً بصوت عال فقال ما قال أو أنه أمر أن يوزع نداؤه كرسالة في جميع أنحاء البلاد.

والتعبير بالأنهار، المراد منه نهر النيل، بسبب أن هذا النهر العظيم كالبحر المترامي الأطراف، وكان يتشعب إلى فروع كثيرة تروي كل المناطق العامرة في مصر.

قال بعض المفسرين: كان لنهر النيل (٣٦٠) فرعاً، وكان أهمها: نهر الملك، ونهر طولون، ونهر دمياط، ونهر تيس.

أما لماذا يؤكد فرعون على نهر النيل خاصة؟ فذلك لأن كل عمران مصر وثروتها وقوتها وتطورها كان يستمد طاقته من النيل من هنا فإن فرعون كان يدلّ به، ويفتخر به على موسى. والتعبير بـ﴿تجري من تحتي﴾ لا يعني أن نهر النيل يمر من تحت قصري، كما قال ذلك جمع من المفسرين، لأن نهر النيل كان أعظم من أن يمر من تحت قصر فرعون، وإن كان المراد أنه كان يمر بمحاذاة قصره، فإن كثيراً من قصور مصر كانت على هذه الحال، وكان أغلب العمران على حافتي هذا الشط العظيم، بل المراد أن هذا النهر تحت أمري، ونظام تقسيمه على المزارع والمسكن حسب التعليمات التي أريدها].

ثم قال فرعون: ﴿أنا خير من هذا الذي هو مهين﴾ يعني موسى ﴿ولا يكاد يبين﴾، قال: لم بين الكلام، ثم قال: ﴿فلولا عليه أسورة﴾ أي هلا ألقى عليه أسورة ﴿من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين﴾؟ يعني مقارنين ﴿فاستخف قومه﴾ لما دعاهم ﴿فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين﴾^(١).

❁ س ١٦: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة الزخرف: ٥٥ - ٥٦]؟!

الجواب/ ١ - قال أبو عبد الله عليه السلام، في قول الله عز وجل: ﴿فلما آسفونا انتقمنا منهم﴾ فقال: «إن الله عز وجل لا يأسف كأسفنا، ولكنه خلق أولياء لنفسه، يأسفون ويرضون، وهم مخلوقون مربوبون، فجعل رضاهم رضا نفسه، وسخطهم سخط نفسه، لأنه جعلهم الدعاء إليه، والأدلاء عليه، فلذلك صاروا كذلك، وليس أن ذلك يصل إلى الله كما يصل إلى خلقه، لكن هذا معنى ما قال من ذلك، وقد قال: من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة ودعاني إليها. وقال: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾^(٢)، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾^(٣).

فكل هذا وشبهه على ما ذكرت لك، وهكذا الرضا والغضب وغيرهما من الأشياء مما يشاكل ذلك، ولو كان يصل إلى الله الأسف والضجر، وهو الذي خلقهما وأنشأهما، لجاز لقاتل هذا أن يقول: إن الخالق بييد يوماً، لأنه إذا دخله الغضب والضجر، دخله التغيير، وإذا دخله التغيير لم يؤمن عليه الإبادة، ثم لم يعرف المكون من المكون، ولا القادر من المقدور عليه، ولا

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٨٥.

(٢) الفتح: ١٠.

(٣) النساء: ٨٠.

الخالق من المخلوق، تعالى الله عن هذا [القول] علواً كبيراً، بل هو الخالق للأشياء لا لحاجة، فإذا كان لا حاجة استحالة الحد والكيف فيه، فافهم إن شاء الله تعالى^(١).

وقال علي بن إبراهيم القمي: ﴿فلما أسفونا﴾ أي عصونا ﴿انتقمنا منهم﴾ لأنه لا يأسف عز وجل كأسف الناس^(٢).

٢ - أقول: تقول الآية الثانية كاستخلاص لنتيجة مجموع ما مر من كلام: ﴿فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين﴾.

السلف في اللغة يعني كل شيء متقدم، ولذلك يقال للأجيال السابقة: سلف، وللأجيال الآتية: خلف، ويسمون المعاملات التي تتم قبل الشراء سلفاً، لأن ثمن المشتري يدفع من قبل.

والمثل يقال للكلام الدائر بين الناس كعبرة، ولما كانت قصة فرعون والفرعنة ومصيرهم المؤلم عبرة عظيمة، فقد ذكرت في هذه القصة كعبرة للأقوام الآخرين.

❁ س ١٧: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا يَا أَيْهَتَنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ مِنْكُمْ مَلَكًا ﴿٦٠﴾﴾ [سورة الزخرف: ٥٧ - ٦٠]!

الجواب/ قال أبو عبد الله عليه السلام: «قال بينا رسول الله ﷺ ذات يوم

(١) الكافي: ج ١، ص ١١٢، ح ٦، والتوحيد: ص ١٦٨، ح ٢.

(٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٨٥.

جالساً، إذ أقبل أمير المؤمنين عليه السلام، فقال رسول الله ﷺ: إن فيك شبهاً من عيسى بن مريم، لولا أن تقول فيك طوائف من أمتي ما قالت النصراني في عيسى بن مريم، لقلت فيك قولاً لا تمر بملأ من الناس إلا أخذوا التراب من تحت قدميك، يلتمسون بذلك البركة. قال: فغضب الأعرابيان والمُغيرة بن شعبة وعدة من قريش، فقالوا: ما رضي أن يضرب لابن عمه مثلاً إلا عيسى بن مريم! فأنزل الله على نبيه ﷺ، فقال: ﴿ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون وقالوا لهتنا خير أم هو ما ضربه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبي إسرائيل ولو نشاء لجعلنا منكم﴾ يعني من بني هاشم ﴿ملائكة في الأرض يخلفون﴾. [وفي رواية قال رسول الله ﷺ: «الصدود في العربية: الضحك»]^(١).

قال: فغضب الحارث بن عمرو الفهري، فقال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك أن بني هاشم يتوارثون هرقلاً بعد هرقل؛ فأمطر علينا حجارة من السماء، أو اتتنا بعذاب اليم، فأنزل الله عليه مقالة الحارث، ونزلت عليه هذه الآية: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَهَ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ أَلَهُ مَعَذِبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَفْرِقُونَ﴾^(٢)، ثم قال له: يا بن عمرو، إما تبت، وإما رحلت. فقال: يا محمد بل تجعل لسائر قريش شيئاً مما في يدك، فقد ذهبت بنو هاشم بمكرمة العرب والعجم، فقال النبي ﷺ: ليس ذلك إليّ، ذلك إلى الله تبارك وتعالى، فقال: يا محمد، قلبي ما يتابعني على التوبة، ولكن أرحل عنك؛ فدعا براحلته فركبها، فلما صار بظهر المدينة، أتته جندلة فرضخت هامته، ثم أتى الوحي إلى النبي ﷺ فقال: ﴿سأل سائل بعذاب واقع للكافرين﴾ بولاية علي عليه السلام ﴿لَيْسَ لَكَ دَافِعٌ مِّنْ أَلَهٍ ذِي أَلْمَاجِجٍ﴾^(٣).

(٣) المعارج: ١ - ٣.

(١) معاني الأخبار: ص ٢٢٠، ح ١.

(٢) الأنفال: ٣٣.

قال أبو بصير: قلت له: جعلت فداك إنا لانقرؤها هكذا، فقال: «هكذا والله نزل بها جبرئيل على محمد ﷺ، وهكذا والله مثبت في مصحف فاطمة ؓ». فقال رسول الله ﷺ: لمن حوله من المنافقين: انطلقوا إلى صاحبكم، فقد أتاه ما استفتح به؛ قال الله عز وجل: ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾^(١).

❁ س ١٨: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَإِنَّكُمْ لَعَلَّمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٦﴾ وَلَا

يُصَدِّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّكُمْ لَكُرْهُدٌ مُبِينٌ ﴿٦٧﴾﴾ [سورة الزخرف: ٦٦ - ٦٧]!

الجواب/ قال رسول الله ﷺ - في حديث -: «وإن علياً لعلمٌ للساعة لك ولقومك ولسوف تسألون عن علي بن أبي طالب»^(٢).

وقال شرف الدين النجفي: جاء في تفسير أهل البيت ؑ: أن الضمير في (إنه) يعود إلى علي بن أبي طالب ؑ، لما روي بحذف الإسناد، عن زرارة بن أعين، قال: سألت أبا عبد الله ؑ عن قول الله عز وجل: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمٌ لِلسَّاعَةِ﴾، قال: «عني بذلك أمير المؤمنين ؑ»، وقال: «قال رسول الله ﷺ: يا علي، أنت علم هذه الأمة، فمن اتبعك نجا، ومن تخلف عنك هلك وهوى»^(٣).

وقال علي بن إبراهيم: ثم ذكر الله خطر أمير المؤمنين ؑ وعظم شأنه عنده تعالى، فقال: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ يعني أمير المؤمنين ؑ^(٤).

(١) الكافي: ج ٨، ص ٥٧، ح ١٨، والآية من سورة إبراهيم: ١٥.

(٢) المناقب: ص ٢٧٥، ح ٣٢١.

(٣) تأويل الآيات: ج ٢، ص ٥٧٠، ح ٤٥.

(٤) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٨٦.

وقال عبد الرحمن بن كثير، قلت لأبي عبد الله عليه السلام: [قوله تعالى]: ﴿وَأَنْتَ لِذِكْرِ اللَّهِ وَلِقَايِهِ وَسَوَّىٰ تَسْتَأْتُونَ﴾^(١)؟ فقال: «الذكر: القرآن، ونحن قومه، ونحن المسؤولون» ولا يصدنكم الشيطان» يعني الثاني، عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إنه لكم عدو مبین»^(٢).

❁ س ١٩: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَأَتَمُّوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۝٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ۝٦٤﴾ فَأَخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ قَوْلًا لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ أَلْبَسِهِ ۝٦٥﴾ [سورة الزخرف: ٦٣ - ٦٥]؟!!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسي: ثم أخبر سبحانه عن حال عيسى عليه السلام حين بعثه الله نبياً فقال: ﴿ولما جاء عيسى بالبينات﴾ أي بالمعجزات الدالة على نبوته. وقيل: بالإنجيل... ﴿قال﴾ لهم ﴿قد جئتكم بالحكمة﴾ أي بالنبوة... وقيل: بالعلم بالتوحيد، والعدل والشرائع. ﴿ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه﴾ قيل: إن المعنى كل الذي تختلفون فيه، كقول لبيد: ﴿أو يخترم بعض النفوس حمامها﴾ أي كل النفوس، وكقول القطامي: (قد يدرك المتأني بعض حاجته، وقد يكون من المستعجل الزلل) أي كل حاجته... قال الزجاج: والصحيح أن البعض لا يكون في معنى الكل، والذي جاء به عيسى في الإنجيل. إنما هو بعض الذي اختلفوا فيه. وبين لهم في غير الإنجيل ما احتاجوا إليه. وقول الشاعر: ﴿أو يخترم بعض النفوس حمامها﴾ إنما يعني نفسه. وقيل: معناه لأبين لكم ما تختلفون فيه من أمور الدين دون أمور

الدنيا. ﴿فاتقوا الله﴾ بأن تجتنبوا معاصيه، وتعملوا بالطاعات ﴿وأطيعوني﴾ فيما أَدْعُوكُمْ إليه ﴿إن الله هو ربي وربكم الذي﴾ تحقق له العبادة ﴿فاعبدوه﴾ خالصاً، ولا تشركوا به شيئاً. ﴿هذا صراط مستقيم﴾ يفضي بكم إلى الجنة، وثواب الله. ﴿فاختلف الأحزاب من بينهم﴾ يعني اليهود والنصارى اختلفوا في أمر عيسى ﴿فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم﴾ قد مر تفسير الآية في سورة مريم^(١).

س ٢٠: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾

[سورة الزخرف: ٦٦]!

الجواب/ قال زرارة بن أعين، سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة﴾، قال: «هي ساعة القائم عليه السلام، تأتيهم بغتة»^(٢).

س ٢١: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾

[سورة الزخرف: ٦٧]!

الجواب/ قال أبو عبد الله عليه السلام - في حديث أبي بصير - قال له: «يا أبا محمد ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾، والله ما أراد بهذا غيركم»^(٣).

وقال علي بن إبراهيم، في معنى الآية: يعني: الأصدقاء يعادي بعضهم بعضاً، قال: وقال الصادق عليه السلام: «ألا كل خلة كانت في الدنيا في غير الله،

(١) مجمع البيان: ج ٩، ص ٩١. (٢) الكافي. ج ٨، ص ٣٥، ح ٦.

(٣) تأويل الآيات: ج ٢، ص ٥٧١، ح ٤٦.

فإنها تصير عداوة يوم القيامة».

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «وللظالم غداً بكفه عضةً، والرحيل وشيك، وللأخلاء ندامة إلا المتقين»^(١).

وقال علي عليه السلام، في خليلين مؤمنين، وخليلين كافرين، ومؤمن غني ومؤمن فقير، وكافر غني وكافر فقير: «فأما الخليلان المؤمنان فتخالاً حياتهما في طاعة الله تبارك وتعالى، وتبازلاً عليها وتوآذاً عليها، فمات أحدهما قبل صاحبه، فأراه الله منزله في الجنة، يشفع لصاحبه، فقال: يا رب خليلي فلان، كان يأمرني بطاعتك، ويعينني عليها، وينهاني عن معصيتك، فثبته على ما ثبتني عليه من الهدى حتى تراه ما أريتني؛ فيستجيب الله له حتى يلتقيان عند الله عز وجل، فيقول كل واحد لصاحبه: جزاك الله من خليل خيراً، كنت تأمرني بطاعة الله، وتنهاني عن معصيته.

وأما الكافران فتخالاً بمعصية الله، وتبازلاً عليها، وتوآذاً عليها، فمات أحدهما قبل صاحبه، فأراه الله تعالى منزله في النار. فقال: يا رب خليلي فلان كان يأمرني بمعصيتك، وينهاني عن طاعتك، فثبته على ما ثبتني عليه من المعاصي حتى تراه ما أريتني من العذاب؛ فيلتقيان عند الله يوم القيامة، يقول كل واحد منهما لصاحبه: جزاك الله عني من خليل شراً، كنت تأمرني بمعصية الله، وتنهاني عن طاعته». قال: ثم قرأ: ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾.

«ويدعى بالمؤمن الغني يوم القيامة إلى الحساب فيقول الله تبارك وتعالى: عبدي. قال: لبيك يا رب، قال: ألم أجعلك سميعاً بصيراً، وجعلت لك مالاً كثيراً؟ قال: بلى يا رب. قال: فما أعددت للقائي؟ قال:

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٨٧.

آمنت بك، وصدقت رسلك، وجاهدت في سبيلك. قال: فماذا فعلت فيما آتيتك؟ قال: أنفقت في طاعتك. قال: فماذا أورثت في عقبك؟ قال: خلقتني وخلقتهم، ورزقتني ورزقتهم، وكنت قادراً على أن ترزقهم كما رزقتني، فوكلت عقبي إليك. فيقول الله عز وجل: صدقت، اذهب، فلو تعلم مالك عندي لضحكت كثيراً.

ثم يدعى بالمؤمن الفقير، فيقول: يا عبدي، فيقول: لبيك يا رب، فيقول: ماذا فعلت؟ فيقول: يا رب هديتني لدينك، وأنعمت علي، وكففت عني ما لو بسطته لخشيت أن يشغلني عما خلقتني له. فيقول الله عز وجل: صدق عبدي لو تعلم ما لك عندي لضحكت كثيراً.

ثم يدعى بالكافر الغني فيقول له: ما أعددت للقائي؟ فيعتل فيقول: ما أعددت شيئاً. فيقول: ماذا فعلت فيما آتيتك؟ فيقول: ورثته عقبي، فيقول: من خلقك؟ فيقول: أنت. فيقول: من رزقك؟ فيقول: أنت. فيقول: من خلق عقبك؟ فيقول: أنت. قال: ألم أك قادراً أن أرزق عقبك كما رزقتك؟ فإن قال: نسيت، هلك، وإن قال: لم أدر ما أنت؛ هلك، فيقول الله عز وجل: لو تعلم مالك عندي لبكيت كثيراً.

ثم يدعى بالكافر الفقير، فيقول له: يا بن آدم فما فعلت فيما أمرتك؟ فيقول: ابتليتني ببلاء الدنيا حتى أنسيتني ذكرك، وشغلتنني عما خلقتني له. فيقول: فهل دعوتني فأرزقك، وسألتنني فأعطيك؟ فإن قال: رب نسيت؛ هلك، وإن قال: لم أدر ما أنت؛ لك، فيقول: لو تعلم مالك عندي لبكيت كثيراً^(١).

س ٢٢: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿بِعِبَادٍ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أُنْتُمْ مَحْزُونُونَ﴾ [سورة الزخرف: ٦٨]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسي (رحمه الله تعالى): قوله: ﴿يا عبادي لا خوف عليكم اليوم﴾ أي يقال لهم وقت الخوف: يا عبادي! لا خوف عليكم من العذاب اليوم ﴿ولا أنتم تحزنون﴾ من فوات الثواب^(١).

س ٢٣: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [١٩] ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٢٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْسُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَا ظَلَمْتَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمْ الظَّالِمِينَ ﴿٢٦﴾ [سورة الزخرف: ٦٩ - ٧٦]؟!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم، في قوله تعالى: ﴿الذين ءامنوا بآياتنا﴾: يعني الأئمة عليهم السلام ﴿وكانوا مسلمين ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون﴾ أي تكرمون ﴿يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب﴾ أي قصاع وأواني ﴿وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين﴾ إلى قوله تعالى: ﴿منها تأكلون﴾ فإنه محكم^(٢).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «إن الرجل في الجنة يبقى على مائدته أيام الدنيا، ويأكل في أكلة واحدة بمقدار ما أكله في الدنيا».

ثم ذكر الله عز وجل ما أعدّه لأعداء آل محمد عليهم السلام، فقال: ﴿إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون﴾ أي آيسون

(٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٨٨.

(١) مجمع البيان: ج ٩، ص ٩٣.

من الخير، فذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام: «وأما أهل المعصية فخلدهم في النار، وأوثق منهم الأقدام، وغل منهم الأيدي إلى الأعناق، وألبس أجسادهم سراويل القطران، وقطعت لهم منها ثياب من مقطعات النيران، هم في عذاب قد اشتد حره، ونار قد أطبق على أهلها، لا تفتح عنهم أبداً، ولا يدخلهم ريح أبداً، ولا ينقضي لهم غم أبداً، العذاب أبداً شديداً، والعقاب أبداً جديداً، لا الدار زائلة فتفى، ولا آجال القوم تُقضى»^(١).

وقال أبو عبد الله عليه السلام، في قول الله عز وجل: ﴿وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين﴾، [قال]: «وما ظلمناهم بتركهم ولاية أهل بيتك، ولكن كانوا هم الظالمين»^(٢).

❁ س ٢٤: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَنَادُوا بِمَلِكٍ لِّيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَنكِتُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّا

أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [سورة الزخرف: ٧٧ - ٧٨]!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: ثم حكى نداء أهل النار، فقال: ﴿ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك﴾ قال: أي نموت، فيقول مالك: ﴿إنكم ماكنون﴾.

ثم قال الله تعالى: ﴿لقد جئناكم بالحق﴾ يعني بولاية أمير المؤمنين عليه السلام، ﴿ولكن أكثركم للحق كارهون﴾ يعني لولاية أمير المؤمنين عليه السلام، والدليل على أن الحق ولاية أمير المؤمنين عليه السلام قوله تعالى: ﴿وقل الحق من ربكم﴾ يعني ولاية علي عليه السلام ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليفر إنا أعتدنا للظالمين﴾ آل محمد حقهم ﴿ناراً﴾^(٣).

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٨٨.

(٢) تأويل الآيات: ج ٢، ص ٥٧١، ح ٤٧.

(٣) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٨٩، الآية من سورة الكهف: ٢٩.

وقال ابن طاوس (رحمه الله) : - في حديث، عن النبي ﷺ ، في أهل النار - قال ﷺ : «فإذا يشوا من خزنة جهنم؛ رجعوا إلى مالك مقدم الخزان، وأملوا أن يخلصهم من ذلك الهوان، قال الله جل جلاله: ﴿ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك﴾، قال: فيحبس عنهم الجواب أربعين سنة وهم في العذاب، ثم يجيبهم كما قال الله تعالى في كتابه الممكنون: ﴿قال إنكم ماكثون﴾، قال: فإذا ينسوا من مولاهم رب العالمين الذي كان أهون شيء عندهم في دنياهم، وكان قد آثر كل واحد منهم هواه عليه مدة الحياة»^(١).

❁ س ٢٥: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿أَمْ أَرْمَوْا أَمْراً فَإِنَّا مُبْرَمُونَ﴾ (٧٩) أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلْ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ (٨٥) [سورة الزخرف: ٧٩ - ٨٠]!؟

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: ثم ذكر على أثر هذا خبرهم، وما تعاهدوا عليه في الكعبة، أن لا يردوا الأمر في أهل بيت رسول الله ﷺ فقال: ﴿أم أبرموا أمراً فإننا مبرمون﴾ إلى قوله تعالى ﴿لديهم يكتبون﴾^(٢).

وقال أبو بصير قلت لأبي عبد الله عليه السلام: [قوله تعالى]: ﴿أم أبرموا أمراً فإننا مبرمون أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون﴾؟ قال: وهاتان الآيتان نزلتا فيهم^(٣) ذلك اليوم، قال أبو عبد الله عليه السلام: «لعلك ترى أنه كان يوم يشبه يوم كتب الكتاب، إلا يوم قتل الحسين عليه السلام، وذلك كان سابقاً في علم الله عز وجل الذي أعلمه رسول الله ﷺ، إذا كتب الكتاب قتل الحسين عليه السلام، وخرج الملك من بني هاشم، فقد كان ذلك كله»^(٤).

(١) الدرود الواقية: ص ٥٨ «مخطوط».

(٢) انظر بداية الحديث في الكافي.

(٣) الكافي: ج ٨، ص ١٨٠، ح ٢٠٢.

(٤) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٨٩.

وقال النبي ﷺ لبعض أصحابه: «سلموا على علي بإمرة المؤمنين». فقال رجل من القوم: لا والله لا تجتمع النبوة والإمامة - وقيل والخلافة - في أهل بيت أبداً. فأنزل الله عز وجل: ﴿أَمْ أBRمُوا أَمْراً فَإِنَّا مبرمون أَمْ يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون﴾^(١).

وروى عبد الله بن عباس، أنه قال: إن رسول الله ﷺ أخذ عليهم الميثاق مرتين لأمير المؤمنين عليه السلام، الأولى: حين قال: «أتدرون من وليكم من بعدي؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «صالح المؤمنين». وأشار بيده إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، وقال: «هذا وليكم بعدي».

والثانية: يوم غدیر خم يقول: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه». وكانوا قد أسروا في أنفسهم وتعاقدوا: أن لا نرجع إلى أهل هذا البيت هذا الأمر، ولا نعطيهم الخمس؛ فأطلع الله نبيه ﷺ على أمرهم، وأنزل عليه: ﴿أَمْ أBRمُوا أَمْراً فَإِنَّا مبرمون أَمْ يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون﴾^(٢).

س ٢٦: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبْدِينَ﴾^(١) [سورة الزخرف: ٨١]!

الجواب/ قال أبو عبد الله عليه السلام: «إن الله جل وعز لما أراد أن يخلق آدم عليه السلام أرسل الماء على الطين، ثم قبض قبضة فعرکہا، ثم فرقها فرقتين بيده، ثم ذرأهم فإذا هم يدبون. ثم رفع لهم ناراً، فأمر أهل الشمال أن يدخلوها، فذهبوا إليها فهابوها ولم يدخلوها، ثم أمر أهل اليمين أن يدخلوها، فذهبوا فدخلوها. فأمر الله عز وجل النار فكانت عليهم برداً

(١) تأويل الآيات: ج ٢، ص ٥٧٢، ح ٤٨. (٢) تأويل الآيات: ج ٢، ص ٥٧٢، ح ٤٩.

وسلاماً، فلما رأى ذلك أهل الشمال. قالوا: ربنا أفلنا؛ فأقالهم، ثم قال لهم: أدخلوها؛ فذهبوا فقاموا عليها ولم يدخلوها، فأعادهم طيناً وخلق منها آدم عليه السلام.

وقال الطبرسي في (الاحتجاج): عن أمير المؤمنين عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ «أي الجاحدين» التأويل في هذا القول، باطنه مضاد لظاهره^(١).

س ٢٧: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [سورة الزخرف: ٨٢]!

الجواب/ قال يزيد بن الأصم: سأل رجل عمر بن الخطاب: ما تفسير سبحان الله؟ قال: إن في هذا الحائط رجلاً إذا سئل أنياً، وإذا سكت ابتداءً، فدخل فإذا هو علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال: يا أبا الحسن، ما تفسير سبحان الله؟ قال: «هو تعظيم جلال الله عز وجل، وتنزيهه عما قال فيه كل مشرك، فإذا قالها العبد صلى عليه كل ملك»^(٢).

وقال أبو عبد الله عليه السلام - في حديث طويل -: «فمن اختلاف صفات العرش، أنه قال تبارك وتعالى: ﴿رَبِّ الْعَرْشِ﴾ رب الوجدانية ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾، وقوم وصفوه بيدين، فقالوا: ﴿يَدُ اللَّهِ مَقْلُوبَةٌ﴾^(٣)، وقوم وصفوه بالرجلين، فقالوا: وضع رجله على صخرة بيت المقدس، فمنها ارتقى إلى السماء، ووصفوه بالأنامل، فقالوا: إن محمداً عليه السلام قال: إني وجدت برد أنامله على قلبي، فلمثل هذه الصفات قال: ﴿رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾، يقول: رب المثل الأعلى عما به مثله، والله المثل الأعلى الذي لا يشبهه شيء، ولا

(٣) التوحيد: ص ٣١١، ح ١.

(١) الكافي: ج ٢، ص ٥٥، ح ٣.

(٢) الاحتجاج: ص ٢٥٠.

يوصف، ولا يتوهم، فذلك المثل الأعلى^(١).

❁ س ٢٨: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿فَذَرَّهُمْ يُخَوِّضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ [سورة الزخرف: ٨٣]!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسي (رحمه الله تعالى): ثم خاطب سبحانه نبيه ﷺ على وجه التهديد للكافر فقال: ﴿فَذَرَّهُمْ يُخَوِّضُوا﴾ في باطلهم ﴿وَيَلْعَبُوا﴾ في دنياهم ﴿حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون﴾ فيه بعذاب الأبد، وهو يوم القيامة^(٢).

❁ س ٢٩: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾

[سورة الزخرف: ٨٤]!

الجواب/ قال هشام بن الحكم: قال أبو شاعر الديصاني: إن في القرآن آية هي قولنا. قلت: ما هي؟ فقال: ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾؛ فلم أدر بما أجيبه، فحججت، فخبّرت أبا عبد الله ﷺ، قال: «هذا كلام زنديق خبيث، إذا رجعت إليه فقل له: ما اسمك بالكوفة؟ فإنه يقول: فلان، فقل له: ما اسمك بالبصرة؟ فإنه يقول: فلان، فقل: كذلك الله ربنا في السماء إله، وفي البحار إله، وفي الأرض إله، وفي القفار إله، وفي كل مكان إله»، قال: فقدمت فأتيت أبا شاعر فأخبرته، فقال: هذه نقلت من الحجاز^(٣).

وقال أبو أسامة: سألت أبا عبد الله ﷺ عن قول الله عز وجل: ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾، فنظرت والله إليه وقد لزم الأرض، وهو يقول: «والله عز وجل الذي هو، والله ربي في السماء إله، وفي الأرض

(٣) مجمع البيان: ج ٩، ص ٩٧.

(١) المائدة: ٦٤.

(٢) التوحيد: ص ٣٢٣، ح ١.

إله، وهو الله عز وجل^(١).

وقال السيد الرضي في (الخصائص): قال الأسقف النصراني لعمر: أخبرني - يا عمر - أين الله تعالى؟ قال: فغضب عمر، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا أجيبك وسل عما شئت، كنا عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ أتاه ملك فسلم، فقال له رسول الله ﷺ: من أين أرسلت؟ قال: من سبع سماوات من عند ربي، ثم أتاه ملك آخر فسلم، فقال له رسول الله: من أين أرسلت؟ قال: من سبع أرضين من عند ربي، ثم أتاه ملك آخر فسلم، فقال له رسول الله: من أين أرسلت؟ قال: من مشرق الشمس من عند ربي؛ ثم أتاه ملك آخر، فقال له رسول الله: من أين أرسلت؟ قال: من مغرب الشمس من عند ربي؛ فالله ها هنا وها هنا، في السماء إله، وفي الأرض إله، وهو الحكيم العليم».

قال أبو جعفر عليه السلام: «معناه من ملكوت ربي في كل مكان، ولا يعزب عن علمه شيء تبارك وتعالى»^(٢).

● س ٣٠: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَمْ يُلْمْ أَكْثَرَ الْأَشْيَاءِ وَالَّذِي لَمْ يَلْمُ الْبَشَرَ مِنْ بَيْنِهِمْ وَأَعْلَمُ السَّاعَةَ وَإِلَيْهِ

تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ [سورة الزخرف: ٨٥]!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسي: «وتبارك الذي له ملك السماوات والأرض وما بينهما» أي دامت بركته، فمنه البركات، وإيصال السعادات، وجل عن أن يكون له ولد، أو شبيه، من له التصرف في السماوات والأرض، وفيما بينهما، بلا دافع، ولا منازع «وعنده علم الساعة» أي علم يوم القيامة، لأنه لا يعلم وقته على التعيين غيره «وإليه ترجعون» يوم القيامة، فيجازي كلًّا

(٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٨٩.

(١) الكافي: ج ١، ص ٩٩، ح ١٠.

على قدر عمله^(١).

❁ س ٣١: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٨٦) وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلَ لَهُمْ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلِّمْ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

[سورة الزخرف: ٨٦ - ٨٩]!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: هم الذين قد عبدوا في الدنيا لا يملكون الشفاعة لمن عبدهم، ثم قال رسول الله ﷺ: يا رب ﴿إن هؤلاء قوم لا يؤمنون﴾ فقال الله: ﴿فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون﴾^(٢).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «فلما بعث الله عز وجل محمداً ﷺ سلم له العقب من المستحفظين، وكذبه بنو إسرائيل، ودعا إلى الله عز وجل، وجاهد في سبيله، ثم أنزل الله جل ذكره عليه أن أعلن فضل وصيتك، فقال: إن العرب قوم جفاة، لم يكن فيهم كتاب، ولم يبعث إليهم نبي، ولا يعرفون فضل نبوات الأنبياء، ولا شرفهم، ولا يؤمنون بي إن أنا أخبرتهم بفضل أهل بيتي. فقال الله جل ذكره: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾^(٣)، ﴿وقل سلام فسوف يعلمون﴾، فذكر من فضل وصيته ذكراً، فوقع النفاق في قلوبهم، فعلم رسول الله ﷺ ذلك، فقال الله جل ذكره: ﴿وَلَقَدْ نَمَرْنَاكَ بِبَيْتِكَ يَا بَقِيَّةَ الْاٰمِيْنَ﴾^(٤)، ﴿فَاتَّبَعْتَهُمْ وَكَانُوا كَافِرِينَ﴾^(٥)، ولكنهم يجحدون بغير حجة لهم^(٦).

(١) خصائص أمير المؤمنين عليه السلام: ص ٩٢. (٤) الحجر: ٩٧.

(٢) مجمع البيان: ج ٩، ص ٩٧. (٥) الأنعام: ٣٣.

(٣) النحل: ١٢٧. (٦) الكافي: ج ١، ص ٢٣٣، ح ٣.

تفسير
سورة الأذخا

رقم السورة - ٤٤ -

سورة الدخان

س ١: ما هو فضل سورة الدخان؟!

الجواب/ قال أبو جعفر عليه السلام: «من قرأ سورة الدخان في فرائضه ونوافله، بعثه الله مع الأمنين يوم القيامة تحت عرشه، وحاسبه حساباً يسيراً، وأعطاه كتابه بيمينه»^(١).

ومن (خواص القرآن): روي عن النبي ﷺ، أنه قال: «من قرأ هذه السورة كان له من الأجر بعدد كل حرفٍ منها مائة ألف رقة عتيق، ومن قرأها ليلة الجمعة غفر الله له جميع ذنوبه؛ ومن كتبها وعلقها عليه أمن من كيد الشياطين؛ ومن جعلها تحت رأسه رأى في منامه كل خير، وأمن من قلقه في الليل، وإذا شرب ماءها صاحب الشقيقة برىء، وإذا كتبت وجعلت في موضع فيه تجارة ربح صاحب الموضع، وكثر ماله سريعاً»^(٢).

وقال الصادق عليه السلام: «من كتبها وعلقها عليه أمن من شر كل ملك، وكان مهاباً في وجه كل من يلقاه، ومحبوياً عند الناس، وإذا شرب ماءها نفع من انعصار البطن، وسهل المخرج بإذن الله»^(٣).

س ٢: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿حَمِّ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُنَدِرٍ ۝ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ۝﴾

(١) البرهان: ج ٩، ص ٧.

(٢) نواب الأعمال: ص ١١٤.

(٣) البرهان: ج ٩، ص ٧.

إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾
بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْمِزُونَ ﴿٩﴾ [سورة الدخان: ١ - ٩]؟!

الجواب/ قال سفيان بن سعيد الثوري للإمام الصادق عليه السلام: أخبرني يا ابن رسول الله ﷺ عن **﴿حم﴾** و**﴿حمه عسق﴾** ^(١)؟ قال: «أما **﴿حم﴾** فمعناه الحميد المجيد. وأما **﴿حم عسق﴾** فمعناه الحليم الميثب العالم السميع القادر القوي» ^(٢).

وقال النصراني لأبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام: إني أسألك أصلحك الله؟ قال: «سل»، قال: أخبرني عن الكتاب الذي أنزل على محمد، ونطق به ثم وصفه بما وصفه، فقال: **﴿حم﴾** والكتاب المبين إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم **﴿ما تفسيرها في الباطن؟﴾** فقال: «أما حم فهو محمد ﷺ، وهو في كتاب هود الذي أنزل عليه، وهو منقوص الحروف، وأما الكتاب المبين فهو أمير المؤمنين علي عليه السلام، وأما الليلة ففاطمة عليها السلام، وأما قوله تعالى: **﴿فيها يفرق كل أمر حكيم﴾** يقول: يخرج منها خير كثير، فرجل حكيم، ورجل حكيم، ورجل حكيم».

فقال الرجل: صف لي الأول والآخر من هؤلاء الرجال؟ فقال: «الصفات تشتبه، ولكن الثالث من القوم أصف لك ما يخرج من نسله، وإنه عندكم لفي الكتب التي نزلت عليكم، إن لم تغيروا وتحرفوا وتكفروا وقديماً ما فعلتم».

فقال له النصراني: إني لا أستر عنك ما علمت، ولا أكذبك، وأنت تعلم ما أقول في صدق ما أقول وكذبه، والله لقد أعطاك الله من فضله، وقسم

(٢) معاني الأخبار: ص ٢٢، ح ١.

(١) الشورى: ١ و ٢.

عليك من نعمه ما لا يخطر الخاطرون، ولا يستره الساترون، ولا يكذب فيه من كذب، فقولني لك في ذلك الحق، كل ما ذكرت فهو كما ذكرت... إلى آخر الحديث^(١).

وعن حمران، أنه سأل أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة﴾، قال: «نعم، ليلة القدر، وهي في كل سنة في شهر رمضان في العشر الأواخر، فلم ينزل القرآن إلا في ليلة القدر، قال الله عز وجل: ﴿فيها يفرق كل أمر حكيم﴾» قال: «يقدر في ليلة القدر كل شيء يكون في تلك السنة إلى مثلها من قابل، خير وشر وطاعة ومعصية ومولود وأجل ورزق، فما قدر في تلك السنة وقضى فهو المحتوم، والله عز وجل فيه المشيئة».

قال: قلت: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾^(٢)، أي شيء عنى بذلك؟ قال: «العمل الصالح فيها من الصلاة والزكاة وأنواع الخير، خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، ولولا ما يضاعف الله تبارك وتعالى للمؤمنين ما بلغوا، ولكن الله يضاعف لهم الحسنات بخبتنا»^(٣).

وقال علي بن إبراهيم: ﴿حم والكتاب المبين إنا أنزلناه﴾ يعني القرآن ﴿في ليلة مباركة إنا كنا منذرين﴾، وهي ليلة القدر، أنزل الله القرآن فيها إلى البيت المعمور جملة واحدة، ثم نزل من البيت المعمور على النبي عليه السلام في طول عشرين سنة ﴿فيها يفرق﴾ يعني في ليلة القدر ﴿كل أمر حكيم﴾ أي يقدر الله كل أمر من الحق والباطل، وما يكون في تلك السنة، وله فيه البداء، والمشيشة يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء من الآجال والأرزاق والبلايا

(١) الكافي: ج ١، ص ٣٩٨، ح ٤٠. (٢) الكافي: ج ٤، ص ١٥٧، ح ٦.

(٣) القدر: ٣.

والأمراض، ويزيد فيها ما يشاء، وينقص ما يشاء، ويلقيه رسول الله ﷺ إلى أمير المؤمنين عليه السلام، ويلقيه أمير المؤمنين إلى الأئمة عليهم السلام حتى ينتهي ذلك إلى صاحب الزمان عليه السلام ويشترط له ما فيه البداء والمشينة والتقديم والتأخير.

ثم قال علي بن إبراهيم: حدثني بذلك أبي، عن ابن أبي عمير، عن عبد الله بن مسكان، عن أبي جعفر وأبي عبد الله وأبي الحسن عليهم السلام^(١).

وقال أبو المهاجر: قال أبو جعفر عليه السلام، قال: «يا أبا المهاجر، لا تخفى علينا ليلة القدر، إن الملائكة يطوفون بنا فيها».

قوله تعالى: ﴿رحمة من ربك إنه هو السميع العليم﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ربكم ورب أبائكم الأولين﴾، فهو محكم.

ثم قال: ﴿هل هم في شك يلعبون﴾، يعني في شك مما ذكرناه مما يكون في ليلة القدر^(٢).

● س ٣: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿فَأَرْقَبَ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴿١٦﴾ يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧﴾ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ لَكُمْ لَذِكْرَى وَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ﴿١٨﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مِثْلُنَا عَنَتٌ إِنْ كُنَّا عَابِدُونَ ﴿١٩﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ ﴿٢٠﴾ * وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿٢١﴾ أَنْ أَذُوا إِلَىٰ عَبْدِ اللَّهِ إِنَّ لَكُمْ رَسُولًا أَمِينٌ ﴿٢٢﴾ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَنِ مُبِينٍ ﴿٢٣﴾ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴿٢٤﴾ وَإِنْ لَرَأْيُكُمْ لِي فَاغْلَبُونَ ﴿٢٥﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَبْ لَآئِهِمْ جُودًا فَتَوَلَّىٰ قَوْمًا مِّنْهُمْ مِّنْجُودًا ﴿٢٦﴾ فَآتَىٰ بِبِعَادٍ لِّبَلَاءٍ لَّكُمْ مِّنْجُونٍ ﴿٢٧﴾ وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٨﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا مِنْ جَنَّتٍ

(٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٩٠.

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٩٠.

وَعِوُنٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَارٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعَمَ كَانُوا فِيهَا فَكَاهِنِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ [سورة الدخان: ١٠ - ٢٨]!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم، قوله تعالى: ﴿فارتقب﴾ أي اصبر، ﴿يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾، قال: ذلك إذا خرجوا في الرجعة من القبر^(١).

وقال ابن شهر آشوب: روي أن النبي ﷺ قال: «اللهم العن رعلاً وذكوان، اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم اجعل سنتهم كسنتي يوسف». ففي الخبر أن الرجل منهم كان يلقي صاحبه فلا يمكنه الدنو، فإذا دنا منه لا يبصره من شدة دخان الجوع، وكان يجلب إليهم من كل ناحية، فإذا اشتروه وقبضوه لم يصلوا به إلى بيوتهم حتى يتسوس وينتن، فأكلوا الكلاب الميتة والجيف والجلود، ونبشوا القبور، وأحرقوا عظام الموتى فأكلوها، وأكلت المرأة طفلها، وكان الدخان يتراكم بين السماء والأرض، وذلك قوله تعالى: ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم﴾. فقال أبو سفيان ورؤساء قريش: يا محمد، أتأمرنا بصلة الرحم، فأدرك قومك فقد هلكوا؛ فدعا لهم، وذلك قوله تعالى: ﴿ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون﴾، فقال الله تعالى: ﴿إنا كاشفوا العذاب قليلاً إنكم عائدون﴾، فعاد إليهم الخصب والدعة، وهو قوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا آلِيتِ الَّذِينَ أَطَعَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾^(٢).

نرجع إلى رواية علي بن إبراهيم: ﴿يغشى الناس﴾ كلهم الظلمة،

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٩٠.

(٢) المناقب: ج ١، ص ٨٢ و ١٠٧ فنحوه، البحار: ج ١٦، ص ٤١١، ح ١. والآية من سورة قريش: ٣ و ٤.

فيقولون: ﴿هذا عذاب أليم ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون﴾، فقال الله عز وجل رداً عليهم: ﴿أنى لهم الذكرى﴾، في ذلك اليوم ﴿وقد جاءهم رسول مبين﴾ أي رسول قد تبين لهم: ﴿ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون﴾، قال: قالوا: ذلك لما نزل الوحي على رسول الله ﷺ، وأخذته الغشي، فقالوا: هو مجنون، ثم قال: ﴿إنا كاشفوا العذاب قليلاً إنكم عائدون﴾، يعني إلى يوم القيامة، ولو كان قوله تعالى: ﴿يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾، في القيامة لم يقل: ﴿إنكم عائدون﴾، لأنه ليس بعد الآخرة والقيامة حالة يعودون إليها.

ثم قال: ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى﴾ يعني في القيامة: ﴿إنا منتقمون ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون﴾، أي اختبرناهم ﴿وجاءهم رسول كريم أن أدوا إلى عباد الله﴾، أي ما فرض الله من الصلاة والزكاة والصوم والحج والسنن والأحكام، فأوحى الله إليه: ﴿فأسر بعبادي ليلاً إنكم متبعون﴾، أي يتبعكم فرعون وجنوده ﴿واترك البحر رهوا﴾، أي جانباً، وخذ على الطرف، ﴿إنهم جند مغرورون﴾.

قوله تعالى: ﴿ومقام كريم﴾ أي حسن ﴿ونعمة كانوا فيها فاكهين﴾، قال: النعمة في الأبدان، قوله تعالى: ﴿فاكهين﴾، أي مفاكهين للنساء ﴿كذلك وأورثناها قوماً آخرين﴾، يعني بني إسرائيل^(١).

وقال الشيخ الطبرسي: ﴿لم تؤمنوا لي فاعتزلوني﴾ أي إن لم تصدقوني فاتركوني، لا معي ولا علي. وقيل معناه فاعتزلوا أذاي، ثم ذكر سبحانه تمام قصة موسى بأن قال: ﴿فدعا ربه﴾ أي فدعا موسى ربه حين يش من قومه أن يؤمنوا به فقال: ﴿إن هؤلاء قوم مجرمون﴾ أي مشركون لا يؤمنون. فكانه قال: اللهم عجل لهم مما يستحقونه بكفرهم ما يكونون به نكالا لمن بعدهم.

وما دعا عليهم إلا بعد أن أذن له في ذلك. وقوله: ﴿فأسر بعبادي ليلاً﴾ الفاء وقعت موقع الجواب. والتقدير فأجيب بأن قيل له: فأسر بعبادي. أمره سبحانه أن يسير بأهله وبالمؤمنين به ليلاً، حتى لا يردهم فرعون إذا خرجوا نهاراً، وأعلمه بأنه سيتبعهم فرعون بجنوده، بقوله: ﴿إنكم متبعون واترك البحر رهوا﴾ أي ساكناً على ما هو به إذا قطعتة وعبرته. وكان قد ضربه بالعصا فانفلق لبني إسرائيل، فأمره الله سبحانه أن يتركه كما هو، ليغرق فرعون وقومه. وقيل: رهوا أي منفتحاً منكشفاً حتى يطمع فرعون في دخوله... قال قتادة: لما قطع موسى البحر، عطف ليضرب البحر بعصاه ليلتئم، وخاف أن يتبعه فرعون وجنوده فقيل له: ﴿واترك البحر رهوا﴾ أي كما هو طريقاً يابساً. ﴿إنهم جند مغرورون﴾ سيغفرهم الله تعالى^(١).

س ٤: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ [سورة الدخان: ٢٩]!

الجواب/ قال أمير المؤمنين عليه السلام: «مر عليه رجل عدو لله ولرسوله، فقال: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾، ثم مر عليه الحسين بن علي عليه السلام، فقال: لكن هذا لتبكين عليه السماء والأرض، وقال: وما بكت السماء والأرض إلا على يحيى بن زكريا والحسين بن علي عليه السلام»^(٢).

وقال أبو جعفر عليه السلام: «كان علي بن الحسين عليه السلام يقول: إيما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين بن علي عليه السلام دمعة حتى تسيل على خده، بوأه الله في الجنة غرفاً يسكنها أحقاباً، وإيما مؤمن دمعت عيناه دمعة حتى تسيل على خده لأذى مسناً من عدونا في الدنيا، بوأه الله ميبوأ صدق في الجنة، وإيما

(٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٩١.

(١) مجمع البيان: ج ٩، ص ١٠٦.

مؤمن مسه أذى فينا فدمعت عينا حتى يسيل دمه على خديه من مضاضة ما أودى فينا، صرف [الله] عن وجهه الأذى، وأمنه يوم القيامة من سخطه والنار^(١).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «بكت السماء على يحيى بن زكريا، وعلى الحسين بن علي عليه السلام، أربعين صباحاً، ولم تبك إلا عليهما». قال زرارة: قلت: فما بكاؤهما؟ قال: «كانت تطلع حمراء وتغيب حمراء»^(٢).

❁ س ٥: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُمْ كَانُوا عَلِيًّا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْمَلَأَيْنِ ﴿٣٢﴾ وَأَآيَاتُهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاغٌ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَؤُلَاءَ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَتَوْا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة الدخان: ٣٠-٣٦]!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسي: «من العذاب المهين» يعني قتل الأبناء، استخدام النساء، والاستعباد، وتكليف المشاق «من فرعون إنه كان عالياً» أي متجبراً متكبراً متغلباً. «من المسرفين» أي المجاوزين الحد في الطغيان. وصفه بأنه عال، وإن جاز أن يكون عال صفة مدح، لأنه قيده بأنه عال في الإسراف لأن العالي في الإحسان ممدوح، والعالي في الإساءة مذموم. «ولقد اخترناهم» أي اخترنا موسى وقومه بني إسرائيل، وفضلناهم بالتوراة، وكثرة الأنبياء منهم. «على علم» أي على بصيرة منا باستحقاقهم التفضيل والاختيار «على العالمين» أي على عالمي زمانهم... ويدل عليه قوله تعالى لامة نبينا ﷺ «كنتم خير أمة أخرجت للناس». وقيل: فضلناهم على جميع العالمين في أمر كانوا مخصوصين به، وهو كثرة الأنبياء منهم. «وآتيناهم»

(٢) مجمع البيان: ج ٩، ص ٩٨.

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٩١.

أي وأعطيناهم ﴿من الآيات﴾ يعني الدلالات والمعجزات مثل فلق البحر، وتظليل الغمام، وإنزال المن والسلوى. ﴿ما فيه بلاء مبين﴾ أي ما فيه النعمة الظاهرة... وقيل: ما فيه شدة وامتحان مثل العصا، واليد البيضاء. فالبلاء يكون بالشدّة والرخاء... فيكون في الآيات نعمة على الأنبياء وقومهم، وشدّة على الكفار المكذّبين بهم.

ثم أخبر سبحانه عن كفار قوم نبينا ﷺ الذين ذكّروهم في أول السورة فقال: ﴿إن هؤلاء ليقولون إن هي إلا موتتنا الأولى﴾ أي ما الموتة إلا موتة نموتها في الدنيا، ثم لا نبعث بعدها، وهو قوله: ﴿وما نحن بمُنشِرين﴾ أي بمبعوثين، ولا معادين ﴿فأتوا بآبائنا﴾ الذين ماتوا قبلنا، وأعيدوهم ﴿إن كنتم صادقين﴾ في أن الله تعالى يقدر على إعادة الأموات وإحيائهم. وقيل: إن قائل هذا أبو جهل بن هشام قال: إن كنت صادقاً فابعث جدك قصي بن كلاب، فإنه كان رجلاً صادقاً، لنسأله عما يكون بعد الموت. وهذا القول جهل من أبي جهل من وجهين أحدهما: إن الإعادة إنما هي للجزاء، لا للتكليف. وليست هذه الدار بدار جزاء، ولكنها دار تكليف، فكأنه قال: إن كنت صادقاً في إعادتهم للجزاء، فأعدهم للتكليف. والثاني: إن الإحياء في دار الدنيا إنما يكون للمصلحة، فلا يقف ذلك على اقتراحهم، لأنه ربما تعلق بذلك مفسدة^(١).

وقال أبو جعفر عليه السلام: قوله عز وجل: ﴿ولقد اخترناهم على علم على العالمين﴾، قال: «الأئمة من المؤمنين، وفضلناهم على من سواهم»^(٢).

وقال عبد الله بن عباس: كان رجل على عهد عمر بن الخطاب، له إبل بناحية أذربايجان، قد استصعبت عليه جملة فمنعت جانبها، فشكا إليه ما قد

(١) مجمع البيان: ج ٩، ص ١١٠ - ١١١. (٢) تأويل الآيات: ج ٢، ص ٥٧٤، ح ٢.

نال وأنه كان معاشه منها، فقال له: اذهب فاستغث الله عزّ وجلّ، فقال الرجل: ما أزال أدعو وأبتهل إليه، فكلما قربت منها حملت علي. قال: فكتب له رقعة فيها: من عمر أمير المؤمنين إلى مرّة الجن والشياطين أن تذللوا هذه المواشي له. قال: فأخذ الرجل الرقعة ومضى، فاغتمت لذلك غمّاً شديداً، فلقيت أمير المؤمنين علياً (عليه السلام) فأخبرته بما كان، فقال: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ليعودن بالخيبة»، فهدأ ما بي، وطالت علي سنتي، وجعلت أرُقب كل من جاء من أهل الجبال، فإذا أنا بالرجل قد وافى وفي جبهته شجّة تكاد اليد تدخل فيها، فلما رأيته بادرت إليه، فقلت له: ما وراءك؟ فقال: إني صرت إلى الموضع، ورميت بالرقعة، فحمل علي عداد منها، فهالني أمرها، فلم تكن لي قوة بها، فجلست فرمحنى^(١) أحدها في وجهي، فقلت: اللهم اكفنيها، فكلها يشد علي ويريد قلبي، فانصرفت عني، فسقطت فجاء أخ لي فحملني، ولست أعقل، فلم أزل أتعالج حتى صلحت، وهذا الأثر في وجهي، فجنّت لأعلمه بعني عمر. فقلت له: صر إليه فأعلمه. فلما صار إليه، وعنده نفر، فأخبره بما كان فزبره، وقال له: كذبت لم تذهب بكتابي، قال: فحلف الرجل بالله الذي لا إله إلا هو، وحق صاحب هذا القبر، لقد فعل ما أمره به من حمل الكتاب، وأعلمه أنه قد ناله منها ما يرى، قال: فزبره وأخرجه عنه.

فمضيت معه إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)، فتبسم ثم قال: «ألم أقل لك»، ثم أقبل على الرجل، فقال له: «إذا انصرفت فصر إلى الموضع الذي هي فيه، وقل: اللهم إني أتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة، وأهل بيته الذين اخترتهم على علم على العالمين، اللهم فذل لي صعوبتها وحزانتها، واكفني شرها، فإنك

(١) رمحت الدابة فلاناً: رفته. «أقرب الموارد - ومع - ج ١، ص ٤٣».

الكافي المعافي الغالب القاهر» .

فانصرف الرجل راجعاً، فلما كان من قابل قدم الرجل ومعه جملة قد حملها من أثمانها إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، فصار إليه وأنا معه، فقال له: «تخبرني أو أخبرك؟» فقال الرجل: بل تخبرني، يا أمير المؤمنين، قال: «كأنك صرت إليها، فجاءتك ولاذت بك خاضعة ذليلة، فأخذت بنواصيها واحداً بعد آخر» فقال: صدقت يا أمير المؤمنين، كأنك كنت معي، فهذا كان، فتفضل بقبول ما جنتك به. فقال: «امض راشداً، بارك الله لك فيه»، فبلغ الخبر عمر فغمه ذلك حتى تبيّن الغم في وجهه، فانصرف الرجل وكان يحج كل سنة ولقد أنمى الله ماله .

قال: وقال: أمير المؤمنين عليه السلام : «كل من استصعب عليه شيء من مال أو أهل أو ولد أو أمر فرعون من الفراعنة فليبتهل بهذا الدعاء فإنه يكفي مما يخاف، إن شاء الله تعالى»^(١) .

❁ ٦: ما هو معنى قوله تعالى :

﴿أَهْمَ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبِيعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعِبَادِكُمْ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة الدخان: ٣٧ - ٣٩]! ومن هم قوم تبع؟!

الجواب/ أقول: لقد كانت أرض اليمن - الواقعة في جنوب الجزيرة العربية - من الأراضي العامرة الغنية، وكانت في الماضي مهد الحضارة والتمدن، وكان يحكمها ملوك يسمون تبعاً - وجمعها تبابعة - لأن قومهم كانوا يتبعونهم، أو لأن أحدهم كان يخلف الآخر ويتبعه في الحكم.

(١) خصائص الأئمة عليهم السلام : ص ٤٨.

ومهما يكن، فقد كان قوم تبع يشكلون مجتمعاً قوياً في عدته وعدده، ولهم حكومتهم الواسعة المترامية الأطراف. وهذه الآيات تواصل البحث حول مشركي مكة وعنادهم وإنكارهم للمعاد - فتهدد أولئك المشركين من خلال الإشارة إلى قصة قوم تبع، بأن ما ينتظركم ليس العذاب الإلهي في القيامة وحسب، بل سوف تلاقون في هذه الدنيا أيضاً مصيراً كمصير قوم تبع المجرمين الكافرين، فتقول: ﴿أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم أهلكتناهم إنهم كانوا مجرمين﴾.

من المعلوم أن سكان الحجاز كانوا مطلعين على قصة قوم تبع الذين كانوا يعيشون في جوارهم، ولذلك لم تفصل الآية كثيراً في أحوالهم، بل اكتفت بالقول: أن احذروا أن تلاقوا نفس المصير الذي لاقاه أولئك الأقوام الآخرون الذين كانوا يعيشون قربكم وحواليكم، وفي مسيركم إلى الشام، وفي أرض مصر. فعلى فرض أن بإمكانكم إنكار القيامة، فهل تستطيعون أن تنكروا العذاب الذي نزل بساحة هؤلاء القوم المجرمين العاصين؟

والمراد من ﴿الذين من قبلهم﴾ أمثال قوم نوح وعاد وثمود.

وسنبحث المراد من قوم تبع، في ما يأتي، إن شاء الله تعالى.

ثم تعود الآية التي بعدها إلى مسألة المعاد مرة أخرى، وتثبت هذه الحقيقة باستدلال رائع، فتقول: ﴿وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا عيين﴾.

نعم، فإن لهذا الخلق العظيم الواسع هدفاً، فإذا كان الموت بزعمكم خط نهاية الحياة، بعد أيام تمضي من المأكل والمشرب والمنام وقضاء الشهوات الحيوانية، وبعد ذلك ينتهي كل شيء بالموت، فسيكون هذا الخلق لعباً ولهواً وعبثاً، لا فائدة من ورائه ولا هدف.

ولا يمكن التصديق بأن الله القادر الحكيم قد خلق هذا النظام والخلق العظيم من أجل عدة أيام سريعة الانقضاء لا هدف من ورائها، مع ما تقترب به أيام الحياة هذه من أنواع الآلام والمصائب والمصاعب، أفينتهي كل شيء بانتهائها؟! إن هذا الأمر لا ينسجم مطلقاً مع حكمة الله .

بناءً على هذا، فإن مشاهدة وضع هذا العالم وتنظيمه، تلزم بأنه مدخل وممر إلى عالم أعظم أبدي، فلماذا لا تفكرون في ذلك؟

لقد ذكر القرآن الكريم هذه الحقيقة مراراً في سورة المختلفة، فيقول في الآية (١٦ - سورة الأنبياء): ﴿وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين﴾ .

ويقول في سورة الواقعة - الآية : ٦٢ : ﴿ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون﴾ .

وعلى أية حال، فإن هنالك غاية وراء خلق هذا العالم إذ أن هناك عالماً آخر يتبعه، ولهذا تعتقد المذاهب الإلحادية والمنكرة للمعاد بأن هذا الخلق عبث لا فائدة من ورائه ولا هدف .

ثم تضيف الآية التي بعدها لتأكيد الكلام: ﴿وما خلقناهما إلا بالحق﴾ . إن كون هذا الخلق حقاً يوجب أن يكون له هدف عقلائي، وذلك الهدف لا يتحقق إلا بوجود عالم آخر. إضافة إلى أن كونه حقاً يقضي بأن لا يتساوى المحسنون والمسيئون، ولما كنا نرى كل واحد من هاتين الفئتين قلماً يرى جزاء عمله في هذه الدنيا، فلا بد من وجود عالم آخر يجري فيه الحساب والثواب والعقاب، ليتلقى كل إنسان جزاء عمله، خيراً أم شراً .

وخلاصة القول، فإن الحق في هذه الآية إشارة إلى هدف الخلق الصائب، واختبار البشر وقانون التكامل، وكذلك تنفيذ أصول العدالة: ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ لأنهم لا يعلمون الفكر في التوصل إلى الحقائق،

ولا فإن أدلة المبدأ والمعاد واضحة بيّنة .

(من هم قوم تبع)؟

لقد وردت كلمة (تبع) في القرآن الكريم مرتين فقط: مرة في الآيات مورد البحث، وأخرى في الآية ١٤ من سورة (ق) حيث تقول: ﴿وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد﴾.

وكما أشرنا من قبل، فإن تبعاً كان لقباً عاماً لملوك اليمن، ككسرى لسلاطين إيران، وخاقان لملوك الترك، وفرعون لملوك مصر، وقيصر لسلاطين الروم.

وكانت كلمة (تبع) تطلق على ملوك اليمن من جهة أنهم كانوا يدعون الناس إلى اتباعهم، أو لأن أحدهم كان يتبع الآخر في الحكم.

لكن يبدو أن القرآن الكريم يتحدث عن أحد ملوك اليمن خاصة - كما أن فرعون المعاصر لموسى عليه السلام، والذي يتحدث عنه القرآن كان معيناً ومحددأ - وورد في بعض الروايات أن اسمه كان (أسعد أبا كرب).

ويعتقد بعض المفسرين أنه كان رجلاً طالب حق مؤمناً، واعتبروا تعبير «قوم تبع» الذي ورد في آيتين من القرآن دليلاً على ذلك، حيث أنه لم يذم في هاتين الآيتين، بل ذم قومه، والرواية المروية عن النبي ﷺ شاهدة على ذلك، ففي هذه الرواية أنه ﷺ: «لا تسبوا تبعاً فإنه كان قد أسلم»^(١).

وجاء في حديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «إن تبعاً قال للأوس والخزرج: كونوا ها هنا حتى يخرج هذا النبي، أما لو أدركته لخدمته وخرجت معه»^(٢).

(١) مجمع البيان: مجلد ٩، ص ٦٦، روح المعاني: مجلد ٢٥، ص ١١٦.

(٢) مجمع البيان: ج ٩، ص ٦٦.

وورد في رواية أخرى: إن تبعاً لما قدم المدينة - من أحد أسفاره - ونزل بفنائها، بعث إلى أحبار اليهود الذين كانوا يسكنونها فقال: إني مخرب هذا البلد حتى لا تقوم به يهودية، ويرجع الأمر إلى دين العرب.

فقال له شامول اليهودي - وهو يومئذ أعلمهم -، أيها الملك إن هذا بلد يكون إليه مهاجر نبي من بني إسماعيل، مولده بمكة اسمه أحمد، ثم ذكروا له بعض شمائل نبي الإسلام ﷺ فقال تبع - وكأنه كان عالماً بالأمر -: ما إلى هذا البلد من سبيل، وما كان ليكون خرابها على يدي^(١).

بل ورد في رواية في ذيل تلك القصة أنه قال لمن كان معه من الأوس والخزرج: أقيموا بهذا البلد، فإن خرج النبي الموعود فأزروه وانصروه، وأوصوا بذلك أولادكم، حتى أنه كتب رسالة أودعهم إياها ذكر فيها إيمانه بالرسول الأعظم ﷺ^(٢).

ويروي صاحب أعلام القرآن أن تبعاً كان أحد ملوك اليمن الذين فتحوا العالم، فقد سار بجيشه إلى الهند واستولى على كل بلدان تلك المنطقة. وقد قاد جيشاً إلى مكة، وكان يريد هدم الكعبة، فأصابه مرض عضال عجز الأطباء عن علاجه.

وكان من بين حاشيته جمع من العلماء، كان رئيسهم حكيماً يدعى شامول، فقال له: إن مرضك بسبب سوء نيتك في شأن الكعبة، وستشفى إذا صرفت ذهنك عن هذه الفكرة واستغفرت، فرجع تبع عما أراد ونذر أن يحترم الكعبة، فلما تحسن حاله كسا الكعبة ببرد يمانى.

وقد وردت قصة كسوة الكعبة في تواريخ أخرى حتى بلغت حد التواتر. وقد حدث تحرك الجيش هذا، ومسألة كسوة الكعبة في القرن الخامس

(١) روح المعاني: مجلد ٢٥، ص ١١٨. (٢) المصدر السابق.

الميلادي، ويوجد اليوم في مكة مكان يسمى دار التبابعة. وعلى أية حال، فإن القسم الأعظم من تأريخ ملوك التبابعة في اليمن لا يخلو من الغموض من الناحية التاريخية، حيث لا نعلم كثيراً عن عددهم، ومدة حكومتهم، وربما نواجه في هذا الباب روايات متناقضة، وأكثر ما ورد في الكتب الإسلامية، سواء كتب التفسير أو التأريخ أو الحديث، يتعلق بذلك الملك الذي أشار إليه القرآن في موضعين.

❁ س ٧: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿إِنَّ يَوْمَ الْقَيْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَنْ رَجِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾﴾
[سورة الدخان: ٤٠ - ٤٢]!

الجواب/ قال أبو عبد الله عليه السلام - في حديث أبي بصير -: «يا أبا محمد، ما استثنى الله عز ذكره بأحد من أوصياء الأنبياء ولا أتباعهم ما خلا أمير المؤمنين عليه السلام وشيعته، فقال في كتابه وقوله الحق: «يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون إلا من رحم الله»، يعني بذلك علياً عليه السلام وشيعته»^(١).

وقال أبو أسامة زيد الشحام: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام ليلة الجمعة، فقال لي: «اقرأ». فقرأت، ثم قال: «اقرأ». فقرأت، ثم قال: «يا شحام، اقرأ فإنها ليلة قرآن».

فقرأت حتى إذا بلغت «يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون»، قال: «هم»، قال: قلت: «إلا من رحم الله»، قال: «نحن القوم الذين رحم الله ونحن القوم الذين استثنى الله، وأنا والله نغني عنهم»^(٢).

(٢) تناول الآيات: ج ٢، ص ٥٧٤، ح ٣.

(١) الكافي: ج ٨، ص ٣٥، ح ٦.

وقال علي بن إبراهيم: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَغْنِي مَوْلَىٰ عَنْ مَوْلَىٰ شَيْئًا﴾، قال: من والى غير أولياء الله لا يغني بعضهم عن بعض، ثم استثنى من والى آل محمد، فقال: ﴿إِلَّا مِنْ رَحِمِ اللَّهِ﴾^(١).

❁ سر ٨: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿إِنَّ شَجَرَتَ الرَّقُودِ ۖ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ۖ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ۖ ﴿٤٥﴾ كَغَلِي الْحَمِيمِ ۖ ﴿٤٦﴾ خَذُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْحَمِيمِ ۖ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُوبُوا قَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ۖ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ۖ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ۖ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة الدخان: ٤٣ - ٥٠]!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: ﴿إن شجرت الزقوم طعام الأثيم﴾، نزلت في أبي جهل بن هشام، قوله تعالى: ﴿كالمهل﴾ قال: الصفر المذاب: ﴿يغلى في البطن كغلي الحميم﴾، وهو الذي قد حمي وبلغ المنتهى، ثم قال: ﴿خذوه فاعتلوه﴾، أي اضغطوه من كل جانب، ثم انزلوا به: ﴿إلى سواء الجحيم﴾، ثم يصب عليه ذلك الحميم، ثم يقال له: ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾. فلفظه خبر ومعناه حكاية عمّن يقول له ذلك، وذلك أن أبا جهل كان يقول: أنا العزيز الكريم، فيعبر بذلك في النار^(٢).

أقول: ويضيف القرآن الكريم في آخر آية - من الآيات مورد البحث - مخاطباً إياهم: ﴿إن هذا ما كنتم به تمترون﴾ فكم ذكرناكم بحقانية هذا اليوم وحقيقته في مختلف آيات القرآن وبمختلف الأدلة؟!

الم نقل لكم:

﴿كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾^(٣).

(٣) ق: ١١.

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٩٢.

(٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٩٢.

الم نقل: ﴿كَذَلِكَ الشُّورُ﴾^(١).

الم نقل: ﴿وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾^(٢).

الم نقل: ﴿أَفَتَبَيَّنَّا بِالْأَوَّلِ﴾^(٣).

وختلاصة القول: قد قلنا لكم الحقيقة وأوضحناها بطرق مختلفة، لكن

لم تكن لكم أذان تسمعون بها.

س ٩: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُوبٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ
وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْخُلُونَ فِيهَا بِكُلِّ
فَكَهْمَةٍ ءَامِينٍ ﴿٥٥﴾ لَا يَدْخُلُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّعَتْهُمُ
عَذَابٌ لَّجِيمٌ ﴿٥٦﴾ فَضَلَّ مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمَطِينُ ﴿٥٧﴾ إِنَّمَا يَنْتَرِثُهُ
بِإِسَائِكَ لِمَالِهِمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَارْتَوَيْبٌ إِنَّهُمْ مُرْتَبِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾
[سورة الدخان: ٥١ - ٥٩]!

الجواب/ قال أبو عبد الله عليه السلام: «أيما عبد أقبل قبل ما يحب الله عز وجل أقبل الله قبل ما يحب، ومن اعتصم بالله عصمه الله، ومن أقبل الله قبله وعصمه لم يبال ولو سقطت السماء على الأرض، أو كانت نازلة نزلت على أهل الأرض فشملتهم بلية كان في حزب الله بالتقوى من كل بلية، أليس الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾»^(٤).

وعن سعد الخفاف، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «يا سعد، تعلموا القرآن، فإن القرآن يأتي يوم القيامة في أحسن صورة نظر إليها الخلق، والناس صفوف عشرون ومائة ألف صف، ثمانون ألف صف أمة محمد. وأربعون

(٣) ق: ١٥.

(١) فاطر: ٩.

(٤) الكافي: ج ٢، ص ٥٣، ح ٤.

(٢) التباين: ٧.

ألف صف من سائر الأمم، فيأتي على صف المسلمين في صورة رجل، فيسلم فينظرون إليه، ثم يقولون: لا إله إلا الله الحليم الكريم إن هذا الرجل من المسلمين، نعرفه بنعته وصفته، غير أنه كان أشد اجتهاداً منا في القرآن، فمن هناك أعطي من الجمال والبهاء والنور ما لم نعطه.

ثم يجاوز حتى يأتي على صف الشهداء فينظر إليه الشهداء. ثم يقولون: لا إله إلا الله الرب الرحيم، إن هذا الرجل من الشهداء، نعرفه بسمته وصفته غير أنه من شهداء البحر، فمن هناك أعطي من البهاء والفضل ما لم نعطه.

قال: «فيجاوز حتى يأتي على صف شهداء البحر في صورة شهيد، فينظر إليه شهداء البحر، فيكثر تعجبهم، ويقولون: إن هذا من شهداء البحر، نعرفه بسمته وصفته، غير أن الجزيرة التي أصيب فيها كانت أعظم هولاً من الجزيرة التي أصبنا فيها، فمن هناك أعطي من البهاء والجمال والنور ما لم نعطه.

ثم يجاوز حتى يأتي صف النبيين والمرسلين في صورة نبي مرسل، فينظر النبيون والمرسلون إليه، فيشتد لذلك تعجبهم، ويقولون: لا إله إلا الله الحليم الكريم، إن هذا النبي مرسل، نعرفه بسمته وصفته، غير أنه أعطي فضلاً كثيراً». قال: «فيجتمعون فيأتون رسول الله ﷺ، فيسألونه ويقولون: يا محمد، من هذا؟ فيقول لهم: أو ما تعرفونه؟ فيقولون: ما نعرفه، هذا ممن لا يغضب الله عز وجل عليه، فيقول رسول الله ﷺ: هذا حجة الله على خلقه؛ فيسلم ثم يجاوز حتى يأتي على صف الملائكة في صورة ملك مقرب، فينظر إليه الملائكة، فيشتد تعجبهم ويكبر ذلك عليهم، لما رأوا من فضله، ويقولون: تعالي ربنا وتقدس، إن هذا العبد من الملائكة نعرفه بسمته وصفته، غير أنه كان أقرب الملائكة إلى الله عز وجل مقاماً، فمن هناك ألبس من النور والجمال ما لم نلبس.

ثم يتجاوز حتى يأتي رب العزة تبارك وتعالى، فيختر تحت العرش،

فيناديه تبارك وتعالى: يا حجتى فى الأرض، وكلامى الصادق الناطق، ارفع رأسك، وسل تعطى، واشفع تشفع. فيرفع رأسه فيقول الله تبارك وتعالى: كيف رأيت عبادى؟ فيقول: يا رب منهم من صاننى، وحافظ عليّ، ولم يضع شيئاً، ومنهم من ضيّعنى واستخفّ بحقى، وكذب بى، وأنا حجتك على جميع خلقك. فيقول الله تبارك وتعالى: وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني، لأثيبنّ عليك اليوم أحسن الثواب، ولأعاقبنّ عليك اليوم أليم العقاب».

قال: «فيرفع القرآن رأسه فى صورة أخرى». قال: فقلت: يا أبا جعفر، فى أيّ صورة يرجع؟ قال: «فى صورة رجل شاحب متغير، يبصره أهل الجمع، فيأتي الرجل من شيعتنا الذي كان يعرفه، ويجادل به أهل الخلاف، فيقوم بين يديه، فيقول: ما تعرفني؟ فينظر إليه الرجل، فيقول: ما أعرفك يا عبد الله. قال: فيرجع فى الصورة التي كان فى الخلق الأول: فيقول: ما تعرفني؟ فيقول: نعم، فيقول القرآن: أنا الذي أسهرت ليلك وأنصبت عيشك وسمعت الأذى، ورجمت بالقول فى، ألا وإن كل تاجر قد استوفى تجارته، وأنا وراءك اليوم».

قال: «فينطلق به إلى رب العزة تبارك وتعالى، فيقول: يا رب عبدك وأنت أعلم به، قد كان نصباً بى، مواظباً عليّ، يعادي بسببى، ويحب بى ويبغض. فيقول الله عزّ وجلّ: ادخلوا عبادى جنتي، واكسوه حلة من حلل الجنة، وتوجوه بتاج الكرامة. فإذا فعل به ذلك عرض على القرآن، فيقال له: هل رضيت بما صنع بوليك؟ فيقول: يا رب، إنى أستقل هذا له، فزده مزيد الخير كله، فيقول: وعزتي وجلالي وعلويّ وارتفاع مكاني، لأنحلن له اليوم خمسة أشياء، مع المزيد له ولمن كان بمنزلته: ألا إنهم شباب لا يهرمون، وأصحاء لا يسقمون، وأغنياء لا يفتقرون، وفرحون لا يحزنون، وأحياء لا يموتون؛ ثم تلا هذه الآية: ﴿لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى﴾».

قال: قلت: يا أبا جعفر، هل يتكلم القرآن؟ فتبسم، ثم قال: «رحم الله الضعفاء من شيعتنا، إنهم أهل تسليم»، ثم قال: «نعم - يا سعد - والصلاة تتكلم، ولها صورة وخلق، تأمر وتنهاي».

قال سعد: فتغير لذلك لوني وقلت: هذا شيء لا أستطيع أن أتكلم به في الناس! فقال أبو جعفر عليه السلام: «وهل الناس إلا شيعتنا، فمن لم يعرف الصلاة فقد أنكر حقنا»، ثم قال: «يا سعد أسمعك كلام القرآن؟» قال سعد: قلت: بلى، صلى الله عليك فقال: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾^(١)، فالنهي كلام، والفحشاء والمنكر رجال ونحن ذكر الله ونحن أكبر^(٢).

وقال علي بن إبراهيم: ثم وصف ما أعده للمتقين من شيعه أمير المؤمنين عليه السلام، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ يعني في الجنة غير الموته التي في الدنيا، ﴿ووقاهم عذاب الجحيم﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فارتقب إنهم مرتقبون﴾، أي انتظر إنهم منتظرون^(٣).

وقال علي بن إبراهيم: قال ابن عباس، في قوله تعالى: ﴿فإننا يسرناه بلسانك﴾، قال: يريد ما يسر من نعمة الجنة وعذاب النار، يا محمد: ﴿لعلهم يتذكرون﴾، يريد لكي يتعظ المشركون، ﴿فارتقب إنهم مرتقبون﴾، تهديد من الله ووعيد، وانتظر إنهم منتظرون^(٤).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «لولا تيسيره لما قدر أحد من خلقه أن يتلفظ بحرف من القرآن، وأنى لهم ذلك وهو كلام من لم يزل ولا يزال»^(٥).

(٤) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٩٢.

(١) العنكبوت: ٤٥.

(٥) تفسير روح البيان: المجلد ٨، ص ٤٣٣.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٤٣٦، ح ١.

(٣) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٩٢.

تفسير
سورة الجاثية

رقم السورة: - ٤٥ -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الجاثية

س ١: ما هو فضل سورة الجاثية؟!

الجواب/ قال أبو عبد الله عليه السلام: «من قرأ سورة الجاثية كان ثوابها أن لا يرى النار أبداً، ولا يسمع زفير جهنم ولا شهيقها، وهو مع محمد صلى الله عليه وآله»^(١).

ومن (خواص القرآن): روي عن النبي صلى الله عليه وآله، أنه قال: «من قرأ هذه السورة سكن الله روحه يوم القيامة إذا جثا على ركبتيه وسترت عورته، ومن كتبها وعلقها عليه أمن من سطوة كل جبار وسلطان، وكان مهاباً محبوباً وجيهاً في عين كل من يراه من الناس، فضلاً من الله عز وجل»^(٢).

وقال الصادق عليه السلام: «من كتبها وعلقها عليه أمن من شر كل نمام، وليس يغترب عند الناس أبداً، وإذا علقت على الطفل حين يسقط من بطن أمه، كان محفوظاً ومحروساً بإذن الله تعالى»^(٣).

س ٢: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿حَمَّ ۝ تَنْزِيلَ الْكِتَابِ مِنْ أَفْهٍ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابَّهِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝ وَأَخْلَفَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيْفِ الرِّيحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝﴾ [سورة الجاثية: ١ - ٥]؟!

الجواب/ ﴿حَمَّ﴾: قال سفيان بن سعيد الثوري للإمام الصادق عليه السلام:

(٣) خواص القرآن: ص ٥٠ «مخطوط».

(١) نواب الأعمال: ص ١١٤.

(٢) البرهان: ج ٩، ص ٣١.

أخبرني يا بن رسول الله عليه السلام عن «حم» و«حم عسق»؟ قال: «أما «حم» فمعناه الحميد المجيد. وأما «حم عسق» فمعناه: الحليم المثيب العالم السميع القادر القوي»^(١).

أقول: وقوله «العزیز» هو القوي الذي لا يقهر، والحكيم هو العارف أسرار كل شيء، وتقوم كل أفعاله على أساس الحكمة والدقة، ومن الواضح أن الحكمة التامة والقوة اللامحدودة من لوازم تنزيل مثل هذا الكتاب العظيم، وهما غير موجودتين إلا في الله العزيز المتعال.

وقال علي بن إبراهيم: في قوله تعالى: «إن في السماوات والأرض آيات للمؤمنين» وهي النجوم والشمس والقمر، وفي الأرض ما يخرج منها من أنواع النبات للناس والدواب آيات لقوم يعقلون^(٢).

وقال هشام بن الحكم: قال لي أبو الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام: يا هشام، إن الله تبارك وتعالى بشر أهل العقل والفهم في كتابه، فقال: «فَبَيَّرَ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَسْمِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُوا الْأَلْبَابِ»^(٣).

يا هشام، إن الله تبارك وتعالى أكمل للناس الحجج بالعقول، ونصر النبيين بالبيان، ودلهم على ربوبيته بالأدلة، فقال: «وَاللَّهُمَّ إِنَّا نَعْبُدُكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَاقِ الَّذِي يَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنَا بِنَعْمِ الْإِنْسَانِ وَمَا أُنزِلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَنجَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَنَىٰ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَجِّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ»^(٤).

(٣) الزمر: ١٧ و١٨.

(١) معاني الأخبار: ص ٢٢، ح ١.

(٤) البقرة: ١٦٣، ١٦٤.

(٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٩٣.

يا هشام، قد جعل الله ذلك دليلاً على معرفته بأن لهم مديراً، فقال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(١). وقال: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُفُوسٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُوَفِّي مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُّسَمًّى وَلَمَّا كُمْتُمْ تَقُولُونَ﴾^(٢). وقال: ﴿وَالنَّيْلَ وَاللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَآخَا بِهِ الْأَرْضُ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٣).

وقال علي بن إبراهيم: في قوله تعالى: ﴿وتصريف الرياح﴾ آيات لقوم يعقلون، أي يجيء من كل جانب وربما كانت حارة، وربما كانت باردة، ومنها ما يسير السحاب، ومنها ما يسطر الرزق في الأرض، ومنها ما يلحق الشجر^(٤).

وقال أبو بصير: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الرياح الأربع: الشمال، والجنوب، والصباء، والديبور، وقلت: إن الناس يذكرون أن الشمال من الجنة والجنوب من النار؟

فقال: «إن الله عز وجل جنوداً من رياح، يعذب بها من يشاء ممن عصاه، فلكل ریح منها ملك موكل بها، فإذا أراد الله عز ذكره أن يعذب قوماً بنوع من العذاب أوحى إلى الملك الموكل بذلك النوع من الرياح التي يريد أن يعذبهم بها - قال - فيأمرها الملك فتهيج كما يهيج الأسد المغضب - قال - ولكل ریح منها اسم، أما تسمع قول الله عز وجل: ﴿رِيحًا صَوَّارًا﴾^(٥)، وقال: ﴿الرِّيْحَ الْعَقِيمَ﴾^(٦)، وقال: ﴿رِيْحٍ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٧)، وقال: ﴿فَأَسَابَهَا بِعَصَا رِجِّهِمُ الْفِتْرَةَ﴾^(٨).

(٥) القمر: ١٨، ١٩.

(١) النحل: ١٢.

(٦) الذاريات: ٤١.

(٢) غافر: ٦٧.

(٧) الأحقاف: ٢٤.

(٣) الكافي: ج ١، ص ١٠، ح ١٢.

(٤) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٩٣.

فِيهِ نَارٌ فَأَحْرَقَتْ^(١)؟ وما ذكر من الرياح التي يعذب الله بها من عصاه.

قال: «والله عز ذكره رياح رحمة لواقع وغير ذلك، ينشرها بين يدي رحمته، منها ما يهب السحاب للمطر، ومنها رياح تجس السحاب بين السماء والأرض، ورياح تعصر السحاب فتمطره بإذن الله، ومنها رياح مما عدد الله في الكتاب، فأما الرياح الأربع: الشمال، والجنوب، والصبا، والدبور، فإنما هي أسماء الملائكة الموكلين بها، فإذا أراد الله أن تهب شمالاً، أمر الملك الذي اسمه الشمال، فيهبط على البيت الحرام، فقام على الركن الشامي، فضرب بجناحه، فتفرقت ريح الشمال حيث يريد الله من البر والبحر، وإذا أراد الله أن تبعث جنوباً، أمر الملك الذي اسمه الجنوب، فيهبط على البيت الحرام، فقام على الركن الشامي، فضرب بجناحه، فتفرقت ريح الجنوب في البر والبحر حيث يريد الله عز وجل، وإذا أراد الله عز وجل أن يبعث ريح الصبا، أمر الملك الذي اسمه الصبا، فيهبط على البيت الحرام، فقام على الركن الشامي، فضرب بجناحه، فتفرقت ريح الصبا حيث يريد الله عز وجل في البر والبحر، وإذا أراد الله أن يبعث دبوراً، أمر الملك الذي اسمه الدبور، فهبط على البيت الحرام، فقام على الركن الشامي، فضرب بجناحه، فتفرقت ريح الدبور حيث يريد الله من البر والبحر».

ثم قال أبو جعفر عليه السلام: «أما تسمع لقوله: ريح الشمال، وريح الجنوب، وريح الدبور، وريح الصبا؟ إنما تضاف إلى الملائكة الموكلين بها»^(٢).

وقال يحيى بن النعمان: كنت عند الحسين عليه السلام، إذ دخل عليه رجل من العرب مثلثاً أسمر شديد السمرة، فسلم فرد الحسين عليه السلام، فقال: يا بن

(٢) الكافي: ج ٨، ص ٩١، ح ٦٣.

(١) البقرة: ٢٦٦.

رسول الله، مسألة؟ فقال: «هات». فقال: كم بين الإيمان واليقين؟ قال: «أربع أصابع»، قال: كيف؟ قال: «الإيمان ما سمعناه، واليقين ما رأيناه، وبين السمع والبصر أربع أصابع»^(١).

❁ س ٣: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ سَأَلْتَهُ بِأَلْهَامٍ مِنْ رَبِّكَ يَقُولُ بِالَّذِي نَحْنُ فِيهِ بِرَبِّكَ إِنَّ رَبَّكَ جَاهِلٌ بِالَّذِي يَخْتَصِرُ بِاللَّهِ إِنَّ رَبَّكَ لَإِلَهٌ مُبِينٌ﴾

[سورة الجاثية: ٦]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسي: لما قدم سبحانه ذكر الأدلة، عقب ذلك بالوعيد لمن أعرض عنها، ولم يتفكر فيها، فقال: ﴿تلك آيات الله﴾ أي ما ذكرناه أدلة الله التي نصبها لخلق المكلفين ﴿تتلوها عليك﴾ أي نقرأها عليك يا محمد لتقرأها عليهم ﴿بالحق﴾ دون الباطل. والتلاوة: الإتيان بالثاني في أثر الأول في القراءة. والحق الذي تتلى به الآيات هو كلام مدلوله على ما هو به في جميع أنواعه. ﴿فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون﴾ معناه: إن هؤلاء الكفار إن لم يصدقوا بما تلوناه عليك، فبأي حديث بعد حديث الله، وهو القرآن وآياته، يصدقون، وبأي كلام ينتفعون. وهذا إشارة إلى أن المعاند لا حيلة له. والفرق بين الحديث الذي هو القرآن، وبين الآيات أن الحديث قصص يستخرج منه الحق من الباطل، والآيات هي الأدلة الفاصلة بين الصحيح والفساد^(٢).

وقال الطبرسي في (الاحتجاج): قال صفوان بن يحيى: سألتني أبو قره المحدث صاحب شيرمة أن أدخله على أبي الحسن الرضا عليه السلام - إلى أن قال - وسأله عن قول الله عز وجل: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾.

(٢) مجمع البيان: ج ٩، ص ١٢٢.

(١) كفاية الأثر: ص ٢٣٢.

فقال أبو الحسن عليه السلام: قد أخبر الله تعالى أنه أسرى به، ثم أخبر أنه لم أسرى به، فقال: ﴿لَنْ يُؤْمِرَ مِنْ آيَاتِنَا﴾^(١)، فأيات الله غير الله، فقد أعذر وبين لم فعل به ذلك، وما رآه، وقال: ﴿فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون﴾، فأخبر أنه غير الله^(٢).

س ٤: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَلِ كُلِّ أُمَّةٍ أُنْبِيَاءٌ يَسْمَعُونَ آيَاتِ اللَّهِ تُنزلُ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَانَتْ لَهُمْ سَمْعًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٨) وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا أَخَذَهَا حُزُونًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ^(٩) مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا أُخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ^(١٠) هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رَجِيمٍ^(١١) اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لِيَجْرِيَ فِيهِ الْفُلُوكَ فِيهِ يَأْتِرُونَ وَلَيَسْئَلُنَّ مِنْ فَضْلِهِ. وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ^(١٢) وَسَخَّرَ لَكُمْ مَاءً فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ^(١٣) ﴿ [سورة الجاثية: ٧ - ١٣] !؟

الجواب/ قال علي بن إبراهيم، في قوله تعالى: ﴿ويل لكل أفاك أئيم﴾، أي كذاب: ﴿يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا﴾، أي يصر على أنه كذب، ويستكبر على نفسه، ﴿كان لم يسمعها﴾، وقوله تعالى: ﴿وإذا علم من آياتنا شيئا اتخذها حزونا﴾ يعني إذا رأى فوضع العلم مكان الرؤية.

- قال الطبرسي: ﴿من ورائهم جهنم﴾ أي من وراء ما هم فيه من التعزز بالمال والدينا، جهنم. ومعناه: قدامهم ومن بين أيديهم، كقوله: ﴿وكان وراءهم ملك﴾. ووراء اسم يقع على القدام والخلف فيما توارى عنك، فهو وراؤك، خلفك كان أو أمامك. ﴿ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا﴾ أي لا يغني

عنهم ما حصلوا وجمعوه من المال والولد شيئاً من عذاب الله تعالى. ﴿ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء﴾ من الآلهة التي عبدوها، لتكون شفعاءهم عند الله ﴿ولهم﴾ مع ذلك ﴿عذاب عظيم﴾-^(١).

نعود إلى رواية علي بن إبراهيم، وقوله تعالى: ﴿هذا هدى﴾ يعني القرآن هو تبيان، قوله تعالى: ﴿والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم﴾، قال: الشدة والسوء، ثم قال: ﴿الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك﴾، أي السفن ﴿فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾، ثم قال: ﴿وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه﴾، يعني ما في السماوات من الشمس والقمر والنجوم والمطر^(٢).

وقال أبو الصامت، عن قول الله عز وجل: ﴿وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه﴾، قال: أجبرهم بطاعتهم^(٣).

❁ سر ٥: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [سورة الجاثية: ١٤]!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: قوله تعالى: ﴿قل للذين ءامنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله﴾، قال: يقول لأئمة الحق: لا تدعوا على أئمة الجور حتى يكون الله الذي يعاقبهم، في قوله تعالى: ﴿ليجزى قوما بما كانوا يكسبون﴾^(٤).

ثم قال علي بن إبراهيم: قال أبو عبد الله عليه السلام، في قول الله عز وجل: ﴿قل للذين ءامنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله﴾: ﴿قل للذين مننا عليهم

(١) مجمع البيان: ج ٩، ص ١٢٢. (٢) بصائر الدرجات: ص ٨٩، ح ١.

(٣) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٩٣. (٤) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٩٣.

بمعرفة أن يعرفوا الذين لا يعلمون، فإذا عرفوهم فقد غفروا لهم»^(١).

وروي أن الإمام علي بن الحسين عليهما السلام أراد أن يضرب غلاماً له، فقرأ: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾، ووضع السوط في يده فبكى الغلام، فقال له: «ما يبكيك؟» قال: وإني عندك - يا مولاي - ممن لا يرجو أيام الله؟ فقال له: «أنت ممن يرجو أيام الله؟»

قال: نعم يا مولاي. فقال عليه السلام: «لا أحب أن أملك من يرجو أيام الله، قم فأت قبر رسول الله صلى الله عليه وآله، وقل: اللهم اغفر لعلي بن الحسين خطيئته يوم الدين؛ وأنت حرٌّ لوجه الله تعالى»^(٢).

وروي، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «أيام الله المرجوة ثلاثة: يوم قيام القائم عليه السلام، ويوم الكزة، ويوم القيامة»^(٣).

س ٦: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ. وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾﴾

[سورة البقرة: ١٥]!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: قال ابن عباس، في قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾، يريد المؤمنين: ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾، يريد المنافقين والمشركين: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾، يريد إليه تصيرون^(٤).

س ٧: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴿١١﴾ وَءَاتَيْنَاهُمْ يَتِينَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا أَخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٩٤. (٢) تأويل الآيات: ج ٢، ص ٥٧٦، ح ٣.

(٣) تأويل الآيات: ج ٢، ص ٥٧٥، ح ٢. (٤) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٩٤.

الْعِلْمُ بِنِيَّا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ
بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ هَذَا بَصِيرَةٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ
يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ [سورة الجاثية: ١٦ - ٢٠]!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسي: لما تقدم ذكر النعمة، ومقابلتهم إياها بالكفر والطغيان، بين عقيب ذلك ذكر ما كان من بني إسرائيل أيضاً في مقابلة النعم من الكفران، فقال: ﴿ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب﴾ يعني التوراة ﴿والحكمة﴾ يعني العلم بالدين. وقيل: العلم بالفصل بين الخصمين، وبين المحق والمبطل ﴿والنبوة﴾ أي وجعلنا فيهم النبوة حتى روي أنه كان فيهم ألف نبي. ﴿ورزقناهم من الطيبات﴾ أي وأعطيناهم من أنواع الطيبات ﴿وفضلناهم على العالمين﴾ أي عالمي زمانهم. وقيل: فضلناهم في كثرة الأنبياء منهم على سائر الأمم، وإن كانت أمة محمد ﷺ أفضل منهم في كثرة المطيعين لله، وكثرة العلماء منهم، كما يقال: هذا أفضل في علم النحو، وذلك في علم الفقه. فامة محمد ﷺ أفضل في علو منزلة نبيها عند الله على سائر الأنبياء، وكثرة المجتبيين الأخيار من آله وأمه، والفضل: الخير الزائد على غيره. فامة محمد ﷺ أفضل بفضل محمد وآله. ﴿وآتيناهم بينات من الأمر﴾ أي أعطيناهم دلالات وبراهين واضحات من العلم بمبعث محمد ﷺ، وما بين لهم من أمره وقيل: يريد بالأمر أحكام التوراة. ﴿فما اختلفوا لا من بعدما جاءهم العلم﴾ أي من بعد ما أنزل الله الكتب على أنبيائهم، وأعلمهم بما فيها ﴿بغيا بينهم﴾ أي طلباً للرئاسة، وأنفة من الإذعان للحق. وقيل: بغياً على محمد ﷺ في جحود ما في كتابهم من نبوته وصفته. ﴿إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ ظاهر المعنى. ﴿ثم جعلناك على

شريعة من الأمر ﴿ أي ثم جعلناك يا محمد على دين ومنهاج وطريقة. يعني : بعد موسى وقومه ، والشريعة : السنة التي من سلك طريقها أدته إلى البغية ، كالشريعة التي هي طريق إلى الماء ، فهي علامة منصوبة على الطريق من الأمر ، والنهي يؤدي إلى الجنة ، كما يؤدي ذلك إلى الوصول إلى الماء .

﴿فأتبعها﴾ أي : اعمل بهذه الشريعة ﴿ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون﴾ الحق ، ولا يفصلون بينه وبين الباطل ، من أهل الكتاب الذين غيروا التوراة اتباعاً لهواهم ، وحباً للرياسة ، واستتباعاً للعوام ، ولا المشركين الذين اتبعوا أهواءهم في عبادة الأصنام ﴿إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً﴾ أي لن يدفعوا عنك شيئاً من عذاب الله إن اتبعت أهواءهم . ﴿وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض﴾ يعني . إن الكفار بأجمعهم متفقون على معاداتك ، وبعضهم أنصار بعض عليك ﴿والله ولي المتقين﴾ أي ناصرهم وحافظهم ، فلا تشغل قلبك بتناصرهم وتعاونهم عليك ، فإن الله ينصرك عليهم ويحفظك ﴿هذا بصائر للناس﴾ أي هذا الذي أنزلته عليك من القرآن بصائر ، أي معالم في الدين ، وعظات وعبر للناس ، يبصرون بها من أمور دينهم ﴿وهدى﴾ أي دلالة واضحة ﴿ورحمة﴾ أي ونعمة من الله ﴿لقوم يوقنون﴾ بشواب الله وعقابه ، لأنهم هم المستفنون به ^(١) .

❁ س ٨ : ما هو معنى قوله تعالى :

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ أَحْرَجُوا النَّبِيَّاتِ أَنْ يَتَّخِذَهُنَّ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَخِئِمُهُنَّ وَمَمَاتُهُنَّ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٧٦﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٧٧﴾ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ عِثْرَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ

مِنْ عَدُوِّ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٣٤﴾ [سورة الجاثية: ٢١ - ٢٤]!

الجواب/ قال ابن عباس، في قوله عز وجل: ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات﴾، الآية، قال: إن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام، وحمزة بن عبد المطلب، وعبيدة بن الحارث، هم الذين آمنوا، وفي ثلاثة من المشركين عتبة وشيبة ابني ربيعة، والوليد بن عتبة، وهم الذين اجترحوا السيئات^(١).

ومن طريق المخالفين: عن ابن عباس، في قوله تعالى: ﴿أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾، علي وحمزة وعبيدة ﴿كالمفسدين في الأرض﴾، عتبة وشيبة والوليد بن عتبة: ﴿أم نجعل المتقين﴾، هؤلاء علي وأصحابه ﴿كالفجار﴾^(٢) عتبة وأصحابه، وقوله تعالى: ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾، فالذين آمنوا: بنو هاشم، وبنو عبد المطلب، والذين اجترحوا السيئات: بنو عبد شمس^(٣).

وقال علي بن إبراهيم: قوله تعالى: ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات﴾، إلى قوله تعالى: ﴿ساء ما يحكمون وخلق الله السماوات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون﴾، فإنه محكم. قال: قوله تعالى: ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾، نزلت في قريش، كلما هووا شيئاً عبده ﴿وأضله الله على علم﴾، أي عذبه على علم منه فيما ارتكبوا من أمير المؤمنين عليه السلام، وجرى ذلك بعد رسول الله ﷺ، فيما فعلوه بعده بأهوائهم وآرائهم، وأزالوا الخلافة والإمامة عن أمير المؤمنين عليه السلام بعد أخذ الميثاق عليهم مرتين لأمير المؤمنين عليه السلام^(٤).

(١) تاويل الآيات: ج ٢، ص ٥٧٧، ح ٦. (٢) تحفة الأبرار: ص ١١٥ «مخطوط».

(٣) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٩٤. (٤) سورة ص: ٢٨.

وقال علي بن إبراهيم: قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مِنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾، نزلت في قريش، وجرت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله في أصحابه الذين غضبوا أمير المؤمنين عليه السلام واتخذوا إماماً بأهوائهم، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِرْتِإَةً يَنْدُوبُ﴾^(١)، قال: من زعم أنه إمام وليس هو بإمام، ومن اتخذ إماماً ففضله على علي عليه السلام، ثم عطف على الدهرية الذين قالوا: لا نحيا بعد الموت، فقال: ﴿وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر﴾، وهذا مقدم ومؤخر، لأن الدهرية لم يقروا بالبعث والنشور بعد الموت، وإنما قالوا: نحيا ونموت وما يهلكنا إلا الدهر؛ إلى قوله تعالى: ﴿يظنون﴾، فهذا ظن شك، ونزلت هذه الآية في الدهرية وجرت في الذين فعلوا ما فعلوا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بأمر المؤمنين وأهل بيته عليهم السلام، وإنما كان إيمانهم إقراراً بلا تصديق خوفاً من السيف، ورغبة في المال^(٢).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إني لأرجو النجاة لهذه الأمة لمن عرف حقنا منهم إلا لأحد ثلاثة: صاحب سلطان جائر، وصاحب هوى والفاسق المعلن»^(٣).

وسئل أمير المؤمنين عليه السلام: أي سلطان أغلب وأقوى؟ قال: «الهوى»^(٤).

س ٩: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَإِذَا نُنزلُ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا يَنْسَوْنَ مَا كَانُوا حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِآيَاتِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧٥﴾ قُلْ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُعْصِمُكُمْ إِنْ يَشَاءُ لِكَيْ يَبَيِّنَ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

(١) الأنبياء: ٢٩.

(٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٩٤.

(٣) بحار الأنوار: مجلد ٧٠، ص ٧٦.

(٤) بحار الأنوار: مجلد ٧٠، ص ٧٧.

أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبَدِّلُهُ
 يَحْسُرُ الْمُبْطِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِعَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْرَزُونَ مَا كُنْتُمْ
 تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ
 تَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ [سورة الجاثية: ٢٥ - ٢٩]!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم القمي: ثم حكى الله عز وجل قول
 الدهرية، فقال: ﴿وإذا تلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا
 اتوا بآياتنا إن كنتم صادقين﴾، أي إنكم تبعثون بعد الموت، فقال الله تعالى:
 ﴿قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن
 أكثر الناس لا يعلمون﴾.

وقوله تعالى: ﴿ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون﴾، الذين
 أبطلوا دين الله، قال: قوله تعالى: ﴿وترى كل أمة جائئة﴾، أي على رُكبتها:
 ﴿كل أمة تدعى إلى كتابها﴾، قال: إلى ما يجب عليهم من أعمالهم، ثم
 قال: ﴿هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق﴾، الآياتان محكمتان^(١).

وقال أبو بصير، قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ﴿هذا كتابنا ينطق عليكم
 بالحق﴾؟ قال: «إن الكتاب لم ينطق ولن ينطق، ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله هو
 الناطق الكتاب، قال الله تعالى: ﴿هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق﴾. فقلت:
 إنا لا نقرأها هكذا؟^(٢). فقال: «هكذا والله نزل بها جبرائيل عليه السلام على رسول
 الله صلى الله عليه وآله، ولكنه مما حُرف من كتاب الله»^(٣).

وقال أبو بصير: قلت لأبي عبد الله عليه السلام، قوله تعالى: ﴿هذا كتابنا

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٩٥.

(٢) قال المجلسي: الظاهر أنه قرأ (ينطق) على البناء للمفعول، مرآة المعقول: ص ٢٥.

(٣) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٩٥.

ينطق عليكم بالحق؟ قال: «إن الكتاب لا ينطق، ولكن محمد وأهل بيته عليهم السلام، هم الناطقون بالكتاب»^(١).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن لله ملائكة ينزلون كل يوم يكتبون فيه أعمال بني آدم».

ويقول الشيخ الطوسي في التبيان في ذيل الآية مورد البحث بعد نقل هذه الرواية: ومعنى نتسخ نستكتب الحفظه ما يستحقونه من ثواب وعقاب، ونلقي ما عداه مما أثبتته الحفظه، لأنهم يشبثونه جميعاً.

وعن الحسين بن بشار، عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام، قال سألت: أيعلم الله الشيء الذي لم يكن أن لو كان كيف كان يكون؟

فقال: «إن الله تعالى هو العالم بالأشياء قبل كون الأشياء، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، وقال لأهل النار: ﴿وَلَوْ رُدُّوْا لَعَادُوا لِمَا هُمْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾»^(٢)، فقد علم الله عز وجل أنه لو ردهم لعادوا لما نهوا عنه، وقال للملائكة لما قالت: ﴿أَجْمَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَنَسْفِكَ الْإِدمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾»^(٣)، فلم يزل الله عز وجل علمه سابقاً للأشياء قديماً قبل أن يخلقها، تبارك الله ربنا وتعالى علواً كبيراً، خلق الأشياء وعلمه بها سابق لها كما شاء، كذلك الله لم يزل رباً عالماً سميعاً بصيراً»^(٤).

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله، أنه قال: «إذا ذكر العبد ربه في قلبه، كتب الله له

(١) تأويل الآيات: ج ٢، ص ٥٧٧، ح ٧٠.

(٢) الأنعام: ٢٨.

(٣) البقرة: ٣٠.

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١، ص ١١٨، ح ٨.

ذلك في صحيفة، ثم يعارض الملائكة يوم الخميس، فيريهم الله ذكر عبده له بقلبه، فيقول الملائكة: ربنا عمل هذا العبد قد أحصيناه، أما هذا العمل فما نعرفه. فيقول الرب: إن عبدي قد ذكرني بقلبه فأثبته في صحيفته، فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(١).

س ١٠: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ (٢٥) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكَ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ (٢٦) وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنَّ نَظْنَ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمَسْتَفِيقِينَ﴾ (٢٧) وَبَدَأ لَكُم سَيِّئَاتِكُمْ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٢٨) [سورة الجاثية: ٣٠ - ٣٣]!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسي (رحمه الله تعالى): ﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته﴾ أي جنته وثوابه ﴿ذلك هو الفوز المبين﴾ أي الفلاح الظاهر.

ثم عقب سبحانه الوعد بالوعيد فقال: ﴿وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم﴾ أي فيقال لهم: أفلم تكن حججي وبيناتي، تقرأ عليكم من كتابي ﴿فاستكبرتم﴾ أي تعظمتم عن قبولها ﴿وكنتم قوما مجرمين﴾ أي كافرين كما قال: ﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين﴾. والفاء في قوله ﴿أفلم تكن﴾ دالة على جواب أما المحذوف. ﴿وإذا قيل إن وعد الله حق﴾ أي إن ما وعد الله به من الثواب والعقاب، كائن لا محالة. ﴿والساعة لا ريب فيها﴾ أي وإن القيامة لا شك في حصولها. ﴿قلتم﴾ معاشر الكفار ﴿ما ندري ما الساعة﴾ وأنكرتموها ﴿إن نظن إلا ظناً﴾ ونشك فيه ﴿وما نحن بمستقيقين﴾ في ذلك

﴿ويدا لهم سيئات ما عملوا﴾ أي ظهر لهم جزاء معاصيهم التي عملوها
 ﴿وحق بهم ما كانوا به يستهزون﴾ أي جزاء استهزائهم ^(١).

❁ س ١١ : ما هو معنى قوله تعالى :

﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكَ كَمَا نَسِفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكَ هَذَا وَمَأْوَعُكَ النَّارُ وَمَا لَكَ مِنَ
 نَصِيرِينَ ﴿٢٤﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ أَخَذْتَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَعَرَّضتَّكَ لِلْعَذَابِ الَّذِي قَالِيَوْمَ لَا يُخْرِجُونَ
 مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٢٥﴾ فَلِلَّهِ الْمَعْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٦﴾
 وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾

[سورة الجاثية: ٣٤ - ٣٧]!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم، في قوله تعالى: ﴿وقيل اليوم ننسلكم﴾،
 أي نترككم، فهذا النسيان هو الترك ﴿كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومآواكم النار
 ومالكم من ناصرين ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا﴾، وهم
 الأئمة عليهم السلام، أي كذبتموهم واستهزأتم بهم ﴿فاليوم لا يخرجون منها﴾، يعني
 من النار ﴿ولا هم يستعتبون﴾، يعني لا يجلبون، ولا يقبلهم الله ﴿فله الحمد
 رب السماوات ورب الأرض رب العالمين وله الكبرياء﴾ يعني القدرة ﴿في
 السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾ ^(٢).

(١) مجمع البيان: ج ٩، ص ١٣٣ - ١٣٤.

(٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٩٥.

تفسير
سورة الأحقاف

رقم السورة - ٤٦ -

سورة الأحقاف

س ١: ما هو فضل سورة الأحقاف؟!

الجواب/ قال أبو عبد الله عليه السلام: «من قرأ كل يوم أو كل جمعة سورة الأحقاف، لم يصبه الله بروعة في الحياة الدنيا، وآمنه من فزع يوم القيامة، إن شاء الله تعالى»^(١).

ومن (خواص القرآن): روي عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «من قرأ هذه السورة كتبت له من الحسنات بعدد كل رجل مشى على الأرض عشر مرات، ومحي عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، ومن كتبها وعلقها عليه، أو على طفل، أو ما يرضع، أو سقاها ماءها، كان قوياً في جسمه، سالمًا مما يصيب الأطفال من الحوادث كلها، قير العين في مهده بإذن الله تعالى ومنه عليه»^(٢).

وقال الصادق عليه السلام: «من كتبها في صحيفة وغسلها بماء زمزم، وشربها كان عند الناس محبوباً، وكلمته مسموعة، ولا يسمع شيئاً إلا وعاه، وتصلح لجميع الأغراض، تكتب وتمحى وتغسل بها الأمراض، يسكن بها المرض بإذن الله تعالى»^(٣).

(١) ثواب الأعمال: ص ١١٤.

(٢) البرهان: ج ٩، ص ٤٥.

(٣) خواص القرآن: ص ٥١.

س ٢: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿حَمَّ ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُذِرُوا مُعْرِضُونَ ۝ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَنتَرُونِي يَكْتُبُونَ لِي مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَنزَرَهُ يَوْمَ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝﴾
[سورة الأحقاف: ١ - ٤؟]

الجواب/ قوله ﴿حَمَّ تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم﴾ مر تفسيرها سابقاً في سورة الجاثية.

وقال علي بن إبراهيم: يعني قريشاً عما دعاهم إليه رسول الله ﷺ وهو معطوف على قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتَكُمْ﴾، إلى قوله تعالى: ﴿هَادٍ وَمُؤَدٍّ﴾^(١)، ثم احتج الله عليهم، فقال: ﴿قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّد: أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، يعني الأصنام التي كانوا يعبدونها ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ﴾، إلى قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٢).

وقال أبو عبيدة: سألت أبا جعفر عليه السلام، عن قوله تعالى: ﴿أَنْتَوْنِي﴾ بكتاب من قبل هذا أو إثارة من علم إن كنتم صادقين، قال: «عنى بالكتاب التوراة والإنجيل، وإثارة من علم، فإنما عنى بذلك علم أوصياء الأنبياء عليهم السلام»^(٣)،^(٤).

(١) فصلت: ١٣.

(٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٩٦.

(٣) في طبعة أخرى: علم الأنبياء والأوصياء.

(٤) الكافي: ج ١، ص ٣٥٣، ح ٧٢.

س ٣: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَهًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفِيلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا نُنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ مَائِنُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفْعِلُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾﴾

[سورة الأحقاف: ٥ - ٨]!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم، في قوله تعالى: ﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة﴾ إلى قوله تعالى: ﴿بعبادتهم كافرين﴾، قال: من عبد الشمس والقمر والكواكب والبهائم والشجر والحجر، إذا حشر الناس كانت هذه الأشياء له أعداء، وكانوا بعبادتهم كافرين.

قال الشيخ الطبرسي: ثم وصفهم أيضاً فقال «وإذا تلى عليهم» يعني هؤلاء الكفار الذين وصفهم «آياتنا» أي أدلتنا التي أنزلناها من القرآن ونصبناها لهم. والآية الدلالة التي تدل على ما يتعجب منه، قال الشاعر:

بأية يقدمون الخيل زوراً كأن على سنانكها مداما
ويروي مناكبها وبيئات) أي واضحات ﴿قال الذين كفروا﴾ بوحدانية الله
وجحدوا نعمه ﴿للمحق لما جاءهم﴾ يعني القرآن، والمعجزات التي ظهرت
على يد النبي ﷺ ﴿هذا سحر مبين﴾ أي حيلة لطيفة ظاهرة، ومن اعتقد أن
السحر حيلة لطيفة لم يكفر بلا خلاف. ومن قال أنه معجزه كان كافراً، لأنه
لا يمكنه مع هذا القول أن يفرق بين النبي والمنتبي^(١).

(١) مجمع البيان: ج ٩، ص ٢٦٩ - ٢٧٠.

- وقال علي بن إبراهيم: قوله تعالى: ﴿لَم يَقُولُونَ﴾ يا محمد ﴿افتراه﴾ يعني القرآن، وضعه من عنده فـ ﴿قل﴾ لهم: ﴿إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئاً﴾، إن أتاني أو عاقبني على ذلك ﴿هو أعلم بما تفيضون فيه﴾ أي تكذبون ﴿كفى به شهيداً بيني وبينكم وهو الغفور الرحيم﴾^(١).

س ٤: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاٍ مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفَعَّلُ بِي وَلَا يَكْرَهُ إِنِ اتَّبَعْتُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [سورة الأحقاف: ٩؟]

الجواب/ قال أبو جعفر عليه السلام - في حديث -: «قد كان الشيء ينزل على رسول الله ﷺ فيعمل به زماناً، ثم يؤمر بغيره فيأمر به أصحابه وأئمة، قال أناس: يا رسول الله، إن تأمرنا بالشيء حتى إذا اعتدناه وجرينا عليه، أمرتنا بغيره؟ فسكت النبي ﷺ عنهم، فأنزل الله عليه: ﴿قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلي وما أنا إلا نذير مبين﴾^(٢).

وعن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام، قالوا: «لَمَّا» نزلت على رسول الله ﷺ: ﴿قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم﴾، يعني في حروبه، قالت قریش: فعلى ما نتبعه، وهو لا يدري ما يفعل به ولا بنا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾. وقالوا: «قوله تعالى: ﴿إن أتبع إلا ما يوحى إلي﴾ في علي، هكذا نزلت»^(٣).

وقال علي بن إبراهيم: قوله تعالى: ﴿قل﴾ لهم يا محمد: ﴿ما كنت بدعا من الرسل﴾، أي لم أكن واحداً من الرسل، فقد كان قبلي أنبياء كثيرة^(٤).

(٣) تأويل الآيات: ج ٢، ص ٥٧٨، ح ٢.

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٩٦.

(٤) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٩٦.

(٢) المحاسن: ص ٢٩٩، ح ١.

س ٥: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكُفِّرْتُمْ بِهِ، وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ، فَأَمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة الأحقاف: ١٠)!

الجواب/ قال الشيخ الطوسي: ثم قال ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿أرأيتم إن كان من عند الله﴾ يعني هذا القرآن ﴿وكفرتهم به﴾ يعني بالقرآن ﴿وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك والحسن وعون بن مالك الأشجعي صحابي، وابن زيد: نزلت الآية في عبد الله بن سلام، وهو الشاهد من بني إسرائيل، فروي أن عبد الله بن سلام جاء إلى النبي ﷺ وقال: يا رسول الله سل اليهود عني فهم يقولون هو أعلمنا، فإذا قالوا ذلك قلت لهم إن التوراة دالة على نبوتك وأن صفاتك فيها واضحة، فلما سألهم عن ذلك، قالوا ذلك، فحينئذ أظهر ابن سلام إيمانه وأوقفهم على ذلك، فقالوا هو شرننا وابن شرننا. وقال الفراء: هو رجل من اليهود، وقال مسروق: الشاهد من بني إسرائيل هو موسى ﷺ شهد على التوراة كما شهد النبي ﷺ على القرآن، قال: لأن السورة مكية وابن سلام أسلم بالمدينة. وقوله ﴿فأمن واستكبرتم﴾ عن الإيمان وجواب ﴿إن كان من عند الله محذوف﴾. قال الزجاج: تقديره ﴿فأمن واستكبرتم﴾ فلا تؤمنون. وقال غيره تقديره فأمن واستكبرتم إنما تهلكون. وقال الحسن: جوابه فمن أضل منكم. ثم أخبر تعالى فقال: ﴿إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ ويحتمل أمرين: أحدهما - إنه لا يهديهم إلى الجنة لاستحقاقهم العقاب. والثاني - إنه لا يحكم بهداهم لكونهم ضلالاً ظالمين. ولا يجوز أن يكون المراد لا يهديهم إلى طريق الحق، لأنه تعالى هدى جميع المكلفين بأن نصب لهم الأدلة على الحق ودعاهم إلى اتباعه، ورجبهم في فعله. وقد قال ﴿وأما ثمود فهديناهم

فاستحبوا العمى على الهدى ﴿ فبين أنه هداهم إلى الحق وإن اختاروا هم الضلال ^(١) .

س ٦ : ما هو معنى قوله تعالى :

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكَافٍ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانِ عَرَبِيًّا لِّسُنْدَرِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَسُئِلَ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنْ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

[سورة الأحقاف : ١١ - ١٤] ؟!

الجواب/ قال الشيخ الطوسي : أخبر الله تعالى عن الكفار الذين جحدوا وحدانية الله وكذبوا نبيه محمد ﷺ أنهم قالوا ﴿ للذين آمنوا ﴾ وصدقوا رسوله ﴿ لو كان ﴾ هذا الذي يدعوننا هؤلاء المسلمون إليه : محمد ومن اتبعه ﴿ خيراً ﴾ أي نفعاً عاجلاً أو أجلاً يظهر لنا ذلك ﴿ ما سبقونا ﴾ يعني الكفار الذين آمنوا به ﴿ إليه ﴾ أي إلى اتباعه لأننا كنا بذلك أولى وبه أجرى ، وحكى أن أسلم وغفار وجهينة ومزينة لما أسلموا قال بنو عامر ابن صعصعة وغطفان وأسد وأشجع هذا القول ، فحكاه الله . والسبق المصير إلى الشيء قبل غيره ، وكذلك السابق إلى الخير والتابع فيه ، فقال الله تعالى ﴿ وإذ لم يهتدوا به ﴾ يعني هؤلاء الكفار بهذا القرآن ولا استبصروا به ولا حصل لهم العلم بأنه مرسل . داع إلى الله ﴿ فسيقولون هذا إنك قديم ﴾ أي كذب متقدم حيث لم يهتدوا به ، وصفه بالقديم للمبالغة في التقدم أي ليس أول من ادعى الكذب في ذلك بل قد تقدم أشباهه . والقديم في عرف اللغة هو المتقدم الوجود ، وفي عرف المتكلمين

(١) البيان : ج ٩ ، ص ٢٧١ - ٢٧٢ .

هو الموجود الذي لا أول لوجوده. ثم قال تعالى ﴿ومن قبله﴾ يعني من قبل القرآن ﴿كتاب موسى﴾ يعني التوراة ﴿إماماً ورحمة﴾ أي جعلناه إماماً ورحمة وأنزلناه إماماً يهتدى به ورحمة أي نعمة على الخلق. ثم قال ﴿وهذا﴾ يعني القرآن ﴿كتاب مصدق﴾ لذلك الكتاب ﴿لساناً عربياً﴾ نصبه على الحال، ويجوز أن يكون حالاً من هذا الكتاب ويجوز أن يكون حالاً لما في ﴿مصدق﴾ من الضمير. وقوله ﴿لينذر الذين ظلموا﴾ أي ليخوفهم، ويعلمهم استحقاق العقاب على المعاصي واستحقاق الثواب على الطاعات. فمن قرأ بالثناء جاز أن يكون خطاباً للنبي ﷺ ويجوز أن يكون رداً على اللسان على ما قدمناه، وهو مؤنث. ومن قرأ بالياء رده إلى الكتاب الذي هو القرآن. وقوله ﴿بشرى للمحسنين﴾ معناه أن يكون هذا القرآن بشارة لمن فعل الصالحات واختار الحسنات، ويجوز في ﴿بشرى﴾ أن يكون رفعاً عطفاً على ﴿مصدق﴾ ويجوز أن يكون نصباً لوقوعه موقع ﴿ویشيرا﴾ فيكون حالاً، كما تقول: أتيتك لأزورك وكرامة لك وقضاء لحقك. ثم أخبر تعالى ﴿إن الذين قالوا﴾ بلسانهم ﴿ربنا الله﴾ واعتقدوا ذلك بقلوبهم ﴿ثم استقاموا﴾ على ذلك لم يعدلوا عنه ﴿فلا خوف عليهم﴾ من العقاب في الآخرة ﴿ولا هم يحزنون﴾ من أهوال القيامة. ثم أخبر عنهم فقال ﴿أولئك﴾ يعني من تقدم ذكرهم ﴿أصحاب الجنة﴾ أي الملازمون لها ﴿خالدين فيها جزاء﴾ لهم ﴿بما كانوا يعملون﴾ في الدنيا من الطاعات^(١).

س ٧: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ
وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ

(١) التبيان: ج ٩، ص ٢٧٣ - ٢٧٤.

يَعْتَمَكَ أَلَيْحَ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى زَلَدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُثْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٥٠﴾ [سورة الاحقاف: ١٥٤١]

الجواب/ قال أبو عبد الله عليه السلام: «إن جبرئيل عليه السلام نزل على محمد صلى الله عليه وآله، فقال له: يا محمد، إن الله يبشرك بمولود يولد من فاطمة تقتله أمتك من بعدك. فقال: يا جبرئيل، وعلى ربي السلام، لا حاجة لي في مولود يولد من فاطمة تقتله أمتي من بعدي، فخرج جبرئيل عليه السلام إلى السماء، ثم هبط وقال له مثل ذلك، فقال: يا جبرئيل، وعلى ربي السلام، لا حاجة لي في مولود تقتله أمتي من بعدي، فخرج جبرئيل عليه السلام إلى السماء، ثم هبط وقال: يا محمد إن ربك يقرئك السلام، ويبشرك بأنه جاعل في ذريته الإمامة والوصية، فقال: قد رضيت.

ثم أرسل إلى فاطمة: أن الله بشرني بمولود يولد لك تقتله أمتي من بعدي. فأرسلت إليه: لا حاجة لي في مولود تقتله أمتك من بعدك. فأرسل إليها: إن الله قد جعل في ذريته الإمامة والولاية والوصية، فأرسلت إليه: إنني قد رضيت، فحملته: **كروها** ووضعتة **كروها** وحمله وفضاله ثلاثون شهرا حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي، فلو أنه قال: أصلح لي ذريتي، لكان ذريته كلهم أئمة.

ولم يرضع الحسين عليه السلام من فاطمة عليها السلام، ولا من أنثى، كان يؤتى به النبي صلى الله عليه وآله فيضع إبهامه في فيه، فيمص منها ما يكفيه اليومين والثلاثة، فنبت لحم الحسين عليه السلام من لحم رسول الله صلى الله عليه وآله، ودمه من دمه، ولم يولد لسته أشهر إلا عيسى بن مريم عليها السلام، والحسين بن علي عليه السلام ^(١).

(١) الكافي: ج ١، ص ٣٨٦، ح ٤٠.

وقال أبو عبد الله عليه السلام: في قول الله عز وجل: ﴿حتى إذا بلغ أشده﴾: الاحتلام. فقال «يحتلم في ست عشرة وسبع عشرة سنة ونحوها»^(١).

س ٨: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ

وَعَدَّ الْوَعْدَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ [سورة الأحقاف: ١٦]!

الجواب/ قال الشيخ الطوسي: لما أخبر تعالى بما أوصى به الإنسان أن يعمله ويقوله عند بلوغ أشده أخبره بعده بما يستحقه من الثواب إذا فعل ما أمره به تعالى فقال ﴿أولئك﴾ يعني الذين فعلوا ما وصيناهم به من التائبين المسلمين هم ﴿الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا﴾ من قرأ بالنون أضاف الفعل إلى الله وأنه أخبر عن نفسه بأنه يفعل بهم. ومن قرأ بالياء والضم فيهما لم يذكر الفاعل لأنه معلوم أن المراد به أن الله الذي يتقبل الطاعات ويجازي عليها. وقوله ﴿أحسن ما عملوا﴾ يعني ما يستحق به الثواب من الواجبات والمندوبات، لأن المباحات وإن كانت حسنة لا يستحق بها الثواب ولا توصف بأنها متقبلة، لأنه لا يتقبل إلا ما ذكرناه من واجب أو ندى. ثم قال ﴿ونتجاوز عن سيئاتهم﴾ التي اقترفوها فلا نؤاخذهم بها إذا تابوا منها أو أردنا أن نتفضل عليهم بإسقاطها، وقوله ﴿في أصحاب الجنة﴾ أي هم في أصحاب الجنة ﴿وعد الصدق﴾ أي وعدهم وعد الصدق لا الكذب... الذي كانوا يوعدون ﴿به في دار الدنيا إذا أطاعوا الله﴾^(٢).

(١) التهذيب: ج ٩، ص ١٨٢، ح ٦.

(٢) التبيان: ج ٩، ص ٢٧٦ - ٢٧٧.

❁ سر ٩: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَفِئَانِ اللَّهَ وَبِكَاءِ آيِنَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطُورُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾
أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ بَيْنَ الْيَمِينِ وَالْإِيسِ إِنَّهُمْ
كَانُوا خَيْرِينَ ﴿١٨﴾﴾ [سورة الأحقاف: ١٧ - ١٨]؟

الجواب/ قال علي بن إبراهيم، قوله تعالى: ﴿والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي﴾، الآية قال: نزلت في عبد الرحمن ابن أبي بكر^(١).

ثم قال علي بن إبراهيم: حدثني العباس بن محمد، قال: حدثني الحسن بن سهل، بإسناد رفعه إلى جابر بن يزيد، عن جابر بن عبد الله، قال: أتبع جلّ ذكره مدح الحسين بن علي عليهما السلام بدم عبد الرحمن بن أبي بكر، قال جابر بن يزيد، فذكرت هذا الحديث لأبي جعفر عليه السلام، فقال أبو جعفر عليه السلام: «يا جابر، والله لو سبقت الدعوة من الحسين: وأصلح لي ذريتي، كانوا ذريته كلهم أئمة طاهرين ولكن سبقت الدعوة: ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾^(٢)، فمنهم الأئمة عليهم السلام واحداً فواحداً، ثبت الله بهم حجته^(٣).

قال مؤلف الكتاب: أتري إلى أبي جعفر عليه السلام، لما عرض عليه جابر الحديث، كيف انتقل إلى ذكر ما في الحسين عليه السلام، ولم يذكر أن الآية نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر، بل عرض عنه إلى ذكر الحسين عليه السلام.

وفي (كشف البيان): الآية نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر، وقيل:

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٧.

(٢) الأحقاف: ١٥.

(٣) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٧.

في أبيه قبل إسلامه^(١).

وقال الطبرسي في (مجمع البيان): قيل: نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر^(٢).

قال: وقيل: الآية عامة في كل كافر عاق لوالديه؛ عن الحسن وقتادة والزجاج، قالوا: ويدل عليه أنه قال عقيبها: ﴿أولئك الذين حق عليهم القول في أمم﴾^(٣).

وقال الطوسي: ثم قال تعالى مخبراً عن حالهم ﴿إنهم﴾ يعني الذين وصفهم ﴿كانوا قوماً خاسرين﴾ في أمورهم، لأنهم خسروا الثواب الدائم وحصل لهم العقاب المؤبد^(٤).

❁ س ١٠: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوفيَهُمْ أَعْمَلَهُمْ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾

[سورة الأحقاف: ١٩]!

الجواب/ قال الشيخ الطوسي: ثم قال ﴿ولكل درجات مما عملوا﴾ أي لكل مطيع درجات ثواب، وإن تفاضلوا في مقاديرها. وقوله ﴿وليوفيهم﴾ من قرأ بالياء معناه ليوفيهم الله. ومن قرأ بالنون فعلى وجه الأخبار من الله عن نفسه أنه يوفيهم ثواب أعمالهم من الطاعات ﴿وهم لا يظلمون﴾ أي من غير أن ينقص منه شيئاً^(٥).

(١) نهج البيان: ج ٣، ص ٢٦٤ «مخطوط».

(٢) هنالك زيادة: قال له أبواه أسلم وألحاً عليه، فقال: أحبوا لي عبد الله بن جدعان ومشايخ قريش حتى أسألهم عما تقولون.

(٣) مجمع البيان: ج ٩، ص ١٣٢.

(٤) التبيان: ج ٩، ص ٢٧٨.

(٥) التبيان: ج ٩، ص ٢٧٨.

س ١١: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَّذِينَ أُذْهِبَتْ طَبِيعَتُكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا وَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَأَيُّكُمْ يُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كَفَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ [سورة الاحقاف: ٢٠]!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم، في قوله تعالى: ﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها﴾ قال: أكلتم وشربتم ولبستم وركبتم، وهي في بني فلان: ﴿فالיום تجزون عذاب الهون﴾، قال: العطش ﴿بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون﴾^(١).

وقال محمد الباقر عليه السلام: «أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أتى بخبيص^(٢)، فأبى أن يأكل، فقالوا له: أنحرّمه؟ قال: لا، ولكني أخشى أن تنوق إليه نفسي فأطلبه، ثم تلا هذه الآية: ﴿أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها﴾^(٣).

وقال الأحنف بن قيس: دخلت على معاوية، فقدم إلي من الحلو والحامض ما كثر تعجبي منه، ثم قدم لونا ما أدري ما هو، فقلت: ما هذا؟ فقال: مصارين البط محشوة بالمخ، قد قلبي بدهن الفستق، وذرع عليه الطبرزد^(٤)، فبكيت، فقال: ما يبكيك؟ فقلت: ذكرت علياً عليه السلام، بينا أنا عنده، فحضر وقت إفطار فسألني المقام، إذ دعا بجراب مختوم، فقلت: ما

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٨.

(٢) الخبيص: الحلواء المخبوضة من النمر والسمن. «المعجم الوسيط - خبص - ج ١، ص ٢١٦».

(٣) أمالي المفيد: ص ١٣٤، ح ٢.

(٤) الطبرزد: السكر الأبيض، فارسية. «أقرب الموارد: ج ١، ص ٦٩٦».

هذا الجراب؟ قال: «سويق الشعير»، فقلت: خفت عليه أن يؤخذ، أو بخلت به؟ قال: «لا ولا أحدهما، لكنني خفت أن يلينه الحسن والحسين بسمن أو زيت». قلت: محرم هو؟ قال: «لا»، ولكن يجب على أئمة الحق أن يقتدوا بالقسم من ضعفة الناس كيلا يطغى بالفقير فقره»، فقال معاوية: ذكرت من لا يُنكر فضله^(١).

وقال الطبرسي: في الحديث أن عمر بن الخطاب قال: استأذنت على رسول الله ﷺ، فدخلت عليه في مشربة^(٢) أم إبراهيم، وإنه لمضطجع على خصفة^(٣)، وأن بعضه على التراب، وتحت رأسه وسادة محشوة ليفاً، فسلمت عليه ثم جلست، فقلت: يا رسول الله، أنت نبي الله وصفوته وخيرته من خلقه، وكسرى وقيصر على سرر الذهب وفرش الديباج والحريز! فقال رسول الله ﷺ: «أولئك قوم عجلت طيباتهم، وهي وشيكة الانقطاع، وإنما أخرت لنا طيباتنا»^(٤).

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام في بعض خطبه: «والله لقد رقت مدرعتي هذه حتى استحيت من راقعها، ولقد قال لي قائل: ألا تنبذها؟ فقلت: اعزب عني، فعند الصباح يحمد القوم السرى»^(٥)،^(٦).

وقال أبو جعفر الباقر عليه السلام: «والله إن كان علي عليه السلام ليأكل أكلة العبد، ويجلس جلسة العبد، وإنه كان ليشتري القميصين فيختر غلامه

(١) ... حلية الأبرار: ج ١، ص ٣٥٢.

(٢) المشربة: الغرفة. «أقرب الموارد - شرب - ج ١، ص ٥٨٠».

(٣) الخصفة: الجلة تعمل من الخوص للتمر، و: الثوب الغليظ جداً. «أقرب الموارد - خصف - ج ١، ص ٢٧٩».

(٤) مجمع البيان: ج ٩، ص ١٣٣.

(٥) مثل يضرب لمن يحتمل المشقة رجاء الراحة، ويضرب أيضاً في الحث على مزاوله الأمر والصبر وتوطين النفس حتى تحمد عاقبه.

(٦) مجمع البيان: ج ٩، ص ١٣٣.

خيرهما، ثم يلبس الآخر، فإذا جاز أصابعه قطعه، وإذا جاز كعبه حذفه، ولقد ولي خمس سنين ما وضع آجرة على آجرة، ولا لبنة على لبنة ولا أورت بيضاء ولا حمراء، وإن كان ليطعم الناس خبز البر واللحم وينصرف إلى منزله يأكل خبز الشعير والزيت والخل، وما ورد عليه أمران كلاهما لله عز وجل رضا إلا أخذ بأشدهما على بدنه، ولقد أعتق ألف مملوك من كد يمينه، تربت منه يده وعرق فيه وجهه، وما أطاق عمله أحد من الناس، وإن كان ليصلي في اليوم واللييلة ألف ركعة، وإن كان أقرب الناس شبهاً به علي بن الحسين عليه السلام، وما أطاق عمله أحد من الناس بعده.

ثم إنه اشتهر في الرواية أنه عليه السلام، لما دخل على العلاء بن زياد بالبصرة يعود. قال له العلاء: يا أمير المؤمنين، أشكو إليك أخي عاصم بن زياد لبس العباة، وتخلّى من الدنيا. فقال عليه السلام: «عليّ به». فلما جاء، قال: «يا عدي نفسه، لقد استهام بك الخبيث، أما رحمت أهلك وولدك، أتري الله أحل لك الطيبات وهو يكره أن تأخذها! أنت أهون على الله من ذلك». قال: يا أمير المؤمنين، هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك، قال: «ويحك إنني لست كأنت، إن الله تعالى فرض على أئمة الحق أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس كيلا يتبيخ بالفقير فقره»^(١)،^(٢).

س ١٢: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَأَذَكَّرَ لَنَا عَادٍ إِذْ أُنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ الْبُحُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾
[سورة الأحقاف: ٢١]!

الجواب/ قال الشيخ الطوسي: يقول الله تعالى لنبيه عليه السلام ﴿واذكرك﴾ يا

محمد ﴿أخا عاد﴾ يعني هوداً عليه السلام ﴿إذ أنذر قومه﴾ أي خوفهم من الكفر بالله وحذرهم معاصيه ودعاهم إلى طاعته ﴿بالأحقاف﴾ قال ابن عباس: هو واد بين عمان ومهورة، وقال ابن اسحاق: الأحقاف الرمل في ما بين عمان إلى حضرموت. وقال قتادة: الأحقاف رمال مشرفة على البحر بالشجر من اليمن، وقال الحسن: الأحقاف أرض خلالها رمال. وقال الضحاك: جبل بالشام يسمى بذلك، قال العجاج: بات إلى أطات حقف أحقفاً أي رمل مشرف، وقال ابن زيد: الحقف الرمل يكون كهينة الجبل. وقال المبرد: الحقف هو كثيب المكثر غير العظيم وفيه اعوجاج، قال العجاج: سماوة الهلال حتى احقوقفا وهو انحناءه. وقوله ﴿وقد خلت النذر﴾ أي مضت الرسل ﴿من بين يديه ومن خلفه﴾ أي قدامه ووراءه ﴿ألا تعبدوا إلا الله﴾ أي أنذرهم وخوفهم بأن لا تعبدوا إلا الله. وقال لهم ﴿إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ يعني عذاب يوم القيامة^(١).

وقال علي بن إبراهيم القمي الأحقاف: بلاد عاد، من الشقوق إلى الأجر وهي أربعة منازل^(٢).

وروي أن المعتصم أمر أن يحفر بالبطانية بشر، فحفروا ثلاثمائة قامة، فلم يظهر الماء، فتركه ولم يحفره، فلما ولي المتوكل أمر أن يحفر ذلك أبدأ حتى يظهر الماء، فحفروا حتى وضعوا في كل مائة قامة بكرة، حتى انتهوا إلى صخرة، فضربوها بالمعول فانكسرت، فخرج عليهم منها ريح باردة، فمات من كان يقربها، فأخبروا المتوكل بذلك، فلم يعلم ما ذاك، فقالوا: سل ابن الرضا عن ذلك، وهو أبو الحسن علي بن محمد العسكري عليه السلام، فكتب إليه يسأله عن ذلك، فقال أبو الحسن عليه السلام: «تلك بلاد الأحقاف، وهم قوم

(٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٨.

(١) التبيان: ج ٩، ص ٢٧٩ - ٢٨٠.

عاد، الذين أهلكهم الله بالريح الصّرصر»^(١).

وقال الطبرسي في (الاحتجاج): روي عن علي بن يقطين، أنه قال: لما أمر أبو جعفر الدوانيقي يقطين أن يحفر بئراً بقصر العبادي، فلم يزل يقطين في حفرها حتى مات أبو جعفر، ولم يستنبط منها الماء، فأخبر المهدي بذلك، فقال له: احفر أبداً حتى تستنبط الماء، ولو أنفقت عليها جميع ما في بيت المال.

قال: فوجه يقطين أخاه أبو موسى في حفرها، فلم يزل يحفر حتى ثقبوا ثقباً في أسفل الأرض، فخرجت منه الريح، قال: فهالهم ذلك، فأخبروا أبا موسى، فقال: أنزلوني، وكان رأس البشر أربعين ذراعاً [في أربعين ذراعاً] فأجلس في شق محمل ودلي في البئر، فلما صار في قعرها نظر إلى هولٍ وسمع دوي الريح في أسفل ذلك، فأمرهم أن يوسعوا ذلك الخرق، فجعلوه شبه الباب العظيم، ثم دلي فيه رجلان في شق محمل، فقال: اتنوني بخبر هذا ما هو؟ قال: فنزلا في شق محمل، فمكثا ملياً، ثم حركا الجبل فأصعدا، فقال لهما: ما رأيكما؟ قالا: أمراً عظيماً، رجالاً ونساء وبيوتاً وآنيةً ومتاعاً، كلها ممسوخ من حجارة، فأما الرجال والنساء فعليهم ثيابهم، فمن بين قاعدٍ ومضطجعٍ ومتكىءٍ، فلما مسسناهم إذا ثيابهم تنفّس شبة الهباء، ومنازل قائمة.

قال: فكتب بذلك أبو موسى إلى المهدي، فكتب المهدي إلى المدينة، إلى موسى بن جعفر عليه السلام، يسأله أن يقدم عليه، فقدم عليه فأخبره، فبكى بكاءً شديداً، وقال: «يا أمير المؤمنين، هؤلاء بقية قوم عادٍ، غضب الله عليهم فساخت بهم منازلهم، هؤلاء أصحاب الأحقاف». [قال] فقال له المهدي: يا أبا الحسن، وما الأحقاف؟ قال: «الرمل»^(٢).

(٢) الاحتجاج: ص ٣٨٨.

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٨.

س ١٣ : ما هو معنى قوله تعالى :

﴿قَالُوا أَجِئْنَا بِتَأْفِكِنَا عَنِ إِلَهِنَا قَالُوا إِنَّمَا تُوَدُّونَ إِتْمَانًا وَّأُتْفِكُ مَّا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَلَكِنِّي أَرِيتُكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ ﴿٣٢﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِشٌ لِّمَنْ ظَنَنَّا أَن لَّنَّ رِجْعَ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٣﴾ تَدْمِئُ كُلُّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنَتُهُمْ كَذَلِكَ يَجْزَى الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيهَا إِن مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَبَصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ وَصَرَفْنَا آلَاتِهِمْ لَأَعْلَمَنَّ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ صَلَّوْا عَنْهُمْ وَذَكَرَ إِفْكَهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْقَرُونَ ﴿٣٧﴾ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْيَمَنِ يَسْتَحْسِنُونَ أَفَلَمْ يَحْضَرُوهُ قَالُوا أَنْصَبُوا فَلَمَّا خُصِيَ وَلُوا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٣٨﴾ قَالُوا يَقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَىٰ الْحَقِّ وَإِلَّا طَرِيقٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٩﴾ يَقَوْمَنَا آجِبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤١﴾﴾ (سورة الأحقاف: ٢٢ - ٣٢) !؟

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: ثم حكى الله قوم عاد: ﴿قالوا أجتنا لتأفكننا﴾، أي نزيلنا بكذبك عما كان يعبد آباؤنا: ﴿فأتانا بما تعدلنا﴾، من العذاب ﴿إن كنت من الصادقين﴾، وكان نبيهم هود عليه السلام، وكانت بلادهم كثيرة الخير خصبة، فحبس الله عنهم المطر سبع سنين حتى أجذبوا، وذهب خيرهم من بلادهم، وكان هود يقول لهم ما حكى الله في سورة هود: ﴿وَنَقُورٍ آسَفُورًا وَرَكْمٍ نُّرٌّ تَوَورًا إِلَيْهِ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ يَرْزُقُكُمْ

قُوَّةَ إِنْ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَنْزُلُوا جُجْرِمِينَ ﴿١١﴾ فلم يؤمنوا، وعتوا، فأوحى الله إلى هود عليه السلام: أنه يأتيهم العذاب في وقت كذا وكذا ﴿ريح فيها عذاب أليم﴾، فلما كان ذلك الوقت، نظروا إلى سحابة، قد أقبلت، ففرحوا وقالوا: ﴿هذا عارض ممطرنا﴾ الساعة بمطر، فقال لهم هود: ﴿بل هو ما استعجلتم به﴾. في قوله تعالى: ﴿فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين﴾. ﴿ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بأمر ربها﴾، فلفظه عام ومعناه خاص، لأنها تركت أشياء كثيرة لم تدمرها، وإنما دمرت ما لهم كله، فكان كما قال الله تعالى: ﴿فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم﴾، وكل هذه الأخبار من هلاك الأمم تخويف وتحذير لامة محمد ﷺ. وقوله تعالى: ﴿ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة﴾، أي قد أعطيناهم فكفروا، فنزل بهم العذاب، فاحذروا أن ينزل بكم ما نزل بهم. ثم خاطب الله تعالى قريشاً: ﴿ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات﴾، أي بينا، وهي بلاد عاد وقوم صالح وقوم لوط، ثم قال احتجاجاً عليهم: ﴿فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا ءالهة بل ضلوا عنهم﴾ أي بطلوا ﴿وذلك إفكهم﴾ أي كذبهم ﴿وما كانوا يفترون﴾.

قال: قوله تعالى: ﴿وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن﴾، إلى قوله تعالى: ﴿فلما قضى﴾، أي فرغ ﴿ولوا إلى قومهم منذرين قالوا يا قومنا إنا سمعنا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أولئك في ضلال مبين﴾، فهذا كله حكاية عن الجن، وكان سبب نزولها أن رسول الله ﷺ خرج من مكة إلى سوق عكاظ، ومعه زيد بن حارثة، يدعو الناس إلى الإسلام، فلم يجبه أحد، ولم يجد من يقبله، ثم رجع إلى مكة، فلما بلغ موضعاً [يقال] له: وادي مجنة

تهجد بالقرآن في جوف الليل، فمرّ به نفر من الجنّ، فلما سمعوا قراءة رسول الله ﷺ، استمعوا له، فلما سمعوا قراءته، قال بعضهم لبعض: ﴿أنصتوا﴾، يعني استكتوا: ﴿فلما قضى﴾، أي فرغ: ﴿ولوا إلى قومهم منذرين قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم يا قومنا أجبوا داعي الله وءامنوا به﴾، إلى قوله تعالى: ﴿أولئك في ضلال مبين﴾، فجاءوا إلى رسول الله ﷺ، وأسلموا وآمنوا، وعلمهم شرائع الإسلام، فأنزل على نبيه:

﴿قُلْ أُوْحَىٰ إِلَيْكَ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾^(١)، السورة كلّها، فحكى [الله] عزّ وجلّ قولهم وولى عليهم رسول الله ﷺ وكانوا يعودون إلى رسول الله ﷺ في كل وقت، فأمر رسول الله ﷺ أمير المؤمنين ﷺ أن يعلمهم ويفقههم، فمنهم مؤمنون وكافرون وناصبون، ويهود ونصارى ومجوس، وهم ولد الجان^(٢).

قال: وسئل العالم ﷺ عن مؤمني الجنّ أيدخلون الجنة؟ فقال: لا، ولكن لله حظائر بين الجنة والنار، ويكون فيها مؤمنو الجنّ وفساق الشيعة^(٣). وقال الطبرسي في (الاحتجاج): عن أمير المؤمنين ﷺ، وقد سأله يهودي، قال اليهودي: فإنّ هذا سليمان سخرت له الشياطين، يعملون له ما يشاء من محاريب وتمائيل.

قال له عليّ ﷺ: «لقد كان كذلك. ولقد أعطي محمد ﷺ أفضل من هذا، إن الشياطين سخرت لسليمان وهي مقيمة على كفرها، وسخرت لنبوة محمد ﷺ الشياطين بالإيمان، فأقبل إليه من الجنّ تسعة من أشرفهم، واحد

(٣) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٠٠.

(١) الجن: ١.

(٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٩٨.

من جن نصيبين، والثمان من بني عمرو بن عامر من الأحجر، منهم شضاه، ومضاه، والهملكان، والمرزيان، والمازمان، ونضاه، وهاضب، وعمرو، وهم الذين يقول الله تبارك وتعالى اسمه فيهم: ﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن﴾، وهم التسعة، فأقبل إليه الجن والنبي ﷺ ببطن النخل، فاعتذروا بأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن بيعث الله أحداً، ولقد أقبل إليه أحد وسبعون ألفاً منهم، فبايعوه على الصوم والصلاة والزكاة والحج والجهاد ونصح المسلمين، واعتذروا بأنهم قالوا على الله شططاً، وهذا أفضل مما أعطي سليمان، سبحان من سخرها لنبوة محمد ﷺ بعد أن كانت تتمرد وترعّم أن الله ولداً، ولقد شمل مبعثه من الجن والإنس ما لا يحصى^(١).

❁ س ١٤: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ يُقَدِّرْ عَلَىٰ أَنْ يَحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُمْ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَىٰ النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾﴾

[سورة الأحقاف: ٣٣ - ٣٤]؟

الجواب/ قال الشيخ الطوسي: ثم قال تعالى منبهاً لهم على قدرته على الإعادة والبعث ﴿أو لم يروا﴾ أي أو لم يعلموا ﴿أن الله الذي خلق السموات والأرض﴾ وأنشأهما ﴿ولم يعي بخلقهن﴾ أي لم يصبه في خلق ذلك إعياء ولا تعب ﴿بقادر﴾ فالباء زائدة وموضعه رفع بأنه خبر ﴿أن﴾ ودخول الباء في خبر ﴿إن﴾ جائز إذا كان أول الكلام نفيًا نحو ما ظننت أن زيدا بقائم ولو قلت: إن زيدا بقائم لا يجوز، لأنه إثبات ﴿على أن يحيي الموتى﴾ ثم قال ﴿بلى﴾ هو قادر عليه ﴿إنه على كل شيء قدير﴾ ثم قال ﴿ويوم يعرض الذين

كفروا على النار أليس هذا بالحق ﴿ أي يقال لهم على وجه الاحتجاج عليهم أليس هذا الذي جزيتم به حق لا ظلم فيه لأنكم شاهدتموه الآن ﴾ قالوا بلى وربنا ﴿ فيحلفون على ذلك، فيقال لهم عند ذلك ﴿ ذوقوا العذاب ﴾ جزاء ﴿ بما كنتم تكفرون ﴾ أي بما كنتم تجحدون من نعمه وتنكرون من وحدانيته^(١).

س ١٥: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَمْ يَكُنْ لَكَ بِيَوْمِ بَرُونَ مَا يُوعَدُونَ لَوْ يَلْتَمِئُونَ إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلِّغْ فَهَلْ يَهْتَكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾

[سورة الأحقاف: ٣٥]!

الجواب/ قال سماعة بن مهران: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قول الله عز وجل: ﴿ فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ﴾؟ فقال: «نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد (صلوات الله عليهم)».

قلت: كيف صاروا أولي العزم؟ قال: «لأن نوحاً بعث بكتاب وشرعة، وكل من جاء بعد نوح أخذ بكتاب نوح وشريعته ومنهاجه، حتى جاء إبراهيم عليه السلام بالصُّحف وبعزيمة ترك كتاب نوح لا كفرةً به، فكل نبي جاء بعد إبراهيم عليه السلام أخذ بشرعة إبراهيم ومنهاجه وبالصُّحف، حتى جاء موسى بالتوراة وشريعته ومنهاجه وبعزيمة ترك الصحف، فكل نبي جاء بعد موسى عليه السلام أخذ بالتوراة وبشريعته ومنهاجه، حتى جاء المسيح عليه السلام بالإنجيل وبعزيمة ترك شريعة موسى ومنهاجه، فكل نبي جاء بعد المسيح عليه السلام أخذ بشريعته ومنهاجه حتى جاء محمد ﷺ فجاء بالقرآن وبشريعته ومنهاجه، فحلاله حلال إلى يوم القيامة، وحرامه حرام إلى يوم القيامة، فهؤلاء أولو العزم من الرسل عليه السلام»^(٢).

(٢) الكافي: ج ٢، ص ١٤، ح ٢.

(١) النبان: ج ٩، ص ٢٨٦.

وقال أبو الحسن الرضا عليه السلام: «إنما سمي أولو العزم أولي العزم، لأنهم كانوا أصحاب العزائم والشرائع، وذلك أن كل نبي كان بعد نوح عليه السلام كان على شريعته ومنهاجه، وتابعا لكتابه إلى زمن إبراهيم الخليل عليه السلام، وكل نبي كان في أيام إبراهيم، وبعده كان على شريعته ومنهاجه، وتابعا لكتابه إلى زمن موسى عليه السلام، وكل نبي كان في زمن موسى وبعده كان على شريعته ومنهاجه، وتابعا لكتابه إلى أيام عيسى عليه السلام، وكل نبي كان في زمن عيسى وبعده كان على منهاج عيسى وشريعته، وتابعا لكتابه إلى زمن نبينا محمد صلى الله عليه وآله، فهؤلاء الخمسة هم أفضل الأنبياء والرسل عليهم السلام، وشريعة محمد صلى الله عليه وآله، [لا تنسخ] إلى يوم القيامة، ولا نبي بعده إلى يوم القيامة، فمن ادعى بعده نبوة أو أتى بعد القرآن بكتاب قدمه مباح لكل من سمع ذلك منه^(١).

وقال علي بن إبراهيم: ثم أدب الله نبيه صلى الله عليه وآله بالصبر، فقال: «فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل»، وهم نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد صلى الله عليه وآله، ومعنى أولي العزم أنهم سبقوا الأنبياء إلى الإقرار بالله والإقرار بكل نبي كان قبلهم وبعدهم، وعزموا على الصبر مع التكذيب لهم والأذى^(٢).

وقال علي بن إبراهيم: ثم قال تعالى: «ولا تستعجل لهم»، يعني العذاب «كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار»، قال: يرون يوم القيامة أنهم لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة من نهار «بلاغ»، أي أبلغهم ذلك «فهل يهلك إلا القوم الفاسقون»^(٣).

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢، ص ٨٠، ح ١٣.

(٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٠٠.

(٣) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٠٠.

تفسير
سورة محمد

رقم السورة - ٤٧ -

سورة محمد

❁ سر ١: ما هو فضل سورة محمد ﷺ!؟

الجواب/ قال أبو عبد الله ﷺ: «من قرأ سورة ﴿الذين كفروا﴾ لم يرتب أبداً، ولم يدخله شك في دينه أبداً، ولم يبتله الله بفقر أبداً، ولا خوف من سلطان أبداً، ولم يزل محفوظاً من الشك والكفر أبداً حتى يموت، فإذا مات وكل الله به في قبره ألف ملك يصلون في قبره، يكون ثواب صلاتهم له، ويشيعونه حتى يوقفوه موقف الأمن عند الله عز وجل، ويكون في أمان الله وأمان محمد ﷺ»^(١).

ومن (خواص القرآن): روي عن النبي ﷺ، أنه قال: «من قرأ هذه السورة لم يول وجهه جهة إلا رأى فيه وجه رسول الله ﷺ إذا خرج من قبره، وكان حقاً على الله تعالى أن يسقيه من أنهار الجنة، ومن كتبها وعلقها عليه، أمن في نومه ويقظته من كل محذور بيركتها»^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «من كتبها وعلقها عليه، أمن في نومه ويقظته من كل محذور، وكان محروساً من كل بلاء وداء»^(٣).

وقال الصادق ﷺ: «من كتبها وعلقها عليه دفع عنه الجان، وأمن في نومه ويقظته؛ وإذا جعلها إنسان على رأسه كفي شر كل طارق بإذن الله تعالى»^(٤).

(٣) البرهان: ج ٩، ص ٧٠.

(١) ثواب الأعمال: ص ١١٤.

(٤) البرهان: ج ٩، ص ٧٠.

(٢) البرهان: ج ٩، ص ٦٩.

س ٢: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [سورة محمّد: ١؟]

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: نزلت في أصحاب رسول الله ﷺ الذين ارتدوا بعد رسول الله ﷺ، وغضبوا أهل بيته حقهم، وصدّوا عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، وعن ولايته، «أضل أعمالهم» أي أبطل ما كان تقدم منهم مع رسول الله ﷺ من الجهاد والنصرة^(١).

ثم قال علي بن إبراهيم: قال أبو جعفر (عليه السلام): «قال أمير المؤمنين (عليه السلام)، بعد وفاة رسول الله ﷺ في المسجد والناس مجتمعون بصوت عالٍ: «الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم»، فقال له: ابن عباس: يا أبا الحسن، لم قلت ما قلت؟ قال: قرأت شيئاً من القرآن. قال: لقد قلت لأمر. قال: نعم إن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿وَمَا آتَانَكُمْ الرَّسُولَ فَاخْذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(٢)، أفتشهد على رسول الله ﷺ أنه استخلف أبا بكر؟ قال: ما سمعت رسول الله ﷺ أوصى إلا إليك. قال فهلا بايعتني؟ قال: اجتمع الناس على أبي بكر، فكنت منهم. فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): كما اجتمع أهل العجل على العجل، ها هنا فتنتم، ومثلكم: ﴿كَكُفْلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَزَكَرَهُمْ فِي ظُلْمَةٍ لَا يُبْصِرُونَ صُمْ بِكُمْ عَمَىٰ فَمِمَّ لَا يَرْجِعُونَ﴾^(٣)،^(٤).

وقال أبو جعفر (عليه السلام): «سورة محمد ﷺ آية فينا، وآية في بني أمية»^(٥).

وعن ابن شهر آشوب: عن جعفر، وأبي جعفر (عليه السلام)، في قوله تعالى:

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٠٠. (٤) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٠١.

(٢) الحشر: ٧. (٥) تأويل الآيات: ج ٢، ص ٥٨٢، ح ٢.

(٣) البقرة: ١٧، ١٨.

﴿الذين كفروا﴾: «يعن بني أمية» ﴿وصدوا عن سبيل الله﴾ عن ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام (١).

❁ سر ٣: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَيْنَا مِنْ رَبِّهِمْ كَفَرُوا عَنْهُمْ سِتَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بِهَلْمٌ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَصَرِّبْ أَلْقَابَ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا أَلْوَانَكُمَا مَاتًا بَعْدَ وَاِمَا فِدَاءٍ حَتَّىٰ تَضَعَ الْمَرْءُ أَرْزَأَهُ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَأُنصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لَبِلُوا بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُبَدَّلَ أَعْمَالُهُمْ ﴿٤﴾ سَيِّدِيهِمْ وَيُصَلِّحُ بِهِمُ الْهَلْمُ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هَلْمٌ ﴿٦﴾﴾ [سورة محمد: ٢ - ٦]!

الجواب ١ - قال علي بن إبراهيم، قال أبو عبد الله عليه السلام: «والذين ءامنوا وعملوا الصالحات وءامنوا بما نزل على محمد» في علي «وهو الحق من ربهم كفر عنهم سياتهم وأصلح بالهم»، هكذا نزلت (٢).

ثم قال علي بن إبراهيم أيضاً، في قوله تعالى: «والذين ءامنوا وعملوا الصالحات»: نزلت في أبي ذرّ وسلمان وعمار والمقداد، ولم ينقضوا العهد «وءامنوا بما نزل على محمد»، أي ثبتوا على الولاية التي أنزلها الله: «وهو الحق»، يعني أمير المؤمنين عليه السلام: «من ربهم كفر عنهم سياتهم وأصلح بالهم» أي حالهم.

ثم ذكر أعمالهم فقال: «ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل» وهم الذين اتبعوا أعداء رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام: «إن الذين ءامنوا

اتبعوا الحق من ربهم ﴿١﴾ .

٢ - قال أبو عبد الله عليه السلام : «في سورة محمد ﴿١﴾ آية فينا وآية في عدونا، والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿كذلك يضرب الله للناس أمثالهم فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب﴾ إلى قوله تعالى : ﴿لانتصر منهم﴾ ، فهذا السيف على مشركي العجم من الزنادقة، ومن ليس معه كتاب من عبدة النيران والكواكب» (٢) .

وقال علي بن إبراهيم القمي أيضاً قوله تعالى : ﴿فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب﴾ فالمخاطبة للجماعة، والمعنى لرسول الله ﷺ والإمام من بعده (٣) .

وقال أبو عبد الله (صلوات الله عليه) - في حديث الأسياف الخمسة - : «والسيف الثالث على مشركي العجم، يعني التُّرك والديلم والخزر، قال الله عزَّ وجلَّ في أول السورة التي يذكر فيها الذين كفروا فقصَّ قصتهم، ثم قال : ﴿فضرب الرقاب حتى إذا أنختموهم فشدوا الوثاق فإماتنا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها﴾ فأما قوله تعالى : ﴿فإما منا بعد﴾ يعني بعد السبي منهم ﴿وإما فداء﴾ يعني المفاداة بينهم وبين أهل الإسلام، فهؤلاء لن يقبل منهم إلا القتل أو الدخول في الإسلام، ولا يحل لنا مناكحتهم ما داموا في دار الحرب» (٤) .

٣ - قال علي بن إبراهيم : قوله تعالى : ﴿والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيدهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم﴾ أي وعدا إياهم، وأذخرها لهم ﴿ليبلوا بعضكم ببعض﴾ ، أي يختبر (٥) .

(٤) الكافي: ج ٥، ص ١١، ح ٢.

(٥) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٠٢.

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٠١.

(٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٠١.

(٣) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٠٢.

س ٤: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَنصَرُوا لِلَّهِ يَنصِرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (٧)

[سورة محمد: ٧]!

الجواب/ قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن الجهاد باب فتحه الله لخاصة أوليائه، وسوغهم كرامة منه لهم ونعمة ادخرها، والجهاد لباس التقوى، ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة، فمن تركه رغبةً عنه ألبسه الله أثواب الذلة وشملة^(١) البلاء، وفارق الرخاء، وضرب على قلبه بالإشبهاء^(٢)، وديث بالصغار^(٣) والقماء، وسيم الخسف، ومنع النصف^(٤)، وأدبل الحق بتضييع الجهاد، وغضب الله عليه لتركه نصرته. وقد قال الله عز وجل في محكم كتابه: ﴿إِنْ تَنصَرُوا لِلَّهِ يَنصِرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾^(٥).

وقال علي بن إبراهيم: خاطب الله أمير المؤمنين عليه السلام، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَنصَرُوا لِلَّهِ يَنصِرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾^(٦).

س ٥: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَسَاءَلُمْ وَأَسْأَلْ أَعْمَلُهُمْ﴾ (٨) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ

أَعْمَلُهُمْ﴾ [سورة محمد: ٨ - ٩]!

الجواب/ قال أبو جعفر عليه السلام: «نزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) في نهج البلاغة: وشملة.

(٢) في نهج البلاغة: بالإشبهاء، أي ذهاب العقل وكثرة الكلام، وفي نسخة بالأسداد أي الحجب.

(٣) دُيِّث بالصغار: أي دُئِل. «النهاية: ج ٢، ص ١٤٧».

(٤) وسيم الخسف: أي كلف وألزم، والخسف: نقصان والوهان، والنصف: العدل.

(٥) التهذيب: ج ٦، ص ١٢٣، ح ٢١٦، نهج البلاغة: ص ٦٩، الخطبة ٢٧.

(٦) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٠٢.

بهذه الآية هكذا: ﴿ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله﴾ في علي ﴿فأحبط﴾ أعمالهم ﴿^(١)﴾.

وقال أبو جعفر عليه السلام: «قوله تعالى: ﴿ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله﴾ في علي ﴿فأحبط أعمالهم﴾^(٢)».

❁ سر ٦: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
وَاللَّكْفِيرِينَ أَشْتَلَهَا ﴿١٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ مَوَّلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكٰفِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴿١٦﴾ إِنَّ
اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
يَسْتَنْعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿١٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرِيبٍ هِيَ آسَفُ قُوَّةٍ
مِّن قَرِينِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْتَهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٨﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ يَتِيمٍ مِّن زَرْعِهِ
كَمَن زُرِينًا لَّمْ يَسُوهُ عَمَلِيهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٩﴾ [سورة محمّد: ١٠ - ١٤]؟!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم، في قوله تعالى: ﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾: أي أو لم ينظروا في أخبار الأمم الماضية^(٣).

وسئل الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿أولم يسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾^(٤)، قال: «معناه أو لم ينظروا في القرآن»^(٥).

ثم قال علي بن إبراهيم، في قوله تعالى: ﴿دمر الله عليهم﴾ أي أهلكهم وعذبهم، قوله تعالى: ﴿وللكافرين﴾ يعني الذين كفروا وكرهوا ما أنزل الله في علي ﴿أمثالها﴾ أي لهم مثل ما كان للأمم الماضية من العذاب والهلاك.

(٤) الروم: ٩.

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٠٢.

(٥) الخصال: ص ٣٩٦، ح ١٠٢.

(٢) تأويل الآيات: ج ٢، ص ٥٨٣، ح ٦.

(٣) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٠٢.

ثم ذكر المؤمنين الذين ثبتوا على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال تعالى: ﴿ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم﴾ .

[وقد ورد في حديث أن النبي صلى الله عليه وآله كان جالساً تحت شجرة وحده، فسل أحد المشركين سيفه وهجم على النبي صلى الله عليه وآله فقال له: من يخلصك مني؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله: «الله»، فأخذت الكافر رعدة، وهوى على الأرض، وسقط السيف من يده، فأخذه النبي صلى الله عليه وآله وقال له: «فمن يخلصك مني الآن؟ قال: لا أحد، ثم آمن^(١)» .

نعم، الله مولى الذين آمنوا، وإن الكافرين لا مولى لهم].

ثم ذكر المؤمنين، فقال تعالى: ﴿إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ يعني بولاية علي عليه السلام: ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار والذين كفروا﴾ أعداؤه ﴿يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام﴾ يعني أكلاً كثيراً ﴿والنار مشوى لهم وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكتهم فلا ناصر لهم﴾ قال: الذين أهلكتهم من الأمم السالفة كانوا أشد قوة من قريتك، يعني أهل مكة الذين أخرجوك منها، فلم يكن لهم ناصر ﴿أفمن كان على بينة من ربه﴾ يعني أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿كمن زين له سوء عمله﴾ يعني الذين غضبوه ﴿واتبعوا أهواءهم﴾^(٢) .

وقال أبو جعفر عليه السلام ، في قوله تعالى: ﴿كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم﴾ «نزلت في المنافقين»^(٣) .

(١) روح البيان: المجلد ٨، ص ٥٠٣.

(٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٠٢.

(٣) مجمع البيان: ج ٩، ص ١٥١.

س ٧: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَلِيدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ ﴿١٧﴾﴾
 وَهُمْ مَن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَقًّا إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٨﴾﴾ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٩﴾﴾ [سورة محمد: ١٥ - ١٧]!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: ثم ضرب لأوليائه وأعدائه مثلاً، فقال لأوليائه: ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لذة للشاربين﴾ أي خمرة إذا تناولها ولي الله وجد رائحة المسك فيها ﴿وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم﴾^(١).

وقال علي عليه السلام: «الماء سيد شراب الدنيا والآخرة، وأربعة أنهار في الدنيا من الجنة: الفرات، والنيل، وسيحان، وجيحان»^(٢)، الفرات: الماء، والنيل: العسل، وسيحان: الخمر، وجيحان: اللبن»^(٣).

وقال علي بن إبراهيم: ثم ضرب لأعدائه مثلاً، فقال: ﴿كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم﴾ فقال: ليس من هو في هذه الجنة الموصوفة كمن هو في هذه النار، كما أنه ليس عدو الله كوليّه.

٢ - قال علي بن إبراهيم: قوله تعالى: ﴿وهمنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفاً﴾ فإنها نزلت في

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٠٣.

(٢) كامل الزيارات: ص ٤٧، ح ١.

(٣) في النسخ: وسيحون وجيحون.

المنافقين من أصحاب رسول الله ﷺ ، ومن كان إذا سمع شيئاً منه لم يؤمن به ولم يعه ، فإذا خرجوا ، قالوا للمؤمنين : ماذا قال محمد آنفاً؟ فقال الله تعالى : ﴿ أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم ﴾^(١) .

وقال أبو جعفر عليه السلام : « إن رسول الله ﷺ كان يدعو أصحابه ، فمن أراد الله به خيراً سمع وعرف ما يدعو إليه ، ومن أراد الله به شراً طبع على قلبه ولا يسمع ولا يعقل ، وهو قول الله تعالى : ﴿ حتى إذا خرجوا من عندك ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ ماذا قال آنفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم ﴾ الآية^(٢) .

٣ - قال علي بن إبراهيم : ثم ذكر المهتدين ، فقال تعالى : ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى وآياتهم تقواهم ﴾ وهو رد على من زعم أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص^(٣) .

وقال علي عليه السلام : « كنا عند رسول الله ﷺ فيخبرنا بالوحي ، فأعياه أنا دونهم والله وما يعونه ، وإذا خرجوا قالوا لي : ماذا قال آنفاً؟^(٤) .

● س ٨ : ما هو معنى قوله تعالى :

﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنْتُمْ لَكُمْ إِذَا جَاءَتْكُمْ ذَكَرْتُمْ ﴾ [سورة محمد : ١٨]؟!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم : ثم قال تعالى : ﴿ فهل ينظرون إلا الساعة ﴾ يعني القيامة ﴿ أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها ﴾^(٥) .

وقال علي بن إبراهيم ، قال عبد الله بن عباس : حججنا مع رسول الله ﷺ حجة الوداع ، فأخذ بحلقة باب الكعبة ، ثم أقبل علينا بوجهه ، فقال :

(٤) تأويل الآيات : ٢ ، ص ٥٨٤ ، ح ١٠ .

(٥) تفسير القمي : ج ٢ ، ص ٣٠٣ .

(١) تفسير القمي : ج ٢ ، ص ٣٠٣ .

(٢) تفسير القمي : ج ٢ ، ص ٣٠٣ .

(٣) تفسير القمي : ج ٢ ، ص ٣٠٣ .

«ألا أخبركم بأشراط الساعة؟» - وكان أدنى الناس [منه] يومئذ سلمان (رحمة الله عليه) - فقالوا: بلى يا رسول الله، فقال ﷺ: «من أشراط الساعة إضاعة الصلاة، واتباع الشهوات، والميل إلى الأهواء وتعظيم أصحاب المال، وبيع الدين بالدنيا، فعندها يذاب قلب المؤمن في جوفه كما يذاب الملح بالماء، مما يرى من المنكر فلا يستطيع أن يغيره». قال سلمان: وإن هذا لكائن، يا رسول الله؟ قال: «إي والذي نفسي بيده».

يا سلمان، إنَّ عندها أمراء جوررة ووزراء فسقة، وعرفاء ظلمة، وأمناء خونة».

فقال سلمان: وإنَّ هذا لكائن، يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «إي والذي نفسي بيده».

يا سلمان إنَّ عندها يكون المنكر معروفاً، والمعروف منكراً، ويؤمن الخائن، ويخون الأمين، ويصدق الكاذب، ويكذب الصادق». قال سلمان: وإنَّ هذا لكائن، يا رسول الله؟ قال ﷺ: «إي والذي نفسي بيده».

يا سلمان فعندها تكون إمارة النساء، ومشاورة الإماء، وقعود الصبيان على المنابر، ويكون الكذب ظرفاً، والزكاة مغرمأ، والفيء مغنماً، ويجفو الرجل والديه، ويبرِّ صديقه، ويطلع الكوكب المذنب». قال سلمان: وإن هذا لكائن، يا رسول الله؟ قال: «إي والذي نفسي بيده».

يا سلمان، وعندها تشارك المرأة زوجها في التجارة، ويكون المطر قيظاً، ويغاض الكرام غيظاً، ويحتقر الرجل المعسر، فعندها تقارب الأسواق، إذا قال هذا: لم أبع شيئاً، وقال هذا: لم أربح [شيئاً]، فلا ترى إلا ذاماً لله». قال سلمان: وإن هذا لكائن، يا رسول الله؟ قال: «إي والذي نفسي بيده».

يا سلمان، فعندها يليهم أقوام إن تكلموا قتلوهم وإن سكتوا

استباحوهم، ليستأثروا بفيثهم، وليطؤون حرمتهم، وليسفكنّ دماءهم، ولتملأن قلوبهم دغلاً ورعباً، فلا تراهم إلا وجلين خائفين مرعوبين مرهوبين». قال سلمان: وإن هذا لكائن، يا رسول الله؟ قال: «إي والذي نفسي بيده».

يا سلمان، إن عندها يؤتى بشيء من المشرق وشيء من المغرب يلون أمتي، فالويل لضعفاء أمتي منهم، والويل لهم من الله، لا يرحمون صغيراً، ولا يوقرون كبيراً، ولا يتجاوزون عن مسيء، جثهم جثة الأدميين، وقلوبهم قلوب الشياطين». قال سلمان: وإن هذا لكائن، يا رسول الله؟ قال: «إي والذي نفسي بيده».

يا سلمان، وعندها يكتفي الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، ويغار على الغلمان كما يغار على الجارية في بيت أهلها، وتشبه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال، ويركبن ذوات الفروج والسروج، فعليهنّ من أمتي لعنة الله». قال سلمان: وإن هذا لكائن، يا رسول الله؟ قال: «إي والذي نفسي بيده».

يا سلمان إن عندها تزخرف المساجد كما تزخرف البيع والكنائس، وتحلى المصاحف، وتطول المنارات، وتكثر الصفوف بقلوب متباغضة وألسن مختلفة». قال سلمان: وإنّ هذا لكائن، يا رسول الله؟ قال: «إي والذي نفسي بيده».

يا سلمان، وعندها تحلى ذكور أمتي بالذهب ويلبسون الحرير والدياج، ويتخذون جلود الثمور صفاقاً». قال سلمان: وإن هذا لكائن، يا رسول الله؟ قال: «إي والذي نفسي بيده».

يا سلمان، وعندها يظهر الربا، ويتعاملون بالعينه^(١) والرّشا، ويوضع

(١) عَيْنٌ: أخذ بالعينه بالكسر: أي السلف أو أعطى بها، وعَيْنُ التاجر: باع سلعته بمن إلى أجل ثم اشتراها منه بأقل من ذلك الثمن. «القاموس المحيط: ج ٤، ص ٢٥٤».

الدين، وترفع الدنيا» قال سلمان: وإن هذا لكائن، يا رسول الله؟ قال: «إي والذي نفسي بيده».

يا سلمان، وعندها يكثر الطلاق، فلا يقام لله حد، ولن يضر الله شيئاً». قال سلمان: وإن هذا لكائن، يا رسول الله؟ قال: «إي والذي نفسي بيده».

يا سلمان، وعندها تظهر القينات والمعازف، ويليهن شرار أممي». قال سلمان: وإن هذا لكائن، يا رسول الله؟ قال عليه السلام: «إي والذي نفسي بيده».

يا سلمان، وعندها تحج أغنياء أممي للنزهة، وتحج أوساطها للتجارة، وتحج فقراؤها للرياء والسمعة، فعندها يكون أقوام يتعلمون القرآن لغير الله، فيتخذونه مزامير، ويكون أقوام يتفقهون لغير الله، وتكثر أولاد الزنا ويتغنون بالقرآن، ويتهافتون بالدنيا». قال سلمان: وإن هذا لكائن، يا رسول الله؟ قال عليه السلام: «إي والذي نفسي بيده».

يا سلمان، ذاك إذا انتهكت المحارم، واكتسبت المائم، وتسلبت الأشرار على الأخيار، وفسحوا الكذب، وتظهر اللجاجة، وتفشو الفاقة، ويتباهون في اللباس، ومُطرون في غير أوان المطر، ويستحسنون الكُوبة^(١)، والمعازف، وينكرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى يكون المؤمن في ذلك الزمان أذل من الأمة، ويظهر قراؤهم وعبادهم فيما بينهم التلاوم، فأولئك يدعون في ملكوت السماوات الأرجاس والأنجاس». قال سلمان: وإن هذا لكائن، يا رسول الله؟ قال عليه السلام: «أي والذي نفسي بيده».

يا سلمان، فعندها لا يخشى الغني إلا الفقير، حتى إن السائل يسأل فيما بين الجمعيتين لا يصيب أحداً يضع في كفه شيئاً». قال سلمان، وإن هذا لكائن، يا رسول الله؟

(١) أي الطبل الصغير المُحضر.

قال ﷺ: «إي والذي نفسي بيده».

يا سلمان، وعندها يتكلم الرؤيضة^(١). قال سلمان: وما الرؤيضة، يا رسول الله ﷺ؟ فذاك أبي وأمي، قال ﷺ: «يتكلم في أمر العامة من لم يكن يتكلم، فلم يلبثوا إلا قليلاً حتى تخور الأرض خورة، فلا يظن كل قوم إلا أنها خارت في ناحيتهم، فيمكثون ما شاء الله، ثم يمكثون في مكثهم فتلقي لهم الأرض أفلاذ كبدها». قال: «ذهب وفضة». ثم أوما بيده إلى الأساطين، فقال: «مثل هذا، فيومئذ لا ينفع ذهب ولا فضة». فهذا معنى قوله تعالى: ﴿فقد جاء أشراطها﴾^(٢).

س ٩: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمُتَوَلِّكُمْ﴾ [سورة محمد: ١٩]!

الجواب/ قال رسول الله ﷺ، غُرست له شجرة في الجنة من ياقوتة حمراء، نبتها في مسك أبيض أحلى من العسل، وأشدّ بياضاً من الثلج، وأطيب ريحاً من المسك، فيها أمثال ثدي الأبقار، تعلق عن سبعين حلّة.

وقال رسول الله ﷺ: «خير العبادة قول: لا إله إلا الله». وقال: «خير العبادة الاستغفار، وذلك قول الله عز وجل في كتابه: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك﴾^(٣).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «كان رسول الله ﷺ يستغفر الله عز وجل كل يوم سبعين مرة، ويتوب إلى الله عز وجل سبعين مرة».

(١) الرؤيضة، تصغير الرأبضة: وهو العاجز الذي يرض عن معالي الأمور، وقعد عن طلبها.

(٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٠٣.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ٣٧٥، ح ٢.

قال: قلت: كان يقول: أستغفر الله وأتوب إليه؟ قال: «كان يقول: أستغفر الله، أستغفر الله - سبعين مرة - ويقول: وأتوب إلى الله، وأتوب إلى الله - سبعين مرة»^(١).

وقال الشيخ الطبرسي: ثم قال لنبيه ﷺ والمراد به جميع المكلفين: «فاعلم أنه لا إله إلا الله» قال الزجاج: يجوز أن يكون المعنى: أتم على هذا العلم، وأثبت عليه، واعلم في مستقبل عمرك ما تعلمه الآن، ويدل عليه ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة». أورده مسلم في الصحيح. وقيل: إنه يتعلق بما قبله على معنى: إذا جاءتهم الساعة، فاعلم أنه لا إله إلا الله أي يبطل الملك عند ذلك، فلا ملك ولا حكم لأحد إلا الله. وقيل: إن هذا إخبار بموته ﷺ والمراد: فاعلم أن الحي الذي لا يموت هو الله وحده. وقيل: إنه كان ضيق الصدر من أذى قومه، فقيل له: فاعلم أنه لا كاشف لذلك إلا الله. «واستغفر لذنبك» الخطاب له، والمراد به الأمة، وإنما خوطب بذلك لتستن أمته بسنته. وقيل: إن المراد بذلك الانقطاع إلى الله تعالى، فإن الاستغفار عبادة يستحق به الثواب. وقد صح الحديث بالإسناد عن حذيفة بن اليمان قال: كنت رجلاً ذرب اللسان على أهلي، فقلت: يا رسول الله! إنني لأخشى أن يدخلني لساني في النار؟ فقال رسول الله ﷺ: «فأين أنت من الاستغفار؟ إنني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة». «وللمؤمنين والمؤمنات» أكرمهم الله سبحانه بهذا، إذ أمر نبيهم أن يستغفر لذنوبهم، وهو الشفيح المجاب فيهم. ثم أخبر سبحانه عن علمه، وأحوال الخلق ومآلهم فقال: «والله يعلم متقلبكم ومثواكم» أي متصرفكم في أعمالكم في الدنيا، ومصيركم في الآخرة إلى الجنة، أو إلى

(١) الكافي: ج ٢، ص ٣٦٦، ح ٥.

النار... وقيل: يعلم متقلبكم في أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات، ومثواكم أي مقامكم في الأرض... وقيل: متقلبكم من ظهر إلى بطن، ومثواكم في القبور... وقيل: يعلم متقلبكم متصرفكم في النهار، ومثواكم مضجعكم بالليل. والمعنى: إنه عالم بجميع أحوالكم، فلا يخفى عليه شيء منها^(١).

❁ س ١٠: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ ۞﴾ [سورة محمد: ٢٠]!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسي: ثم قال سبحانه حكاية عن المؤمنين: ﴿ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة﴾ أي هلا نزلت، لأنهم كانوا يأنسون بنزول القرآن، ويستوحشون لإبطائه، ليعلموا أوامر الله تعالى فيهم، وتعبده لهم. ﴿فإذا أنزلت سورة محكمة﴾ ليس فيها متشابه، ولا تأويل. وقيل: سورة ناسخة لما قبلها من إباحة التخفيف في الجهاد. قال قتادة: كل سورة ذكر فيها الجهاد فهي محكمة، وهي أشد القرآن على المنافقين. قيل: محكمة أي مقرونة بوعد يؤكد الأمر كقوله: ﴿ألا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً﴾. وقيل: محكمة بوضوح ألفاظها. وعلى هذا القرآن كله محكم. وقيل: هي التي تتضمن نصاً لم يختلف تأويله، ولم يتعقبه نص. وفي قراءة ابن مسعود: ﴿سورة محدثة﴾ أي مجددة. ﴿وذكر فيها القتال﴾ أي وأوجب عليهم فيها القتال، وأمروا به ﴿رأيت﴾ يا محمد ﴿الذين في قلوبهم مرض﴾ أي شك ونفاق ﴿ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت﴾ قال الزجاج: يريد أنهم يشخصون نحوك بأبصارهم، وينظرون إليك نظراً شديداً، كما ينظر الشاخص

(١) مجمع البيان: ج ٩، ص ١٧٠ - ١٧١.

يبصره عند الموت، لثقل ذلك عليهم، وعظمه في نفوسهم. ﴿فأولى لهم﴾
هذا تهديد ووعيد^(١).

❁ س ١١: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾

[سورة محمد: ٢١]!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسي ﴿طاعة وقول معروف﴾ قد ذكرنا أن فيه مذهبين أحدهما: أن يكون كلاماً متصلاً بما قبله، وقد مر ذكره والآخر: أن يكون كلاماً مبتدأ. ثم اختلف في تقديره على وجهين أحدهما: أن يكون مبتدأ محذوف الخبر. ثم قيل: إن معناه طاعة وقول معروف أمثل واليق من أحوال هؤلاء المنافقين. وقيل: معناه طاعة وقول معروف خير لهم من جزعهم عند نزول فرض الجهاد... والوجه الآخر. إنه خبر مبتدأ محذوف تقديره: قولوا أمرنا طاعة وقول معروف أي حسن لا ينكره السامع. وهذا أمر أمر الله به المنافقين... وقيل: هو حكاية عنهم أنهم كانوا يقولون ذلك، ويقتضيه قوله: ﴿فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم﴾. ﴿فإذا عزم الأمر﴾ معناه: فإذا جد الأمر، ولزم فرض القتال، وصار الأمر معزوماً عليه، والعزم: العقد على الأمر بالإرادة لأن يفعله، فإذا عقد العازم العزم على أن يفعله قيل: عزم الأمر على طريق البلاغة. وجواب إذا محذوف، ويدل عليه قوله ﴿فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم﴾ وتقديره: فإن عزم الأمر نكلوا وكذبوا فيما وعدوا من أنفسهم، فلو صدقوا الله فيما أمرهم به من الجهاد، وامتلوا أمره، لكان خيراً لهم في دينهم ودنياهم من نفاقهم^(٢).

(١) مجمع البيان: ج ٩، ص ١٧١ - ١٧٢.

(٢) مجمع البيان: ج ٩، ص ١٧٣.

س ١٢ : ما هو معنى قوله تعالى :

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ (٢٢) أُولَئِكَ

الَّذِينَ لَنَنُومَهُمُ اللَّهُ فَأَصْمَغَهُمْ وَاعْمَى أَبْصَرَهُمْ ﴿٢٢﴾ [سورة محمد: ٢٢ - ٢٣]!

الجواب/ قال أبو العباس المكي : سمعت أبا جعفر عليه السلام ، يقول : « إن

عمر لقي علياً عليه السلام ، فقال له : أنت الذي تقرأ هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّكُمْ

الْمُفْتُونَ ﴾ ^(١) وتعرض بي وبصاحبي؟ فقال : أفلا أخبرك بآية ، نزلت في بني

أمية؟ ﴿ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم ﴾ ؛

فقال : كذبت ، بنو أمية أوصل للرحم منكم ، ولكنك آبيت إلا عداوة لبني نيم

وبني عدتي وبني أمية ^(٢) .

وقال أبو جعفر عليه السلام : « قال علي بن الحسين عليه السلام - في حديث فيه -

قال : وإياك ومصاحبة القاطع لرحمه ، فإني وجدته ملوناً في كتاب الله عز

وجلّ في ثلاثة مواضع ، قال الله عز وجلّ : ﴿ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا

في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى

أبصارهم ﴾ ، وقال : ﴿ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ

بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ النَّارِ ﴾ ^(٣) ، وقال في

البقرة : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ

يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ الْعَذَابُ ﴾ ^(٤) ، ^(٥) .

وقال ابن عباس ، في قوله عز وجلّ : ﴿ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا

في الأرض وتقطعوا أرحامكم ﴾ ، قال : نزلت في بني هاشم وبني أمية ^(٦) .

(١) القلم: ٦.

(٤) البقرة: ٢٧.

(٢) الكافي: ج ٨، ١٠٣، ص ٧٦.

(٥) الكافي: ج ٢، ص ٢٧٩، ح ٧.

(٣) الرعد: ٢٥.

(٦) تأويل الآيات: ج ٢، ص ٥٨٥، ح ١٢.

س ١٣: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَفْقَالِهَاتٍ﴾ [سورة محمد: ٢٤]!

الجواب/ ١ - قال أبو عبد الله عليه السلام وأبو الحسن موسى عليه السلام: «أفلا يتدبرون القرآن» بأن يتفكروا فيه: ويعتبروا به. وقيل: أفلا يتدبرون القرآن، فيقضوا ما عليهم من الحق^(١).

٢ - قال سليمان بن خالد: قال أبو عبد الله عليه السلام: «يا سليمان، إن لك قلباً ومسامع، وإن الله إذا أراد أن يهدي عبداً فتح مسامع قلبه، وإذا أراد به غير ذلك ختم مسامع قلبه، فلا يصلح أبداً، وهو قول الله عز وجل: ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَفْقَالِهَاتٍ﴾»^(٢).

س ١٤: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدَوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ﴾ (٢٥) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأُمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ (٢٦) فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ بِضَرْبِ أَوْتَارِ وُجُوهِهُمْ وَأَدْبَارِهِمْ﴾ (٢٧) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ﴾ (٢٨) [سورة محمد: ٢٥ - ٢٨]!

الجواب/ قال أبو عبد الله عليه السلام، في قوله تعالى: «إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى»: «فلان وفلان وفلان ارتدوا عن الإيمان في ترك ولاية أمير المؤمنين عليه السلام».

قلت: قوله تعالى: «ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر»؟

(١) مجمع البيان: ج ٩، ص ١٧٤.

(٢) المحاسن: ٢٠٠، ح ٣٥، نور الثقلين: مجلد ٥، ص ٤١.

قال: «نزلت فيهما وفي أتباعهما، وهو قول الله عز وجل الذي نزل به جبرئيل على محمد ﷺ»: ﴿ذَلِكَ بَأْنَهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرَهُوا مَا نَزَلَ اللَّهُ﴾، في علي ﷺ: ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ قال: «دعوا بني أمية إلى ميثاقهم ألا يصيروا الأمر فينا بعد النبي ﷺ، ولا يعطونا من الخمس شيئاً، وقالوا: إن أعطيناهم إياه لم يحتاجوا إلى شيء، ولم يبالوا أن لا يكون الأمر فيهم، فقالوا: سنطيعكم في بعض الأمر الذي دعوتونا إليه، وهو الخمس، أن لا نعطيهم منه شيئاً، وقوله تعالى: ﴿كَرَهُوا مَا نَزَلَ اللَّهُ﴾، والذي نزل الله ما افترض على خلقه من ولاية أمير المؤمنين ﷺ، وكان معهم أبو عبيدة، وكان كاتبهم، فأنزل الله عز وجل: ﴿أَمْ أَرْمَوْا أَمْراً فَإِنَّا مُؤْتَمِرُونَ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ (١) الآية (٢).

وقال علي بن إبراهيم: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدَوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ﴾، نزلت في الذين نقضوا عهد الله في أمير المؤمنين ﷺ. [وقال أبو عبد الله ﷺ: «الهدى هو سبيل علي بن أبي طالب ﷺ»] (٣) ﴿الشيطان سول لهم﴾ أي هَوْن [لهم] وهو فلان. [وقال أبو عبد الله ﷺ: «الشيطان» يعني الثاني ﴿سول لهم﴾ يعني بني فلان وبني فلان وبني أمية] (٤). ﴿وأملى لهم﴾، أي بسط لهم أن لا يكون مما يقول محمد ﷺ شيء ﴿ذَلِكَ بَأْنَهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرَهُوا مَا نَزَلَ اللَّهُ﴾، يعني في أمير المؤمنين ﷺ: ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾، يعنى في الخمس أن لا يردوه في بني هاشم ﴿والله يعلم إسرارهم﴾.

قال الله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ بنكشهم وبنغيهم وإمساكهم الأمر من بعد أن أبرم عليهم إيراًماً،

(١) الزخرف: ٧٩، ٨٠.

(٢) تأويل الآيات: ج ٢، ص ٥٨٧، ح ١٤.

(٣) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٠٨.

(٤) الكافي: ج ١، ص ٣٤٨، ح ٤٣.

يقول: إذا ماتوا ساقتهم الملائكة إلى النار، فيضربونهم من خلفهم ومن قدامهم ﴿ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله﴾ يعني موالاته فلان وفلان ظالمي أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿فأحبط أعمالهم﴾ يعني الذين عملوها من الخيرات^(١).

وقال الطبرسي: المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام: «أنهم بنو أمية، كرهوا ما أنزل الله في ولاية علي عليه السلام»^(٢).

وقال جابر بن يزيد: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم﴾، قال: «كرهوا علياً، وكان علي رضا الله ورضا رسوله صلى الله عليه وسلم، أمر الله بولايته يوم بدر، ويوم حنين وبيطن نخلة ويوم التروية، نزلت فيه اثنتان وعشرون آية في الحجّة التي صُدّ فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الحرام بالجحفة وبختم»^(٣).

❁ ١٥: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْفَانَهُمْ﴾ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرْزُقْنَهُمْ فَلَغَوْهُمْ بِسِيئَتِهِمْ وَلَتُعْرِفُنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ ﴿٧﴾

[سورة محمد: ٢٩ - ٣٠]!

الجواب/ قال أبو جعفر محمد بن علي عليه السلام: قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: «لما نصب رسول الله صلى الله عليه وسلم، علياً عليه السلام يوم غدیر خم قال قوم: ما باله يرفع بضبع^(٤) ابن عمه! فأنزل الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٠٨.

(٢) مجمع البيان: ص ١٠، ح ١٦٠.

(٣) تأويل الآيات: ج ٢، ص ٥٨٩، ح ١٧، والمناقب: ج ٣، ص ١٠٠، وروضة الواعظين: ص ١٠٦.

(٤) الضبع: ما بين الإبط إلى نصف العضد من أعلاه. «لسان العرب»: ج ٨، ص ٢١٦.

قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم»^(١).

وقال أبو جعفر عليه السلام : «إن الله جلّ وعزّ أخذ ميثاق شيعتنا بالولاية، فنحن نعرفهم في لحن القول»^(٢).

وعن أحمد بن محمد بن خالد البرقي: بإسناد مرفوع، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام : كان حذيفة بن اليمان يعرف المنافقين؟ فقال: «أجل، كان يعرف اثني عشر رجلاً، وأنت تعرف اثني عشر ألف رجل، إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿ولتعرفنهم في لحن القول﴾، فهل تدري ما لحن القول؟» قلت: لا والله. قال: «بغض علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه) وربّ الكعبة»^(٣).

وعن أبي عبيدة، عن أبي جعفر عليه السلام ، قال: قال لي: «يا أبا عبيدة، إياك وأصحاب الخصومات والكذابين علينا، فإنهم تركوا ما أمروا بعلمه، وتكلّفوا علم السماء. يا أبا عبيدة، خالقوا الناس بأخلاقهم، وزايلوهم بأعمالهم، إنا لا نعد الرجل فينا عاقلاً حتى يعرف لحن القول»، ثم قرأ هذه الآية: ﴿ولتعرفنهم في لحن القول﴾^(٤).

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام : «قلت أربعاً أنزل الله تعالى تصديقي بها في كتابه، قلت: المرء مخبوء تحت لسانه، فإذا تكلم ظهر؛ فأنزل الله تعالى: ﴿ولتعرفنهم في لحن القول﴾، وقلت: فمن جهل شيئاً عاداه، فأنزل الله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِبُّوا بِهِ، وَلَمَّا بَأْنِهِمْ تَأْوِيلَهُ﴾^(٥)، وقلت: - قدر أو قال: قيمة - كل امرء ما يحسن، فأنزل الله في قصة طالوت: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي أَوْسَعِهِ وَالْجَسْبُ﴾^(٦)، وقلت: القتل يُقل القتل،

(١) تاويل الآيات: ج ٢، ص ٥٩٠، ح ١٨. (٤) التوحيد: ص ٤٥٨، ح ٢٤.

(٢) تاويل الآيات: ج ٢، ص ٥٩٠، ح ٢٠. (٥) يونس: ٣٩.

(٣) المحاسن: ص ١٦٨، ح ١٣٢. (٦) البقرة: ٢٤٧.

فأنزل الله: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(١)،^(٢)
 أقول: وأخيراً تضيف الآية: ﴿والله يعلم أعمالكم﴾ فهو يعلم أعمال
 المؤمنين ما ظهر منها وما بطن، ويعلم أعمال المنافقين، وإذا افترضنا أن
 هؤلاء قادرون على إخفاء واقعهم الحقيقي عن الناس، فهل باستطاعتهم
 إخفاءه عن الله الذي هو معهم في سرهم وعلانيتهم، وخلوتهم واجتماعهم.

س ١٦: ما هو معنى قوله تعالى: ﴿وَلَنْبَلُونَكُمْ﴾^(٣)
 ﴿وَلَنْبَلُونَكُمْ حَتَّى تَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَتَبَلُّوا أَخْبَارَكُمْ﴾^(٤) إِنَّ الَّذِينَ
 كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوهُ
 اللَّهُ شَيْئًا وَمَسِيحِيظُ أَعْمَلُهُمْ^(٥) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ
 وَلَا يُطِيلُوا أَعْمَلَكُمْ^(٦) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ
 فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ^(٧) ﴿[سورة محمد: ٣١ - ٣٤]؟
 الجواب/ قال الطبرسي: قرأ أبو جعفر الباقر عليه السلام: ﴿ولنبلونكم﴾، وما
 بعده بالياء^(٨).

وقال الطبرسي: عن أبي الحسن علي بن محمد الهادي عليه السلام في رسالته
 إلى أهل الأهواز، قال في قوله تعالى: ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين
 منكم والصابرين ونبلوا أخباركم﴾... وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنشَاءَ اللَّهُ لَأَنْصَرَنَّهُمْ
 وَلَكِنَّ إِيْتِلُوا بِمَعْصِكُمْ بَعْضٌ﴾^(٩)، وغيرها من الآيات: «أَنَّ جميعها جاءت في
 القرآن بمعنى الاختبار^(١٠).

وقال: الشيخ الطبرسي: ثم أقسم سبحانه فقال: ﴿ولنبلونكم﴾ أي
 نعاملكم معاملة المختبر بما نكلفكم به من الأمور الشاقة ﴿حتى نعلم

(٤) محمد عليه السلام: ٤.

(١) البقرة: ١٧٩.

(٥) الاحتجاج: ص ٤٥٣.

(٢) أمالي الطوسي: ج ٢، ص ١٠٨.

(٣) مجمع البيان: ج ٩، ص ١٦١.

المجاهدين منكم والصابرين ﴿ أي حتى يتميز المجاهدون في سبيل الله من جملتكم، والصابرون على الجهاد. وقيل: معناه حتى يعلم أولياؤنا المجاهدين منكم. وأضافه إلى نفسه تعظيماً لهم وتشريفاً كما قال: ﴿ إن الذين يؤذون الله ورسوله ﴾ أي يؤذون أولياء الله. وقيل: معناه حتى نعلم جهادكم موجوداً، لأن الغرض أن تفعلوا الجهاد، فيثيبكم على ذلك. ﴿ ونبلوا أخباركم ﴾ أي نخبر أسراركم بما تستقبلونه من أفعالكم^(١).

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «الإبقاء على العمل أشد من العمل»، قال - أي الراوي -: وما الإبقاء على العمل؟ قال: «يصل الرجل بصلة، وينفق نقة لله وحده لا شريك له، فكتب له سراً، ثم يذكرها فتمحى فكتبت له علانية، ثم يذكرها فتمحى تكتب له رياء»^(٢)!

وقال الطوسي: ثم أخبر تعالى فقال ﴿ إن الذين كفروا ﴾ أي جحدوا وحدانية الله وكذبوا رسوله ﴿ وصدوا عن سبيل الله ﴾ بالمنع والإغراء والدعاء إلى غيره ﴿ ثم ماتوا وهم كفار ﴾ أي في حال كفرهم ﴿ فلن يغفر لهم ﴾ معاصيهم بل يعاقبهم عليها^(٣).

س ١٧: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿ فَلَا تَهْتُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلٰى وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَرْكَبَ أَعْمَالَكُمْ ۗ (٣٥)
 إِنَّمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا لِهَبٌّ وَلَهُمْ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْتَلِكُمْ
 أَمْوَالَكُمْ ۗ (٣٦)
 إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبَحَّلُوا وَبُخْرِحْ أَسْفَنَّاكُمْ ۗ (٣٧)
 هَٰئِنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُؤْتُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْحُلْ فَإِنَّمَا
 يَبْحُلْ عَنِ نَفْسِهِ ۗ وَاللَّهُ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۗ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ
 ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ۗ (٣٨) ﴾ [سورة محمد: ٣٥ - ٣٨]؟!

(١) مجمع البيان: ج ٩، ص ١٧٧ - ١٧٨. (٢) التبيان: ج ٩، ص ٣٠٨.

(٣) الكافي: ج ٢، ح ١٦ باب الرياء.

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: في قوله تعالى: ﴿فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم﴾، أي لم ينقصكم ﴿إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسئلكم أموالكم إن يسئلكمها فيحفكم تبخلوا﴾، أي يجدركم تبخلوا: ﴿ويخرج أضغانكم﴾، قال: العداوة التي في صدوركم، ثم قال: ﴿ها أنتم هؤلاء﴾، معناه أنتم يا هؤلاء: ﴿تدعون لتنتفقا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وان تتولوا﴾، يعني عن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿يستبدل قوما غيركم﴾، قال: يدخلهم في هذا الأمر: ﴿ثم لا يكونوا أمثالكم﴾، في معاداتهم وخلافهم وظلمهم لآل رسول الله ﷺ^(١). ثم قال علي بن إبراهيم: . . . قال أبو عبد الله عليه السلام: ﴿يا بن قيس﴾ وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴿عنى أبناء الموالي المعتقين﴾^(٢). وقال الطبرسي: روى أبو بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ﴿ان تتولوا﴾، يا معشر العرب ﴿يستبدل قوما غيركم﴾ يعني الموالي. وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ﴿قد والله أبدل [بهم] خيراً منهم، الموالي﴾^(٣). وقال أبو عبد الله: ﴿قال رسول الله ﷺ وكان يدعو أصحابه: من أراد الله به خيراً سمع وعرف ما يدعو إليه، ومن أراد به سوءاً طبع على قلبه فلا يسمع ولا يعقل، وهو قوله عز وجل: ﴿حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مَاذَا قَالَ مَايقِفُ الَّذِينَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾﴾^(٤). وقال عليه السلام: ﴿لا يخرج من شيعتنا أحد إلا أبدلنا الله به من هو خير منه، وذلك لأن الله يقول: ﴿وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾﴾^(٥).

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٠٩. وفي المصدر: في معاداتكم وخلافكم وظلمكم لآل محمد ﷺ.

(٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٠٩.

(٣) مجمع البيان: ج ٩، ص ١٦٤.

(٤) محمد ﷺ: ١٦.

(٥) تاويل الآيات: ج ٢، ص ٥٨٥، ح ١١.

تفسير
سورة الفتح

رقم السورة - ٤٨ -

سورة الفتح

س ١: ما هو فضل سورة الفتح؟!

الجواب/ قال أبو عبد الله عليه السلام: «حضنوا أموالكم ونساءكم وما ملكت أيمانكم من التلف بقراءة: ﴿إنا فتحنا﴾، فإنه من كان يدمن قراءتها؛ نادى مناد يوم القيامة حتى يسمع الخلائق: أنت من عباد الله المخلصين، ألحقوه بالصالحين من عبادي، وأسكنوه جنات النعيم، واسقوه من الرحيق المختوم بمزاج الكافور»^(١).

ومن (خواص القرآن): روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من قرأ هذه السورة، كتب الله له من الثواب كمن بايع النبي ﷺ تحت الشجرة وأوفى بيعته، وكمن شهد مع النبي ﷺ يوم فتح مكة، ومن كتبها وجعلها تحت رأسه أمن من اللصوص، ومن كتبها في صحيفة وغسلها بماء زمزم وشربها، كان عند الناس مسموع القول، ولا يسمع شيئاً يمرُّ عليه إلا وعاه وحفظه»^(٢).

وقال الصادق عليه السلام: «من كتبها وجعلها في وقت محاربة أو خصومة، أمن من جميع ذلك، وفتح عليه باب الخير، ومن شرب ماءها للرجف والزعب، يسكن الرجف ويطلقه، ومن قرأها في ركوب البحر، أمن من الفرق بإذن الله تعالى»^(٣).

(١) ثواب الأعمال: ص ١١٥.

(٢) خواص القرآن: ص ٧ «مخطوط».

(٣) البرهان: ج ٩، ص ١٠١.

س ٢: ما هو معنى، وسبب نزول، قوله تعالى:

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَنُصِّرُكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا ﴿٣﴾﴾

(سورة الفتح: ١ - ٣)!

الجواب/ قال أبو عبد الله عليه السلام: «كان سبب نزول هذه السورة وهذا الفتح العظيم، أن الله عز وجل أمر رسول الله ﷺ في النوم أن يدخل المسجد الحرام ويطوف، ويحلق مع المحلقين، فأخبر أصحابه وأمرهم بالخروج فخرجوا، فلما نزل ذا الحليفة أحرموا بالعمرة وساق البدن، وساق رسول الله ﷺ ستاً وستين بدنة، وأشعرها عند إحرامه، وأحرموا من ذي الحليفة مليون بالعمرة، وقد ساق من ساق منهم الهدى مشعرات مجللات.

فلما بلغ قريشاً ذلك، بعثوا خالد بن الوليد في مائتي فارس كميناً، ليستقبل رسول الله ﷺ، فكان يعارضه على الجبال، فلما كان في بعض الطريق حضرت صلاة الظهر، فأذن بلال وصلى رسول الله ﷺ [بالناس]، فقال خالد ابن الوليد: لو كنا حملنا عليهم وهم في الصلاة لأصنابهم، فإنهم لا يقطعون صلاتهم، ولكن تجيء لهم الآن صلاة أخرى، أحب إليهم من ضياء أبصارهم، فإذا دخلوا في الصلاة أغرنا عليهم، فنزل جبرئيل عليه السلام، على رسول الله ﷺ بصلاة الخوف، بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنُفِّخَنَّ مَلَأَيْفَةً مِنْتَهُمْ مَعَكَ وَيَلْأَخُدُوا الصَّلَاةَ إِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَّرَائِكُمْ وَلَآتَى طَأْفَةً أُخْرَى لَوْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَيَلْأَخُدُوا جِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَفَلَّوْا عَن أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذَى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضًا أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُدُّوا جِذْرَكُمْ إِنِ اللَّهُ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّبِينًا﴾^(١).

فلما كان في اليوم الثاني نزل رسول الله ﷺ الحديبية وهي على طرف الحرم، وكان رسول الله ﷺ يستنفر الأعراب في طريقه معه، فلم يتبعه أحد، يقولون: أيطمع محمد وأصحابه أن يدخلوا الحرم وقد غزتهم قريش في عقر ديارهم فقتلوهم، أنه لا يرجع محمد وأصحابه إلى المدينة أبداً.

فلما نزل رسول الله ﷺ الحديبية خرجت قريش يحلفون باللات والعزى لا يدعون محمداً ﷺ يدخل مكة وفيهم عين تطرف، فبعث إليهم رسول الله ﷺ أني لم آت لحرب، ولكن جئت لأقضي نسكي وأنحر بدني وأخلي بينكم وبين لحماتها.

فبعثوا إليه عروة بن مسعود الثقفي، وكان عاقلاً أريباً^(١)، وهو الذي أنزل الله فيه: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَوْمِ عَظِيمٍ﴾^(٢)، فلما أقبل على رسول الله ﷺ عظم ذلك، وقال: يا محمد، تركت القوم، وقد ضربوا الأبنية، وأخرجوا العوذ^(٣) المطافيل، يحلفون باللات والعزى لا يدعوك تدخل مكة - فإن مكة حرمهم - وفيهم عين تطرف، أفتريد أن تبيد أهلك، وقومك، يا محمد؟ فقال رسول الله ﷺ: ما جئت لحرب، وإنما جئت لأقضي نسكي، وأنحر بدني، وأخلي بينكم وبين لحماتها. فقال عروة: بالله ما رأيت كالاليوم أحداً صد كما صدت. فرجع إلى قريش فأخبرهم، فقالت قريش: والله لئن دخل محمد مكة وتسامعت به العرب لنذلن ولتجترين علينا العرب.

فبعثوا حفص بن الأحنف وسهيل بن عمرو، فلما نظر إليهما رسول الله ﷺ قال: ويح قريش، قد نهكتهم الحرب، ألا خلوا بيني وبين العرب،

(١) وقيل: لبياً والأريب: ذو الدهاء والفطنة.

(٢) الزخرف: ٣١.

(٣) العوذ: الحديثة التاج من الإبل والخيل.

فإن أك صادقاً فإنما أجرُ الملك إليهم مع النبوة، وإن أك كاذباً كفتهم ذؤبان العرب، لا يسألني اليوم امرؤ من قريش خطة ليس لله فيها سخط إلا أجبتهم إليه.

قال: فوافوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد، ألا ترجع عنا عامك هذا، إلى أن ننظر إلى ماذا يصير أمرك وأمر العرب على أن ترجع من عامك هذا؟ فإن العرب قد تسامعت بمسيرك، فإن دخلت بلادنا وحرمتنا استذلتنا العرب واجترأت علينا، ونخلي لك البيت في العام القابل في هذا الشهر ثلاثة أيام حتى تقضي نسكك وتنصرف عنا. فأجابهم رسول الله ﷺ إلى ذلك، وقالوا له: وترد إلينا كل من جاءك من رجالنا، ونرد إليك كل من جاءنا من رجالك فقال رسول الله ﷺ: من جاءكم من رجالنا فلا حاجة لنا فيه، ولكن على أن المسلمين بمكة لا يؤذون في إظهارهم الإسلام، ولا يكرهون ولا ينكر عليهم شيء يفعلونه من شرائع الإسلام، فقبلوا ذلك، فلما أجابهم رسول الله ﷺ إلى الصلح أنكر عاقبة أصحابه، وأشد ما كان إنكاراً عمر. فقال: يا رسول الله، ألسنا على الحق، وعدونا على الباطل؟ فقال: نعم. قال: فنعطي الدنية في ديننا؟ فقال: إن الله [قد] وعدني ولن يخلفني. فقال: لو أن معي أربعين رجلاً لخالفته.

ورجع سهيل بن عمرو وحفص بن الأحنف إلى قريش فأخبراهم بالصلح، فقال عمر: يا رسول الله، ألم تقل لنا أن ندخل المسجد الحرام ونحلق مع المحلقين؟ فقال: أمن عامنا هذا وعدتك، وقلت لك أن الله عز وجل [قد] وعدني أن أفتح مكة وأطوف وأسمى وأحلق مع المحلقين؟ فلما أكثروا عليه قال لهم: فإن لم تقبلوا الصلح فحاربوهم، فمروا نحو قريش وهم مستعدون للحرب، وحملوا عليهم، فانهزم أصحاب رسول الله ﷺ هزيمة قبيحة، ومزوا برسول الله ﷺ فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: يا علي، خذ

السيف واستقبل قريشاً. فأخذ أمير المؤمنين عليه السلام سيفه وحمل على قريش فلما نظروا إلى أمير المؤمنين عليه السلام تراجعوا، وقالوا: يا علي، بدا لمحمد فيما أعطانا؟ فقال: لا، وتراجع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مستحيين، وأقبلوا يعتذرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: أستم أصحابي يوم بدر، إذ أنزل الله فيكم: ﴿إِذْ تَسْتَفِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالرِّبِّ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَوِّدِينَ﴾^(١)؟ أستم أصحابي يوم أحد: ﴿إِذْ تُصِدُّوكَ وَلَا تَكُونُ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرُّسُلُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَانِكُمْ﴾^(٢)؟ أستم أصحابي يوم كذا [أستم أصحابي يوم كذا]؟ فاعتذروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وندموا على ما كان منهم، وقالوا: الله أعلم ورسوله، فاصنع ما بدا لك.

ورجع حفص بن الأحنف وسهيل بن عمرو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالا: يا محمد، قد أجابت قريش إلى ما اشترطت [عليهم] من إظهار الإسلام، وأن لا يكره أحد على دينه. فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لمكتب^(٣)، ودعا أمير المؤمنين عليه السلام وقال له: اكتب؛ فكتب أمير المؤمنين عليه السلام: بسم الله الرحمن الرحيم. فقال سهيل بن عمرو: لا نعرف الرحمن، اكتب كما كان يكتب آباؤك: باسمك اللهم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اكتب: باسمك اللهم، فإنه اسم من أسماء الله، ثم كتب: هذا ما تقاضى عليه محمد رسول الله والملا من قريش. فقال سهيل بن عمرو: لو علمنا أنك رسول الله ما حاربناك، اكتب: هذا ما تقاضا عليك محمد بن عبد الله، أتأنف من نسبك، يا محمد؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا رسول الله، وإن لم تقرؤا. ثم قال: امح - يا علي - واكتب: محمد بن عبد الله. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ما أمحو اسمك من

(١) الأنفال: ٩.

(٢) آل عمران: ١٥٣.

(٣) المكتب: قطعة من الأثاث يجلس عليها للكتابة.

النبوة أبداً، فمحاها رسول الله ﷺ بيده، ثم كتب: هذا ما اصططح عليه محمد ابن عبد الله والملا من قريش، وسهيل بن عمرو، واصططحوا على وضع الحرب بينهم عشر سنين، على أن يكف بعضنا عن بعض، وعلى أنه لا إسلال ولا إغلال، وأن بيتنا وبينهم عيبة مكفوفة، وأنه من أحب أن يدخل في عهد محمد وعقده فعل، وأن من أحب أن يدخل في عهد قريش وعقدها فعل، وأنه من أتى من قريش إلى أصحاب محمد بغير إذن وليه يرده إليه، وأنه من أتى قريشاً من أصحاب محمد لم يردوه إليه، وأن يكون الإسلام ظاهراً بمكة، لا يكره أحد على دينه، ولا يؤذى ولا يعير، وأن محمداً يرجع عنهم عامه هذا وأصحابه، ثم يدخل علينا في العام القابل مكة، فيقيم فيها ثلاثة أيام، ولا يدخل علينا بسلاح إلا سلاح المسافر، السيوف في القرب، وكتب علي بن أبي طالب، وشهد على الكتاب المهاجرون والأنصار.

ثم قال رسول الله ﷺ: يا علي، إنك أبيت أن تمحو اسمي من النبوة، فولذي بعثني بالحق نبياً، لتجيين أبناءهم إلى مثلها وأنت مضيض مضطهد. فلما كان يوم صفين، ورضوا بالحكمين، كتب: هذا ما اصططح عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، فقال عمرو بن العاص: لو علمنا أنك أمير المؤمنين ما حاربناك، ولكن اكتب: هذا ما اصططح عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: صدق الله وصدق رسوله، أخبرني رسول الله ﷺ بذلك. ثم كتب الكتاب.

قال: «فلما كتبوا الكتاب قامت خزاعة، فقالت: نحن في عهد رسول الله وعقده. وقامت بنو بكر فقالت: نحن في عهد قريش وعقدها. وكتبوا نسختين: نسخة عند رسول الله ونسخة عند سهيل بن عمرو، ورجع سهيل بن عمرو وحفص بن الأحنف إلى قريش فأخبراهم.

وقال رسول الله ﷺ لأصحابه: انحروا بدنكم، واحلقوا رؤوسكم.

فامتنعوا وقالوا: كيف ننحر ونحلق ولم نطف بالبيت، ولم نسع بين الصفا والمروة: فاعتم رسول الله ﷺ من ذلك وشكا [ذلك] إلى أم سلمة، فقالت: يا رسول الله، انحر أنت واحلق، فنحر [رسول الله ﷺ] وحلق، ونحر [القوم على خبت يقين وشك وارتياب]. فقال رسول الله ﷺ تعظيماً للبدن: رحم الله المحلقين. وقال قوم لم يسوقوا البدن: يا رسول الله والمقصرين؟ لأن من لم يسق [هدياً] لم يجب عليه الحلق، فقال رسول الله ﷺ ثانياً: رحم الله المحلقين، الذين لم يسوقوا الهدى. فقالوا: يا رسول الله، والمقصرين؟ فقال: رحم الله المقصرين.

ثم رحل رسول الله ﷺ نحو المدينة، فرجع إلى التنعيم، ونزل تحت الشجرة، فجاء أصحابه الذين أنكروا عليه الصلح، واعتذروا وأظهروا الندامة على ما كان منهم، وسألوا رسول الله ﷺ أن يستغفر لهم، فنزلت آية الرضوان^(١).

وقال علي بن محمد بن الجهم: حضرت مجلس المأمون، وعنده الرضا علي بن موسى عليه السلام، فقال له المأمون: يا بن رسول الله، أليس من قولك أن الأنبياء معصومون؟ قال: «بلى». وذكر المأمون الآيات التي في الأنبياء، وقد ذكرنا كل آية في موضعها، إلى أن قال المأمون: فأخبرني - يا أبا الحسن - عن قول الله تعالى: «ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر»، قال الرضا عليه السلام: «لم يكن أحد عند مشركي أهل مكة أعظم ذنباً من رسول الله ﷺ، لأنهم كانوا يعبدون من دون الله ثلاثمائة وستين صنماً، فلما جاءهم ﷺ بالدعوة إلى كلمة الإخلاص، كبر ذلك عليهم وعظم، وقالوا: ﴿أَجْمَلُ الْآيَةِ إِلَٰهَا وَجِدْنَا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ وَأَنطَلَقَ اللَّأْمُ مِنْهُمْ أَنْ أَمْشُوا وَأَصْبِرُوا عَلَيَّ الْهَيْكَلُ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ مَا سِيعَنَا يَهْدَنَا فِي الْآخِرَةِ إِنَّ هَٰذَا إِلَّا أَخْبَلٌ﴾^(٢)،

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٠٩.

(٢) سورة ص: ٥ - ٧.

فلما فتح الله عزَّ وجلَّ على نبيه ﷺ مكة، قال له: يا محمد: ﴿إنا فتحنا لك مكة - فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾، عند مشركي أهل مكة بدعائك إلى توحيد الله فيما تقدم وما تأخر، لأن مُشركي مكة أسلم بعضهم وخرج بعضهم عن مكة، ومن بقي منهم لم يقدر على إنكار التوحيد لله إذا دعا الناس إليه، فصار ذنبه عندهم في ذلك مغفوراً بظهوره عليهم. فقال المأمون لله دَرَك يا أبا الحسن^(١).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: ﴿لما خرج رسول الله ﷺ في غزاة الحديبية، خرج في ذي القعدة، فلما انتهى، إلى المكان الذي أحرم فيه أحرموا ولبسوا السلاح، فلما بلغه أن المشركين قد أرسلوا إليه خالد بن الوليد يرده، قال: ابغوني رجلاً يأخذني على غير هذه الطريق. فأتني برجل من مزينة، أو من جهينة، فسأله فلم يوافق، فقال: ابغوني رجلاً غيره، فأتني برجل آخر، إما من مزينة أو من جهينة، قال: فذكر له فأخذه معه حتى انتهى إلى العقبة، فقال: من يصعدا حط الله عنه كما حط عن بني إسرائيل. فقال لهم: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَفَرًا لَكُمْ خَوَّلْتُمْ﴾^(٢)، قال: فابتدرتها خيل الأنصار الأوس والخزرج، قال: وكانوا ألفاً وثمانمائة، قال: فلما هبطوا إلى الحديبية إذا امرأة معها ابنها على القلب، فسعى ابنها هارباً، فلما أثبتت أنه رسول الله ﷺ صرخت به: هؤلاء الصابئون^(٣)، ليس عليك منهم بأس. فأتاها رسول الله ﷺ فأمرها فاستقت دلواً من ماء، فأخذه رسول الله ﷺ فشرب وغسل وجهه، فأخذت فصلته فأعادته في البئر فلم تبرح حتى الساعة.

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١، ص ٢٠٢، ح ١.

(٢) الأعراف: ١٦١.

(٣) صبأ فلان: إذا خرج من دين إلى دين غيره، وكانت العرب تسمي النبي ﷺ، الصابئ، لأنه خرج من دين قريش إلى دين الإسلام، ويسمون المسلمين الصباة. النهاية: ج ٣، ص ١٣.

وخرج رسول الله ﷺ فأرسل إليه المشركون، أبان بن سعيد في الخيل، فكان بإزائه، ثم أرسلوا الحليس، فرأى البدن وهي تأكل بعضها أوبار بعض، فرجع ولم يأت رسول الله ﷺ وقال لأبي سفيان: يا أبا سفيان، أما والله ما على هذا حالناكم على أن تردوا الهدى عن محله، فقال: اسكت فإنما أنت أعرابي، فقال: أما والله لتخلين عن محمد وما أراد أو لأنفردنا في الأحابيش. فقال: اسكت حتى نأخذ من محمد ولنا^(١).

فأرسلوا إليه عروة بن مسعود، وقد كان جاء إلى قريش في القوم الذين أصابهم المغيرة بن شعبة، خرج معهم من الطائف، وكانوا تجاراً فقتلهم، وجاء بأموالهم إلى رسول الله ﷺ، فأبى رسول الله ﷺ أن يقبلها، وقال: هذا غدر، ولا حاجة لنا فيه. فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، هذا عروة بن مسعود، قد أتاكم وهو يعظم البدن، قال: فأقيموها. فأقاموها، فقال: يا محمد، مجيء من جئت؟ قال: جئت أطوف بالبیت، وأسعى بين الصفا والمروة، وأنحر الإبل، وأخلي عنكم وعن لحماتها. قال: لا واللات والعزى، فما رأيت مثلك، رد عما جئت له، إن قومك يذكرونك الله والرحم أن تدخل عليهم بلادهم بغير إذنهم، وأن تقطع أرحامهم، وأن تجرى عليهم عدوهم. فقال رسول الله ﷺ: ما أنا بفاعل حتى أدخلها.

قال: وكان عروة بن مسعود حين كلم رسول الله ﷺ تناول لحيته، والمغيرة قائم على رأسه، فضرب بيده. فقال: من هذا يا محمد؟ فقال: هذا ابن أخيك المغيرة. فقال: يا غدر^(٢) والله ما جئت إلا في غسل سلحتك^(٣). قال: فرجع إليهم فقال لأبي سفيان وأصحابه: لا والله ما رأيت مثل

(١) الولث: العهد بين القوم يقع من غير قصد. «لسان العرب»: ج ٢، ص ٤٢٠٣.

(٢) أي يا غادر.

(٣) السلح: النجو. «أقرب الموارد - سلح - ج ١، ص ٥٣١».

محمد ردّ عما جاء له . فأرسلوا إليه سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ، فأمر رسول الله ﷺ فأثيرت في وجوههم البدن ، فقالا : مجيء من جنت؟ قال : جنت لأطوف بالبيت ، وأسعى بين الصفا والمروة ، وأنحر البدن ، وأخلي بينكم وبين لحمتها ، فقالا : إن قومك يناشدونك الله والرحم ، أن تدخل عليهم بلادهم بغير إذنه ، وتقطع أرحامهم ، وتجريء عليهم عدوهم . قال : فأبى عليهما رسول الله ﷺ إلا أن يدخلها .

وكان رسول الله ﷺ أراد أن يبعث عمر ، فقال : يا رسول الله ، إن عشيرتي قليلة ، وإني فهم على ما تعلم ، ولكني أدلك على عثمان بن عفان ، فأرسل إليه رسول الله ﷺ ، فقال : انطلق إلى قومك من المؤمنين ، فبشرهم بما وعدني ربي من فتح مكة . فلما انطلق عثمان لقي أبان بن سعيد ، فتأخر عن السرح ، فحمل عثمان بين يديه ، ودخل عثمان فأعلمهم ، وكانت المناوشة ، فجلس سهيل بن عمرو عند رسول الله ﷺ ، وجلس عثمان في عسكر المشركين ، وباع رسول الله ﷺ المسلمين ، وضرب بإحدى يديه على الأخرى لعثمان ، وقال المسلمون : طوبى لعثمان قد طاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة وأحل . فقال رسول الله ﷺ : ما كان ليفعل . فلما جاء عثمان ، قال له رسول الله ﷺ : أطفيت بالبيت؟ قال : ما كنت لأطوف بالبيت ورسول الله ﷺ لم يطف به . ثم ذكر القصة وما كان فيها . فقال لعلي عليه السلام : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم . فقال سهيل : ما أدري ما الرحمن الرحيم ، إلا أنني أظن هذا الذي باليامة ، ولكن اكتب كما نكتب : باسمك اللهم . قال : واكتب : هذا ما قاضى رسول الله ﷺ سهيل بن عمرو . فقال سهيل : فعلى ما نقاتلك يا محمد؟ فقال أنا رسول الله ، وأنا محمد بن عبد الله . فقال الناس : أنت رسول الله قال : اكتب . فكتب : هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله ، فقال الناس : أنت رسول الله ، وكان في القضية أن [من] كان منا أتى إليكم رددتموه إلينا ،

ورسول الله غير مستكبر عن دينه، ومن جاء إلينا منكم لم نرده إليكم. فقال رسول الله ﷺ: لا حاجة لنا فيهم، وعلى أن يعبد الله فيكم علانية غير سر، وإن كانوا ليتهادون السيور في المدينة إلى مكة، وما كانت قضية أعظم بركة منها، لقد كاد أن يستولي على [أهل] مكة الإسلام، فضرب سهيل بن عمرو على أبي جندل ابنه. فقال: أول ما قاضينا [عليه]. فقال رسول الله ﷺ: وهل قاضيت على شيء؟ فقال: يا محمد، ما كنت بغدادر. قال: فذهب بأبي جندل، فقال: يا رسول الله، تدفعني إليه؟ قال: ولم أشرط لك. قال: وقال: اللهم اجعل لأبي جندل مخرجاً^(١).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «لم يزل رسول الله ﷺ يقول: إني أخاف إن عصبت ربي عذاب يومٍ عظيم؛ حتى نزلت سورة الفتح، فلم يعد إلى ذلك الكلام»^(٢).

وقال محمد بن حرب الهلالي أمير المدينة: سألت جعفر بن محمد بن زياد، فقلت له: يا بن رسول الله، في نفسي مسألة، أريد أن أسألك عنها، فقال: «إن شئت أخبرتك بمسألتك [قبل أن تسألني]، وإن شئت فسل».

قال: قلت له: يا بن رسول الله، وبأي شيء تعرف ما في نفسي قبل سؤالي؟ قال: «بالتوسم والتفرس، أما سمعت قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَكِّمِينَ﴾^(٣)، وقول رسول الله ﷺ: اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله؟»^(٤).

قال: فقلت: يا بن رسول الله، فأخبرني بمسألتني. قال: «أردت أن

(١) الكافي: ج ٨، ص ٣٢٢، ح ٥٠٣. (٢) الحجر: ٧٥.

(٣) تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢٠، ح ١٢.

تسألني عن رسول الله ﷺ، [لم] لم يطق حمله علي بن أبي طالب عليه السلام عند حطه الأصنام عن سطح الكعبة، مع قوته وشدته وما ظهر منه في قلع باب القموص بخبير والرمي به إلى ورائه أربعين ذراعاً، وكان لا يطيق حمله أربعون رجلاً، وقد كان رسول الله ﷺ يركب الناقة والفرس والحمار، وركب البراق ليلة المعراج، وكل ذلك دون علي عليه السلام في القوة والشدّة؟ قال: فقلت له: عن هذا والله أردت أن أسالك، يا بن رسول الله.

وذكر الحديث، إلى أن قال: «وقد قال النبي ﷺ لعلي عليه السلام: يا علي، إن الله تبارك وتعالى حملني ذنوب شيعتك ثم غفرها لي، وذلك قوله عز وجل: ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾^(١).

أقول: أما إتمام النعمة على النبي وهدايته إياه الصراط المستقيم ونصره النصر العزيز.. بعد الفتح في الحديبية فليست هذه الأمور مما تخفى على أحد... فقد انتشر الإسلام بسرعة وسخر القلوب المهياة! وظهرت عظمة تعليماته للجميع وأبطل السموم (المضادة) وأتم نعمة الله على النبي وعلى المسلمين وهداهم الصراط المستقيم نحو الانتصارات حتى أن جيش الإسلام لم يجد أية مقاومة في فتح مكة وفتح أكبر حصن للمشركين!

❁ ٣: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَرْدَادُوا إِلَىٰ مَنَاصِعِ إِيمَانِهِمْ ۗ وَهُوَ جُهُودِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١٠١﴾ لِيَدْخُلِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۗ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ قَوْلًا عَظِيمًا ۝١٠٢﴾ وَيُعَذِّبُ الْمُتَّقِينَ وَالْمُتَّقِينَ وَالْمُتَّقِينَ وَالْمُتَّقِينَ وَالْمُتَّقِينَ وَالْمُتَّقِينَ بِاللَّهِ نَزَلَ السُّورَةُ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوَةِ وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ

وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَاللَّهُ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَازِيًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّمَا
 أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِيَتُوبُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ. وَتَعَزَّزُوا وَتُقَرَّرُوا
 وَتُسَيِّحُوا بِكُفْرَةٍ وَآمِيلًا ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ
 فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَتْ فَإِنَّمَا يَنْكُتْ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ
 فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ [سورة الفتح: ٤ - ١٠]!

الجواب/ قال جميل: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله عز وجل: ﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين﴾: «[هو] الإيمان». قال: قلت: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ﴾^(١)، قال: «هو الإيمان». وعن قوله: ﴿وَأَلَزَمَهُمْ كَلِمَةَ الْفُرْقَانِ﴾^(٢)، قال: «هو الإيمان»^(٣).

وقال علي بن إبراهيم: في قوله تعالى: ﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ولله جنود السماوات والأرض﴾، فهم الذين لم يخالفوا رسول الله صلى الله عليه وآله، لم ينكروا عليه الصلح. ثم قال: ﴿ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ إلى قوله تعالى: ﴿الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء﴾، وهم الذين أنكروا الصلح، واتهموا رسول الله صلى الله عليه وآله.

[وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ليس من عبد يظن بالله خيراً إلا كان عند ظنه به»^(٤).

وقال الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام أنه قال: أحسن بالله الظن فإن الله عز وجل يقول أنا عند ظن عبدي المؤمن بي إن خير فخير وإن شر فشر»^(٥).

(٤) بحار الأنوار: ج ٧٠، ص ٣٨٤.

(١) المجادلة: ٢٢.

(٥) بحار الأنوار: ج ٧٠، ص ٣٨٥.

(٢) الفتح: ١٦.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ١١٣، ح ٥.

وأخيراً فقد ورد حديث آخر عن النبي ﷺ يقول فيه: إن حسن الظن بالله عز وجل ثمن الجنة^(١).

و«غضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عزيزا حكيما إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا». وقال محمد بن مسلم: قال لي أبو جعفر عليه السلام: «كان كل شيء ماء، وكان عرشه على الماء، فأمر الله عز ذكره الماء فاضطرم نارا، ثم أمر النار فخدمت، فارتفع من خمودها دخان، فخلق الله عز وجل السماوات من ذلك الدخان، وخلق الأرض من الرماد، ثم اختصم الماء والنار والريح، فقال الماء: أنا جند الله الأكبر. وقالت النار: أنا جند الله الأكبر. وقالت الريح: أنا جند الله الأكبر. فأوحى الله عز وجل إلى الريح: أنت جندي الأكبر^(٢).

ثم عطف المخاطبة على أصحابه، فقال: «لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه»، ثم عطف على نفسه عز وجل فقال: «وتسبحوه بكرة وأصيلا» معطوف على قوله: «لتؤمنوا بالله ورسوله».

ونزلت في بيعة الرضوان: «لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَبَايَعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ^(٣)»، واشترط عليهم ألا ينكروا بعد ذلك على رسول الله ﷺ شيئا يفعل، ولا يخالفوه في شيء يأمرهم به، فقال الله عز وجل بعد نزول آية الرضوان: «إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما»، وإنما رضي عنهم بهذا الشرط أن يفوا بعد ذلك بعهد الله وميثاقه، ولا ينقضوا عهده وعقده، فبهذا العقد رضي الله عنهم، فقدموا في التأليف آية

(٣) الفتح: ١٨.

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) الكافي: ج ٨، ص ٩٥، ح ٦٨.

الشُّرْط على بيعة الرضوان، وإنما نزلت أولاً بيعة الرضوان ثم آية الشُّرْط عليهم فيها^(١).

وقد ورد - في كلام - عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: إن في النار لمدينة يقال لها الحصينة، أفلا تسألوني ما فيها؟! فقول له: ما فيها يا أمير المؤمنين؟! قال: فيها أيدي الناكثين^(٢).

س ٤: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿سَبِّحُوا لِلَّهِ الْمَخْلُوقِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ مِمَّا سَخَّرْنَاكُمْ وَأَهْلُونا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعاً بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١﴾﴾ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَرُزِّتَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ أَنَّكَ السَّوَاءَ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿٢﴾﴾ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿٣﴾﴾ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعْفُرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا ﴿٤﴾﴾ سَبِّحُوا لِلَّهِ الْمَخْلُوقِينَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِكْ مَفَازٍ لِنَأْخِذُوهَا ذُرُوبًا نَنْفَعُكُمْ بِرُبُودِكُمْ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَبِّحُوا لَهُ بَلْ عَمِدْتُمْ إِلَىٰ الْكُفْرِ قُلْ لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدُّوا إِلَىٰ قَوْمِ أُولَىٰ بِأَمْرِ سَيِّئٍ لِّقُلُوبِهِمْ أَوْ يُسَلِّمُوا فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٥﴾﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ عَدُوَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٦﴾﴾ اسورة الفتح: ١١ - ١٧!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسي: ثم أخبر سبحانه عن تخلف عن نبيه عليه السلام

فقال: ﴿سيقول لك المخلفون من الأعراب﴾ أي الذين تخلفوا عن صحبتك في وجهتك وعمرتك، وذلك أنه لما أراد المسير إلى مكة، عام الحديبية، معتمراً، وكان في ذي القعدة من سنة ست من الهجرة، استنفر من حول المدينة إلى الخروج معه، وهم: غفار وأسلم ومزينة وجهينة وأشجع والدئل، حذراً من قريش أن يعرضوا له بحرب، أو بصد. وأحرم بالعمرة، وساق معه الهدى، ليعلم الناس أنه لا يريد حرباً. فتأقل عنه كثير من الأعراب، فقالوا: نذهب معك إلى قوم قد جاءوه فقتلوا أصحابه فتخلفوا عنه واعتلوا بالشغل، فقال سبحانه: إنهم يقولون لك إذا انصرفت إليهم فعابتهم على التخلف عنك ﴿شغلنا أموالنا وأهلونا﴾ عن الخروج معك ﴿فاستغفر لنا﴾ في قومونا عنك. فكذبهم على الله تعالى فقال ﴿يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم﴾ كذبهم في اعتذارهم بما أخبر عن ضمانهم وأسرارهم أي: لا يبالون استغفر لهم النبي ﷺ أم لا. ﴿قل﴾ يا محمد ﴿فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضراً أو أراد بكم نفعاً﴾ أي فمن يمنعكم من عذاب الله، إن أراد بكم سوءاً ونفعاً أي: غنيمة... وذلك أنهم ظنوا عن تخلفهم عن النبي ﷺ يدفع عنهم الضر، أو يعجل لهم النفع بالسلامة في أنفسهم وأموالهم، فأخبرهم سبحانه أنه إن أراد شيئاً من ذلك، لم يقدر أحد على دفعه عنهم ﴿بل كان الله بما تعملون خبيراً﴾ أي عالماً بما كنتم تعملون في تخلفكم ﴿بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً﴾ أي ظننتم أنهم لا يرجعون إلى من خلفوا بالمدينة من الأهل والأولاد، لأن العدو يستأصلهم ويصطليهم ﴿وزين ذلك في قلوبكم﴾ أي زين الشيطان ذلك الظن في قلوبكم، وسوله لكم ﴿وظننتم ظن السوء﴾ في هلاك النبي ﷺ والمؤمنين، وكل هذا من الغيب الذي لا يطلع عليه أحد إلا الله، فصار معجزاً لنبينا ﷺ. ﴿وكنتم قوماً بوراً﴾ أي هلكت لا تصلحون لخير... وقيل: قوماً فاسدين... ﴿ومن لم يؤمن بالله

ورسوله فإننا أعتدنا للكافرين سعيراً ﴿ أي ناراً تسعمرهم وتحرقهم ﴾ ولله ملك السماوات والأرض يغفر لمن يشاء ﴿ ذنوبه ﴾ ويعذب من يشاء ﴿ إذا استحق العقاب ﴾ وكان الله غفوراً رحيماً ﴿ ظاهر المعنى . ثم قال : ﴿ سيقول ﴾ لك ﴿ المخلفون ﴾ يعني هؤلاء ﴿ إذا انطلقتم ﴾ أيها المؤمنون ﴿ إلى مغانم لتأخذوها ﴾ يعني غنائم خيبر ﴿ ذرونا تتبعكم ﴾ أي اتركونا نجيء معكم ، وذلك أنهم لما انصرفوا من عام الحديبية بالصلح ، وعدهم الله سبحانه فتح خيبر ، وخص بغنائمها من شهد الحديبية . فلما انطلقوا إليها قال هؤلاء المخلفون : ذرونا تتبعكم . فقال سبحانه : ﴿ يريدون أن يبدلوا كلام الله ﴾ أي مواعيد الله لأهل الحديبية بغنيمة خيبر خاصة . أرادوا تغيير ذلك بأن يشاركوهم فيها . . . وقيل : يريد أمر الله لنبيه أن لا يسير معه منهم أحد . . . ﴿ قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل ﴾ أي : قال الله بالحديبية قبل خيبر .

وقبل مرجعنا إليكم : إن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ، لا يشركهم فيها غيرهم . . . وقال الجبائي : أراد بقوله ﴿ يريدون أن يبدلوا كلام الله ﴾ قوله سبحانه : ﴿ قل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدوا ﴾ وهذا غلط فاحش ، لأن هذه السورة نزلت بعد الانصراف من الحديبية في سنة ست من الهجرة ، وتلك الآية نزلت في الذين تخلفوا عن تبوك ، وكانت غزوة تبوك بعد فتح مكة ، وبعد غزوة حنين والطائف ، ورجوع النبي ﷺ منها إلى المدينة ، ومقامه ما بين ذي الحجة إلى رجب ، ثم تهيأ في رجب للخروج إلى تبوك ، وكان منصرفه من تبوك في بقية رمضان ، من سنة تسع من الهجرة ، ولم يخرج ﷺ بعد ذلك لقتال ، ولا غزو ، إلى أن قبضه الله تعالى ، فكيف تكون هذه الآية مرادة بقوله ﴿ كلام الله ﴾ ، وقد نزلت بعده بأربع سنين لولا أن العصبية ترين على قلوب . ثم قال ﴿ فسيقولون بل تحسدوننا ﴾ أي فسيقول المخلفون عن الحديبية لكم إذا قلت هذا لم يأمركم الله تعالى به ، بل أنتم

تحسدوننا أن نشارككم في الغنيمة. فقال سبحانه ليس الأمر على ما قالوه: ﴿بل كانوا لا يفقهون﴾ الحق، وما تدعونهم إليه ﴿إلا قليلاً﴾ أي إلا فقهاً قليلاً، أو شيئاً قليلاً. وقيل: معناه إلا القليل منهم، وهم المعاندون.

ثم قال سبحانه لنبيه ﷺ: ﴿قل﴾ يا محمد ﴿للمخلفين﴾ الذين تخلفوا عنك في الخروج إلى الحديبية ﴿من الأعراب استدعون﴾ فيما بعد ﴿إلى قوم أولي بأس شديد﴾ وهم هوازن وحنين... وقيل: هم هوازن وثقيف... وقيل: هم ثقيف... وقيل: هم بنو حنيفة مع مسيلمة الكذاب... وقيل: هم أهل فارس... وقيل: هم الروم... وقيل: هم أهل صفين أصحاب معاوية. والصحيح أن المراد بالداعي في قوله ﴿ستدعون﴾ هو النبي ﷺ، لأنه قد دعاهم بعد ذلك إلى غزوات كثيرة، وقاتل أقوام ذوي نجدة وشدّة، مثل أهل حنين والطائف وموثة إلى تبوك وغيرها. فلا معنى لحمل ذلك على ما بعد وفاته. ﴿تقاتلونهم أو يسلمون﴾ معناه: إن أحد الأمرين لا بد أن يقع لا محالة، وتقديره: أو هم يسلمون أي يقرون بالإسلام ويقبلونه. وقيل: ينقادون لكم. وفي حرف أبي: ﴿أو يسلموا﴾ وتقديره: إلى أن يسلموا. وفي النصب دلالة على أن ترك القتال من أجل الإسلام إذا وقع ﴿فإن تطيعوا﴾ أي فإن تجيبوا إلى قتالهم ﴿يؤتكم الله أجراً حسناً﴾ أي جزاءً صالحاً ﴿وإن تولوا﴾ عن القتال، وتعدوا عنه ﴿كما توليتم من قبل﴾ عن الخروج إلى الحديبية ﴿يعذبكم عذاباً أليماً﴾ في الآخرة^(١).

س ٥: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ۝﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا

(١) مجمع البيان: ج ٩، ص ١٩٠ - ١٩٣.

وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٢٠﴾ وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَعَانِدَ كَثِيرَةٍ تَأْخُذُونَهَا فَجَعَلَ لَكُمْ هُدًى، وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢١﴾ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٢﴾ وَلَوْ فَتَنَّاكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وِثْقًا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٣﴾ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٤﴾ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٥﴾ هُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدَى مَعَكُوا أَنْ يَبْلُغَ حِمْلَهُمْ وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَافُوهُمْ فَيَقْبِيكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٦﴾ [سورة الفتح: ١٨ - ٢٥]!

الجواب/ قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا الذي ذكر الله اسمه في التوراة والإنجيل بمؤازرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنا أول من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة في قوله تعالى: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾»^(١).
وقال جابر: قلت لأبي جعفر عليه السلام: قول الله عز وجل: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾ كم كانوا؟ قال: «ألفاً ومائتين»
قلت: هل كان فيهم علي عليه السلام؟ قال: «نعم [علي] سيدهم وشريفهم»^(٢)
ومن طريق المخالفين: ما رواه موفق بن أحمد، في قوله تعالى: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾ نزلت في أهل الحديبية.
قال جابر: كنا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة، فقال لنا النبي صلى الله عليه وسلم: «أنتم خيار أهل

(٢) تأويل الآيات: ج ٢، ص ٥٩٥، ح ٧.

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٦٨.

الأرض، فبايعنا تحت الشجرة على الموت، فما نكتث أصلاً أحد إلا ابن قيس، وكان منافقاً، وأولى الناس بهذه الآية علي بن أبي طالب (عليه السلام)، لأنه قال: ﴿وأنا بهم فتحاً قريباً﴾ يعني [فتح] خيبر، وكان ذلك على يد علي بن أبي طالب (عليه السلام) (١).

وقال الشيخ الطبرسي: ﴿ومغانم كثيرة يأخذونها﴾ يعني غنائم خيبر، فإنها كانت مشهورة بكثرة الأموال والعقار. وقيل: يعني غنائم هوازن بعد فتح مكة، ﴿وكان الله عزيزاً﴾ أي غالباً على أمره ﴿حكيماً﴾ في أفعاله... ولذلك أمر بالصلح وحكم للمسلمين بالغنيمة، ولأهل خيبر بالهزيمة (٢).

وقال علي بن إبراهيم: ثم ذكر الأعراب الذين تخلفوا عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا بقَوْلُونَ بِالسِّنْتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعاً بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْفَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِتَّحَ عَلَيْهِمْ أَبَدًا وَزَيَّنَتْ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَّتُمْ ظَنّاً السَّوِّءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ (٣)، أي قوم سوء، وهم الذين استغفروهم في الحديبية. ولما رجع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى المدينة من الحديبية غزا خيبر فاستأذنه المخلفون أن يخرجوا معه، فأنزل الله: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتَهُ إِتَّحَ مَعَانِهِمْ لِنَأْخُذْهَا ذُرُوعًا وَنَنْفَعُكُمْ بِرِيدِوتَ أَنْ يُسَدِّدُوا لَكُمْ اللَّهُ قُلْ لَنْ نَقْتُمُونَكَ كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يفقهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٤).

ثم قال: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِيَّانَا قَوْمِ أُولَى بِأَنْ شَدِيدِ فَقِيلُوا نَحْنُ أَوْلَىٰ أَوْ يُسَلِّمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَلَنْ نَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلِ يَعْبُدُكُمْ

(١) مناقب الخوارزمي: ص ١٩٥.

(٢) الفتح: ١١ و١٢.

(٤) الفتح: ١٥.

(٢) مجمع البيان: ج ٩، ص ١٩٢.

عَذَابًا أَلِيمًا»^(١).

ثم رخص عز وجل في الجهاد، فقال: ﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار﴾، ثم قال: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا»^(٢). ثم قال: ﴿وعدكم الله مغنم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم﴾، يعني فتح خيبر: ﴿ولتكون آية للمؤمنين﴾.

وقال الطبرسي: ﴿ولو قاتلكم الذين كفروا﴾ من قريش يوم الحديبية، يا معشر المؤمنين ﴿لولوا الأدبار﴾ منهزمين بنصرة الله إياكم، وخذلان الله إياهم، وقيل: الذين كفروا من أسد وغطفان، الذين أرادوا نهب ذراري المسلمين ﴿ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا﴾ يواليهم وينصرهم، ويدافع عنهم. وهذا عن علم الغيب، وفي الآية دلالة على أنه يعلم ما لم يكن أن لو كان، كيف يكون، وفي ذلك إشارة إلى أن المعدوم معلوم^(٣).

ثم قال: ﴿وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديرا﴾، ثم قال: ﴿وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم﴾، أي بعد أن أمتهم من المدينة إلى الحرم، وطلبوا منكم الصلح، بعد أن كانوا يغزونكم بالمدينة صاروا يطلبون الصلح، بعد إذ كنتم [أنتم] تطلبون الصلح منهم^(٤).

وروى العياشي: عن زرارة، وحمران، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام: «أن رسول الله ﷺ كان معه يوم الفتح اثنا عشر ألفاً حتى جعل أبو سفيان والمشركون يستغيثون»^(٥).

(٤) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣١٥.

(١) الفتح: ١٦.

(٥) تفسير العياشي: ج ٢، ص ٥٤، ح ٤٣.

(٢) الفتح: ١٧.

(٣) مجمع البيان: ج ٩، ص ٢٠١.

وقال علي بن إبراهيم: ثم أخبر الله عز وجل نبيه ﷺ بعله الصلح، وما أجاز الله لنبيه، فقال: ﴿هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفاً أن يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات﴾ يعني بمكة: ﴿لم تعلموهم أن تطئوهم فتصيبكم منهم معزة بغير علم﴾، فأخبر الله نبيه أنّ علة الصلح إنما كان للمؤمنين والمؤمنات الذين كانوا بمكة، ولو لم يكن صلح وكانت الحرب لقتلوا، فلما كان الصلح آمنوا وأظهروا الإسلام، ويقال: إن ذلك الصلح كان أعظم فتحاً على المسلمين من غلبهم^(١).

وقال محمد بن أبي عمير، عمن ذكره، عن أبي عبد الله ﷺ، [قال]: قلت له: ما بال أمير المؤمنين ﷺ لم يقاتل فلاناً وفلاناً؟ قال: «لآية في كتاب الله عز وجل: ﴿لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً﴾».

قال: قلت: وما يعني بتزليلهم؟ قال: «ودائع مؤمنون في أصلاب قوم كافرين، وكذلك القائم ﷺ لن يظهر أبداً حتى تخرج ودائع الله عز وجل، فإذا خرجت ظهر على من ظهر من أعداء الله عز وجل فقتلهم»^(٢).

وقال إبراهيم الكرخي: قلت لأبي عبد الله ﷺ، أو قال له رجل: أصلحك الله ألم يكن علي ﷺ قوياً في دين الله عز وجل؟ قال: «بلى» قال: فكيف ظهر عليه القوم، وكيف لم يدفعهم، وما منعه من ذلك؟ قال: «آية في كتاب الله عز وجل منعه».

قال: قلت: وأية آية هي؟ قال: «قوله عز وجل: ﴿لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً﴾، أنه كان لله عز وجل ودائع مؤمنون في أصلاب قوم كافرين ومنافقين، فلم يكن علي ﷺ ليقتل الآباء حتى تخرج الودائع، فلما خرجت الودائع ظهر على من ظهر، فقاتله وكذلك قاتلنا أهل

(٢) كمال الدين وتمام النعمة: ص ٦٤١.

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣١٦.

البيت، لن يظهر أبداً حتى تظهر ودائع الله عز وجل، فإذا ظهرت ظهر علم من ظهر، فقتله»^(١).

وقال أبو عبد الله عليه السلام، في قول الله عز وجل: ﴿لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما﴾: «لو أخرج الله عز وجل ما في أصلاب المؤمنين من الكافرين، وما في أصلاب الكافرين من المؤمنين، لعذب الذين كفروا»^(٢).

❁ س ٦: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ لَمِيمَةً لِّمِيمَةٌ أَلْمِيلَةٌ فَانزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [سورة الفتح: ٢٦]!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: ثم قال: ﴿إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية﴾ يعني قريشاً وسهيل بن عمرو، حين قالوا لرسول الله ﷺ: لا نعرف الرحمن والرحيم، وقولهم: لو علمنا أنك رسول الله ما حاربناك، فاكتب: محمد بن عبد الله. ﴿فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شيء عليماً»^(٣).

وتقدم معنى السكينة ومعنى كلمة التقوى عن قريب في قوله تعالى: ﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين﴾^(٤).

وعن أبي جعفر عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، قال: «قال رسول الله ﷺ: إن

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ص ٦٤١.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة: ص ٦٤٢.

(٣) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣١٧.

(٤) تقدم في تفسير الآيات (٤ - ١٠) من هذه السورة.

الله عهد إليّ عهداً، فقلت: ربّ بينه لي: قال: اسمع. قلت: سمعت. قال: يا محمد، إن علياً راية الهدى بعدك، وإمام أوليائي، ونور من أطاعني، وهو الكلمة التي ألزمها الله المتقين، فمن أحبه فقد أحبني، ومن أبغضه فقد أبغضني، فبشره بذلك»^(١).

وقال مالك بن عبد الله: قلت لمولاي الرضا عليه السلام: قوله تعالى: ﴿وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحقّ بها وأهلها﴾؟ قال: «هي ولاية أمير المؤمنين عليه السلام»^(٢).

وقال أبو جعفر عليه السلام: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما عرج بي إلى السماء فسح في بصري غلوة^(٣)، كما يرى الراكب خرق الإبرة من مسيرة يوم، فعهد إليّ ربّي في عليّ كلمات، فقال: اسمع يا محمد، إن علياً إمام المتقين، وقائد الغرّ المحجلين، ويعسوب المؤمنين، والمال يعسوب الظلمة، وهو الكلمة التي ألزمها المتقين، وكانوا أحقّ بها وأهلها، فبشره بذلك». قال: «فبشره رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك، فألقى عليّ عليه السلام ساجداً شكراً لله تعالى، ثم قال: يا رسول الله، وإني لأذكر هناك؟ فقال: نعم، إن الله ليعرفك هناك، وإنك لتذكر في الرفيق الأعلى»^(٤).

والذي رواه الشيخ المفيد في (الاختصاص): «لما أسري بي إلى السماء فسح لي في بصري غلوة، كمثل ما يرى الراكب خرق الإبرة من مسيرة يوم، وعهد إليّ في عليّ كلمات، فقال: يا محمد قلت: لبيك ربّي. فقال: إن علياً أمير المؤمنين، وإمام المتقين، وقائد الغرّ المحجلين، ويعسوب المؤمنين، والمال يعسوب الظلمة، وهو الكلمة التي ألزمها المتقين، فكانوا أحقّ بها

(١) أمالي الطوسي: ج ١، ص ٢٥٠. (٣) الغلوة: مقدار رمية سهم.

(٢) تاويل الآيات: ج ٢، ص ٥٩٥، ح ٨. (٤) تاويل الآيات: ج ٢، ص ٥٩٥، ح ٩.

وأهلها فبشره بذلك». قال: «بشره النبي ﷺ بذلك، فقال علي: يا رسول الله، فإني أذكر هناك؟ فقال: نعم، إنك لتذكر في الرفيق الأعلى»^(١).

س ٧: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِينَ مُخْلِفِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَمِإِمَّ مَّا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [سورة الفتح: ٢٧]!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم القمي: وأنزل في تظهير الرؤيا التي رآها رسول الله: ﴿لقد صدق الله رسوله﴾ - إلى قوله - ﴿فتحا قريباً﴾ يعني فتح خيبر، لأن رسول الله ﷺ لما رجع من الحديبية غزا خيبر^(٢). وقد مر ذكر حديث الرؤيا في نفس السورة في تفسير الآيات (١ - ٣).

وقال الحسن بن زياد العطار: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنهم يقولون لنا: أمؤمنون أنتم؟ فنقول: نعم، إن شاء الله تعالى. فيقولون: أليس المؤمنون في الجنة؟ فنقول: بلى. فيقولون: أفأنتم في الجنة؟ فإذا نظرنا إلى أنفسنا ضعفنا وانكسرنا عن الجواب. قال: فقال: «إذا قالوا لكم: أمؤمنون أنتم؟ فقولوا: نعم، إن شاء الله تعالى».

قال: قلت: وإنهم يقولون: إنما استثنيتم لأنكم شكاك، . قال: «فقولوا لهم: والله ما نحن بشكاك، ولكننا استثنينا كما قال الله عز وجل: ﴿لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله ءامين﴾، وهو يعلم أنه يدخلونه أولاً، وقد سمي الله عز وجل المؤمنين بالعمل الصالح مؤمنين، ولم يسم من ركب الكبائر،

(١) الاختصاص: ص ٥٣.

(٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣١٧.

وما وعد الله عز وجل عليه النار في قرآن ولا أثر، فلا يسميهم بالإيمان بعد ذلك الفعل^(١).

❁ س ٨: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [سورة الفتح: ٢٨]!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: وهو الإمام الذي يظهره الله على الدين كله، فيملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. وهذا مما ذكرنا أن تأويله بعد تنزيهه^(٢).

وقال أبو جعفر عليه السلام قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾^(٣)، قال: «يظهره الله عز وجل في الرجعة»^(٤).

وقال محمد بن الفضيل، قلت لأبي الحسن الماضي عليه السلام: «هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق»؟ قال: «هو الذي أمر رسوله [بالولاية] لوصيته، والولاية هي دين الحق».

قلت: «ليظهره على الدين كله»؟ قال: «يظهره على جميع الأديان عند قيام القائم، يقول الله: ﴿والله منم نوره﴾، ولاية القائم ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(٥) بولاية علي عليه السلام»^(٦).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر إلا

(١) معاني الأخبار: ص ٤١٣، ح ١٠٥. (٤) مختصر بصائر الدرجات: ص ١٧.
 (٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣١٧. (٥) الصف: ٨.
 (٣) التوبة: ٣٣، الصف: ٩. (٦) الكافي: ج ١، ص ٣٥٨، ح ٩١.

أدخله الله كلمة الإسلام^(١).

س ٩: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْطَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة الفتح: ٢٩]!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: ثم أعلم الله عز وجل أن صفة رسول الله ﷺ وصفة أصحابه المؤمنين في التوراة والإنجيل مكتوب، فقال: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾، يعني: يقتلون الكفار وهم أشداء عليهم، وفيما بينهم رحماء، ﴿تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾.

ثم ضرب لهم مثلاً، فقال: ﴿ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شططه﴾، يعني فلاناً وفلاناً ﴿فأزرمه﴾، يعني فلاناً ﴿فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين ءامنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾^(٢).

وقال أبو جعفر عليه السلام: «المؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه، لأن الله خلق طبيتهما من سبع سماوات، وهي من طينة الجنان. ثم تلا: ﴿رحماء بينهم﴾، فهل يكون الرحيم إلا براً وصولاً». وفي حديث آخر: «وأجرى فيهما من روح رحمته»^(٣).

(١) تفسير القرطبي: ج ٧، ص ٤٦٩٢. (٢) المحاسن: ص ١٣٤، ح ١١.

(٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ١٢١.

وقال أبو جعفر عليه السلام: «إن الله تبارك وتعالى أجرى في المؤمن من ربح روح الله، والله تبارك وتعالى يقول: ﴿رحماء بينهم﴾»^(١).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «نزلت هذه الآية في اليهود والنصارى، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتَرَفُّونَهُ كَمَا يَتَرَفُّونَ آبَاءَهُمْ﴾»^(٢)، يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنَّ الله عزَّ وجلَّ قد أنزل عليهم في التوراة والإنجيل والزبور صفة محمد صلى الله عليه وسلم وصفة أصحابه، ومبعثه ومهاجره، وهو قوله تعالى: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل﴾، فهذه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفة أصحابه في التوراة والإنجيل، فلما بعثه الله عزَّ وجلَّ، عرفه أهل الكتاب، كما قال جلَّ جلاله»^(٣).

وسئل الصادق عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾، قال: «هو السهر في الصلاة»^(٤).

ومن طريق المخالفين: ما رواه ابن مردويه، في قوله تعالى: ﴿فاستوى على سوقه﴾ عن الحسن بن علي (صلوات الله عليهما)، قال: «استوى الإسلام بسيف علي عليه السلام»^(٥).

وقال ابن عباس، في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كزرع أخرج شطئه فأزره فاستغلف فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار﴾، قال: قوله

(١) المحاسن: ص ١٣١، ح ٢.

(٢) البقرة: ١٤٦.

(٣) تفسير القمي: ج ١، ص ٣٢.

(٤) من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٢٩٩، ح ١٣٦٩.

(٥) تأويل الآيات: ج ٢، ص ٦٠٠، ح ١٢، غاية المرام: ص ٤٤٢.

تعالى: ﴿كزراع أخرج شطنه﴾، أصل الزرع عبد المطلب، وشطاه محمد ﷺ، و﴿يعجب الزراع﴾، قال: علي بن أبي طالب عليه السلام (١).

وعن ابن عباس، أنه سئل النبي ﷺ عن قول الله عز وجل: ﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما﴾، قال: سألت قوم النبي ﷺ فقالوا: فيمن نزلت هذه الآية يا نبي الله؟

قال: «إذا كان يوم القيامة، عقد لواء من نور أبيض، ونادى مناد: ليقيم سيد المؤمنين [ومعه الذين آمنوا بعد بعث محمد ﷺ]، فيقوم علي بن أبي طالب، فيعطي الله اللواء من النور الأبيض بيده، تحته جميع السابقين الأولين من المهاجرين، والأنصار، لا يخالطهم غيرهم، حتى يجلس على منبر من نور رب العزة، ويعرض الجميع عليه، رجلاً رجلاً، فيعطي أجره ونوره، فإذا أتى على آخرهم، قيل لهم: قد عرفتم موضعكم ومنازلكم من الجنة، إن ربكم يقول: عندي لكم مغفرة وأجر عظيم - يعني الجنة - فيقوم علي بن أبي طالب والقوم تحت لوائه معه حتى يدخل الجنة، ثم يرجع إلى منبره، ولا يزال يعرض عليه جميع المؤمنين، فيأخذ نصيبه منهم إلى الجنة ويترك أقواماً على النار، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ آجُرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ (٢)، يعني السابقين الأولين، والمؤمنين، وأهل الولاية له، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ (٣)، هم الذين قاسم عليهم النار فاستحقوا الجحيم» (٤). وفي رواية عن طريق المخالفين، قال: يعني كفروا وكذبوا بالولاية وبحق علي عليه السلام (٥).

(١) تأويل الآيات: ج ٢، ص ٦٠٠، ح ١٣. (٤) أمالي الطوسي: ج ١، ص ٣٨٧.

(٢) الحديد: ١٩. (٥) مناقب ابن المغازلي: ص ٣٢٢، ح ٣٦٩.

(٣) الحديد: ١٩.



تفسير
سورة الحجرات

رقم السورة - ٤٩ -

سورة الحجرات

❁ س ١: ما هو فضل سورة الحُجْرَات؟!

الجواب/ قال أبو عبد الله عليه السلام: «من قرأ سورة الحجرات في كل ليلة، أو في كل يوم، كان من زوار محمد صلى الله عليه وآله»^(١).

ومن (خواص القرآن): روي عن النبي صلى الله عليه وآله، أنه قال: «من قرأ هذه السورة أعطي من الأجر بعدد من أطاع الله تعالى وعدد من عصاه عشر مرات، ومن كتبها وعلقها عليه في قتالٍ أو خصومةٍ أمن خوف ذلك، وفتح الله تعالى على يديه باب كل خير»^(٢).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من كتبها وعلقها عليه في قتالٍ أو خصومة، نصره الله تعالى وفتح له باب كل خير»^(٣).

وقال الصادق عليه السلام: «من كتبها وعلقها على المتبوع، أمن من شيطانه، ولم يعد إليه، وأمن من كل ما يحذر من الخوف، والمرأة إذا شربت ماءها درت اللبن بعد إمساكه، وحفظ جنينها، وأمنت على نفسها من كل خوفٍ ومحذورٍ بإذن الله تعالى»^(٤).

❁ س ٢: فيمن نزل، قوله تعالى:

﴿بَيِّنَاتٍ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا لَّا تَقْدِمُونَ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ

عَلِيمٌ ﴿١﴾ [سورة الحُجْرَات: ١]؟!

(٣) نفس المصدر السابق.

(١) ثواب الأعمال: ص ١١٥.

(٤) خواص القرآن: ص ٧ «مخطوط».

(٢) البرهان: ج ٩، ص ١٣١.

الجواب/ قال السفيد في (الاختصاص): روي عن ابن كدينة الأودي (١)، قال: قام رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فسأله عن قول الله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله﴾ فيمن نزلت؟ قال: «في رجلين من قريش» (٢).

وقال علي بن إبراهيم: نزلت في وفد بني تميم، كانوا إذا قدموا على رسول الله ﷺ وقفوا على باب حجرته، فنادوا: يا محمد، أخرج إلينا، وكانوا إذا خرج رسول الله ﷺ تقدموه في المشي، وكانوا إذا كلموه رفعوا أصواتهم فوق صوته، يقولون: يا محمد، يا محمد، ما تقول في كذا وكذا؟ كما يكلمون بعضهم بعضاً، فأنزل الله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم﴾ (٣).

❁ س ٣: فيمن نزل، قوله تعالى:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالِكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَشْعُرُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ آمَنَ اللَّهُ فُلُوبُهُمْ لِلنَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنَ وَدَادِ الْهَجْرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [سورة الحجرات: ٢ - ٥] ١؟

الجواب/ قال الزمخشري في (ربيع الأبرار): كان قومٌ من سفهاء بني تميم، أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد، أخرج إلينا نكلمك. فغم ذلك

(١) كذا، ولعله، أبو كدينة الكوفي، يحيى بن المهلب البجلي، انظر تهذيب التهذيب: ج ١١، ص ٢٨٩، تقريب التهذيب: ج ٢، ص ٣٥٩ و ٤٦٦.

(٢) الاختصاص: ص ١٢٨.

(٣) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣١٨.

رسول الله ﷺ وساء ما ظهر من سوء أدبهم، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون﴾^(١).

وقال رباعي بن خراش: خطبنا علي عليه السلام في الرحبة، ثم قال: «لما كان في زمان الحديدية، خرج إلى رسول الله ﷺ أناس من قريش، من أشرف أهل مكة، فيهم سهيل بن عمرو، فقالوا: يا محمد، أنت جارنا وحليفنا وابن عمنا، وقد لحق بك أناس من أبنائنا وإخواننا وأقاربنا، ليس بهم التفقه في الدين، ولا رغبة فيما عندك، ولكن إنما خرجوا فراراً من ضياعنا وأعمالنا وأموالنا، فأرددهم علينا. فدعا رسول الله ﷺ أبا بكر، فقال له: انظر ما يقولون. فقال: صدقوا يا رسول الله، أنت جارهم، فأرددهم عليهم. قال: ثم دعا عمر فقال مثل قول أبي بكر، فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: لن تنتهوا - يا معاشر قريش - حتى يبعث الله عليكم رجلاً امتحن الله قلبه للثقوى، يضرب رقابكم على الدين. فقال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: لا فقام عمر، فقال: أنا هو يا رسول الله؟ قال: لا، ولكنه خاصف النعل، وكنت أخصف نعل رسول الله ﷺ».

قال: ثم التفت إلينا علي عليه السلام، وقال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»^(٢).

س ٤: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكَ فَاسِقُ بَنِي قَسْبَيْنَا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا يَجْهَلُونَ فَتُصِحُّوا

عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [سورة الحجرات: ٦]!؟

الجواب/ قال زيد الشحام: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الفسوق، فقال:

(١) ربيع الأبرار: ج ٢، ص ٣٠٥.

(٢) تأويل الآيات: ج ٢، ص ٦٠٢، ح ١ وفضائل الصحابة لابن حنبل: ج ٢، ص ٦٤٩، ح ١١٠٥.

«الفسوق هو الكذب، ألا تسمع قول الله عزّ وجلّ: (وذكر الآية)»^(١).

وقال شرف الدين النجفي: ذكر علي بن إبراهيم في (تفسيره) ما صورة لفظه: قال: سألت عن هذه الآية، فقال: «إن عائشة قالت لرسول الله ﷺ: إن مارية يأتيها ابن عمّ لها»^(٢)، ولطختها بالفاحشة، فغضب رسول الله ﷺ وقال لها: إن كنت صادقة فأعلميني إذا دخل إليها، فرصدتها، فلما دخل عليها ابن عمّها أخبرت رسول الله ﷺ، فقالت: هو الآن عندها. فعند ذلك دعا رسول الله ﷺ علياً عليه السلام، فقال: يا علي، خذ هذا السيف، فإن وجدته عندها فاضرب عنقه - قال - فأخذ علي عليه السلام السيف، وقال: يا رسول الله، إذا بعثتني بالأمر أكون كالسفود^(٣) المحم بالوبر، أو أثبت؟ فقال: تثبت قال: فانطلق علي عليه السلام ومعه السيف، فلما انتهى إلى الباب وجده مغلقاً، فألزم عينيه نقب الباب، فلما رأى القبطي عين علي عليه السلام في الباب، فزع وخرج من الباب الآخر، فصعد نخلة، وتسرّو علي الحائط، فلما رأى القبطي علياً ومعه السيف، حسر عن عورته، فإذا هو مجبوب^(٤)، فصعد أمير المؤمنين عليه السلام بوجهه عنه، ثم رجع فأخبر رسول الله ﷺ بما رأى فتهلّل وجه رسول الله ﷺ، وقال: الحمد لله الذي لم يعاقبنا أهل البيت من سوء ما يلحظوننا به. فأنزل الله عليه: ﴿يا أيها الذين ءامنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾.

فقال زرارة: إنّ العامة يقولون: نزلت هذه الآية في الوليد بن عقبة بن أبي معيط حين جاء إلى النبي ﷺ، فأخبره عن بني خزيمة أنهم كفروا بعد إسلامهم؟

(١) معاني الأخبار: ص ٢٩٤، ح ١.

(٢) هو جريح القبطي وهو أحد الخدم.

(٣) السفود: حديدة ذات شعب معقفة، معروف، يشوى به اللحم.

(٤) أي مقطوع الذكر.

فقال أبو جعفر عليه السلام: «يا زرارة، أو ما علمت أنه ليس من القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن؟ فهذا الذي في أيدي الناس ظهرها، والذي حدثك به بطنها»^(١).
وقال عبد الله بن بكير: قلت لأبي عبد الله عليه السلام جعلت فداك، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بقتل القبطي، وقد علم أنها كذبت عليه أو لم يعلم، وإنما دفع الله عن القبطي القتل بثبت علي عليه السلام؟ فقال: «بلى قد كان والله علم، ولو كانت عزيمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم القتل ما رجع علي عليه السلام حتى يقتله، ولكن إنما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لترجع عن ذنبها، فما رجعت، ولا اشتدّ عليها قتل رجل مسلم بكذبها»^(٢).

وقال الطبرسي في (الاحتجاج) في حديث ذكر فيه ما جرى بين الحسن ابن علي عليهما السلام وبين جماعة من أصحاب معاوية بمحضره، فقال الحسن عليه السلام: «وأما أنت يا وليد بن عقبة، فوالله ما ألومك أن تبغض علياً، وقد جلدك في الخمر ثمانين، وقتل أباك صبراً بيده يوم بدر، أم كيف تسبه وقد سماه الله مؤمناً في عشر آيات من القرآن وسماك فاسقاً! وهو قول الله عز وجل: ﴿أَمَّن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾»^(٣)، وقوله عز وجل: ﴿إِن جَاءكُم فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِحِّحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُم نَادِمِينَ﴾»^(٤)، وما أنت وذكر قريش، وإنما أنت ابن علي، من أهل صفورية،

(١) تأويل الآيات: ص ٥٨٤ «طبع جماعة المدرسين».

(٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣١٩.

(٣) السجدة: ١٨.

(٤) قيل: نزلت في الوليد بن عقبة وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسله لجمع الزكاة من قبيلة بني المصطلق فلما علم بنو المصطلق أن مبعوث الرسول صلى الله عليه وسلم قادم إليهم سزوا كثيراً وهرعوا لاستقباله إلا أن الوليد حيث كانت له خصومة معهم في زمان الجاهلية، شديدة، تصوّر أنهم يريدون قتله. فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم «ومن دون أن يتحقق في الأمر» وقال: يا رسول الله إنهم امتنعوا من دفع الزكاة. فغضب النبي صلى الله عليه وسلم لذلك وصمّ علي أن يقاتلهم فنزلت الآية آفة الذكر. (مجمع البيان: ج ٩، ص ١٣٢).

يقال له ذكوان^(١).

❁ س ٥: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَأَعْلَمُوا أَن فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَنَنِتَّمَّ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ (سورة الحجرات: ٧)؟!.

الجواب/ ١ - قوله: ﴿واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم﴾: تدل هذه الجملة - كما قاله جماعة من المفسرين أيضاً - أنه بعد أن أخبر الوليد بارتداد طائفة «بني المصطلق»... ألح جماعة من المسلمين البسطاء السذج ذوي النظرة السطحية على الرسول أن يقاتل الطائفة آنفة الذكر...

فالقرآن يقول: من حسن حظكم أن فيكم رسول الله وهو مرتبط بعالم الوحي فمتى ما أظهر فيكم خط «أو خطوط» يسوقكم للانحراف فهو يعلمكم عن هذا الطريق، إلا أنه قائد فلا تتوقعوا أن يطيعكم ويتعلم منكم وهو أرفأ بكم من أي أحد فلا تصرّوا وتلخّوا عليه فإن ذلك فيه عنت لكم وليس من مصلحتكم...

٢ - قال بريد بن معاوية: كنت عند أبي جعفر عليه السلام، في فسطاطه بمنى، فنظر إلى زياد الأسود منقطع الرجلين فرثي له^(٢)، وقال: «ما لرجليك هكذا؟! قال: جثت على بكر لي نضو^(٣)، فكنت أمشي عنه عامة الطريق:

(١) الاحنجاج: ص ٢٧٦.

(٢) رثي له: أي رق له. «الصحيح: ج ٦، ح ٢٣٥٢».

(٣) البكر: القتي من الإبل. (لسان العرب: ج ٤، ص ٥٧٩، والنضو، بالكسر: البعير المهزول، وقيل: هو المهزول من جميع الدواب. «لسان العرب: ج ١٥، ص ٣٣٠».

فرشى له، وقال له عند ذلك زياد: إني ألم بالذنوب حتى إذا ظننت أنني قد هلكت ذكرت حبكم فرجوت النجاة، وتجلى عني.

فقال أبو جعفر عليه السلام: «وهل الدين إلا الحب؟ قال الله تعالى: ﴿حِبِّ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزِينَةَ فِي قُلُوبِكُمْ﴾، وقال: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾^(١)، وقال: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾^(٢)، إن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله أحب المصلين ولا أصلي، وأحب الصوامين ولا أصوم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت مع من أحببت، ولك ما اكتسبت».

وقال: «ما تبغون وما تريدون، أما إنها لو كانت فزعة من السماء فزعه كل قوم إلى ما منهم، وفزعنا إلى نبينا، وفزعتم إلينا»^(٣).

وقال أبو عبد الله عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿حِبِّ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزِينَةَ فِي قُلُوبِكُمْ﴾: «يعني أمير المؤمنين عليه السلام». وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان: «الأول والثاني والثالث»^(٤).

وقال فضيل بن يسار: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الحب والبغض، أمن الإيمان هو؟

فقال: «وهل الإيمان إلا الحب والبغض»^(٥).

وقال أبو جعفر عليه السلام: «الفسوق: هو الكذب»^(٦).

س ٦: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة الحجرات: ٨)!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسي: ﴿فضلا من الله ونعمة﴾ أي تفضلاً مني

(١) آل عمران: ٣١. (٤) الكافي: ج ١، ص ٣٥٣، ح ٧١.

(٢) الحشر: ٩. (٥) الكافي: ج ٢، ص ١٠٢، ح ٥.

(٣) الكافي: ج ٨، ص ٧٩، ح ٣٥. (٦) مجمع البيان: ج ٩، ص ٢٠٠.

عليهم، ورحمة مني لهم... ﴿والله عليم﴾ بالأشياء كلها ﴿حكيم﴾ في جميع أفعاله. وفي هذه الآية دلالة على بطلان مذهب أهل الجبر من وجوه منها: أنه إذا حُب في قلوبهم الإيمان، وكره الكفر، فمن المعلوم أنه لا يحب ما لا يحب، ولا يكره ما لا يكره ومنها: إنه إذ أَلطف في تحبيب الإيمان بالطفاه، دل ذلك على ما نقوله في اللطف^(١).

❁ س ٧: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَلَنْ طَافَيْنَاكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقْتُلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَفِئَةَ إِنْ أَمَرَ اللَّهُ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [سورة الحجرات: ٩؟]

الجواب/ قال أبو عبد الله عليه السلام: «الفتنان، إنما جاء تأويل هذه الآية يوم البصرة، وهم أهل هذه الآية، وهم الذين بغوا على أمير المؤمنين عليه السلام، فكان الواجب عليه قتالهم وقتلهم حتى يفئوا إلى أمر الله، ولو لم يفئوا لكان الواجب عليه فيما أنزل الله أن لا يرفع السيف عنهم حتى يفئوا ويرجعوا عن رأيهم، لأنهم بايعوا طائعين غير كارهين، وهي الفتنة الباغية، كما قال الله عز وجل، فكان الواجب على أمير المؤمنين عليه السلام أن يعدل فيهم حيث كان ظفر بهم، كما عدل رسول الله صلى الله عليه وآله في أهل مكة، إنما من عليهم وعفا، وكذلك صنع أمير المؤمنين عليه السلام بأهل البصرة حيث ظفر بهم مثل ما صنع النبي صلى الله عليه وآله بأهل مكة حذو النعل بالنعل».

قال أبو بصير: قلت: قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤَنَفَكَةُ أَهْوَى﴾^(٢)؟ قال: «هم أهل البصرة».

(١) مجمع البيان: ج ٩، ص ٢٢١.

(٢) النجم: ٥٣.

قلت: ﴿وَالْمُؤْمِنَاتُ أَنَّهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾^(١)، قال: «أولئك قوم لوط، اتفكت عليهم، انقلبت عليهم»^(٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام، عن أبيه عليه السلام - في حديث الأسياف الخمسة - قال: «وأما السيف المكفوف [فسيف] على أهل البغي والتأويل، قال الله عز وجل: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله﴾، فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن منكم من يقاتل بعدي على التأويل كما قاتلت على التنزيل فسئل النبي صلى الله عليه وسلم: من هو؟ فقال: خاصف النعل، يعني أمير المؤمنين عليه السلام، فقال عمار بن ياسر: قاتلت بهذه الراية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثاً وهذه الرابعة، والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا السعفات من هجر لعلمنا أنا على الحق وأنهم على الباطل، وكانت السيرة فيهم من أمير المؤمنين عليه السلام ما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم في أهل مكة يوم فتح مكة، فإنه لم يسب لهم ذرية، وقال: من أغلق بابه فهو آمن، ومن ألقى سلاحه فهو آمن، وكذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام يوم البصرة، نادى فيهم: لا تسبوا لهم ذرية، ولا تجهزوا على جريح، ولا تتبعوا مدبراً، ومن أغلق بابه وألقى سلاحه فهو آمن»^(٣).

س ٨: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(١)
[سورة الحجرات: ١٠]!

الجواب/ قال عبد الله بن العباس: لما نزلت ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(١) أخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين، فأخى بين أبي بكر وعمر، وبين عثمان

(١) التوبة: ٧٠. (٢) الكافي: ج ٥، ص ١١، ح ٢.

(٢) الكافي: ج ٨، ص ١٨٠، ح ٢٠٢.

وعبد الرحمن، وبين فلان وفلان حتى آخى بين أصحابه أجمعهم على قدر منازلهم، ثم قال لعلي بن أبي طالب عليه السلام: «أنت أخي وأنا أخوك»^(١).

وقال حذيفة بن اليمان: آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الأنصار والمهاجرين أخوة الدين، وكان يواخي بين الرجل ونظيره، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال: «هذا أخي». قال حذيفة: فرسول الله صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين، وإمام المتقين، وسيد ولد آدم، ورسول رب العالمين، الذي ليس له في الأنام شبة ولا نظير، وعلي بن أبي طالب أخوه^(٢).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلمه»^(٣).

وقال أيضاً: «مثل الأخوين مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى»^(٤).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «المؤمن أخو المؤمن كالجسد الواحد إذا اشتكى شيئاً منه وجد ألم ذلك في سائر جسده وأرواحهما من روح واحدة»^(٥).

كما نقرأ حديثاً آخر عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول فيه: «المؤمن أخو المؤمن عينه ودليله لا يخونه ولا يظلمه ولا يغشه ولا يعده عدوً فيخلفه»^(٦).

س ٩: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَخْرَ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَلْمَمُ الْمُسُوفُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [سورة الخيبر: ١١]!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: فإنها نزلت في صفية بنت حبي بن

(٤) المصدر السابق.

(١) الأمالي: ج ٢، ص ١٩٩.

(٥) الكافي: ج ٢، ص ١٣٣، ح ٣ و٤.

(٢) الأمالي: ج ٢، ص ١٩٩.

(٦) المصدر السابق.

(٣) المحجة البيضاء: ج ٣، ص ٣٣٢.

أخطب، وكانت زوجة رسول الله ﷺ، وذلك أن عائشة وحفصة كانتا تؤذيانهما وتشتمانهما، وتقولان لها: يا بنت اليهودية. فشكت ذلك إلى رسول الله ﷺ [لها]: «ألا تُجيبيهما؟» فقالت: بماذا يا رسول الله؟ قال: «قولي: إن أبي هارون نبي الله، وعمي موسى كليم الله، وزوجي محمد رسول الله، فما تنكران مني؟» فقالت لهما. فقالتا: هذا علمك رسول الله. فأنزل الله في ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ ؕ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمَاءُ فَسُوقَ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾^(١).

وعن جميل بن دراج، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: دخل عليه الطيار وأنا عنده، فقال [له]: جعلت فداك، رأيت قول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ في غير مكان من مخاطبة المؤمنين، أيدخل في هذا المنافقون؟ قال: «نعم، يدخل في هذا المنافقون والضلال، وكل من أقر بالدعوة الظاهرة»^(٢).

س ١٠: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿يَتَأَيَّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِتُّمٌ وَلَا يَتَّبِعُوا وَلَا يَتَّبِعُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة الحجرات: ١٢]!

الجواب/ نذكر مجموعة من الروايات التي وردت في الكافي باب النهي عن سوء الظن وطلب عثرات المؤمنين، والغيبة ومعناها.

قال أبو عبد الله عليه السلام: «إذا اتهم المؤمن أخاه، انماث الإيمان في قلبه كما ينماث الملح في الماء»^(٣).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «من اتهم أخاه في دينه فلا حرمة بينهما، ومن

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٢١. (٢) الكافي: ج ٢، ص ١٣٧، ح ٥.

(٢) الكافي: ج ٨، ص ٢٧٤، ح ٤١٣.

عامل أخاه بمثل ما يعامل الناس فهو بريء مما يتحلل»^(١).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «قال أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له: ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك ما يقبلك منه، ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً»^(٢).

وعن أبي جعفر، وأبي عبد الله عليه السلام، قالوا: «أقرب ما يكون العبد إلى الكفر أن يؤاخي الرجل على الدين، فيحصي عليه عثراته وزلاته ليعنفه بها يوماً ما»^(٣).

وقال إسحاق بن عمار: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «قال رسول الله ﷺ: يا معشر من أسلم بلسانه ولم يخلص الإيمان إلى قلبه، لا تدموا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في بيته»^(٤).

وقال أبو جعفر عليه السلام: «أقرب ما يكون العبد إلى الكفر أن يؤاخي الرجل على الدين، فيحصي عليه عثراته وزلاته، ليعنفه بها يوماً ما»^(٥).

وقال أبو جعفر عليه السلام: «قال رسول الله ﷺ: يا معشر من أسلم بلسانه [ولم يسلم بقلبه]، لا تتبعوا عثرات المسلمين، فإنه من تتبع عثرات المسلمين تتبع الله عثرته ليفضحه»^(٦).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «قال رسول الله ﷺ: لا تطلبوا عثرات المؤمنين، فإنه من تتبع عثرات أخيه، تتبع الله عثرته، ومن تتبع الله عثرته يفضحه ولو في جوف بيته»^(٧).

(٥) الكافي: ج ٢، ص ٢٦٤، ح ٣.

(٦) الكافي: ج ٢، ص ٢٦٤، ح ٤.

(٧) الكافي: ج ٢، ص ٢٦٥، ح ٥.

(١) الكافي: ج ٢، ص ٢٦٩، ح ٢.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٢٦٩، ح ٣.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ٢٦٤، ح ١.

(٤) الكافي: ج ٢، ص ٢٦٤، ح ٢.

وقال أبو جعفر عليه السلام: «أقرب ما يكون العبد إلى الكفر أن يؤاخي الرجل الرجل على الدين فيحصي عليه زلاته ليعيره بها يوماً ما»^(١).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «أبعد ما يكون العبد من الله أن يكون الرجل يؤاخي الرجل وهو يحفظ [عليه] زلاته ليعيره بها يوماً ما»^(٢).

وقال أبو جعفر عليه السلام: «يجب للمؤمن على المؤمن أن يستر عليه سبعين كبيرة»^(٣).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «قال رسول الله ﷺ: الغيبة أسرع في دين الرجل المسلم من الأكلة في جوفه».

قال: «وقال رسول الله ﷺ: الجلوس في المسجد انتظاراً للصلاة عبادة ما لم يحدث، قيل: يا رسول الله، وما يحدث؟ قال: الاغتياب»^(٤).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «من قال في مؤمن ما رأته عيناه وسمعته أذناه، فهو من الذين قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفُحْشَةُ فِي الدِّينِ ؕ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾»^(٥)،^(٦).

وقال داود بن سرحان: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الغيبة، قال: «هو أن تقول لأخيك في دينه ما لم يفعل، وتبث عليه أمراً قد ستره الله عليه لم يقم عليه فيه حد»^(٧).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «سئِلَ النبي ﷺ: ما كفارة الاغتياب؟ قال: أن تستغفر الله لمن اغتبهت كلما ذكرته»^(٨).

- | | |
|------------------------------|------------------------------|
| (١) الكافي: ج ٢، ص ٢٦٥، ح ٦. | (٥) النور: ١٩. |
| (٢) الكافي: ج ٢، ص ٢٦٥، ح ٧. | (٦) الكافي: ج ٢، ص ٢٦٦، ح ٢. |
| (٣) الكافي: ج ٢، ص ٢٦٥، ح ٨. | (٧) الكافي: ج ٢، ص ٢٦٦، ح ٣. |
| (٤) الكافي: ج ٢، ص ٢٦٦، ح ١. | (٨) الكافي: ج ٢، ص ٢٦٦، ح ٤. |

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «من بهت مؤمناً أو مؤمنة بما ليس فيه، بعثه الله في طينة خبالٍ حتى يخرج مما قال».

قال ابن أبي يعفور: قلت: وما طينة خبال؟ قال: «صديد يخرج من فروج المومسات»^(١).

وقال يحيى الأزرق: قال لي أبو الحسن عليه السلام: «من ذكر رجلاً من خلفه بما هو فيه مما عرفه الناس لم يغبه، ومن ذكره من خلفه بما هو فيه مما لا يعرفه الناس اغتابه، ومن ذكره بما ليس فيه فقد بهته»^(٢).

وقال عبد الرحمن بن سيابة: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «الغيبة أن تقول في أخيك ما ستره الله عليه، وأما الأمر الظاهر [فيه] مثل الحذوة والمجلة، فلا، والبهتان أن تقول فيه ما ليس فيه»^(٣).

وقال المفيد: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الغيبة أشد من الزنا، فقيل: ولم ذلك يا رسول الله؟ فقال: «صاحب الزنا يتوب فيتوب الله عليه، وصاحب الغيبة يتوب فلا يتوب الله عليه حتى يكون صاحبه الذي يحلله»^(٤).

وقال الشيخ ورام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ثلاث لا ينجو منهن أحد: الظن، والطيرة، والحسد، وسأحدثكم بالمخرج من ذلك: إذا ظننت فلا تحقق، وإذا تطيرت فامض، وإذا حسدت فلا تبغ»^(٥).

● س ١١: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [سورة الحجرات: ١٣]!

الجواب/ قال حنان: سمعتُ أبي يروي عن أبي جعفر عليه السلام، قال:

(٤) الاختصاص: ص ٢٢٦.

(٥) تنبيه الخواطر: ج ١، ص ١٢٧.

(١) الكافي: ج ٢، ص ٢٦٦، ح ٥.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٢٦٦، ح ٦.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ٢٦٦، ح ٧.

«كان سلمان جالساً مع نفرٍ من قريش في المسجد، فأقبلوا ينتسبون ويرفعون في أنسابهم، حتى بلغوا سلمان، فقال له عمر بن الخطاب: أخبرني من أنت، ومن أبوك، وما أصلك؟ فقال: أنا سلمان بن عبد الله، كنت ضالاًً فهداني الله عز وجل بمحمد ﷺ، وكنت عائلاً فأغواني الله بمحمد ﷺ، وكنت مملوكاً فأعتقني الله بمحمد ﷺ، هذا نسبي وهذا حسبي».

قال: «فخرج النبي ﷺ، وسلمان (رضي الله عنه) يكلمهم، فقال له سلمان: يا رسول الله، ما لقيت من هؤلاء، جلست معهم فأخذوا ينتسبون ويرفعون في أنسابهم، حتى إذا بلغوا إلي، قال عمر بن الخطاب: من أنت، وما أصلك، وما حسبك؟ فقال النبي ﷺ: فما قلت له يا سلمان؟ قال: قلت له: أنا سلمان بن عبد الله، كنت ضالاًً فهداني الله عز ذكره بمحمد ﷺ، وكنت عائلاً فأغواني الله بمحمد ﷺ، وكنت مملوكاً فأعتقني الله عز ذكره بمحمد ﷺ، هذا نسبي وهذا حسبي، فقال النبي ﷺ: يا معشر قريش، إن حسب الرجل دينه، ومروءته خلقه، وأصله عقله، قال الله عز وجل: ﴿إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناك شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾، ثم قال النبي ﷺ: يا سلمان ليس لأحدٍ من هؤلاء عليك فضلٌ إلا بتقوى الله عز وجل، وإن كان التقوى لك عليهم فأنت أفضل»^(١).

وقال أبو عبد الله محمد بن موسى بن نصر الرازي: سمعت أبي يقول: قال رجل للرضاء عليه السلام: والله ما على وجه الأرض رجل أشرف منك أباءً، فقال: «التقوى شرفهم، وطاعة الله أحاطتهم».

فقال له آخر: أنت والله خير الناس، فقال له: «لا تحلف يا هذا، خير مني من كان أتقى لله تعالى، وأطوع له، والله ما نسخت هذه الآية آية

﴿وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾^(١).

وقال سلمان الفارسي (رحمه الله): دخلت على رسول الله ﷺ في مرضه الذي قبض فيه، فجلست بين يديه وسأته عما يجد وقمت لأخرج، فقال لي: «اجلس يا سلمان، فسيشهدك الله عز وجل أمراً إنه لمن خير الأمور». فجلست، فبينما أنا كذلك، إذ دخل رجال من أهل بيته، ورجال من أصحابه، ودخلت فاطمة ابنته فيمن دخل، فلما رأت ما برسول الله ﷺ من الضعف، خنقتها العبرة، حتى فاض دمعها على خدها، فأبصر ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «ما يبكيك يا بنية، أقر الله عينك ولا أبكاها؟» قالت: «وكيف لا أبكي وأنا أرى ما بك من الضعف». قال لها: «يا فاطمة، توكلي على الله، واصبري كما صبر آباؤك من الأنبياء، وأمهاتك من أزواجهم، ألا أبشرك يا فاطمة؟» قالت: «بلى يا نبي الله - أو قالت - يا أبه» قال: «أما علمت أن الله تعالى اختار أباك فجعله نبياً، وبعثه إلى كافة الخلق رسولاً، ثم اختار علياً فأمرني فزوجتك إياه، واتخذته بأمر ربي وزيراً ووصياً، يا فاطمة إن علياً أعظم المسلمين على المسلمين بعدي حقاً وأقدمهم سلماً وأعلمهم علماً، وأحلمهم حلماً، وأثبتهم في الميزان قدرأ». فاستبشرت فاطمة عليها السلام فأقبل عليها رسول الله ﷺ فقال: «هل سررتك يا فاطمة؟» قالت: «نعم يا أبه».

قال: «أفلا أزيدك في بعلك وابن عمك من مزيد الخير وفواضله؟» قالت: «بلى يا نبي الله». قال: «إن علياً أول من آمن بالله عز وجل ورسوله من هذه الأمة، هو وخديجة أمك، وأول من وازرني على ما جئت به. يا فاطمة إن علياً أخي ووصفي وأبو ولدي، إن علياً أعطي خصالاً من الخير لم يعطها أحد قبله ولا يعطاها أحد بعده، فأحسني عزاك واعلمي أن أباك لاحق

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢، ص ٢٣٦، ح ١٠.

بالله عز وجل» .

قالت: «يا أبا عبد الله قد سررتني وأحزنتني». قال: «كذلك يا بنية أمور الدنيا، يشوب سرورها حُزنها، وصفوها كدرها، أفلا أزيدك يا بنية؟» قالت: «بلى يا رسول الله» .

قال: «إن الله تعالى خلق الخلق فجعلهم قسمين، فجعلني وعلياً في خيرهما قسماً، وذلك قوله عز وجل: ﴿وَأَخْتَبُ الْيَمِينِ مَا أَخْتَبُ الْيَمِينِ﴾^(١) ثم جعل القسمين قبائل فجعلنا في خيرها قبيلة، وذلك قوله عز وجل: ﴿وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ ، ثم جعل القبائل بيوتاً، فجعلنا في خيرها بيتاً في قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(٢)، ثم إن الله تعالى اختارني من أهل بيتي، واختار علياً والحسن والحسين واختارك، فأنا سيد ولد آدم، وعليّ سيد العرب، وأنت سيدة النساء، والحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة، ومن ذريتكما المهدي، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت من قبله جوراً»^(٣) .

وقال أبو عبد الله عليه السلام ، في قوله تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ ، قال: «أعملكم بالتقية»^(٤) .

وقال أبو الحسن عليه السلام ، في قول الله تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ ، قال: «أشدكم تقية»^(٥) .

وقال الطبرسي: ذهب قوم فقالوا: الشعوب من العجم، والقبائل من العرب، والأسباط من بني إسرائيل، وروي ذلك عن الصادق عليه السلام^(٦) .

(٤) أمالي الطوسي: ج ٢، ص ٢٧٤.

(١) الواقعة: ٢٧.

(٥) المحاسن: ص ٢٥٨، ح ٣٠٢.

(٢) الأحزاب: ٣٣.

(٦) مجمع البيان: ج ٩، ص ٢٠٧.

(٣) الأمالي: ج ٢، ص ٢١٩.

س ١٢ : ما هو معنى قوله تعالى :

﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمِنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

[سورة الحجرات: ١٤ - ١٥]!

الجواب/ ١ - وردت روايات عديدة عن طريق أهل البيت عليهم السلام تبين

الإيمان والإسلام نذكر منها :

أ - قال أبو بصير: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: ﴿قالت الأعراب ءامنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾، فمن زعم أنهم آمنوا فقد كذب، ومن زعم أنهم لم يسلموا فقد كذب^(١).

ب - قال جميل بن دراج: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿قالت الأعراب ءامنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم﴾، فقال لي: «ألا ترى أن الإيمان غير الإسلام»^(٢).

ج - قال القاسم الصيرفي شريك المفضل: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «الإسلام يحقن به الدم، وتؤدى به الأمانة، وتستحل به الفروج، والثواب على الإيمان»^(٣).

د - قال أحدهما عليه السلام: «الإيمان إقرار وعمل، والإسلام إقرار بلا عمل»^(٤).

هـ - قال سفيان بن السمط: سأل رجل أبا عبد الله عليه السلام عن الإسلام

(١) الكافي: ج ٢، ص ٢١، ح ٥.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٢٠، ح ١.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ٢٠، ح ٢.

(٤) الكافي: ج ٢، ص ٢٠، ح ٣.

والإيمان، ما الفرق بينهما؟ فلم يجبه، [ثم سأله فلم يجبه] ثم التقيا في الطريق وقد أزعج من الرجل الرحيل، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: «كأنه قد أزعجك من رحيل؟» فقال: نعم، فقال: «فالقني في البيت». فلقيه، فسأله عن الإسلام والإيمان، ما الفرق بينهما؟ فقال: «الإسلام هو الظاهر الذي عليه الناس، شهادة أن لا إله إلا الله [وحده لا شريك له] وأن محمداً عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصيام شهر رمضان، فهذا الإسلام».

وقال: «الإيمان: معرفة هذا الأمر مع هذا، فإن أقرّ بها ولم يعرف هذا الأمر، كان مسلماً وكان ضالاً»^(١).

و- قال سماعة: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أخبرني عن الإسلام والإيمان، أهما مختلفان؟ فقال: «إن الإيمان يشارك الإسلام، والإسلام لا يشارك الإيمان».

فقلت: فصفهما لي، فقال: «الإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله، والتصديق برسول الله صلى الله عليه وآله، به حققت الدماء، وعليه جرت المناكح والمواريث، وعلى ظاهره جماعة الناس، والإيمان: الهدى، وما يثبت في القلوب من صفة الإسلام، وما ظهر من العمل [به] والإيمان أرفع من الإسلام بدرجة. إن الإيمان يشارك الإسلام في الظاهر، والإسلام لا يشارك الإيمان في الباطن وإن اجتمعا في القول والصفة»^(٢).

ز- قال فضيل بن يسار: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن الإيمان يشارك الإسلام، ولا يشاركه الإسلام، إن الإيمان ما وقر^(٣) في القلوب،

(١) الكافي: ج ٢، ص ٢٠، ح ٤. (٢) أي ثبت.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٢١، ح ١.

والإسلام ما عليه المناكح والمواريث وحقن الدماء، والإيمان يشرك الإسلام، والإسلام لا يشرك الإيمان»^(١).

ح - قال أبو الصباح الكناني: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أيهما أفضل الإيمان أو الإسلام؟ فإن من قبلنا يقولون: إن الإسلام أفضل من الإيمان؟ فقال: «الإيمان أرفع من الإسلام».

قلت: فأوجدني ذلك. قال: «ما تقول فيمن أحدث في المسجد الحرام متعمداً؟» قال: قلت يضرب ضرباً شديداً. قال: «أصبت». قال: «فما تقول فيمن أحدث في الكعبة متعمداً؟». قلت: يقتل. قال: «أصبت، ألا ترى أن الكعبة أفضل من المسجد، وأن الكعبة تشرك المسجد، والمسجد لا يشرك الكعبة؟ وكذلك الإيمان يشرك الإسلام، والإسلام لا يشرك الإيمان»^(٢).

ط - عن حمران بن أعين، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: سمعته يقول: «الإيمان: ما استقر في القلب وأقضى به إلى الله عز وجل، وصدقه العمل بالطاعة لله عز وجل، والتسليم لأمره والإسلام: [ما ظهر من قول أو فعل، وهو الذي عليه جماعة الناس من الفرق كلها، وبه حقنت الدماء، وعليه جرت المواريث وجاز النكاح واجتمعوا على الصلاة والزكاة والصوم والحج، فخرجوا بذلك من الكفر وأضيفوا إلى الإيمان، الإسلام] لا يشرك الإيمان، والإيمان يشرك الإسلام، وهما في القول والعمل، يجتمعان، كما صارت الكعبة في المسجد والمسجد ليس في الكعبة، وكذلك الإيمان يشرك الإسلام والإسلام لا يشرك الإيمان، وقد قال الله عز وجل: ﴿قالت الأعراب ءامنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم﴾ فقول الله عز وجل أصدق القول».

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٢١، ص ٤.

(١) الكافي: ج ٢، ص ٢١، ص ٣.

قلت: فهل للمؤمن من فضل على المسلم في شيء من الفضائل والأحكام والحدود وغير ذلك؟ فقال: [لا] هما يجريان في ذلك مجرى واحداً، ولكن للمؤمن فضل على المسلم في أعمالهما، وما يتقربان به إلى الله.

قلت: أليس الله عز وجل يقول: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾^(١)، وزعمت أنهم مجتمعون على الصلاة والزكاة، والصوم والحج مع المؤمن؟ قال: «أليس قد قال الله عز وجل: ﴿فَيُضَاعَفُ لَهُمْ أَصْفَاكًا كَثِيرَةً﴾^(٢) فالمؤمنون هم الذين يضاعف الله عز وجل لهم حسناتهم لكل حسنة سبعين ضعفاً، فهذا فضل المؤمن، ويزيده في حسناته على قدر صحة إيمانه أضعافاً كثيرة، ويفعل الله بالمؤمنين ما يشاء من الخير».

قلت: أرايت من دخل في الإسلام أليس هو داخلاً في الإيمان؟ فقال: «لا، ولكنه [قد] أضيف إلى الإيمان وخرج من الكفر. وسأضرب لك مثلاً تعقل له فضل الإيمان على الإسلام: أرايت لو أبصرت رجلاً في المسجد، أكنت شاهداً أنك رأيت في الكعبة؟ قلت: لا يجوز لي ذلك، قال: «فلو أبصرت رجلاً في الكعبة، أكنت شاهداً أنه دخل المسجد الحرام؟ قلت: نعم. قال: «وكيف ذلك؟». قلت: إنه لا يصل إلى دخول الكعبة حتى يدخل المسجد الحرام، فقال: «أصببت وأحسنت». ثم قال: «كذلك الإسلام والإيمان»^(٣).

ي - قال عبد الرحيم القصير: كتبت مع عبد الملك بن أعين إلى أبي عبد الله عليه السلام، أسأله عن الإيمان ما هو؟ فكتب إلي مع عبد الملك بن أعين: «سألت - رحمك الله - عن الإيمان، والإيمان هو الإقرار باللسان وعقد في

(٣) الكافي: ج ٢، ص ٢٢، ج ٥.

(١) الأنعام: ١٦٠.

(٢) البقرة: ٢٤٥.

القلب، وعمل بالأركان، والإيمان بعضه من بعض، هو دار، وكذلك الإسلام دار والكفر دار، فقد يكون العبد مسلماً قبل أن يكون مؤمناً، ولا يكون مؤمناً حتى يكون مسلماً، فالإسلام قبل الإيمان، وهو يشارك الإيمان، فإذا أتى العبد كبيرة من كبائر المعاصي، أو صغيرة من صفائر المعاصي التي نهى الله عز وجل عنها، كان خارجاً عن الإيمان، ساقطاً عن اسم الإيمان، وثابتاً عليه اسم الإسلام، فإن تاب واستغفر وعاد إلى دار الإيمان، ولا يخرج إلى الكفر إلا الجحود والاستحلال؛ أن يقول للحلال: هذا حرام، وللحرام: هذا حلال، ودان بذلك، فعندها يكون خارجاً من الإسلام والإيمان، داخلاً في الكفر، وكان بمنزلة من دخل الحرم ثم دخل الكعبة وأحدث في الكعبة حدثاً، فأخرج عن الكعبة وعن الحرم، فضربت عنقه، وصار إلى النار^(١).

ك - قال أبو الصلت الهروي: سألت الرضا عليه السلام عن الإيمان؟ فقال عليه السلام: «الإيمان عقدٌ بالقلب، ولفظ باللسان، وعمل بالجوارح، لا يكون الإيمان إلا هكذا»^(٢).

ل - قال علي بن إبراهيم: قوله تعالى: ﴿لا يلتكم من أعمالكم شيئاً﴾ أي ينقصكم^(٣).

م - قال علي بن إبراهيم القمي: قوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا﴾ أي لم يشكوا ﴿وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله﴾ الآية، قال: نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام^(٤).

وقال ابن عباس أنه قال في قول الله عز وجل: ﴿إنما المؤمنون الذين

(١) الكافي: ج ٢، ص ٢٣، ح ١.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ١، ص ٢٢٧، ح ٣.

(٣) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٢٢.

(٤) نفس المصدر السابق.

ءامنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون» ، قال ابن عباس: ذهب علي عليه السلام بشرفها وفضلها^(١).

❁ س ١٣ : ما هو معنى قوله تعالى :

﴿قُلْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ يَتَّبِعُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ [سورة الحجرات: ١٦ - ١٨]!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم، قوله: ﴿قل أتعلمون الله دينكم﴾ ، أي أتعلمون [الله] دينكم^(٢).

وقال جماعة من المفسرين إنه بعد نزول ما تقدم من الآيات آنفاً جاء النبي طائفة من الأعراب وحلفوا أنهم صادقون في ادعائهم بأنهم المؤمنون وظاهرهم وباطنهم سواء فنزلت الآية الأولى من الآيات محل البحث وأندرتهم أن لا يحلفوا فالله يعرف باطنهم وظاهرهم ولا يخفى عليه خافية في السماوات ولا في الأرض^(٣).

وقال الشيخ في (مصباح الأنوار): بإسناده يرفعه إلى جابر بن عبد الله عليه السلام ، قال: كنت مع رسول الله ﷺ في حفر الخندق، وقد حفر الناس وحفر علي عليه السلام ، فقال له النبي ﷺ: «بأبي من يحفر وجبرئيل يكنس التراب بين يديه وميكائيل يعينه، ولم يكن يعين أحداً قبله من الخلق».

ثم قال النبي ﷺ لعثمان بن عفان: «احفر» فغضب عثمان وقال: لا

(١) تأويل الآيات ج ٢، ص ٦٠٧، ح ٨. (٢) مجمع البيان: ج ٩.

(٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٢٢.

يرضى محمد أن أسلمنا على يده حتى يأمرنا بالكذب، فأنزل الله على نبيه : ﴿يؤمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين﴾^(١).

قال علي بن إبراهيم: قوله تعالى: ﴿يؤمنون عليك أن أسلموا﴾ نزلت في عثمان يوم الخندق، وذلك أنه مرّ بعمار بن ياسر وهو يحفر الخندق، وقد ارتفع الغبار من الحفر، فوضع عثمان كفه على أنفه ومر، فقال عمار:

لا يستوي من يعمر المساجدا يظل فيها راعياً وساجدا
كمن يمر بالغبار حائدا يعرض عنه جاهداً معاندا

فالتفت إليه عثمان فقال: يا بن السوداء، إياي تعني؟ ثم أتى رسول الله ﷺ فقال له: لم ندخل معك لتسب أعراضنا، فقال له رسول الله ﷺ: «قد أقلتك إسلامك فاذهب». فأنزل الله تعالى: ﴿يؤمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين﴾ أي لستم صادقين ﴿إن الله يعلم غيب السماوات والأرض والله بصير بما تعملون﴾^(٢).

(١) مصباح الأنوار: ٣٢٥.

(٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٢٢.

تفسير
سورة ق

رقم السورة - ٥٠ -

سورة ق

س ١: ما هو فضل سورة (ق)؟! ﴿١﴾

الجواب/ قال أبو جعفر عليه السلام: «من أدمن في فرائضه ونوافله قراءة سورة ق، وسع الله [عليه في] رزقه، وأعطاه الله كتابه بيمينه، وحاسبه حساباً يسيراً»^(١).

ومن خواص القرآن: روي عن النبي ﷺ، أنه قال: «من قرأ هذه السورة، هون الله عليه سكرات الموت، ومن كتبها وعلقها على مصروع أفاق من صرخته وأمن من شيطانه، وإن كتبت وشربتها امرأة قليلة اللبن كثر لبنها»^(٢).

س ٢: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَوَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيفٌ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيعٍ ﴿٥﴾ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَالْأَلْفَيْنَا فِيهَا رُؤُوسًا وَأَلْبَسْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبَصَّرُوا وَذَكَرُوا لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ وَرَزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾﴾ [سورة ق: ١ - ٩]؟! ﴿٩﴾

الجواب/ عن ابن بابويه: بإسناده المذكور في أوائل السور المصدرة

بالحروف المقطعة، عن سفيان بن سعيد الثوري، عن الصادق عليه السلام، وسئل عن معنى (ق)؟ قال: «وَأَمَّا [ق] فهو الجبل المحيط بالأرض، وخضرة السماء منه، وبه يمسك الله الأرض أن تميد بأهلها»^(١).

وقال أبو جعفر عليه السلام: «إن الله عز وجل خلق جبلاً محيطاً بالدنيا من زبرجدة خضراء، وإنما خضرة السماء من خضرة ذلك الجبل، وخلق خلفه خلقاً لم يفترض عليهم شيئاً مما افترض على خلقه من صلاة وزكاة، وكلهم يلعن رجلين من هذه الأمة»^(٢).

وفي كتاب (منهج التحقيق إلى سواء الطريق) لبعض الإمامية - في حديث طويل - في سؤال الحسن أباه عليهما السلام، أن يريه ما فضله الله تعالى به من الكرامة، وساق الحديث إلى أن قال: ثم إن أمير المؤمنين عليه السلام أمر الريح فصارت بنا إلى جبل (ق) فانتبهنا إليه، فإذا هو من زمردة خضراء، وعليها ملك على صورة النسرة، فلما نظر إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال الملك: السلام عليك يا وصي رسول رب العالمين وخليفته، أتأذن لي في الرد؟ فرد عليه السلام وقال له: «إن شئت تكلم، وإن شئت أخبرتك عما تسألني عنه». فقال الملك: بل تقول يا أمير المؤمنين. قال: «تريد أن آذن لك أن تزور الخضر عليه السلام. فقال: نعم، قال عليه السلام: «قد آذنت لك». فأسرع الملك بعد أن قال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

ثم تمشينا على الجبل هنيئة، فإذا بالملك قد عاد إلى مكانه بعد زيارة الخضر عليه السلام. فقال سلمان: يا أمير المؤمنين، رأيت الملك ما زار الخضر إلا حين أخذ إذنك؟ فقال عليه السلام: «والذي رفع السماء بغير عمد لو أن أحدهم رام أن يزول من مكانه بقدر نفس واحد، لما زال حتى آذن له، وكذا يصير

(٢) مختصر بصائر الدرجات: ص ١١.

(١) معاني الأخبار: ص ٢٢، ح ١.

حال ولدي الحسن، وبعده الحسين، وتسعة من ولد الحسين تاسعهم قائمهم».

فقلنا: ما اسم الملك الموكل بقاف؟ فقال عليه السلام: «ترجائيل».

فقلنا: يا أمير المؤمنين، كيف تأتي كل ليلة إلى هذا الموضع وتعود؟ فقال عليه السلام: «كما أتيت بكم، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إني لأملك من ملكوت السماوات والأرض، ما لو علمتم ببعضه لما احتمله جنانكم، إن اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً، عند آصف بن برخيا حرف واحد فتكلم به فحسب الله تعالى الأرض ما بينه وبين عرش بلقيس، حتى تناول السرير، ثم عادت الأرض كما كانت، أسرع من طرفة النظر، وعندنا نحن - والله - اثنان وسبعون حرفاً، وحرف واحد عند الله تعالى استأثر به في علم الغيب، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، عرفنا من عرفنا، وأنكرنا من أنكرونا»^(١).

وقال علي بن إبراهيم، في قوله تعالى: ﴿ق والقرءان المجيد﴾، قال: ﴿ق﴾ جبل محيط بالدنيا من وراء يأجوج ومأجوج، وهو قسم، ﴿بل عجبوا﴾، يعني قريشاً ﴿أن جاءهم منذر منهم﴾، يعني رسول الله ﷺ، ﴿فقال الكافرون هذا شيء عجيب أءذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد﴾، قال: نزلت في أبي بن خلف، قال لأبي جهل، إني لأعجب من محمد، ثم أخذ عظماً ففته، ثم قال: يزعم محمد أن هذا يحيا! فقال الله: ﴿بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريب﴾ يعني مختلف.

ثم احتج عليهم وضرب للبعث والنشور مثلاً فقال: ﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج والأرض مددناها وألقينا

(١) المحضّر: ص ٧٣، البحار: ج ٢٧، ص ٣٦، ح ٥.

فيها رواسي وأبتنا فيها من كل زوج بهيج ﴿ أي حسن ﴾ تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ونزلنا من السماء ماء مباركاً فأبنتنا به جنات وحب الحصيد ﴿ قال: كل حب يحصد ^(١) .

وقال محمد بن مسلم: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله في قوله تعالى: ﴿ونزلنا من السماء ماء مباركاً﴾، قال: ليس [من] ماء في الأرض إلا وقد خالطه ماء السماء» ^(٢) .

❁ س ٣: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾ [سورة ق: ١٠ - ١١]!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم، في قوله تعالى: ﴿والنخل باسقات﴾ أي مرتفعات ﴿لها طلع نضيد﴾ يعني بعضه على بعض ﴿رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتة﴾ كذلك الخروج، جواباً لقولهم: ﴿أَوَدَا يَتَنَا وَكُنَّا نَرَاهُ ذَلِكَ رَجْعُ بَيْدٍ﴾ ^(٣)، فقال الله: كما أن الماء إذا أنزلناه من السماء، فيخرج النبات من الأرض، كذلك أنتم تخرجون من الأرض ^(٤) .

❁ س ٤: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّيْسِ وَشُعُوبٌ أُخْرَىٰ وَعَادٌ وَرَعِبُونَ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُيُوعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ [سورة ق: ١٢ - ١٤]!

الجواب/ قال هشام الصيدناني، سأل رجل أبا عبد الله عليه السلام عن هذه الآية ﴿كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس﴾، فقال بيده هكذا، فمسح

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٢٣. (٢) سورة ق: ٣.

(٣) الكافي: ج ٦، ص ٣٨٧، ح ١. (٤) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٢٣.

إحداهما بالأخرى، فقال: «هن اللواتي باللواتي» يعني النساء بالنساء^(١).

وعن محمد بن أبي حمزة وهشام وحفص، عن أبي عبد الله عليه السلام، أنه دخل عليه نسوة، فسألت امرأة منهن عن السَّحْق؟ فقال: «حدها حد الزاني، فقالت المرأة: ما ذكر الله عز وجل ذلك في القرآن؟ فقال: «بلى». [قالت: وأين هو؟]. قال: «هن أصحاب الرس»^(٢).

وقال إسماعيل بن جابر: كنت فيما بين مكة والمدينة، وأنا وصاحب لي، فتذاكرنا الأنصار، فقال أحدهنا: هم نزاع من قبائل^(٣)، وقال أحدهنا: هم من أهل اليمن. قال: فانتبهنا إلى أبي عبد الله عليه السلام وهو جالس في ظل شجرة، فابتدأ الحديث ولم نسأله، فقال: «إن تبعاً لما جاء من قبل العراق، وجاء معه العلماء وأبناء الأنبياء، فلما انتهى إلى هذا الوادي لهذيل، أتاه أناس من بعض القبائل، فقالوا: إنك تأتي أهل بلدة قد لعبوا بالناس زماناً طويلاً، حتى اتخذوا بلادهم حرماً، وبنيتهم رباً أو ربة. فقال: إن كان كما تقولون قتلت مقاتليهم، وسبيت ذريتهم [وهدمت بنيتهم].

قال: فسألت عيناه حتى وقعتا على خديه، قال: فدعا العلماء وأبناء الأنبياء، فقال: انظروني وأخبروني لما أصابني هذا؟ قال: فأبوا أن يخبروه حتى عزم عليهم، قالوا: حدثنا بأي شيء حدثت نفسك؟ قال: حدثت نفسي أن أقتل مقاتليهم، وأسبي ذريتهم، وأهدم بنيتهم، فقالوا: إنا لا نرى الذي أصابك إلا لذلك، قال: ولم هذا؟ قالوا: لأن البلد حرم الله، والبيت بيت الله، وسكانه ذرية إبراهيم خليل الرحمن.

(١) الكافي: ج ٥، ص ٥٥١، ح ١.

(٢) الكافي: ج ٧، ص ٢٠٢، ح ١.

(٣) النزاع من القبائل: هم جمع نازع ونزيع، وهو الغريب الذي نزع عن أهله وعشيرته، أي بعد وغاب. «النهاية»: ج ٥، ص ٤١.

فقال: صدقتم، فما مخرجي مما وقعت فيه؟ قالوا: تحدث نفسك بغير ذلك، فعسى الله أن يرد عليك، قال: فحدث نفسه بخير، فرجعت حدقاته حتى ثبتتا مكانهما، قال: فدعا بالقوم الذين أشاروا عليه بهدمها فقتلهم، ثم أتى البيت وكساه، وأطعم الطعام ثلاثين يوماً كل يوم مائة جزور، حتى حملت الجفان إلى السباع في رؤوس الجبال، ونثرت الأعلاف في الأودية للوحوش، ثم انصرف من مكة إلى المدينة، فأنزل بها قوماً من أهل اليمن من غسان، وهم الأنصار».

وفي رواية أخرى: كساه النطاع^(١) وطيه^(٢).

قلت: وقد تقدم حديث في تبع في سورة البقرة، في قوله عز وجل: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلِ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فليؤخذ من هناك^(٣).

وقال أبو عبد الله عليه السلام، قال: «إن تبعاً قال للأوس والخزرج: كونوا هنا حتى يخرج هذا النبي، أما أنا فلو أدركته لخدمته ولخرجت معه»^(٤).

وقال ابن عباس: لا يشبهن عليكم أمر تبع فإنه كان مسلماً^(٥).

وعن أبان رفته: إن تبعاً قال في مسيره:

ولقد أتاني من قريظة عالمٌ حبر لعمرك في اليهود مسود^(٦)
قال ازدجر عن قرية محجوبة لنبي مكة من قريش تهتد
فعضوت عنهم عفو غير مشرب وتركتهم لعقاب يوم سرمد

(١) النطع: بساط من الجلد، يقال: كسا بيت بالأنطاع. «المعجم الوسيط: ج ٢، ص ٩٣٠».

(٢) الكافي: ج ٤، ص ٢١٥، ح ١.

(٣) تقدم في الحديث من تفسير الآية (٨٩) من سورة البقرة.

(٤) كمال الدين وتمام النعمة: ص ١٧٠، ح ٢٦.

(٥) كمال الدين وتمام النعمة: ص ١٧١، ح ٢٧.

(٦) في هذا البيت إقواء، وكذلك البيت الخامس والسابع.

وتركتها لله أرجو عفوهُ
ولقد تركت له بها من قومنا
نفرأ يكون النصر في أعقابهم
ما كنت أحسب أن بيتاً ظاهراً
قالوا: بمكة بيت مال دائر
فأردت أمراً حال ربي دونه
فتركت ما أملت فيه لهم

قال أبو عبد الله عليه السلام: «قد أخبر أنه سيخرج من هذه - يعني مكة - نبيٌ
يكون مهاجرته إلى يثرب، فأخذ قوماً من اليمن فأنزلهم مع اليهود لينصروه إذا
خرج، وفي ذلك يقول:

شهدت على أحمد أنه رسول من الله باريء النسب
فلو مد عمري إلى عمره لكننت وزيراً له وابن عم
وكنت عذاباً على المشركين أسقيهم كأس حثف وغم»^(١)

وقال الطبرسي: روى سهل بن سعد، عن النبي صلى الله عليه وسلم [أنه] قال: «لا تسبوا
تبعاً فإنه كان قد أسلم»^(٢).

قلت: وقد تقدم خبر قوم نوح وعاد وثمود وإخوان لوط وأصحاب
الأيكة في سورة هود^(٣)، وخبر أصحاب الرس في سورة الفرقان^(٤)، وفرعون
في طه وغيرها^(٥)، فلتؤخذ من هناك.

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ص ١٦٩، ح ٢٥.

(٢) مجمع البيان: ج ٩، ص ١٠٠.

(٣) تقدم في تفسير الآيات (٣٦ - ٤٩، ٥٠ - ٥٣، ٦١، ٦٩ - ٨٣) من سورة هود.

(٤) تقدم في تفسير الآية (٣٨) من سورة الفرقان.

(٥) تقدم في تفسير الآيتين (٤٣ - ٤٤) من سورة طه، وتفسير الآيات (١٠ - ٦٣) من سورة

الشعراء وتفسير الآيات (٤، ٥، ٦، ٣٨ - ٤١) من سورة القصص.

وقال علي بن إبراهيم: الرس: نهر بناحية أذربيجان^(١).

س ٥: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [سورة ق: ١٥]؟!

الجواب/ قال محمد بن مسلم: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «لقد خلق الله عز وجل في الأرض منذ خلقها سبعة عوالم ليس فيها من ولد آدم، خلقهم من أديم الأرض، فأسكنهم فيها واحداً بعد واحد مع عالمه، ثم خلق عز وجل آدم أبا هذا البشر وخلق ذريته منه، لا والله ما خلقت الجنة من أرواح المؤمنين منذ خلقها، ولا خلقت النار من أرواح الكفار العصاة منذ خلقها عز وجل، لعلكم ترون أنه إذا كان يوم القيامة، وصير [الله] أبدان أهل الجنة مع أرواحهم في الجنة، وصير أبدان أهل النار مع أرواحهم في النار، أن الله تبارك وتعالى لا يعبد في بلاده، ولا يخلق خلقاً يعبدونه ويوحدونه [ويعظمونه]، بلى والله ليخلقن الله خلقاً من غير فحولة ولا إناث يعبدونه ويوحدونه ويعظمونه، ويخلق لهم أرضاً تحملهم، وسما تظلمهم، أليس الله عز وجل يقول: ﴿يَوْمَ تَبْدَأُ الْأَرْضُ عِبْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾^(٢)، وقال عز وجل: ﴿أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾^(٣).

قال جابر بن يزيد: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قوله عز وجل: (الآية): قال: «يا جابر تأويل ذلك أن الله عز وجل إذا أفنى هذا الخلق وهذا العالم، وسكن أهل الجنة وأهل النار، جدد الله عالماً غير هذا العالم، وجدد خلقاً من غير فحولة ولا إناث يعبدونه ويوحدونه، وخلق لهم أرضاً غير هذه الأرض تحملهم، وسما غير هذه السماء تظلمهم، لعلك ترى [أن الله] إنما

(٣) الخصال: ص ٣٥٨، ح ٤٥.

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٢٣.

(٢) إبراهيم: ٤٨.

خلق هذا العالم الواحد الواحد، وترى أن الله لم يخلق بشراً غيركم بلى والله لقد خلق ألف ألف عالم، وألف ألف آدم، أنت في آخر تلك العوالم وأولئك الآدميين^(١).

س ٦: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ، فَسُمَّ وَحْنٌ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [سورة ق: ١٦]!

الجواب/ قال شرف الدين النجفي: تأويله جاء في تفسير أهل البيت عليهم السلام، وهو ما روي عن محمد بن جمهور، عن فضالة، عن أبان عن عبد الرحمن، عن ميسر، عن بعض آل محمد (صلوات الله عليهم)، في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسَهُ﴾.

قال: «هو الأول»، وقال في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَ رَبَّنَا مَا لَفَتَيْتُمْ وَلَكِنْ كَانُوا فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾^(٢)، قال: «هو زفر»، وهذه الآيات إلى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾^(٣) فيهما وفي أتباعهما، وكانوا أحق بها وأهلها^(٤).

وقال علي بن إبراهيم، في قوله تعالى: ﴿حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾، قال: حبل العنق^(٥).

ورود في حديث أن أبا حنيفة جاء إلى الصادق عليه السلام يوماً فقال: رأيت ولدك موسى يصلي والناس يعبرون من أمامه إلا أنه لم ينههم عن ذلك، مع أن هذا العمل غير صحيح!

(٤) تأويل الآيات: ج ٢، ص ٦٠٨، ح ١.

(٥) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٢٤.

(١) التوحيد: ص ٢٧٧، ح ٢.

(٢) سورة ق: ٢٧.

(٣) سورة ق: ٣٠.

فقال الصادق عليه السلام : ادعوا لي ولدي موسى فدعي له فكرر الإمام الصادق حديث أبي حنيفة لولده موسى بن جعفر قائلاً: إن الذي كنت أصلي له كان أقرب إليّ منهم يقول الله عزّ وجلّ ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ . . . فاحتضنه الإمام الصادق عليه السلام وقال: بأبي أنت وأمي يا مستودع الأسرار^(١).

❁ س ٧: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ

عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [سورة ق: ١٧ - ١٨]

الجواب/ قال أبو عبد الله عليه السلام : «ما من قلب إلا وله أذنان، على إحداهما ملك مرشد، وعلى الأخرى شيطان مفتن، هذا يأمره وهذا يزجره، الشيطان يأمره بالمعاصي، والملك يزجره عنها، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾^(٢).

وقال الفضل بن عثمان المرادي: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أربع من كن فيه لم يهلك على الله بعدهن إلا هالك؛ بهم العبد بالحسنة فيعملها، فإن هو لم يعملها كتب الله له حسنة بحسن نيته، وإن هو عملها كتب الله له عشرًا، وبهم بالسيئة أن يعملها، فإن لم يعملها لم يكتب عليه شيء، وإن هو عملها أجل سبع ساعات، وقال صاحب الحسنات لصاحب السيئات، وهو صاحب الشمال: لا تعجل، عسى أن يتبعها بحسنة تمحوها، فإن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿إِنَّ أَلْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِيئَاتِ﴾^(٣) أو

(١) نور الثقلين: ج ٥، ص ١٠٨.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٢٠٥، ح ١.

(٣) هود: ١١٤.

استغفار، فإن [هو] قال: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو، عالم الغيب والشهادة، العزيز الحكيم، الغفور الرحيم، ذا الجلال والإكرام، وأتوب إليه؛ لم يكتب عليه شيء، وإن مضت سبع ساعات ولم يتبعها بحسنة ولا استغفار، قال صاحب الحسنات لصاحب السيئات: اكتب على الشقي المحروم^(١).

وقال زرارة: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «ما من عبد إلا ومعه ملكان يكتبان ما يلفظه، ثم يرفعان ذلك إلى ملكين فوقهما، فيثبتان ما كان من خير وشر، ويلقيان ما سوى ذلك»^(٢).

وقال أبو بصير: سألت أبا عبد الله عليه السلام، عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَى الْمُتَلَقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ﴾ قال: «هما الملكان». وسألته عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿هَذَا مَا لَدَىٰ حَيْدٍ﴾^(٣)، قال: «هو الملك الذي يحفظ عليه عمله».

وسألته عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنَّا مَا أَطْفَيْتُمْ﴾^(٤)، قال: «هو شيطانه»^(٥).

وعن عبد الله بن موسى بن جعفر، عن أبيه عليه السلام، قال: سألت عن الملكين، هل يعلمان بالذنب إذا أراد العبد أن يفعله أو الحسنه؟ فقال: «ريح الكنيف والطيب سواء؟» قلت: لا. قال: «إن العبد إذا هم بالحسنة خرج نفسه طيب الريح، فقال صاحب اليمين لصاحب الشمال: قم، فإنه قد هم بالحسنة، فإذا فعلها كان لسانه قلمه، وريقه مداده فأثبتها له وإذا هم بالسيئة: خرج نفسه متن الريح، فيقول صاحب الشمال لصاحب اليمين: قف، فإنه قد

(٤) سورة ق: ٢٧.

(١) الكافي: ج ٢، ص ٣١٣، ح ٤.

(٥) الزهد: ص ٥٤، ح ١٤٦.

(٢) الزهد: ص ٥٣، ح ١٤١.

(٣) سورة ق: ٢٣.

هم بالسيئة، فإذا هو فعلها كان لسانه قلمه، وريقه مداده، وأثبتها عليه^(١).

وقال إسحاق بن عمار: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام، فنظر إلي بوجه قاطب، فقلت: ما الذي غيرك لي؟ قال: «الذي غيرك لإخوانك، بلغني - يا إسحاق - أنك أقعدت ببابك بواباً يرد عنك فقراء الشيعة».

فقلت: جعلت فداك، إني خفت الشهرة.

فقال: «أفلا خفت البلية، أو ما علمت أن المؤمنين إذا التقيا فتصانفا أنزل الله عز وجل الرحمة عليهما، فكانت تسعة وتسعين لأشدهما حباً لصاحبه، فإذا توافقا غمرتاهما الرحمة، وإذا قعدا يتحدثان قالت الحفظة بعضها لبعض: اعتزلوا بنا، فلعل لهما سرأ، وقد ستر [الله] عليهما!».

فقلت: أليس الله عز وجل يقول؛ «ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد»؟ فقال: «يا إسحاق، إن كانت الحفظة لا تسمع، فإن عالم السر يسمع ويرى»^(٢).

❁ س ٨: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۗ﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ

الْوَعْدِ ﴿٢٠﴾ [سورة ق: ١٩ - ٢٠]!

الجواب/ قال الشيخ الطوسي: وقوله ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق﴾ قيل في معناه قولان: أحدهما - جاءت السكرة بالحق من أمر الآخرة حتى عرفه صاحبه واضطر إليه. والآخر وجاءت سكرة الموت بالحق الذي هو الموت. وروي أن أبا بكر وابن مسعود كانا يقرءان ﴿وجاءت سكرة الحق بالموت﴾ وهي قراءة أهل البيت عليهم السلام و﴿سكرة الموت﴾ غمرة الموت التي

(١) الكافي: ج ٢، ص ٣١٣، ح ٣. (٢) الكافي: ج ٢، ص ١٤٥، ح ١٤.

تأخذه عند نزع روحه فيصير بمنزلة السكران. وقوله ﴿ذلك ما كنت منه تحيد﴾ أي يقال له عند ذلك هذا الذي كنت منه تعرب وتروغ. وقوله ﴿ونفخ في الصور﴾ قيل فيه وجهان: أحدهما - إنه جمع صورة ينفخ الله في الصور بأن يحييها يوم القيامة. الثاني - أن الصور قرن ينفخ إسرافيل فيه النفخة الأولى فيموت الخلق، والنفخة الثانية فيحيون يوم القيامة، وهو يوم الوعيد الذي وعد الله أن يعاقب فيه من يكفر به ويعصي أمره، ويشيب من يؤمن به ويمتثل^(١).

س ٩: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَحَآتَ كُلِّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَفَفْنَا عَنكَ غَطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَلِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَىٰ عَيْنِي ﴿٢٣﴾﴾

[سورة ق: ٢١ - ٢٣]!

الجواب/ قال الشيخ الطوسي: يقول الله تعالى إن يوم الوعد الذي بينه تجيء كل نفس من المكلفين ﴿معها سائق﴾ يسوقها ﴿وشهيد﴾ يشهد عليها، وهما ملكان أحدهما يسوقه ويحثه على السير، والآخر يشهد عليه بما يعلمه من حاله ويشاهده منه وكتبه عليه، فهو يشهد بذلك على ما بينه الله ودبره.

أقول: وقال أبو عبد الله عليه السلام: «السائق: أمير المؤمنين عليه السلام، والشهيد: رسول الله ﷺ»^(٢).

وقوله: ﴿لقد كنت في غفلة﴾ أي يقال له ﴿لقد كنت في غفلة﴾ أي في سهو ونسيان ﴿من هذا﴾ اليوم، فالغفلة ذهاب المعنى عن النفس، وضده اليقظة. وقوله ﴿فكشفنا عنك غطاءك﴾ أي أزلنا الغطاء عنك حتى ظهر لك الأمر، وإنما تظهر الأمور في الآخرة بما يخلق الله فيهم من العلوم الضرورية،

(١) التبيان: ج ٩، ص ٣٦٤.

(٢) تأويل الآيات: ج ٢، ص ٦٠٩، ح ٢.

فبصير بمنزلة كشف الغطاء عما يرى، والمراد به جميع المكلفين: برهم وفاجرهم، لأن معارب الجميع ضرورية، وقوله ﴿فبصرك اليوم حديد﴾ معناه إن عينك حادة النظر لا يدخل عليها شك ولا شبهة. وقيل: المعنى فعلمك بما كنت فيه من أحوال الدنيا نافذ ليس يراد به بصر العين، كما يقال: فلان بصير بالنحو أو بالفقه. وقال الرماني: حديد مشتق من الحد، ومعناه منيع من الإدخال في الشيء ما ليس منه والإخراج عنه ما هو منه، وذلك في صفة رؤيته للأشياء في الآخرة^(١).

وقال الطبرسي: عن أبي جعفر وأبي عبد الله (عليهما السلام) في معنى القرين: «يعني الملك الشهيد [عليه]»^(٢).

وقال علي بن إبراهيم القمي: قوله: ﴿وقال قرينه﴾، يعني شيطانه، وهو الثاني - حبر - ﴿هذا ما لدي عتيد﴾^(٣).

❁ س ١٠: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَيْنِدٍ﴾ [سورة ق: ٢٤]!

الجواب/ قال علي بن أبي طالب (عليه السلام)، في قوله تعالى: ﴿ألقيا في جهنم كل كفار عتيد﴾: «قال رسول الله ﷺ: إن الله تعالى إذا جمع الناس يوم القيامة في صعيد واحد، كنت أنا وأنت يومئذ عن يمين العرش، ثم يقول الله تبارك وتعالى لي ولك. قوما فألقيا في جهنم من أبغضكما وكذبكما، وعاداكما في النار»^(٤).

وقال أبو عبد الله (عليه السلام): «كان رسول الله ﷺ يقول: إذا سألتكم الله فاسألوه الوسيلة، فسالنا النبي ﷺ عن الوسيلة. فقال: هي درجتي في الجنة،

(١) التبيان: ج ٩، ص ٣٦٥. (٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٢٤.

(٣) مجمع البيان: ج ٩، ص ٢٢٠. (٤) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٢٤.

وهي ألف مرقاة جوهر، إلى مرقاة زبرجد، إلى مرقاة لؤلؤ، إلى مرقاة ذهب إلى مرقاة فضة، فيؤتى بها يوم القيامة حتى تنصب مع درجة النبيين، وهي في درجة النبيين كالقمر بين الكواكب، فلا يبقى يومئذ نبي ولا شهيد ولا صديق إلا قال: طوبى لمن كانت هذه درجته، فينادي المنادي ويسمع النداء جميع النبيين والصديقين والشهداء والمؤمنين: هذه درجة محمد ﷺ .

فقال رسول الله ﷺ: فأقبل يومئذ متزراً بريطة^(١) من نور، على رأسي تاج الملك، مكتوب عليه: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي ولي الله، المفلحون هم الفائزون بالله. فإذا مررنا بالنبيين، قالوا: [هذان] ملكان مقربان، وإذا مررنا بالملائكة قالوا: هذان ملكان لم نعرفهما ولم نرهما، أو قالوا: هذان نبيان مرسلان؛ حتى أعلو الدرجة وعليّ يتبعني، حتى إذا صرت في أعلى درجة منها، وعليّ أسفل مني ويده لوائي، فلا يبقى يومئذ نبي ولا مؤمن إلا رفعوا رؤوسهم إلي، يقولون: طوبى لهذين العبدین، ما أكرمهما على الله! فينادي المنادي يسمع النبيين وجميع الخلائق: هذا حبيبي محمد، وهذا وليي علي بن أبي طالب، طوبى لمن أحبه، وويل لمن أبغضه وكذب عليه .

ثم قال رسول الله ﷺ: يا علي، فلا يبقى يومئذ في مشهد القيامة أحد يحبك إلا استروح إلى هذا الكلام، وبيض وجهه، وفرح قلبه، ولا يبقى أحد ممن عاداك ونصب لك حرباً أو جحد لك حقاً إلا اسود وجهه، واضطربت قدماه، فبينما أنا كذلك إذا بملكين قد أقبلا إلي، أما أحدهما فرضوان خازن الجنة، وأما الآخر فمالك خازن النار، فيدنو إلي رضوان، ويسلم علي، ويقول: السلام عليك يا نبي الله، فأرد عليه السلام، وأقول: من أنت، أيها

(١) الرّبيطة: كل ثوب لين رقيق. «لسان العرب»: ج ٧، ص ٤٣٧.

الملك الطيب الريح، الحسن الوجه، الكريم على ربه؟ فيقول: أنا رضوان خازن الجنة، أمرني ربي أن آتيك بمفاتيح الجنة، فخذها يا رسول الله. فأقول: [قد] قبلت ذلك من ربي، فله الحمد على ما أنعم به علي، وفضلني به، أَدفعها إلى أخي علي بن أبي طالب. فيدفعها إليه ويرجع رضوان، ثم يدنو مالك خازن النار، فيسلم علي، ويقول: السلام عليك يا حبيب الله، فأقول له: وعليك السلام أيها الملك، ما أنكر رؤيتك، وأقبح وجهك! من أنت؟ فيقول: أنا مالك خازن النار، أمرني ربي أن آتيك بمفاتيح النار، فأقول: قد قبلت ذلك من ربي، فله الحمد على ما أنعم به علي، وفضلني به، أَدفعها إلى أخي علي بن أبي طالب فيدفعها إليه.

ثم يرجع مالك، فيقبل علي ومعه مفاتيح الجنة ومقاليد النار، حتى يقعد على عَجْزَةٍ^(١) جهنم، ويأخذ زمامها بيده، وقد علا زفيرها، واشتد حرها وكثر شررها، فتنادي جهنم: يا علي جُزني فقد أطفأ نورك لهبي. فيقول لها علي: [قري يا جهنم] ذري هذا وليي وخذي هذا عدوي. فلجهنم يومئذ أشد مطاوعة لعلي من غلام أحدكم لصاحبه، فإن شاء يذهب به يمنة وإن شاء يذهب به يسرة، ولجهنم يومئذ أشد مطاوعة لعلي فيما يأمرها به من جميع الخلائق، وذلك أن علياً يومئذ قسيم الجنة والنار^(٢).

وقال المفضل بن عمر: قلت لأبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: لم صار أمير المؤمنين عليه السلام قسيم الجنة والنار؟ قال: «لأن حبه إيمان، وبغضه كفر، وإنما خلقت الجنة لأهل الإيمان، والنار لأهل الكفر، فهو عليه السلام قسيم الجنة والنار لهذه العلة، فالجنة لا يدخلها إلا أهل محبته، والنار لا يدخلها إلا أهل بغضه».

(١) العجزة: مؤخرة الشيء، وفي المصدر: شفير.

(٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٢٤.

قال المفضل، فقلت: يا بن رسول الله، فالأنبياء والأوصياء عليهم السلام، كانوا يحبونه، وأعداؤهم كانوا يبغضونه؟ قال: «نعم».

قلت: فكيف ذلك؟ قال: «أما علمت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، ما يرجع حتى يفتح الله على يديه؟ فدفعت الراية إلى علي عليه السلام، ففتح الله عز وجل على يديه». قلت: بلى. قال: «أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أتى بالطائر المشوي قال صلى الله عليه وسلم: اللهم انتني بأحب خلقك إليك وإلي، يأكل معي من هذا الطائر؛ وعنى به علياً عليه السلام. قلت: بلى. قال: «فهل يجوز أن لا يحب أنبياء الله ورسوله وأوصياؤهم عليهم السلام رجلاً يحبه الله ورسوله، ويحب الله ورسوله؟» فقلت له: لا. قال: «فهل يجوز أن يكون المؤمنون من أممهم لا يحبون حبيب الله ورسوله وأنبيائه عليهم السلام؟» قلت: لا. قال: «فقد ثبت أن جميع أنبياء الله ورسوله وجميع المؤمنين كانوا لعلي بن أبي طالب عليه السلام محبين، وثبت أن أعداءهم والمخالفين لهم كانوا لهم ولجميع أهل محبتهم مبغضين؟». قلت: نعم. قال: «فلا يدخل الجنة إلا من أحبه من الأولين والآخرين، ولا يدخل النار إلا من أبغضه من الأولين والآخرين، فهو إذن قسيم الجنة والنار».

قال المفضل بن عمر: فقلت له: يا بن رسول الله، فرجت عني فرج الله عنك، فزدني مما علمك الله. قال: «سل يا مفضل».

فقلت له: يا بن رسول الله، فعلي بن أبي طالب عليه السلام يدخل محبة الجنة، ومبغضه النار، أو رضوان ومالك؟ فقال: «يا مفضل، أما علمت أن الله تبارك وتعالى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو روح إلى الأنبياء عليهم السلام وهم أرواح قبل خلق الخلق بألفي عام؟» قلت: بلى. قال: «أما علمت أنه دعاهم إلى توحيد الله وطاعته، واتباع أمره، ووعدهم الجنة على ذلك، وأوعد من خالف ما أجابوا إليه وأنكره النار؟». قلت: بلى. قال: أفليس النبي صلى الله عليه وسلم ضامناً لما

وعد وأوعد عن ربه عز وجل؟». قلت: بلى. قال: «أو ليس علي بن أبي طالب عليه السلام خليفته وإمام أمته؟». قلت: بلى. قال: «أو ليس رضوان ومالك من جملة الملائكة والمستغفرين لشيعته الناجين بمحبته؟». قلت: بلى. قال: «فعلي بن أبي طالب عليه السلام إذن قسيم الجنة والنار، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورضوان ومالك صادران عن أمره بأمر الله تبارك وتعالى، يا مفضل خذ هذا فإنه من مخزون العلم ومكنونه، ولا تخرجه إلا إلى أهله»^(١).

وقال محمد بن حمران: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿الْقِيَامَةُ فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ فقال: «إذا كان يوم القيامة وقف محمد وعلي (صلوات الله عليهما) على الصراط، فلا يجوز عليه إلا من معه براءة». قلت: وما براءته؟ قال: «ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة من ولده عليهم السلام، وينادي مناد، يا محمد، يا علي: ﴿الْقِيَامَةُ فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ﴾ بنبوتك عليه السلام، لعلي بن أبي طالب والأئمة من ولده»^(٢).

س ١١: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿مَتَاعٌ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ ثَرْوِيٍّ ۝٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ۝٢٦﴾ قَالَ فَرِيضٌ رَّبَّنَا مَا أَطْعَمْتُمُوهُ وَلَكِنْ كَانُوا فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ۝٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدُنِّي وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعْدِ ۝٢٨﴾ مَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَدُنِّي وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٢٩﴾

[سورة ق: ٢٥ - ٢٩]!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: في قوله: ﴿متاع للخير﴾، قال: المتاع الثاني، والخير: ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، وحقوق آل رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولما كتب الأول كتاب فذك بردها على فاطمة عليها السلام، منعه الثاني، فهو: ﴿معتد

(١) علل الشرائع: ص ١٦١، ح ١.

(٢) تأويل الآيات: ج ٢، ص ٦٠٩، ح ٥.

مريب الذي جعل مع الله إلهاء آخره، قال: هو ما قالوا: نحن كافرون بمن جعل لكم الإمامة والخمس.

قال: وأما قوله: ﴿قال قرينه﴾، أي شيطانه، وهو الثاني ﴿ربنا ما أظغيتك﴾، يعني الأول ﴿ولكن كان في ضلال بعيد﴾، فيقول الله لهما: ﴿لا تختصموا لدي وقد قدمت إليكم بالوعيد ما يبدل القول لدي﴾، أي ما فعلتم لا يبدل حسنات، ما وعدته لا أخلفه^(١).

وعن ابن بابويه: بإسناده، عن إبراهيم بن أبي محمود، قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام، عن الله عز وجل، هل يجبر عباده على المعاصي؟ فقال: «بل يخيرهم ويمهلهم حتى يتوبوا».

قلت: فهل يكلف عباده ما لا يطيقون؟ فقال: «وكيف يفعل ذلك وهو يقول: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلْمٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢)». ثم قال عليه السلام: «حدثني أبي موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد عليه السلام، أنه قال: من زعم أن الله تعالى يجبر عباده على المعاصي أو يكلفهم ما لا يطيقون، فلا تأكلوا ذبيحته، ولا تقبلوا شهادته، ولا تصلوا وراءه، ولا تعطوه من الزكاة شيئاً»^(٣).

س ١٢: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ [سورة ق: ٣٠]؟!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: هو استفهام، لأن الله وعد النار أن يملأها، فتمتلئ النار فيقول لها: هل امتلأت؟ وتقول: هل من مزيد؟ على حد الاستفهام، أي ليس في مزيد، قال: فتقول الجنة: يا رب وعدت النار أن

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٢٦.

(٢) فصلت: ٤٦.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١، ص ١٢٤، ح ١٦٦.

تملاها، ووعدتني أن تملأني، فبم تملأني وقد ملأت النار؟

قال: فيخلق الله يومئذ خلقاً يملأ بهم الجنة.

قال أبو عبد الله عليه السلام: «طوبى لهم [إنهم] لم يروا هموم الدنيا

وغمومها»^(١).

❁ س ١٣: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَأَزَلَّتْ الْجَنَّةُ لِلتَّائِبِينَ غَيْرَ بِمَبِيدٍ﴾ [سورة ق: ٣١]!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: في قوله تعالى: ﴿وَأَزَلَّتْ الْجَنَّةُ

لِلْمُتَّئِبِينَ﴾ أي زينت ﴿غير بعيد﴾: قال بسرعة^(٢).

❁ س ١٤: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ﴾ مِّنْ خَشْيِ الرَّحْمَنِِ الْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبِ

مُنِيبٍ ﴿٣٢﴾ أَدْخُلُوهَا بِسَلْتَرٍ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُلُودِ ﴿٣٣﴾

[سورة ق: ٣٢ - ٣٤]!

الجواب/ قال الشيخ الطوسي: ثم قال ﴿هذا ما توعدون﴾ من قرأ بالتاء

فعلى الخطاب أي هذا الذي ذكرناه هو ما وعدتم به من الثواب ﴿لكل أواب﴾

أي رجاع إلى الله تائب إليه ﴿حفيظ﴾ لما أمر الله به يتحفظ من الخروج إلى ما

لا يجوز من سيئة تدنسه أو خطيئة تحط منه وتشينه.

وقال ابن زيد: الأواب التواب، وهو من آب يؤب أوباً إذا رجع.

وقوله ﴿من خشى الرحمن بالغيب﴾ فالخشية انزعاج القلب عند ذكر

السيئة وداعي الشهوة حتى يكون في أعظم حال من طلبه سبع يفترسه أو عدو

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٢٦.

(٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٢٧.

يأت على نفسه أو طعام مسموم يدعى إلى أكله هذه خشية الرحمن التي تنفعه والتي دعا إليها ربه ومعنى ﴿بالغيب﴾ أي في باطنه وسريته ﴿وجاء بقلب منيب﴾ أي راجع إلى الله من أناب ينيب إنابة، وموضع ﴿من﴾ يحتمل وجهين من الإعراب:

أحدهما - الجر على البدن من ﴿كل﴾ كأنه قيل لمن خشى .

والثاني - الرفع على الاستئناف كأنه قال ﴿من خشى الرحمن بالغيب﴾ يقال لهم ﴿أدخلوها بسلام﴾ أي بأمان من كل مكروه ويحيون بذلك على وجه الإكرام .

وقوله ﴿ذلك يوم الخلود﴾ أي الوقت الذي يقون فيه في النعيم مؤبدين لا إلى غاية^(١) .

❁ ١٥ : ما هو معنى قوله تعالى :

﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ (٣٥) ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحْمُودٍ﴾ (٣٦) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْفَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (٣٧) [سورة ق: ٣٥ - ٣٧]!

الجواب/ قال أبو عبد الله عليه السلام : «... إن الله كرامة في عباده المؤمنين في كل يوم جمعة، فإذا كان يوم الجمعة بعث الله إلى المؤمنين ملكاً معه حُلتان، فينتهي إلى باب الجنة، فيقول: استأذنوا لي على فلان، فيقال له: هذا رسول ربك على الباب، فيقول لأزواجه: أي شيء ترين عليّ أحسن؟ فيقلن: يا سيدنا، والذي أباحك الجنة، ما رأينا عليك شيئاً أحسن من هذا، قد بعث إليك ربك، فيتزر بواحدة، ويتعطف^(٢) بالأخرى، فلا يمر بشيء إلا أضاء له،

(١) التبيان: ج ٩، ص ٣٧١.

(٢) تعطف بالرداء: ارتدى وسمي الرداء عطاءً لوقوعه على عظمي الرجل .

حتى ينتهي إلى الموعد، فإذا اجتمعوا تجلّى لهم الرب تبارك وتعالى، فإذا نظروا إليه، أي إلى رحمته، خرّوا سجّداً، فيقول: عبادي، ارفعوا رؤوسكم، ليس هذا يوم سجود ولا عبادة، قد رفعتُ عنكم المؤونة^(١). فيقولون: يا رب، وأي شيء أفضل مما أعطيتنا! أعطيتنا الجنة فيقول: لكم مثل ما في أيديكم سبعين ضعفاً. فيرى المؤمن في كلّ جمعة سبعين ضعفاً مثل ما في يديه، وهو قوله: ﴿ولدينا مزيد﴾ وهو يوم الجمعة، إنها ليلة غزاه ويوم أزهرا، فأكثروا فيها من التسبيح، والتهليل، والتكبير، والثناء على الله، والصلاة على رسوله ﷺ قال: «فيمرّ المؤمن فلا يمرّ بشيء إلا أضاء له، حتى ينتهي إلى أزواجه، فيقلن: والذي أباحك الجنة - يا سيدنا - ما رأيناك أحسن منك الساعة، فيقول: إني قد نظرتُ إلى نور ربي». ثم قال: «إنّ أزواجه، لا يفرن، ولا يحضن، ولا يصلفن»^(٢)...^(٣).

وقال علي بن إبراهيم، قوله تعالى: ﴿فنبقوا في البلاد﴾، أي مروا. قال: قوله تعالى: ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب﴾، أي ذكر ﴿أو ألقى السمع وهو شهيد﴾ أي سمع وأطاع^(٤).

وقال هشام بن الحكم: قال [لي] أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام - في حديث طويل - قال فيه: «يا هشام، إن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب﴾، يعني عقل»^(٥).

وقال ابن عباس: أهدى إلى رسول الله ﷺ ناقتان عظيمتان سميتان،

(١) المؤونة: التعب والشدة.

(٢) صلفت المرأة: إذا لم تحظ عند زوجها، وأبغضها.

(٣) تفسير القمي: ج ٢، ص ١٦٨، وقد ذكرنا أحاديث في سورة السجدة رقم (١٦ - ١٧).

(٤) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٢٧.

(٥) الكافي: ج ١، ص ١٢، ح ١٢.

فقال للصحابة: «هل فيكم أحد يصلي ركعتين بقيامهما وركوعهما وسجودهما ووضوئهما وخشوعهما، لا يهتم معهما من أمر الدنيا بشيء، ولا يحدث نفسه بذكر الدنيا، أهديه إحدى هاتين الناقتين؟». فقالها مرة ومرتين وثلاثة، لم يجبه أحد من الصحابة.

فقام أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: «أنا - يا رسول الله - أصلي ركعتين أكبر تكبيرة الأولى وإلى أن أسلم منهما، لا أحدث نفسي بشيء من أمر الدنيا». فقال: «يا علي، صلّ صلى الله عليك». فكبر أمير المؤمنين، ودخل في الصلاة، فلما فرغ من الركعتين، هبط جبرئيل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا محمد، إن الله يقرئك السلام، ويقول لك أعطه إحدى الناقتين. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني شارطته أن يصلي ركعتين لا يحدث نفسه فيهما بشيء من أمر الدنيا، أعطه إحدى الناقتين إن صلاهما، وإنه جلس في التشهد فتفكر في نفسه أيهما يأخذ!».

فقال جبرئيل: يا محمد، إن الله يقرئك السلام، ويقول لك: تفكر أيهما يأخذها، أسمنها وأعظمها، فينحرها ويتصدق بها لوجه الله، فكان تفكره الله عزّ وجلّ، لا لنفسه ولا للدنيا. فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه كليهما، فأنزل الله فيه: ﴿إِن فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى﴾، لعظة ﴿لمن كان له قلب﴾ عقل ﴿أو ألقى السمع﴾، يعني استمع أمير المؤمنين بأذنيه إلى ما تلاه بلسانه من كلام الله: ﴿وهو شهيد﴾، يعني وأmir المؤمنين شاهد القلب لله في صلاته، لا يتفكر فيها بشيء من أمر الدنيا^(١).

(١) المناقب: ج ٢، ص ٢٠.

س ١٦ : ما هو معنى قوله تعالى :

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ

لُغُوبٍ ﴿٣٨﴾ [سورة ق: ٣٨]!

الجواب/ قال أبو عبد الله بن يزيد: حدثني يزيد بن سلام، أنه سأل رسول الله ﷺ وذكر الحديث وقال فيه: أخبرني عن أول يوم خلق الله عز وجل؟ قال: «يوم الأحد» قال: ولم سمي يوم الأحد؟ قال: «لأنه واحد محدود». قال: فالثنين؟ قال: «[هو] اليوم الثاني من الدنيا». قال: والثلاثاء؟ قال: «الثالث من الدنيا». قال: فالأربعاء؟ قال: «اليوم الرابع من الدنيا». قال: فالخميس؟ قال: «هو اليوم الخامس من الدنيا، وهو يوم أنيس، لعن فيه إبليس، ورفع فيه إدريس» قال: فالجمعة؟ قال: «هو ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾^(١)، وهو شاهد ومشهود»، قال: فالسبت؟ قال: «يوم مسبوت، وذلك قوله عز وجل في القرآن: ﴿ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام﴾، [فمن الأحد إلى يوم الجمعة ستة أيام] والسبت معطل». قال: صدقت يا رسول الله^(٢).

س ١٧ : ما هو معنى قوله تعالى :

﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ

الْفُرُوبِ ﴿٣٩﴾ [سورة ق: ٣٩]!

الجواب/ قال الشيخ الطوسي: ثم قال لنبيه ﷺ ﴿فاصبر﴾ يا محمد ﴿على ما يقولون﴾ من قولهم: هو ساحر، وكذاب، ومجنون، واحتمل ذلك حتى يأتي الله بالفرج «وسبح بحمد ربك» أي نزهه عما لا يليق به قبل

(١) هود: ١٠٣.

(٢) علل الشرائع: ص ٤٧، ح ٣٣.

«طلوع الشمس» صلاة الفجر «وقبل الغروب» صلاة العصر^(١).
وقال الطبرسي في (مجمع البيان): روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سئل
عن قوله: «وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب»، فقال:
«تقول حين تصبح وحين تمسي عشر مرات: لا إله إلا الله، وحده لا شريك
له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير»^(٢).

س ١٨: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبِرَ الشُّجُورِ﴾ [سورة ق: ٤٠]!

الجواب/ عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قلت: «وأدبار
السجود»، قال: «ركعتان بعد المغرب»^(٣).

وقال ابن أبي نصر: سألت الرضا عليه السلام عن قول الله عز وجل: «ومن
الليل فسبحه وأدبار السجود»، قال: «أربع ركعات بعد المغرب»^(٤).

س ١٩: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَأَسْتَبِيعُ يَوْمَ بِنَادِ النَّادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ (١) يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ
الْخُرُوجِ (٢) إِنَّا نَحْنُ نَحْيُهُ. وَنُيِّبْتُ وَإِنَّا الْمَصِيرُ (٣) يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ
سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ (٤) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْ
بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعَبِيدٍ (٥)﴾ [سورة ق: ٤١ - ٤٥]!

الجواب/ قال جميل بن دراج، قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قول الله عز
وجل: «إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ
الْأَشْهُدَاءُ»^(٥). قال: ذلك والله في الرجعة، أما علمت أن أنبياء الله تبارك

(٤) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٢٧.

(١) البيان: ج ٩، ص ٣٧٤.

(٥) خافر: ٥١.

(٢) مجمع البيان: ج ٩، ص ٢٢٥.

(٣) الكافي: ج ٣، ص ٤٤٤، ح ١١.

وتعالى كثير لم ينصروا في الدنيا وقتلوا، وأئمة [قد] قتلوا ولم ينصروا، فذلك في الرجعة.

قلت: ﴿واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج﴾؟ قال: «هي الرجعة»^(١).

وقال علي بن إبراهيم: قوله تعالى: ﴿واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب﴾ قال: ينادي المنادي باسم القائم واسم أبيه عليه السلام، قوله تعالى: ﴿يوم يسمعون الصيحة بالحق﴾، قال: صيحة القائم من السماء، ﴿ذلك يوم الخروج﴾^(٢).

ثم قال علي بن إبراهيم: حدثنا أحمد بن محمد، عن عمر بن عبد العزيز، عن جميل بن دراج، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج﴾ قال: «هي الرجعة»^(٣).

وقال علي بن إبراهيم، في قوله تعالى: ﴿يوم تشقق الأرض عنهم سراعا﴾، قال: في الرجعة، قوله تعالى: ﴿فذكر بالقرءان من يخاف وعيد﴾، قال: ذكر - يا محمد - بما وعدناه من العذاب^(٤).

أقول: أما آخر آية من الآيات محل البحث وهي آخر آية من سورة ق ذاتها فهي تخاطب النبي وتسري عنه وتسلي قلبه لما يلاقيه من المعاندين والكفرة فتقول: ﴿نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار﴾.

فمسؤوليتك البلاغ والدعوة نحو الحق والبشارة والندارة: ﴿فذكر بالقرآن

(١) مختصر بصائر الدرجات: ص ١٨.

(٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٢٧.

(٣) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٢٧.

(٤) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٢٧. وفي نسخة: من النار.

من يخاف وعيد ﴿١﴾ .

وقد ورد في تفسير القرطبي عن ابن عباس أنه قال جاء جماعة إلى رسول الله ﷺ فقالوا أنذرنا يا رسول الله وبشرنا، فنزلت الآية محلّ البحث وقالت: ﴿فذكر بالقرآن من يخاف وعيد﴾^(١).

وذلك إشارة إلى أن القرآن كاف لإنذار وإيقاظ المؤمنين، فكل صفحة منه تذكر بيوم القيامة وآياته المختلفة التي تتحدث عن قصص الماضين وعاقبتهم وتصف أهل النار وأهل الجنة وما يقع عند قيام الساعة في محكمة عدل الله هي خير موعظة ونصيحة لجميع الناس.

(١) القرطبي: ج٩، ص٦١٩٨.

تفسير
سورة الذاريات

رقم السورة - ٥١ -

سورة الذاريات

س ١: ما هو فضل سورة الذاريات!؟

الجواب/ قال أبو عبد الله عليه السلام: «من قرأ سورة الذاريات في يومه، أو في ليلته، أصلح الله له معيشته، وأناه برزق واسع، ونور له في قبره بسراج يزهر إلى يوم القيامة»^(١).

ومن خواص القرآن: روي عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «من قرأ هذه السورة أعطاه الله تعالى بعدد كل ربح هبت وجرت في الدنيا عشر حسنات»^(٢).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كتبها في إناء وشربها زال عنه وجع البطن، وإن علقت على الحامل المتعسرة ولدت سريعاً»^(٣).

وقال الصادق عليه السلام: «من كتبها عند مريض يساق^(٤) سهّل الله عليه جدّاً، وإذا كتبت وعلقت على امرأة مطلقة وضعت في عاجل بإذن الله تعالى»^(٥).

(١) ثواب الأعمال: ص ١١٥.

(٢) البرهان: ج ٩، ص ٢٠٧.

(٣) البرهان: ج ٩، ص ٢٠٧.

(٤) ساق المريض نفسه عند الموت سوقاً وسباقاً، وسبق على المجهول: شرع في نزوع الروح. «أقرب الموارد: ج ٢، ص ٥٥٨».

(٥) خواص القرآن: ص ٩ «مخطوط».

❁ س ٢: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا ۝۱﴾ فَالْمُتَلَيَاتِ وَقُرًا ۝۲﴾ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ۝۳﴾ فَالْمَقْسَمَاتِ أَمْرًا ۝۴﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٍ ۝۵﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ۝۶﴾ [سورة الذاريات: ١ - ٦]!

الجواب/ قال أبو عبد الله عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿والذاريات ذرؤاً﴾، فقال: «إن ابن الكواء سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن الذاريات ذرؤاً، فقال: هي الريح، وعن الحملات وقرأ، فقال: هي السحاب، وعن الجاريات يسراً فقال: هي السفن، وعن المقسمات أمراً، فقال: الملائكة. وهو قسم كله وخبر ﴿إنما توعدون لصادق وإن الدين لواقع﴾ يعني المجازاة والمكافأة^(١).

وقال الشيخ في (التهذيب) مرسلًا: قال الصادق عليه السلام، في قول الله عز وجل: ﴿فالمقسمات أمراً﴾، قال: «الملائكة تقسم أرزاق بني آدم من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، فمن نام فيما بينهما نام عن رزقه»^(٢).

وقال الطبرسي: قال أبو جعفر وأبو عبد الله عليه السلام: «لا يجوز لأحد أن يقسم إلا بالله تعالى، والله تعالى يقسم بما يشاء من خلقه»^(٣).

وقال أبو حمزة: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول في قول الله عز وجل: ﴿إنما توعدون لصادق﴾: «يعني في علي عليه السلام: ﴿وإن الدين لواقع﴾ يعني عليًا، وعلي هو الدين»^(٤).

أقول: قال بعض المفسرين إن ﴿ما توعدون﴾ يحمل معنى واسعاً يشمل جميع الوعود الإلهية المتعلقة بيوم القيامة والدنيا وتقسيم الأرزاق ومجازاة المجرمين في هذه الدنيا والدار الآخرة وانتصار المؤمنين الصالحين.

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٢٧. (٢) مجمع البيان: ج ٩، ص ٢٣.

(٣) تفسير القمي: ج ٢، ص ١٣٩، ح ٥٤١. (٤) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٢٩.

س ٣: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكَ لَبِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾﴾

[سورة الذاريات: ٧ - ٩]!

الجواب/ قال الحسين بن خالد قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: أخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾^(١)، فقال: «هي محبوبكة إلى الأرض» وشبك بين أصابعه.

قلت: كيف تكون محبوبكة إلى الأرض، والله يقول: ﴿رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِمِيزٍ عَدُو تَرَوْنَهَا﴾^(٢)، فقال: «سبحان الله، أليس الله يقول: ﴿بغير عمد ترونها؟﴾» قلت: بلى. فقال: «ثم عمد ولكن لا ترونها».

قلت: كيف ذلك، جعلني الله فداك؟ قال: فبسط كفه اليسرى، ثم وضع اليمنى عليها، فقال: «هذه أرض الدنيا، والسماء الدنيا عليها فوقها قبة، والأرض الثانية فوق السماء الدنيا، والسماء الثانية فوقها قبة، والأرض الثالثة فوق السماء الثانية، والسماء الثالثة فوقها قبة، والأرض الرابعة فوق السماء الرابعة، والسماء الخامسة فوقها قبة، والأرض السادسة فوق السماء الخامسة، والسماء السادسة فوقها قبة، والأرض السابعة فوق السماء السادسة، والسماء السابعة فوقها قبة، وعرش الرحمن تبارك وتعالى فوق السماء السابعة، وهو قوله عز وجل: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ يَنزِلُ الْأَمْثَرَ بَيْنَهُنَّ﴾^(٣)،

(١) في اللغة معان كثيرة لكلمة «الحبك» على زنة «كتب» وهي جمع «حباك» على وزن كتاب، من ضمن هذه المعاني الطرق والتعاريج التي تبدو على الرمل نتيجة للرياح أو التي تبدو على صفحة الماء أو على السحب في السماء! كما تطلق الحُبُكُ على الشعر المجعد. وقد تُفسر الحبك بالزينة والجمال! كذلك تأتي بمعنى الشكل الموزون والرتيب. والجذر الأصلي لها «حبك» ومعناه هو الشد والإحكام! (لسان العرب).

(٢) الرعد: ٢.

(٣) الطلاق: ١٢.

فأما صاحب الأمر فهو رسول الله ﷺ، والوصي بعد رسول الله ﷺ قائم على وجه الأرض، فإنما يتنزل [الأمر] إليه من فوق السماء من بين السماوات والأرضين.

قلت: فما تحتنا إلا أرض واحدة؟ فقال: «ما تحتنا إلا أرض واحدة، وإن الست لهن فوقنا»^(١).

وقال أبو جعفر عليه السلام: «وأما قوله تعالى: ﴿إِنكُم لفي قول مختلف﴾، [فإنه علي، يعني إنه لمختلف عليه، وقد] اختلفت هذه الأمة، فمن استقام على ولاية علي عليه السلام، دخل الجنة، ومن خالف ولاية علي أدخل النار، وأما قوله تعالى: ﴿يُؤفك عنه من أفك﴾ - قال - يعني علياً، من أفك عن ولايته أفك عن الجنة، فذلك قوله تعالى: ﴿يُؤفك عنه من أفك﴾^(٢).

أقول: ينبغي الالتفات إلى أن تعبير الآية عام ومغلق، وترجمتها الحرفية هي «ليصرف عنه من هو مصروف».

س ٤: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿قُلِ الْمُحْرَصُونَ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي عَمْرِهِمْ سَاهُونَ ﴿١٦﴾ يَسْتَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُقْتَلُونَ ﴿١٨﴾ ذُرُوقًا فَنَنْكُرُ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَسْتَمْلُونَ ﴿١٩﴾﴾

[سورة الذاريات: ١٥ - ١٩]

الجواب/ قال علي بن إبراهيم، في قوله تعالى: ﴿قتل الخراصون﴾ الذين يخرصون الدين^(٣) بأرائهم من غير علم ولا يقين، ﴿الذين هم في غمرة

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٢٨.

(٢) بصائر الدرجات: ص ٩٧، ح ٥٠.

(٣) هو كل كلام يقال تخميناً أو ظناً، والمعنى: أولئك الذين يحكمون أو يقضون في شأن القيامة والمعاد بكلام لا أساس له بعيد عن المنطق.

سأهون ﴿١﴾، أي في ضلالٍ، والساهي: الذي لا يذكر الله، وقوله تعالى: ﴿يَسْتَلُونَ﴾، يا محمد: ﴿أَيَّانَ يَوْمِ الدِّينِ﴾، أي متى يكون يوم الحساب، قال الله: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾، أي يعذبون ﴿ذُوقُوا فَتَنَتِكُمْ﴾، أي عذابكم: ﴿هَذَا الَّذِي كُتِمَ بِهِ تُسْتَعْجَلُونَ﴾^(١).

وقال أبو عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾: «يكسرون في الكزة كما يكسر الذهب، حتى يرجع كل شيء إلى شبهه» يعني إلى حقيقته^(٢).

❁ س ٥: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَأَخِذِينَ مَا ءَأَنذَهُمْ رَبُّهُمْ بِهِمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ ءَأَيْلٍ مَّا يَهْتَمُونَ ﴿١٧﴾ وَإِلَٰهًا صَّامِرًا ﴿١٨﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُورِ ﴿١٩﴾ وَفِي الْأَرْضِ ءَأَيْتٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [سورة الذاريات: ١٥ - ٢١]!

الجواب/ [أقول: قوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾: كلمة ﴿فِي﴾ بدخولها على الجنات واضحة المعنى، لأنَّ المتقين داخل الجنان إلا أن دخولها على العيون بالمعطف ليس معناه أن المتقين داخل العيون بل تعني أنهم في جنات تتخللها العيون...

وقوله ﴿آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾: أي أنهم يتلقون هذه المواهب الإلهية بمنتهى الرضا والرغبة والشوق... ويعقب القرآن في ختام الآية بأن هذه المواهب وهذا الشواب كل ذلك ليس اعتباراً بل ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾: المراد من «قبل ذلك»... يعني قبل يوم القيامة والدخول إلى الجنة أي في عالم الدنيا، إلا أن بعض المفسرين قال بأن قبل ذلك يعني قبل

(٢) مختصر بصائر الدرجات: ص ٢٨.

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٢٩.

ورود الشرع، وهو إشارة إلى تمتكهم بالمستقلات العقلية حتى قبل نزول الوحي إلا أن هذا المعنى يبدو بعيداً... و«الإحسان» هنا يحمل معنى واسعاً بحيث يشمل طاعة الله والأعمال الصالحة الآخر أيضاً.

وقال محمد بن مسلم: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن العبد يوقظ ثلاث مرات من الليل، فإن لم يقم أتاه الشيطان فبال في أذنه».

قال: وسألته عن قول الله عز وجل: ﴿كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون﴾، قال: «كانوا أقل الليالي تفوتهم لا يقومون فيها»^(١).

وقال أبو جعفر عليه السلام: ﴿كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون﴾، قال: «كان القوم ينامون، ولكن كلما انقلب أحدهم، قال: الحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»^(٢).

وقال معاوية بن عمار: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول في قول الله عز وجل: ﴿وبالأسحار هم يستغفرون﴾، قال: «كانوا يستغفرون [الله] في آخر الوتر في آخر الليل سبعين مرة»^(٣).

أقول: قوله: ﴿والذين في أموالهم حق معلوم﴾: ما وصلنا من روايات عن أهل البيت عليهم السلام يؤكد أن المراد من «حق معلوم» شيء غير الزكاة الواجبة. إذ نقرأ حديثاً عن الإمام الصادق عليه السلام يقول: «لكن الله عز وجل فرض في أموال الأغنياء حقوقاً غير الزكاة فقال عز وجل ﴿والذين في أموالهم حق معلوم للسائل﴾، فالحق المعلوم غير الزكاة وهو شيء يفرضه الرجل على نفسه في ماله... إن شاء في كل جمعة وإن شاء في كل شهر»^(٤).

وعن أبي عبد الله عليه السلام، في قوله عز وجل: ﴿للسائل والمحروم﴾:

(١) الكافي: ج ٣، ص ٤٤٦، ح ١٨.

(٢) علل الشرائع: ص ٣٦٤، ح ١.

(٣) التهذيب: ج ٢، ص ٣٣٥، ح ١٣٨٤.

(٤) وسائل الشيعة: ج ٦، ص ٧٢.

«المحرووم: المحارف»^(١) الذي حرم كذبه في الشراء والبيع».

وفي رواية أخرى: عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام، أنهما قالا:
«المحرووم: الرجل الذي ليس بعقله بأس، ولم يبسط له في الرزق، وهو محارف»^(٢).

وقال علي بن إبراهيم: السائل: الذي يسأل، والمحرووم: الذي قد منع كذبه.

قال: قوله تعالى: ﴿وفي الأرض آيات للموقنين﴾، قال: في كل شيء خلقه [الله] آية، وقال الشاعر:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد
وقوله تعالى: ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ قال: خلقك سمياً بصيراً،
تغضب مرة، وترضى مرة، وتجوع مرة، وتشبع مرة، وذلك كله من آيات
الله^(٣).

وعن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام في حديث يتضمن الاستدلال
على الصانع، قال له ابن أبي العوجاء - في حديث، بعد ما ذكر أبو عبد
الله عليهما السلام الدليل على الصانع - فقلت: ما منعه إن كان الأمر كما تقولون أن
يظهر لخلقهم، ويدعوهم إلى عبادته، حتى لا يختلف منهم اثنان، ولم احتجب
عنهم وأرسل إليهم الرسل، ولو باشرهم بنفسه كان أقرب إلى الإيمان [به].

فقال لي: «ويلك، وكيف احتجب عنك من أراك قدرته في نفسك نشوءك
ولم تكن، وكبرك بعد صغرك، وقوتك بعد ضعفك، وضعفك بعد قوتك،
وسقمك بعد صحتك، وصحتك بعد سقمك، ورضاك بعد غضبك، وغضبك

(١) وهو الكاسب الكاذب على عياله. (٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٣.

(٢) الكافي: ج ٣، ص ٥٠٠، ح ١٢.

بعد رضاك، وحننك بعد فرحك، وفرحك بعد حزنك، وحبك بعد بغضك وبغضك بعد حبك، وعزيمك بعد أناتك، وأناتك بعد عزيمك، وشهوتك بعد كراهيتك، وكراهيتك بعد شهوتك، ورغبتك بعد رهبتك، ورهبتك بعد رغبتك، ورجاءك بعد يأسك، ويأسك بعد رجائك، وخطارك بما لم يكن في وهمك، وغروب ما أنت معتقده عن ذهنك. وما زال يعدد علي قدرته التي هي في نفسي التي لا أدفعها، حتى ظننت أنه سيظهر فيما بيني وبينه^(١).

● سر ٦: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿رَبِّ السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ ﴿١٧﴾ فَوَرَّبَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴿١٨﴾ [سورة الذاريات: ٢٢ - ٢٣]!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم، في قوله تعالى: ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾، قال: المطر ينزل من السماء، فيخرج به أقوات العالم من الأرض، وما توعدون من أخبار القيامة والرجعة والأخبار التي في السماء، ثم أقسم عز وجل بنفسه. ﴿فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون﴾ يعني ما وعدتكم^(٢).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «أن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: إذا فرغ أحدكم من الصلاة، فليرفع يديه إلى السماء، ولينصب في الدعاء، فقال ابن سبأ: يا أمير المؤمنين، أليس الله في كل مكان؟ قال: بلى. قال: فلم يرفع يديه إلى السماء؟ فقال: رزقكم، أما تقرأ: ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾ فمن أين يطلب الرزق إلا من موضعه؟ وموضع الرزق وما وعد الله السماء^(٣).

(٣) التهذيب: ج ٢، ص ٣٢٢، ح ١٣١٥.

(١) الكافي: ج ١، ص ٥٩، ح ٢.

(٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٣.

وقال علي بن الحسين عليه السلام ، في قول الله عز وجل : ﴿فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون﴾ ، قال : «قوله تعالى : ﴿إنه لحق﴾ ، [هو] قيام القائم عليه السلام ، وفيه نزلت : ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيَسْجُذَنَّ لَمْ يَنبِهِمُ الَّذِينَ آتَيْنَاهُم مِّن بَعْدِ حُوفِهِمْ أَشْأُ﴾ (١) ، (٢) .

● س ٧ : ما هو معنى قوله تعالى :

﴿هَلْ أُنذِرَكَ حَيْثُ صَبَّ إِبْرَاهِيمَ الْشُّكْرِينَ﴾ (١٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلْنَا قَالَ سَلِّمْ قَوْمٌ مُّشْكِرُونَ ﴿١٥﴾ فَرَأَىٰ إِلَيْكَ أَهْلِيهِ فَجَاءَ بِمَجْلٍ سَمِينٍ ﴿١٦﴾ فَفَرَّهٖ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿١٧﴾ فَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿١٨﴾ فَأَقْبَلَتْ أُمْرَاتُهُ فِي صَرَفٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿١٩﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّنَا إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٢٠﴾ قَالَ قَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٢١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَيْكُمْ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٢٢﴾ لِيُرْسِلَ عَلَيْهِمْ جِبَارَةً مِن طِينٍ ﴿٢٣﴾ مُّسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٢٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٥﴾ قَا وَوَدَّعْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٢٦﴾ وَرَكَّمَ فِيهَا أَيْتَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٧﴾ ﴿سورة الذاريات : ٢٤ - ٣٧ ؟!﴾

الجواب/ قال الشيخ الطبرسي : لما قدم سبحانه الوعد والوعيد ، عقب ذلك بذكر بشارة إبراهيم ، ومهلك قوم لوط ، تخويفاً للكفار أن ينزل بهم مثل ما أنزل بأولئك فقال : ﴿هل أتاك﴾ يا محمد . وهذا اللفظ يستعمل إذا أخبر الإنسان بخبر ماض ، فيقال : هل أتاك خبر كذا . وإن علم أنه لم يأت به ﴿حديث ضيف إبراهيم المكرمين﴾ عند الله ، وذلك أنهم كانوا ملائكة كراماً ، ونظيره قوله : ﴿بل عباد مكرمون﴾ وقيل : أكرمهم إبراهيم فرفع مجالسهم ، وخدمهم بنفسه . لأن أضياف الكرام مكرمون . وكان إبراهيم أكرم الناس ، وأظهرهم

فتوة، وسماهم ضيفاً من غير أن أكلوا من طعامه، لأنهم دخلوا مدخل الأضياف. واختلف في عددهم فقيل: كانوا اثني عشر ملكاً. وقيل: كان جبرائيل ومعه سبعة أملاك. وقيل: كانوا ثلاثة جبرائيل وميكائيل وملك آخر. ﴿إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً﴾ أي حين دخلوا على إبراهيم فقالوا له على وجه التحية: سلاماً أي: أسلم سلاماً. ف﴿قال﴾ لهم جواباً عن ذلك ﴿سلام﴾. وقرئ سلم. وهذا مفسر في سورة هود. ﴿قوم منكرون﴾ أي قال في نفسه: هؤلاء قوم لا نعرفهم، وذلك أنه ظنهم من الإنس، ولم يعرفهم. والإنكار: نفي صحة الأمر، وتقيضه الإقرار والاعتراف. ﴿فراغ إلى أهله﴾ أي ذهب إليهم خفياً. وإنما راغ مخافة أن يمنعه من تكلف مأكول كعادة الظرفاء. ﴿فجاء بعجل سمين﴾ وكان مشوياً لقوله في آية أخرى: ﴿حنيد﴾ قال قتادة: وكان عامة مال إبراهيم عليه السلام البقر. ﴿فقربه إليهم﴾ ليأكلوا، فلم يأكلوا. فلما رأهم لا يأكلون عرض عليهم ﴿قال ألا تأكلون﴾ وفي الكلام حذف كما ترى. ﴿فأوجس منهم خيفة﴾ أي: فلما امتنعوا من الأكل أوجس منهم خيفة. والمعنى: خاف منهم، وظن أنهم يريدون به سوءاً ﴿قالوا﴾ أي قالت الملائكة ﴿لا تخف﴾ يا إبراهيم ﴿وبشروه بغلام عليم﴾ أي: يكون عالماً إذا كبر وبلغ، والغلام المبشر به هو إسماعيل. وقيل: هو إسحاق لأنه من سارة، وهذه القصة لها عن أكثر المفسرين. وهذا كله مفسر فيما مضى. ﴿فأقبلت امرأته في صرة﴾ أي: فلما سمعت البشارة امرأته سارة، أقبلت في ضجة، وقيل: في جماعة، عن الصادق عليه السلام. وقيل: في رفقة. والمعنى: أخذت تصيح وتولول، كما قالت: يا ويلتي. ﴿فصكت وجهها﴾ أي جمعت أصابعها فضربت جبينها تعجباً. وقيل: لطمت وجهها، عن ابن عباس. والصك: ضرب الشيء بالشيء العريض. ﴿وقالت عجوز عقيم﴾ أي أنا عجوز عاقر، فكيف ألد. ﴿قالوا كذلك قال ربك﴾ أي: كما قلنا لك قال

ربك إنك ستلدين غلاماً، فلا تشكي فيه . ﴿إنه هو الحكيم العليم﴾ بخفايا الأمور ﴿قال﴾ إبراهيم عليه السلام لهم ﴿فما خطبكم﴾ أي فما شأنكم، ولاي أمر جنتم ﴿أيها المرسلون﴾ وكأنه قال: قد جنتم لأمر عظيم، فما هو . ﴿قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين﴾ أي عاصين الله، كافرين لنعمه، استحقوا العذاب والهلاك . وأصل الجرم القطع . فالمجرم: القاطع للواجب بالباطل، فهؤلاء أجرموا بأن قطعوا الإيمان بالكفر . ﴿لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك﴾ هذا مفسر في سورة هود ﴿للمسرفين﴾ أي للمكثرين من المعاصي المتجاوزين الحد فيها . وقيل: أرسلت الحجارة على الغائبين، وقلبت القرية بالحاضرين . ﴿فأخرجنا من كان فيها﴾ أي في قرى قوم لوط ﴿من المؤمنين﴾ وذلك قوله ﴿فأسر بأهلك﴾ الآية . وذلك أن الله تعالى أمر لوطاً بأن يخرج هو ومن معه من المؤمنين، لثلا يصيبهم العذاب . ﴿فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾ أي غير أهل بيت من المسلمين، يعني لوطاً وبنتيه . وصفهم الله بالإيمان والإسلام جميعاً، لأنه ما من مؤمن إلا وهو مسلم . والإيمان هو التصديق بجميع ما أوجب الله التصديق به . والإسلام هو الاستسلام لوجوب عمل الفرض الذي أوجبه الله وألزمه . ووجدان الضالة هو إدراكها بعد طلبها . ﴿وتركنا فيها﴾ أي وأبقينا في مدينة قوم لوط ﴿آية﴾ أي علامة ﴿للذين يخافون العذاب الأليم﴾ أي تدلهم على أن الله أهلهم، فيخافون مثل عذابهم . والترك في الأصل ضد الفعل، ينافي الأخذ في محل قدرة عليه، والقدرة عليه قدرة على الأخذ . وعلى هذا فالترك غير داخل في أفعال الله تعالى . فالمعنى هنا: إنا أبقينا فيها عبرة، ومثله قوله: ﴿وتركهم في ظلمات﴾ وقيل: إنه الانقلاب لأن اقتلاع البلدان لا يقدر عليه إلا الله تعالى ^(١) .

(١) مجمع البيان: ج ٩، ص ٢٦٢، ومن أراد روايات عن أهل البيت عليهم السلام في هذه القصة فليراجع سورة هود الآيات (٦٩ - ٧٦) .

س ٨: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ
مَجْنُونٌ ﴿٢٩﴾ فَأَخَذْتَهُ وَمُؤَدُّهُ فَبَدَّلْتَهُمْ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٣٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ
الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٣١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَنتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٣٢﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ
قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٣﴾ فَمَتَّوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ
يَنْظُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَأَسْتَطَفُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْصَرِفِينَ ﴿٣٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلِ أَنَّهُمْ
كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة الذاريات: ٢٨ - ٤٦]!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسي: ثم بين سبحانه ما نزل بالأمم فقال:
﴿وفي موسى﴾ أي وفي موسى أيضاً آية ﴿إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان
مبين﴾ أي بحجة ظاهرة وهي العصا ﴿فتولى بركنه﴾ أي فأعرض فرعون عن
قبول الحق، بما كان يتقوى به من جنده وقومه، كالركن الذي يقوى به
البيان. والباء في قوله ﴿بركنه﴾ للتعدية أي جعلهم يتولون ﴿وقال﴾ لموسى
﴿ساحر أو مجنون﴾ أي هو ساحر أو مجنون. وفي ذلك دلالة على جهل
فرعون، لأن الساحر هو اللطيف الحيلة، وذلك ينافي صفة المجنون المختلط
العقل، فكيف يوصف شخص واحد بهاتين الصفتين. ﴿فأخذناه وجنوده
فبدلناهم في الليل﴾ أي فطرحناهم في البحر، كما يلقي الشيء في البر. ﴿وهو
مليم﴾ أتى بما يلام عليه من الكفر والجحود والعتو. ﴿وفي عاد﴾ عطف على
ما تقدم أي: وفي عاد أيضاً آية أي دلالة فيها عظة وعبرة. ﴿إذ أرسلنا عليهم﴾
أي: حين أطلقنا عليهم ﴿الريح العقيم﴾ وهي التي عقت عن أن تأتي بخير
من تنشئة سحب، أو تلقيح شجر، أو تذرية طعام، أو نفع حيوان، فهي
كالمرأة الممنوعة عن الولادة، إذ هي ريح الإهلاك. ثم وصفها فقال: ﴿ما
تذر من شيء أنت عليه﴾ أي لم تترك هذه الريح شيئاً تمر عليه ﴿إلا جعلته
كالريم﴾ أي كالشيء الهالك البالي، وهو نبات الأرض إذا يبس وديس.

وقيل: الرميم العظم البالي السحيق ﴿وفي ثمود﴾ أيضاً آية ﴿إذ قيل لهم﴾ تمتعوا وذلك أنهم لما عقروا الناقة، قال لهم صالح: ﴿تمتعوا ثلاثة أيام﴾ وهو قوله ﴿تمتعوا حتى حين فعتوا عن أمر ربهم﴾ أي فخرجوا عن أمر ربهم ترفعاً عنه واستكباراً ﴿فأخذتهم الصاعقة﴾ بعد مضي الأيام الثلاثة، وهو الموت. وقيل: هو العذاب. والصاعقة: كل عذاب مهلك. ﴿وهم ينظرون﴾ إليها جهاراً لا يقدرّون على دفعها ﴿فما استطاعوا من قيام﴾ أي من نهوض. والمعنى: إنهم لم ينهضوا من تلك الصرعة ﴿وما كانوا منتصرين﴾ أي ممنوعين من العذاب. وقيل: معناه ما كانوا طالبين ناصراً يمنعهم من عذاب الله ﴿وقوم نوح﴾ أي وأهلكنا قوم نوح ﴿من قبل﴾ أي من قبل عاد وثمود ﴿إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾ أي خارجين عن طاعة الله إلى معاصيه، وعن الإيمان إلى الكفر، فاستحقوا لذلك الإهلاك^(١).

❁ س ٩: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿١٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمُهَيَّدُونَ ﴿١٨﴾﴾

[سورة الذاريات: ٤٧ - ٤٨]!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسي: ﴿والسماء بنيناها بأيدي﴾ تقديره وبنينا السماء بنيناها بقوة، أي: خلقناها ورفعناها، على حسن نظامها ﴿وإنا لموسعون﴾ أي قادرون على خلق ما هو أعظم منها. وقيل: معناه وإنا لموسعون الرزق على الخلق بالمطر. وقيل: معناه وإنا لذي سعة لخلقنا أي قادرون على رزقهم، لا نعجز عنه فالموسع: ذو الوسع. والسعة أي الغنى والجدة. ﴿والأرض فرشناها﴾ أي: وفرشنا الأرض فرشناها: أي بسطانها ﴿فنعم الماهدون﴾ نحن إذ فعلنا ذلك للمنافع ومصالح العباد، لا لجر نفع،

(١) مجمع البيان: ج ٩، ص ٢٦٥.

ولا لدفع ضرر^(١).

وقال محمد بن مسلم: سألت أبا جعفر عليه السلام، فقلت: قوله عز وجل: ﴿يَأْتِيهِمْ مَّا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لَنَا خَلَقْتَ يَدَيْ﴾^(٢)، قال: «اليد في كلام العرب القوة والنعمة، قال: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا قَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ﴾^(٣)، وقال: «والسماء بنيناها بأيدي»، أي بقوة، وقال: ﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾^(٤)، أي قواهم، ويقال: لفلان عندي أياد كثيرة، أي فواضل وإحسان، وله عندي يد بيضاء، أي نعمة^(٥).

❁ س ١٠: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(١) [سورة الذاريات: ٤٩]؟

الجواب/ قال أبو عبد الله عليه السلام: «بينا أمير المؤمنين عليه السلام يخطب على منبر الكوفة، إذ قام رجل يقال له ذعلب، ذرب اللسان، بليغ في الخطاب، شجاع القلب، فقال: يا أمير المؤمنين، هل رأيت ربك؟ فقال: ويلك يا ذعلب ما كنت أعبد رباً لم أره.

قال: يا أمير المؤمنين كيف رأيت؟ فقال: ويلك يا ذعلب، لم تره العيون بمشاهدة الأبصار، ولكن رآته القلوب بحقائق الإيمان، ويلك يا ذعلب إن ربي لطيف اللطافة، فلا يوصف باللطف، عظيم العظمة لا يوصف بالعظم، كبير الكبرياء، لا يوصف بالكبر، جليل الجلالة لا يوصف بالغلظ، قبل كل شيء فلا يقال: شيء قبله، وبعد كل شيء فلا يقال: شيء بعده، شاء الأشياء لا بهمة، دراك لا بخديعة، هو في الأشياء كلها غير متمازج بها، ولا بائن

(١) مجمع البيان: ج ٩، ص ٢٦٧. (٤) المجادلة: ٢٢.

(٢) ص: ٧٥. (٥) التوحيد: ص ١٥٣، ح ١.

(٣) ص: ١٧.

عنها، ظاهر لا بتأويل المباشرة، متجلاً لا باستهلال رؤية، بائن لا بمسافة، قريب لا بمداناة، لطيف لا بتجسيم موجود لا بعد عدم، فاعل لا باضطراب، مقدر لا بحركة، مريد لا بهمة، سميع لا بألة، بصير لا بأداة لا تحويه الأماكن، ولا تصحبه الأوقات، ولا تحده الصفات، ولا تأخذه السنوات، سبق الأوقات كونه، والعدم وجوده، والابتداء أزاله، بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له، وبتجهيره الجواهر عرف أن لا جوهر له، وبمضادته بين الأشياء عرف أن لا ضد له، وبمقارنته بين الأشياء عرف أن لا قرين له، ضاد النور بالظلمة، والجسو^(١) بالبلل، والصرد بالحرور، ومؤلف بين متعادياتها، مفرق بين متدانياتها، دالة بتفريقها على مفرقتها، وبتأليفها على مؤلفها، وذلك قوله عز وجل: ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾، ففرق بها بين قبل وبعد، ليعلم أن لا قبل له ولا بعد، شاهدة بغرائزها أن لا غريزة لمغرزها، مخبرة بتوقيتها أن لا وقت لموقتها، حجب بعضها عن بعض ليعلم أن لا حجاب بينه وبين خلقه غير خلقه، كان رباً إذ لا مريب، وإلهاً إذ لا مألوه، وعالماً إذ لا معلوم، وسميعاً إذ لا مسموع.

ثم أنشأ يقول:

| | |
|--------------------------------|--|
| ولم يزل سيدي بالعلم معروفاً | ولم يزل سيدي بالجود موصوفاً |
| وكان إذ ليس نور يستضاء به | ولا ظلام على الآفاق معكوفاً |
| فربنا بخلاف الخلق كلهم | وكل ما كان في الأوهام موصوفاً |
| فمن يرده على التشبيه ممثلاً | يرجع أخا حصرٍ بالعجز مكتوفاً |
| وفي المعارج يلقي موج قدرته | موجاً يعارض طرف الروح مكفوفاً |
| فاترك أخا جدل في الدين منعمفاً | قد باشر الشك فيه الرأي مؤوفاً ^(٢) |

(١) الجسو: اليبس والصلابة.

(٢) المؤلف: الذي أصابه آفة فأفسدته.

واصحب أخا ثقة حباً لسيدہ وبالكرامات من مولاه محفوفاً
 أمسى دليل الهدى في الأرض منتشراً وفي السماء جميل الحال معروفاً
 قال: فخرّ ذعلب مغشياً عليه، ثم أفاق، وقال: ما سمعت بهذا الكلام،
 ولا أعود إلى شيء من ذلك»^(١).

(١) التوحيد: ص ٣٠٨، ح ٢.

تفسير
سورة الطور

رقم السورة - ٥٢ -

سورة الطور

س ١: ما هو فضل سورة الطور؟!

الجواب/ عن أبي عبد الله وأبي جعفر عليهما السلام، قالوا: «من قرأ سورة الطور، جمع الله له خير الدنيا والآخرة»^(١).

ومن (خواص القرآن): روي عن النبي صلى الله عليه وآله، قال: «من قرأ هذه السورة كان حقاً على الله تعالى أن يؤمنه من عذابه، وأن ينعم عليه في جنته، ومن قرأها وأدمن في قراءتها، وكان مقيداً مغلولاً مسجوناً، سهل الله عليه خروجه، ولو كان ما كان من الجنائيات»^(٢).

وقال الصادق عليه السلام: «من أدمن في قراءتها، وهو معتقل، سهل الله خروجه، ولو كان ما كان عليه من الحقوق الواجبة؛ وإذا أدمن في قراءتها وهو مسافر، أمن في سفره مما يكره؛ وإذا رش بمائها على لدغ العقرب، برئت بإذن الله تعالى»^(٣).

س ٢: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَالطُّورِ ۝١﴾ وَكُتِبَ مَسْطُورٍ ۝٢﴾ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۝٤﴾

[سورة الطور: ١ - ٤]؟!

الجواب/ قال أبو عبد الله عليه السلام، في قوله عز وجل: ﴿وَكُتِبَ مَسْطُورٍ﴾ هو كتاب مسطور

(٣) خواص القرآن: ص ٩ «مخطوط».

(١) ثواب الأعمال: ص ١١٦.

(٢) البرهان: ج ٩، ص ٢٣٥.

في رق منشور»: «كتاب كتبه الله عز وجل في ورقة آس، ووضعه على عرشه، قبل خلق الخلق بالفي عام: يا شيعة آل محمد، إني أنا الله أجتكم قبل أن تدعوني، وأعطيتكم قبل أن تسألوني، وغفرت لكم قبل أن تستغفروني»^(١).

وقال علي بن إبراهيم: الطور: جبل بطور سيناء «وكتاب مسطور»، أي مكتوب «في رق منشور والبيت المعمور»، قال: هو في السماء الرابعة، هو الضراح^(٢) يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، ثم لا يعودون [إليه] أبداً^(٣).

وقال أبو عبد الله عليه السلام - في حديث -: «فأمر الله ملكاً من الملائكة، أن يجعل له بيتاً في السماء السادسة، يسمى الضراح، بإزاء عرشه، فصيره لأهل السماء، يطوف به سبعون ألف ملك في كل يوم، لا يعودون، ويستغفرون»^(٤).

❁ س ٣: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَالسَّعْفَ الْمَرْفُوعَ ۝ وَالْبَحْرَ الْمَسْجُورَ ۝ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَآتٍ ۝ مَا لَكُمْ مِنْ دَافِعٍ ۝ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ۝ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ۝ فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي حُوضٍ يَلْعَبُونَ ۝ يَوْمَ يَدْعُوكَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً ۝ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝ أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُعِيرُونَ ۝ أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُ مَا كُنْتُمْ

(١) تاريل الآيات: ج ٢، ص ٦١٦، ح ١.

(٢) الضراح: بيت في السماء حيال الكعبة. «النهاية: ج ٣، ص ٤٨١».

(٣) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٣١.

(٤) الكافي: ج ٤، ص ١٨٧، ح ١.

تَمَلُّونَ ﴿٦٦﴾ [سورة الطور: ٥ - ١٦]!؟

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: ﴿والسقف المرفوع﴾، قال: السماء
﴿والبحر المسجور﴾، قال: يسجر يوم القيامة^(١).

وفي (نهج البيان): عن علي عليه السلام: «المسجور: الموقد»^(٢).

وقال علي بن إبراهيم: هذا كله قسمٌ، وجوابه ﴿إن عذاب ربك لواقع
ماله من دافع﴾ وقوله تعالى: ﴿يوم تمور السماء موراً﴾ أي تنفش ﴿وتسير
الجبال سيراً﴾ أي تسير مثل الريح ﴿فويل يومئذ للمكذبين الذين هم في
خوض يلعبون﴾، قال: يخوضون في المعاصي.

وقوله تعالى: ﴿يوم يدعون إلى نار جهنم دعا﴾، قال: يدفعون في
النار. وقال رسول الله ﷺ: لما مر بعمر بن العاص، والوليد بن عقبة بن أبي
معيط، وهما في حائط يشربان ويغنيان بهذا البيت في حمزة بن عبد المطلب
لما قتل:

كم من حوارى تلوح عظامه وراء الحرب عنه أن يجرفي قبراً
فقال النبي ﷺ: «اللهم العنهما، واركسهما في الفتنة ركساً، ودعهما إلى
النار دعا».

أقول: ويقال لهم حينئذ: ﴿هذه النار التي كنتم بها تكذبون﴾.

كما يقال لهم أيضاً: ﴿أفسح هذا أم أنتم لا تبصرون﴾!؟

لقد كنتم تزعمون في الدنيا إن ما جاء به محمد سحر، وقد أخذ السحر
عن ساحر آخر، فغطى على أعيننا ليصرفها عن الحقائق وليختطف عقولنا!
ويرينا أموراً على أنها معاجز، ويذكر لنا كلاماً على أنه وحى منزل من الله، إلا

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٣١. (٢) نهج البيان: ج ٣، ص ٢٧٥ مخطوط.

أن جميع ذلك لا أساس له وما هو إلا السحرا!

لذلك فحين يردون نار جهنم يقال لهم بنحو التوبيخ والملامة والاحتقار وهم يلمسون حرارة النار، أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون؟!

نعود لرواية علي بن إبراهيم: قوله تعالى: ﴿صَلُّوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾، أي اجترثوا، أو لا تجترثوا لأنَّ أحداً لا يصبر على النار، والدليل على ذلك قوله: ﴿فَمَا أَصْبِرُهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ يعني ما أجراهم^(١)!

أقول: أجل هذه هي أعمالكم وقد عادت إليكم فلا ينفع الجزع الفرع والآه والصراخ ولا أثر لكل ذلك أبداً.

وهذه الآية تأكيد على «تجسم الأعمال» وعودتها نحو الإنسان، وهي تأكيد جديد أيضاً على عدالة الله... لأنَّ نار جهنم مهما كانت شديدة ومحرقة فهي ليست سوى نتيجة أعمال الناس أنفسهم، وأشكالها المتبدلة هناك!

س ٤: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿٧﴾ فَكِهِينَ بِمَا ءَانَّهُمْ رَبُّهُمْ وَرَقَنَّهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٨﴾ كُلُوا وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ مُتَّكِنِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿١٠﴾﴾ [سورة الطور: ١٧ - ٢٠]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسي: لما تقدم وعيد الكفار، عقبه سبحانه بالوعد للمؤمنين فقال: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ الذين يجتنبون معاصي الله خوفاً من عقبه ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾ أي في بساتين تجننها الأشجار ﴿وَنَعِيمٍ﴾ أي وفي نعيم ﴿فَكِهِينَ بِمَا ءَانَّهُمْ رَبُّهُمْ﴾ أي متنعمين بما أعطاهم ربهم من أنواع النعيم. وقيل: فأكهين معجبين بما آتاه ربهم، ﴿وَوَقَاهُمْ﴾ أي وصرف عنهم ﴿رَبُّهُمْ﴾

عذاب الجحيم كلوا واشربوا ﴿١﴾ أي يقال لهم: كلوا واشربوا ﴿٢﴾ هنيئاً بما كنتم تعملون ﴿٣﴾ مملأً وشرباً هنيئاً: مأمون العاقبة من التخمة والسقم. ثم ذكر حالهم في الأكل والشرب فقال: ﴿٤﴾ متكئين على سرر مصفوفة ﴿٥﴾ والسرر: جمع سرير. والمصفوفة: المصطفة الموصول بعضها ببعض. وقيل: إن في الكلام حذفاً تقديره متكئين على نمارق موضوعة على سرر. لكنه حذف، لأن اللفظ يدل عليه من حيث إن الاتكاء جلسة راحة ودعة، ولا يكون ذلك إلا على الوسائد والنمارق. ﴿٦﴾ وزوجناهم بحور عين ﴿٧﴾ فالحور البيض النقيات في حسن وكمال. والعين: الواسعات الأعين في صفاء وبهاء. ومعناه: قرنا هؤلاء المتقين بحور عين على وجه التمتع لهم والتنعيم. وعن زيد بن أرقم قال: (جاء رجل من أهل الكتاب إلى رسول الله ﷺ فقال: يا أبا القاسم: تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون؟ فقال: والذي نفسي بيده إن الرجل منهم يؤتى قوة مائة رجل على الأكل والشرب والجماع. قال: فإن الذي يأكل ويشرب يكون له الحاجة؟ فقال: عرق يفيض مثل ريح المسك، فإذا كان ذلك ضمير بطنه) (١).

س ٥: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْهُمُ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [سورة الطور: ٢١]؟

الجواب/ قال أبو عبد الله ﷺ: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْهُمُ مِنْ شَيْءٍ﴾، قال: والذين آمنوا النبي ﷺ وأمير المؤمنين ﷺ، وذريته الأئمة والأوصياء ﷺ، أَلْحَقْنَا بِهِمْ ولم تنقص ذريتهم الحجة التي جاء بها محمد ﷺ في علي ﷺ،

وحجتهم واحدة، وطاعتهم واحدة»^(١).

وقال: «قصرت الأبناء عن عمل الآباء، فألحق الله عز وجل الأبناء بالآباء ليقرب بذلك أعينهم»^(٢).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «إن أطفال شيعتنا من المؤمنين تربيتهم فاطمة عليها السلام، وقوله تعالى: ﴿ألحقنا بهم ذريتهم﴾، قال: «يهدون إلى آبائهم يوم القيامة»^(٣).

وقال الإمام جعفر بن محمد، عن أبيه عليه السلام، قال: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد من لدن العرش: يا معشر الخلائق، غضوا أبصاركم حتى تمر فاطمة بنت محمد عليها السلام، فتكون أول من يكسى، ويستقبلها من الفردوس اثنا عشر ألف حوراء، معهن خمسون ألف ملك على نجائب من ياقوت، أجنحتها اللؤلؤ الرطب، والزبرجد، عليها رحائل من دُرّ، على كل رحل نمرقة من سندس، حتى تجوز بها الصراط، ويأتون الفردوس فيتباشر بها أهل الجنة، وتجلس على عرش من نور، ويجلسون حولها.

وفي بطنان العرش قصران، قصر أبيض وقصر أصفر من لؤلؤ، من عرق واحد، وإن في القصر الأبيض سبعين ألف دار، مساكن محمد وآل محمد، وإن في القصر الأصفر سبعين ألف دار، مساكن إبراهيم وآل إبراهيم، ويبعث الله إليها ملكاً لم يبعث إلى أحدٍ قبلها، ولا يبعث إلى أحدٍ بعدها، فيقول لها: إن ربك عز وجل يقرأ عليك السلام، ويقول لك: سليني أعطك، فتقول: قد أتّم علي نعمته، وأباحني جنته، وهنأني كرامته، وفضلني على نساء خلقه، أسأله أن يشفعني في ولدي وفي ذريتي ومن ودهم بعدي وحفظهم بعدي.

(٣) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٣٢.

(١) الكافي: ج ١، ص ٢١٦، ح ١.

(٢) التوحيد: ص ٣٩٤، ح ٧.

قال: فيوحى الله إلى ذلك الملك من غير أن يتحول من مكانه أن خبرها
أني قد شفعتها في ولدها وذريتها ومن ودهم وأحبهم وحفظهم بعدها، قال:
فتقول: الحمد لله الذي أذهب عني الحزن، وأقر عيني».

ثم قال جعفر عليه السلام: «كان أبي إذا ذكر هذا الحديث تلا هذه الآية:
﴿والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من
عملهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين﴾»^(١).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «إن الله تبارك وتعالى أكفل إبراهيم وسارة
أطفال المؤمنين، يغذونهم بشجرة في الجنة، لها أخلاف كأخلاف البقر، في
قصر من درة، فإذا كان يوم القيامة ألبسوا وطيبوا وأهدوا إلى آباءهم، فهم
ملوك في الجنة مع آباءهم، وهو قول الله تعالى: ﴿والذين آمنوا واتبعتهم
ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم﴾»^(٢).

س ٦: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۝١٢﴾ يَنْزِعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَعْنٌ فِيهَا وَلَا
تَأْنِيَةَ ۝١٣ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكُونٌ ۝١٤ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ
يَسْتَأْذِنُونَ ۝١٥ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ۝١٦ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَدَّنَا
عَذَابَ السَّمُورِ ۝١٧ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ۝١٨﴾

[سورة الطور: ٢٢ - ٢٨]!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسي: ثم ذكر سبحانه ما يزيدهم من الخير
والنعمة فقال: ﴿وأمددناهم بفاكهة﴾ أي أعطيناهم حالاً بعد حال، فإن الإمداد
هو الإتيان بالشيء بعد الشيء. والفاكهة: جنس الشمار. ﴿ولحم مما

(١) تأويل الآيات: ج ٢، ص ٦١٨، ح ٧.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٣١٦، ح ١٥٣٦.

يشتهون ﴿ أي وأعطيناهم وأمددناهم بلحم من الجنس الذي يشتهونه ﴾ يتنازعون فيها كأساً ﴿ أي: يتعاطون كأس الخمر، ثم وصف الكأس فقال: ﴿ لا لغو فيها ولا تأثيم ﴾ أي لا يجري بينهم باطل، لأن اللغو ما يلغى، ولا ما فيه إثم، كما يجري في الدنيا بين شرب الخمر والتأثيم: تفعيل من الإثم، يقال: أئمه إذا جعله ذا إثم، يعني: إن تلك الكأس لا تجعلهم آثمين. وقيل: معناه لا يتسابون عليها، ولا يؤثم بعضهم بعضاً. ﴿ ويطوف عليهم ﴾ للخدمة ﴿ غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون ﴾ في الحسن والصباحة، والصفاء والبياض، والمكنون المصون المخزون. وقيل: إنه ليس على الغلمان مشقة في خدمة أهل الجنة، بل لهم في ذلك اللذة والسرور، إذ ليست تلك الدار دار محنة. وذكر عن الحسن أنه قال: قيل يا رسول الله! الخادم كاللؤلؤ فكيف المخدوم؟ فقال: «والذي نفسي بيده إن فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب»، ﴿ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴾ أي يتذكرون ما كانوا فيه من التعب والخوف في الدنيا. وهو قوله: ﴿ قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين ﴾ أي خائفين في دار الدنيا من العذاب ﴿ فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم ﴾ أي عذاب جهنم، والسموم من أسماء جهنم. وقيل إن المعنى: يسأل بعضهم بعضاً عما فعلوه في الدنيا، فاستحقوا به المصير إلى الثواب، والكون في الجنان، فيقولون: إنا كنا في دار التكليف مشفقين، أي خائفين رقيقى القلب. فإن الإشفاق رقة القلب عما يكون من الخوف على الشيء. والشفقة: نقيض الغلظة، وأصله الضعف من قولهم ثوب شفق أي: ضعيف النسج. ومنه الشفق للحمرة عند غروب الشمس، لأنها حمرة ضعيفة. وقوله ﴿ في أهلنا مشفقين ﴾ يريد: فيمن يختص به ممن هو أولى بنا. والأهل هو المختص بغيره من جهة ما هو أولى به. والسموم: الحر الذي يدخل في مسام البدن يتألم به. وأصله من السم الذي هو مخرج النفس، فكل خرق

سم، أو من السم الذي يقتل. قال الزجاج: يريد عذاب سموم جهنم، وهو ما يوجد من لفحها وحرها. ﴿إنا كنا من قبل﴾ أي في الدنيا ﴿ندعوه﴾ أي ندعو الله تعالى، ونوحده، ونعبده. ﴿إنه هو البر﴾ أي اللطيف، وأصله اللطف مع عظم الشأن، ومنه البرة للطفها مع عظم النفع بها. وقيل البر: الصادق فيما وعده ﴿الرحيم﴾ بعباده^(١).

س ٧: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ (٢٦) ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُّ بِهِ رَبِّ السَّمَوَاتِ﴾ (٢٧) ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرْتَبِصِينَ﴾ (٢٨) ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ آخِلَانِهِمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ (٢٩) ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ بِلَآ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِذْ جَاءَكَ الْمُسَلِّمِينَ﴾ (٣٠) ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ بِلَآ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِذْ جَاءَكَ الْمُسَلِّمِينَ﴾ (٣١) ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ بِلَآ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِذْ جَاءَكَ الْمُسَلِّمِينَ﴾ (٣٢) ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ بِلَآ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِذْ جَاءَكَ الْمُسَلِّمِينَ﴾ (٣٣) ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ بِلَآ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِذْ جَاءَكَ الْمُسَلِّمِينَ﴾ (٣٤) ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ بِلَآ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِذْ جَاءَكَ الْمُسَلِّمِينَ﴾ (٣٥) ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ بِلَآ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِذْ جَاءَكَ الْمُسَلِّمِينَ﴾ (٣٦) ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ بِلَآ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِذْ جَاءَكَ الْمُسَلِّمِينَ﴾ (٣٧) ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ بِلَآ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِذْ جَاءَكَ الْمُسَلِّمِينَ﴾ (٣٨) ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ بِلَآ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِذْ جَاءَكَ الْمُسَلِّمِينَ﴾ (٣٩) ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ بِلَآ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِذْ جَاءَكَ الْمُسَلِّمِينَ﴾ (٤٠)

[سورة الطور: ٢٩ - ٤٠]!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسي: ثم خاطب سبحانه نبيه ﷺ فقال: ﴿فذكر﴾ يا محمد أي! فعظ هؤلاء المكتفين، ولا ترك دعوتهم، وإن أساءوا قولهم فيك ﴿فما أنت بنعمة ربك﴾ أي بإنعام ربك عليك بالنبوة. وهذا قسم ﴿بكاهن﴾ وهو الذي يوهم أنه يعلم الغيب بطريق خدمة الجن. ﴿ولا مجنون﴾ وهو المؤلف بما يغطي على عقله. وقد علم الكفار أنه ﷺ ليس بكاهن، ولا مجنون، لكن قالوا ذلك على جهة التكذيب عليه، ليستربحوا إلى ذلك، كما يستربح السفهاء إلى التكذيب على أعدائهم.

﴿أم يقولون﴾ أي بل يقولون هو ﴿شاعر ترتبص به ريب المنون﴾ أي ننتظر به حدثان الموت، وحوادث الدهر، فيهلك كما هلك من تقدم من الشعراء. والمنون: يكون بمعنى الدهر، ويكون بمعنى المنية. ثم قال سبحانه: ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿تربصوا فإني معكم من المتربصين﴾ أي: إنكم إن تربصتم في حوادث الدهر، فإني منتظر مثل ذلك بكم. وتربص الكفار بالنبي صلى الله عليه وآله والمؤمنين قبيح، وتربص النبي صلى الله عليه وآله والمؤمنين بالكفار، وتوقعهم لهلاكهم حسن. وقوله: ﴿فتربصوا﴾ وإن كان بصيغة الأمر، فالمراد به التهديد. ﴿أم تأمرهم أحلامهم بهذا﴾ أي بل تأمرهم عقولهم بما يقولونه لك، وتربصونه بك. قال المفسرون: كانت عظماء قريش توصف بالأحلام والعقول، فأزرى الله سبحانه بعقولهم، حيث لم تثمر لهم معرفة الحق من الباطل. ثم أخبر سبحانه عن طغيانهم فقال: ﴿أم هم قوم طاغون﴾ وقرأ مجاهد: ﴿بل هم قوم طاغون﴾. وبل في المعنى قريبة من أم هنا، إلا أن ما بعد بل متيقن، وما بعد أم مشكوك فيه. والمعنى: إن عقولهم لم تأمرهم بهذا، ولم تدعهم إليه، بل حملهم الطغيان على تكذيبك. ﴿أم يقولون تقوله﴾ أي افتعل القرآن وتكذبه من تلقاء نفسه. والتقول: تكلف القول، ولا يقال ذلك إلا في الكذب. ﴿بل لا يؤمنون﴾ أي ليس الأمر كما زعموا، بل ثبت أنه من عند الله، ولكنهم لا يصدقون بذلك عناداً وحسداً واستكباراً.

ثم ألزمهم سبحانه الحجة وتحداهم فقال: ﴿فليأتوا بحديث مثله﴾ أي مثل القرآن، وما يقاربه في نظمه وفصاحته وحسن بيانه وبراعته. ﴿إن كانوا صادقين﴾ في أنه تقوله محمد صلى الله عليه وآله، فإذا لم يقدرُوا على الإتيان بمثله، فليعلموا أن محمداً صلى الله عليه وآله لم يتقوله من تلقاء نفسه، بل هو من عند الله تعالى. ثم احتج عليهم بابتداء الخلق فقال: ﴿أم خلقوا من غير شيء﴾ أي أم خلقوا لغير شيء أي: أخلقوا باطلاً لا يحاسبون، ولا يؤمرون، ولا يهتدون، ونحو هذا. وقيل:

معناه أم خلقوا عبثاً، وتركوا سدى. وهذا في المعنى مثل الأول. وقيل: معناه أخلقوا من غير خالق ومدبر دبرهم. ﴿أم هم الخالقون﴾ أنفسهم، فلا يجب عليهم الله أمر. ﴿أم خلقوا السماوات والأرض﴾ واختراعهما، فلذلك لا يقرون بالله، وبأنه خالقهم ﴿بل لا يوقنون﴾ بأن لهم إلهاً يستحق العبادة وحده، وأنت نبي من جهة الله. ﴿أم عندهم خزائن ربك﴾ أي بأيديهم مفاتيح ربك بالرسالة، فيضعونها حيث شاؤوا. وقيل: أراد خزائن المطر والرزق. وقيل: خزائنه مقدوراته فلا يأتيهم إلا ما يحبون. ﴿أم هم المسيطرون﴾ أي الأرباب المسلمون على الناس، فليس عليهم مسيطر، ولا لهم ملزم ومقوم. وقيل: معناه أم هم المالكون الناس، القاهرون لهم. ﴿أم لهم سلم﴾ أي مرقى ومصعد إلى السماء ﴿يستمعون فيه﴾ الوحي من السماء، فقد وثقوا بما هم عليه، وردوا ما سواه ﴿فليأت مستمعهم بسطان مبين﴾ أي بحجة ظاهرة واضحة إن ادعى ذلك. والتقدير: يستمعون عليه، فهو كقوله: ﴿ولأصلبناكم في جذوع النخل﴾. وإنما قيل لهم ذلك، لأن كل من يدعي ما لا يعلم ببداية العقول، فعليه إقامة البينة والحجة. ﴿أم له البنات ولكم البنون﴾ وهذا تسفيه لأحلامهم، إذ أضافوا إلى الله سبحانه ما أنفوا منه، وهذا غاية في جهلهم، إذ جوزوا عليه سبحانه الولد، ثم ادعوا أنه اختار الأدون على الأعلى ﴿أم تسألهم أجراً﴾ أي ثواباً على أداء الرسالة، وعلى ما جثتهم به من الدين والشريعة. ﴿فهم من مغرم مثقلون﴾ أثقلهم ذلك الغرم الذي تسألهم، فمنعهم ذلك عن الإيمان بك^(١).

(١) مجمع البيان: ج ٩، ص ٢٧٨.

س ٨: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ لَا يَكَتُبُونَ﴾ (٤١) أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرَهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَٰكِن آكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ [سورة الطور: ٤١ - ٤٧]!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسي: ثم قال سبحانه ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ لَا يَكَتُبُونَ﴾ أي: أَعِنْدَهُمُ الْغَيْبُ حَتَّى عَلِمُوا أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ يَمُوتُ قَبْلَهُمْ؟ وَهَذَا جَوَابٌ لِقَوْلِهِمْ: ﴿نَتَرَبَّصُ بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ﴾. وَقِيلَ: أَعِنْدَهُمُ الْغَيْبُ الْمَحْفُوظُ فَهُمْ يَكَتُبُونَ مِنْهُ، وَيَخْبِرُونَ بِهِ النَّاسَ. وَقِيلَ: هُوَ جَوَابٌ لِقَوْلِهِمْ: إِنْ كَانَ أَمْرُ الْآخِرَةِ حَقًّا، كَمَا تَدْعُونَ، فَلَنَا الْجَنَّةُ. وَمِثْلُهُ: ﴿وَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنْ لِي عِنْدَهُ لِلْحَسَنِ﴾. وَالْغَيْبُ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ، هُوَ مَا لَا يَعْلَمُهُ الْعَاقِلُ ضَرُورَةً، وَلَا عَلَيْهِ دَلَالَةٌ، فَاللَّهُ عَالِمٌ بِهِ، لِأَنَّهُ يَعْلَمُهُ لِنَفْسِهِ، وَالْعَالَمُ لِنَفْسِهِ يَعْلَمُ جَمِيعَ الْمَعْلُومَاتِ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا. ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ أَيُّ مَكْرًا بَكًّا، وَتَدْبِيرًا سَوِيًّا فِي بَابِكَ سِرًّا، عَلَىٰ مَا دَبَّرُوهُ فِي دَارِ النَّدْوَةِ. ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ أَيُّ هُمُ الْمُجْزِيُونَ بِكَيْدِهِمْ. فَإِنَّ ضَرَرَ ذَلِكَ يَعُودُ عَلَيْهِمْ، وَيَحِيقُ بِهِمْ مَكْرَهُمْ، كَمَا جَزَىٰ اللَّهُ سَبْحَانَ اللَّهِ أَهْلَ دَارِ النَّدْوَةِ بِكَيْدِهِمْ أَنْ قَتَلَهُمْ بِيَدِهِ. ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾ يَرْزُقُهُمْ وَيَحْفَظُهُمْ وَيَنْصُرُهُمْ. يَعْنِي: إِنْ الَّذِينَ اتَّخَذُوهُمْ آلِهَةً، لَا تَنْفَعُهُمْ وَلَا تَدْفَعُ عَنْهُمْ. ثُمَّ نَزَّ سَبْحَانَ اللَّهِ نَفْسَهُ فَقَالَ: ﴿سَبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بِهِ مِنَ الْأَلِهَةِ. ثُمَّ ذَكَرَ سَبْحَانَ اللَّهِ عِنْدَهُمْ، وَقَسُوهُ قُلُوبَهُمْ فَقَالَ: ﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا﴾ يَعْنِي: إِنْ عَذَبْنَا هُمْ بِسُقُوطِ بَعْضِ مِنَ السَّمَاءِ عَلَيْهِمْ، لَنْ يَنْتَهَوْا عَنْ كُفْرِهِمْ. وَقَالُوا: هُوَ قِطْعَةٌ مِنَ السَّحَابِ. وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ. وَكُلُّ هَذِهِ

الأمر المذكورة بعد أم في هذه السورة، إلزامات لعبدة الأوثان على مخالفة القرآن. ثم قال سبحانه يخاطب النبي ﷺ: ﴿فذرهم﴾ يا محمد أي اتركهم ﴿حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون﴾ أي يهلكون بوقوع الصاعقة عليهم. وقيل: الصعقة النفخة الأولى التي يهلك عندها جميع الخلائق. ثم وصف سبحانه ذلك اليوم فقال: ﴿يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئاً﴾ أي لا تنفعهم حيلتهم، ولا تدفع عنهم شيئاً ﴿ولا هم ينصرون وإن للذين ظلموا﴾ يعن كفار مكة ﴿عذاباً دون ذلك﴾ أي دون عذاب الآخرة، يعني القتل يوم بدر. وقيل: يريد عذاب القبر. وقيل: هو الجوع في الدنيا، والقحط سبع سنين. وقيل: هو مصائب الدنيا. وقيل: هو عام جميع ذلك. ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ ما هو نازل بهم^(١).

وقال أبو جعفر عليه السلام، في قوله عز وجل: ﴿وإن للذين ظلموا﴾ آذ محمد: ﴿عذاباً دون ذلك﴾ - عذاب الرجعة بالسيف^(٢).

وقال عبد الرحمن بن سالم: قلت لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك، هل يكره في وقت من الأوقات الجماع؟ قال: «نعم، وإن كان حلالاً، يكره ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وما بين مغيب الشمس إلى سقوط الشفق، وفي اليوم الذي تنكسف فيه الشمس، وفي الليلة واليوم الذي يكون فيه الزلزلة والرياح السوداء والرياح الحمراء والصفراء.

ولقد بات رسول الله ﷺ مع بعض نسائه في ليلة انكسف فيها القمر، فلم يكن منه في تلك الليلة شيء مما كان في غيرها من الليالي، فقالت له: يا رسول الله، لبغض كان هذا الجفاء؟ فقال عليه السلام: أما علمت أن هذه الآية ظهرت في هذه الليلة، فكرهت أن أتلذذ وألهو فيها، وأتشبه بقوم غيرهم الله في كتابه

(٢) تأويل الآيات: ج ٢، ص ٦٢٠، ح ٨.

(١) مجمع البيان: ج ٩، ص ٢٨١.

عز وجل: ﴿وَأَن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾،
﴿هَذَا هُم يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يَلْقَاوا يَوْمَهُمُ الَّذِي هُمْ كَانُوا ﴿يُوعَدُونَ﴾﴾^(١)،
وقوله تعالى: ﴿حَتَّى يَلْقَاوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يَصْعَقُونَ﴾.

ثم قال أبو جعفر عليه السلام: «وَأَيْمُ اللَّهِ، لَا يَجَامِعُ أَحَدٌ فِي هَذِهِ الْأَوْقَاتِ
الَّتِي كَرِهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْجَمَاعَ فِيهَا، ثُمَّ رَزَقَ لَهُ وَلَدٌ، فَيُرَى فِي وَلَدِهِ مَا لَا
يُحِبُّ، بَعْدَ أَنْ يَكُونَ عِلْمٌ مَا نَهَى عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْأَوْقَاتِ الَّتِي كَرِهَ فِيهَا
الْجَمَاعَ وَاللَّهُوَ وَاللَّذَّةَ، وَاعْلَمْ - يَا بَنَ سَالِمٍ - أَنَّ مَنْ لَا يَجْتَنِبُ اللَّهُوَ وَاللَّذَّةَ
عِنْدَ ظُهُورِ الْآيَاتِ، مِمَّنْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوءًا»^(٢).

● س ٩: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ
وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾ [سورة الطور: ٤٨ - ٤٩]!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ أي
بِحفظنا وحرزنا ونعمتنا ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾، قال: صلاة الليل
﴿فَسَبِّحْهُ﴾، قال: قبل صلاة الليل^(٣).

وقال الرضا عليه السلام: «إِدْبَارُ السُّجُودِ: أَرْبَعُ رَكَعَاتٍ بَعْدَ الْمَغْرَبِ، وَإِدْبَارُ
النُّجُومِ: رَكَعَتَانِ قَبْلَ صَلَاةِ الصُّبْحِ»^(٤).

وقال الطبرسي (رحمه الله): «إِدْبَارُ النُّجُومِ﴾، يعني الرَكَعَتَيْنِ قَبْلَ
صَلَاةِ الْفَجْرِ. قال: وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام^(٥).

(٤) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٣٣.

(١) الزخرف: ٨٣.

(٥) مجمع البيان: ج ٩، ص ٢٥٧.

(٢) طب الأنمة: ص ١٣١.

(٣) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٣٣.

تفسير
سورة النّجم

رقم السورة - ٥٣ -

سورة النجم

س ١: ما هو فضل سورة النجم؟! ❁

الجواب/ قال أبو عبد الله عليه السلام: «من كان يدمن قراءة النجم في كل يوم، أو في كل ليلة، عاش محموداً بين الناس، وكان مغفوراً له، وكان محبوباً بين الناس»^(١).

ومن (خواص القرآن): روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من قرأ هذه السورة أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد صلى الله عليه وسلم، ومن كتبها في جلد نمر وعلقها عليه، قوي قلبه على كل سلطان دخل عليه»^(٢).

وقال الصادق عليه السلام: «من كتبها على جلد نمر وعلقها عليه، قوي بها على كل شيطان، ولا يخاصم أحداً إلا قهره، وكان له اليد والقوة بإذن الله تعالى»^(٣).

س ٢: ما هو معنى قوله تعالى: ❁

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰ إِلَيْكَ عَبْدِيهِ مَا أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١١ أَفَتَسْتَمِرُّونَهُ عَلَىٰ مَا بَرَأْتُمْ ۝١٢ وَلَقَدْ رَآهُ نَزَّلَةً

(٣) خواص القرآن: ص ٩ «مخطوط».

(١) ثواب الأعمال: ص ١١٦.

(٢) مجمع البيان: ج ٩، ص ١٧٠.

أُخْرِى ⑬ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ⑭ عِنْدَمَا جَنَّتْ اللَّوْحَةَ ⑮ إِذَ يَسْنَى السِّدْرَةَ مَا يَسْنَى ⑯ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَلَنَ ⑰ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ⑱ أَقْرَبَهُ بَيْتَهُ أَلَّتْ وَالْعُرَى ⑲ وَمَنْزَةُ الثَّالِثَةِ الْآخِرَى ⑳ الْكُمُ الذِّكْرُ وَهُوَ الْأَنْفُ ㉑ بَيْتِكَ إِذَا فَسَمَتْ ضَيْبِي ㉒ إِنْ هِيَ إِلَّا أُمَّةٌ سَمَيْتُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاءُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى ⑳ [سورة النجم: ١ - ٢٣]!

الجواب/ قال أبو جعفر عليه السلام ، في قوله عز وجل: ﴿والنجم إذا هوى﴾ ، قال: «أقسم بقبض محمد إذا قبض ﴿ما ضل صاحبكم﴾ بتفضيله أهل بيته ﴿وما غوى وما ينطق عن الهوى﴾ ، يقول: ما يتكلم بفضل أهل بيته بهواه، وهو قول الله عز وجل: ﴿إن هو إلا وحي يوحى﴾»^(١).

وقال جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام: «لما مرض النبي صلى الله عليه وآله مرضه الذي قبضه الله فيه، اجتمع إليه أهل بيته وأصحابه، فقالوا: يا رسول الله، إن حدث بك حدث، فمن لنا بعدك، ومن القائم فينا بأمرك، فلم يجبههم بجواب، وسكت عنهم، فلما كان اليوم الثاني أعادوا عليه [القول]، فلم يجبههم عن شيء مما سألوهم، فلما كان اليوم الثالث أعادوا عليه، وقالوا: يا رسول الله، إن حدث بك حدث، فمن لنا بعدك، ومن القائم فينا بأمرك؟ فقال لهم: إذا كان غد هبط نجم من السماء في دار رجل من أصحابي، فانظروا من هو، فهو خليفتي عليكم من بعدي، والقائم فيكم بأمري، ولم يكن فيهم أحد إلا وهو يطمع أن يقول له: أنت القائم من بعدي.

فلما كان في اليوم الرابع جلس كل رجل منهم في حجرته ينتظر هبوط النجم، إذ انقض نجم من السماء، قد غلب ضوءه على ضوء الدنيا حتى وقع

في حجرة علي عليه السلام ، فهاج القوم ، وقالوا : لقد ضل هذا الرجل وغوى ، وما ينطق في ابن عمه إلا بالهوى ، فأنزل الله تبارك وتعالى في ذلك : ﴿ والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾ ، إلى آخر السورة ^(١) .

وقال ابن عباس : صلينا العشاء الآخرة ذات ليلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما سلم ، أقبل علينا بوجهه ، ثم قال : «أما إنه سينقض كوكب من السماء مع طلوع الفجر ، فيسقط في دار أحدكم ، فمن سقط ذلك الكوكب في داره فهو وصي وخليفتي والإمام بعدي» .

فلما كان قرب الفجر جلس كل واحد منا في داره ، ينتظر سقوط الكوكب في داره ، وكان أطمع القوم في ذلك أبي العباس بن عبد المطلب ، فلما طلع الفجر انقض الكوكب من الهواء ، فسقط في دار علي بن أبي طالب عليه السلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي عليه السلام : «يا علي والذي بعثني بالنبوة ، لقد وجبت لك الوصية والخلافة والإمامة بعدي» . فقال المنافقون ، عبد الله بن أبي وأصحابه : لقد ضل محمد في محبة ابن عمه وغوى ، وما ينطق في شأنه إلا بالهوى ؛ فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ والنجم إذا هوى ﴾ ، يقول عز وجل وخالق النجم إذا هوى ﴿ ما ضل صاحبكم ﴾ ، يعني في محبة علي بن أبي طالب عليه السلام : ﴿ وما غوى وما ينطق عن الهوى ﴾ ، في شأنه ﴿ إن هو إلا وحي يوحى ﴾ .

ثم قال ابن بابويه : وحدثنا بهذا الحديث شيخ لأهل الري ، يقال له أحمد بن محمد بن محمد بن الصقر الصائغ العدل ، قال : حدثنا محمد بن العباس بن بسام ، قال حدثني أبو جعفر محمد بن أبي الهيثم السعدي ، قال : حدثني

(١) أمالي الصدوق : ص ٤٦٨ ، ح ١ .

أحمد بن أبي الخطاب، قال: حدثنا أبو إسحاق الفزاري، عن أبيه، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده عليه السلام، عن عبد الله بن عباس بمثل ذلك، إلا أن في حديثه: «يهوى كوكب من السماء مع طلوع الشمس ويسقط في دار أحدكم»^(١).

وقال ربيعة السعدي: سألت ابن عباس؛ عن قول الله عز وجل: «والنجم إذا هوى»، قال: هو النجم الذي هوى مع طلوع الفجر، فسقط في حجرة علي بن أبي طالب عليه السلام، وكان أبي العباس يحب أن يسقط ذلك النجم في داره، فيحوز الوصية والخلافة والإمامة، ولكن أبى الله أن يكون ذلك غير علي بن أبي طالب عليه السلام، وذلك فضله يؤتبه من يشاء^(٢).

وعن زين العابدين عليه السلام، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، أنه قال: «اجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة في عام فتح مكة، فقالوا: يا رسول الله، ما كان الأنبياء إلا أنهم إذا استقام أمرهم أن يوصي إلى وصي أو من يقوم مقامه بعده، ويأمره بأمره، ويسير في الأمة كسيرته؟ فقال صلى الله عليه وسلم: قد وعدني ربي بذلك، أن يبين ربي عز وجل من يحب أنه من الأمة بعدي من هو الخليفة على امتي بآية تنزل من السماء، ليعلموا الوصي بعدي. فلما صلى بهم صلاة العشاء الآخرة في تلك الساعة، نظر الناس إلى السماء، لينظروا ما يكون، وكانت ليلة ظلماء لا قمر فيها، وإذا بضوء عظيم قد أضاء المشرق والمغرب، وقد نزل نجم من السماء إلى الأرض، وجعل يدور على الدور حتى وقف على حجرة علي بن أبي طالب عليه السلام، وله شعاع هائل، وصار على الحجرة كالغطاء على الثنور، قد أظل شعاعه الدور، وقد فزع الناس، فجعل الناس يهللون ويكبرون، وقالوا: يا رسول الله، نجم قد نزل من السماء على ذروة

(١) أمالي الصدوق: ص ٤٥٣، ح ٤. (٢) أمالي الصدوق: ص ٤٥٤، ح ٥.

حجرة علي بن أبي طالب عليه السلام! قال: فقام وقال: هو والله، الإمام من بعدي، والوصي والقائم بأمري، فأطيعوه ولا تخالفوه، ولا تتقدموه، فهو خليفة الله في أرضه من بعدي.

قال: فخرج الناس من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال واحد من المنافقين: ما يقول في ابن عمه إلا بالهوى، وقد ركبه الغواية حتى لو تمكّن أن يجعله نبياً لفعل، قال: فنزل جبرئيل، وقال: يا محمد، العلي الأعلى يقرئك السلام، ويقول لك: اقرأ ﴿بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(١).

وقال علي بن إبراهيم: ﴿والنجم إذا هوى﴾، قال: النجم: رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿إذا هوى﴾ لما أسري به إلى السماء، وهو في الهواء، وهو رد على من أنكر المعراج، وهو قسم برسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو فضل له على سائر الأنبياء، وجواب القسم ﴿ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى﴾، أي لا يتكلم بالهوى: ﴿إن هو﴾ يعني القرآن ﴿إلا وحى يوحى علمه شديد القوى﴾ يعني الله عز وجل: ﴿ذو مرة فاستوى﴾ يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٢).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: ﴿إن الله عز وجل لم يبعث نبياً قط إلا صاحب مرة سوداء صافية، وما بعث الله نبياً قط حتى يقزله بالبداء﴾^(٣).

وقال علي بن إبراهيم: قوله تعالى: ﴿وهو بالأفق الأعلى﴾، يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى﴾، قال: كان من الله كما بين مقبض القوس إلى رأس السية^(٤) ﴿أو أدنى﴾ أي من نعمته ورحمته،

(١) البحار: ج ٣٥، ص ٢٧٥، ح ٣، عن الروضة لابن شاذان، الفضائل لابن شاذان: ص ٦٥.

(٢) تفسير النعمي: ج ٢، ص ٣٣٣.

(٣) الكافي: ج ٨، ص ١٦٥، ح ١٧٧.

(٤) سية القوس: ما عطف من طرفيها. (لسان العرب: ج ١٤، ص ٤١٧).

قال: بل أدنى من ذلك ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾، قال: وحي مشافهة^(١).

ثم قال علي بن إبراهيم: ﴿علمه شديد القوى﴾، ثم أذن له فرقى في السماء، فقال: ﴿ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الأعلى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى﴾، كان بين لفظه وبين سماع رسول الله كما بين وتر القوس وعودها.

أقول: قال رسول الله ﷺ: ﴿لما عرج بي إلى السماء، دنوت من ربي عز وجل، حتى كان بيني وبينه قاب قوسين أو أدنى، فقال: يا محمد من تحب من الخلق؟ قلت: يا رب علياً، قال: التفت يا محمد، فالتفت عن يساري، فإذا علي بن أبي طالب^(٢)﴾.

﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾، فسئل رسول الله ﷺ عن ذلك الوحي، فقال: ﴿أوحى إليّ أن علياً سيد الوصيين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، وأول خليفة يستخلفه خاتم النبيين﴾ فدخل القوم في الكلام، فقالوا له: أمن الله ومن رسوله؟ فقال الله جل ذكره لرسوله ﷺ: قل لهم: ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾، ثم رد عليهم، فقال: ﴿أفتمارونه على ما يرى﴾، ثم قال لهم رسول الله ﷺ: ﴿قد أمرت فيه بغير هذا، أمرت أن أنصبه للناس، وأقول لهم: هذا وليكم من بعدي، وهو بمنزلة السفينة يوم الفرق، من دخل فيها، نجا، ومن خرج عنها غرق﴾.

ثم قال: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾، يقول: رأيت الوحي مرة أخرى: ﴿عند سدره المنتهى﴾، التي يتحدث تحتها الشيعة في الجنان، ثم قال الله عز وجل: ﴿إذ يغشى السدرة ما يغشى﴾ يقول: إذ يغشى السدرة ما يغشى من

(٢) الأمامي: ج ١، ص ٣٦٢.

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٣٤.

حجب النور: ﴿ما زاغ البصر﴾. يقول: ما عمي البصر عن تلك الحجب ﴿وما طغى﴾ يقول: وما طغى القلب بزيادة فيما أوحى إليه، ولا نقصان: ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ يقول: لقد سمع كلاماً لولا أنه قوي ما قوي^(١).

ثم قال علي بن إبراهيم في قوله تعالى: ﴿ولقد رءاه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى﴾ قال: في السماء السابعة، وأما الرد على من أنكر خلق الجنة والنار، فقوله تعالى: ﴿عندها جنة المأوى﴾ أي عند سدرة المنتهى في السماء السابعة. وجنة المأوى عندها^(٢).

وقال صفوان بن يحيى: سألتني أبو قرّة المحدث أن أدخله على أبي الحسن الرضا عليه السلام، فاستأذنته في ذلك، فأذن لي، فدخل عليه، فسأله عن الحلال والحرام والأحكام حتى بلغ سؤاله إلى التوحيد، فقال أبو قرّة: إنا روينا أن الله قسم الرؤية والكلام بين نبيين، فقسم الكلام لموسى، ولمحمد الرؤية.

فقال أبو الحسن عليه السلام: «فمن المبلغ عن الله إلى الثقلين من الجن والإنس: لا تدركه الأبصار، ولا يحيطون به علماً، وليس كمثله شيء، أليس محمد صلى الله عليه وآله؟ قال: بلى. قال: كيف يجيء رجل إلى الخلق جميعاً فيخبرهم أنه جاء من عند الله، وأنه يدعوهم إلى الله بأمر الله فيقول: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾^(٣) و﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ﴾^(٤)، و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٥)، ثم يقول: أنا رأيتُه بعيني، وأحطت به علماً، وهو على صورة البشر؟! أما تستحيون، ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا، أن يكون يأتي من عند الله بشيء

(٤) طه: ١١٠.

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٣٤.

(٥) الشورى: ١١.

(٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٣٥.

(٣) الأنعام: ١٠٣.

ثم يأتي بخلافه من وجه آخر.

قال أبو قرزة: فإنه يقول: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾؟

فقال أبو الحسن عليه السلام: «إن بعد هذه الآية ما يدل على ما رأى، حيث قال: ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ يقول: ما كذب فؤاده ما رأت عيناه، ثم أخبر بما رأى، فقال: ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾، فأيات الله غير الله، وقد قال الله عز وجل: ﴿ولا يحيطون به علماً﴾ فإذا رآته الأبصار فقد أحاط به العلم، ووقعت المعرفة».

فقال أبو قرزة: فتكذب بالروايات؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: «إذا كانت الروايات مخالفة للقرآن كذبتها، وما أجمع المسلمون عليه أنه لا يحاط به علماً، ولا تدركه الأبصار، وليس كمثل شيء»^(١).

وقال حبيب السجستاني: سألت أبا جعفر عليه السلام، عن قوله عز وجل: ﴿ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾، فقال لي: «يا حبيب، لا تقرأها هكذا، اقرأ: (ثم دنا فتداني فكان قاب قوسين في القرب أو أدنى فأوحى إلى عبده - يعني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - ما أوحى).

يا حبيب إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما افتتح مكة أتعب نفسه في عبادة الله عز وجل والشكر لنعمه في الطواف بالبيت، وكان علي عليه السلام معه، فلما غشيها الليل انطلقا إلى الصفا والمروة يريدان السعي، قال: فلما هبطا من الصفا إلى المروة، وصارا في الوادي دون العلم الذي رأيت، غشيها من السماء نور، فأضاءت لهما جبال مكة، وخشعت أبصارهما، قال: ففرعا لذلك فرعاً شديداً، قال: فمضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى ارتفع عن الوادي، وتبعه علي عليه السلام، فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأسه إلى السماء، فإذا هو برمانتين على

(١) الكافي: ج ١، ص ٧٤، ح ٢.

رأسه، قال: فتناولهما رسول الله ﷺ، فأوحى الله عز وجل إلى محمد: يا محمد، إنهما من قطف الجنة، فلا يأكل منهما إلا أنت ووصيك علي بن أبي طالب، قال: فأكل رسول الله ﷺ إحداهما، وأكل علي بن أبي طالب الأخرى، ثم أوحى الله عز وجل إلى محمد ﷺ ما أوحى.

قال أبو جعفر عليه السلام: «يا حبيب، ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى»، يعني عندما وافى جبرئيل حين صعد إلى السماء، قال: فلما انتهى إلى محل السدرة وقف جبرئيل دونها، وقال: يا محمد، إن هذا موقفي الذي وضعني الله عز وجل فيه، ولن أقدر على أن أتقدمه، ولكن امض أنت أمامك إلى السدرة، فقف عندها - قال - فتقدم رسول الله ﷺ إلى السدرة، وتخلف جبرئيل عليه السلام.

قال أبو جعفر عليه السلام: «إنما سميت سدرة المنتهى، لأن أعمال أهل الأرض تصعد بها الملائكة الحفظة إلى محل السدرة، والحفظة الكرام البررة دون السدرة، يكتبون ما ترفع إليهم الملائكة من أعمال العباد في الأرض، قال: فيتتهون به إلى محل السدرة».

قال: «فنظر رسول الله ﷺ فرأى أغصانها تحت العرش وحوله، قال: فتجلى لمحمد ﷺ نور الجبار عز وجل، فلما غشي محمد ﷺ النور، شخص ببصره وارتعدت فرائضه، قال: فشد الله عز وجل لمحمد ﷺ قلبه، وقوى له بصره، حتى رأى من آيات ربه ما رأى، وذلك قوله عز وجل: «ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى»، يعني الموافاة، قال: فرأى محمد ﷺ ببصره من آيات ربه الكبرى، يعني أكبر الآيات».

قال أبو جعفر عليه السلام: «وإن غلظ السدرة لمسيرة مائة عام من أيام الدنيا، وإن الورقة منها تغطي أهل الدنيا، وإن الله عز وجل ملائكة، وكلهم بنات الأرض من الشجر والنخل، فليس من شجرة ولا نخلة إلا ومعها من الله عز

وجلّ ملائكة تحفظها وما كان فيها، ولولا أن معها من يمنعها لأكلها السباع وهوام الأرض، إذا كان فيها ثمرها، قال: وإنما نهى رسول الله ﷺ أن يضرب أحد من المسلمين خباءه تحت شجرة أو نخلة قد أثمرت، لمكان الملائكة الموكلين بها، قال: ولذلك يكون الشجر والنخل أنساً إذا كان فيه حملة، لأن الملائكة تحضره»^(١).

وقال ثابت بن دينار: سألت زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، عن الله جل جلاله، هل يوصف بمكان؟ فقال: «تعالى الله عن ذلك».

قلت: لم أسرى بنبيه ﷺ إلى السماء؟ قال: «ليريه ملكوت السماوات وما فيها من عجائب صنعه وبدائع خلقه».

قلت: فقول الله عزّ وجلّ: ﴿ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى﴾؟ قال: «ذاك رسول الله ﷺ، دنا من حجب النور، فرأى ملكوت السماوات، ثم تدلى ﷺ فنظر من تحته إلى ملكوت الأرض، حتى ظن أنه في القرب من الأرض كقاب قوسين أو أدنى»^(٢).

وسأل رجل يقال له عبد الغفار السلمى أبا إبراهيم موسى بن جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى﴾، قال: أرى ها هنا خروجاً من حجب، وتدلياً إلى الأرض، وأرى محمداً رأى ربه بقلبه، ونسب إلى بصره، فكيف هذا؟ فقال أبو إبراهيم عليه السلام: ﴿دنا فتدلى﴾ فإنه لم يزل من موضع، ولم يتدل ببدن».

فقال عبد الغفار أصفه بما وصف به نفسه حيث قال: ﴿دنا فتدلى﴾، فلم يتدل ببدن عن مجلسه، وإلا قد زال عنه، ولولا ذلك لم يوصف بذلك

(١) علل الشرائع: ص ٢٧٦، ح ١. (٢) علل الشرائع: ص ١٣١، ح ١.

نفسه؟ فقال أبو إبراهيم عليه السلام: «إن هذه لغة قريش، إذا أراد الرجل منهم أن يقول: قد سمعت، يقول: قد تدلّيت؛ وإنما التدلّيت: الفهم»^(١).

وفي (الاحتجاج) أيضاً: عن أمير المؤمنين عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَأَىٰ نَزْلَةَ أُخْرَىٰ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ﴾: «يعني محمداً صلى الله عليه وآله حين كان عند سدرة المنتهى، حيث لا يتجاوزها خلق من خلق الله عز وجل، وقوله في آخر الآية: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾، رأى جبرئيل عليه السلام في صورته مرتين: هذه المرة، ومرة أخرى، وذلك أن خلق جبرئيل [خلق] عظيم، فهو من الروحانيين، الذين لا يدرك خلقهم ولا صفتهم إلا الله رب العالمين»^(٢).

وقال علي بن إبراهيم: قوله تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ قال: لما رفع الحجاب بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله، غشي نوره السدرة، وقوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾، أي لم ينكر ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾، أي رأى جبرئيل على ساقه الدر مثل القطر على البقل، له ستمائة جناح، قد ملأ ما بين السماء والأرض.

وقوله تعالى: ﴿أَفْرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ قال: اللات رجل، والعزى امرأة، وقوله تعالى: ﴿وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ قال: صنم بالمشلل خارج من الحرم على ستة أميال يسمى المناة.

قوله تعالى: ﴿الْكَمَّ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَىٰ﴾ قال: هو ما قالت قريش: إن الملائكة هم بنات الله، فرد عليهم، فقال: ﴿الْكَمَّ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَىٰ تِلْكَ إِذْ أَدْبَأْتُمْ بِغُلَامِكُمْ وَالْكَافَّةَ﴾ أي ناقصة، ثم قال: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا نَجْفًا مُّضْتًا وَمَنَاةَ إِسْهَابًا﴾ يعني اللات والعزى ومناة

(١) الاحتجاج: ص ٣٨٦.

(٢) الاحتجاج: ص ٢٤٣.

﴿لَا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَإِبْرَاهِيمَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ أي من حجة^(١).

أقول: فلا دليل لديكم من العقل، ولا دليل عن طريق الوحي على مدعاكم، وليس لديكم إلا حفة من الأوهام والخيالات الباطلة.

ثم يختم القرآن الآية بالقول: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ فهذه الخيالات والموهومات وليدة هوى النفس ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾...

إلا أنهم أغمضوا أعينهم عنه وخلفوه وراء ظهورهم وتاهوا في هذه الأوهام والضلالات!

❁ س ٣: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى ﴿٢١﴾ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ﴿٢٥﴾﴾ [سورة النجم: ٢٤ - ٢٥]؟!.

الجواب/ قال الشيخ الطبرسي: ثم أنك عليهم تمنيم شفاعة الأوثان، فقال لهم: ﴿أم للإنسان﴾ أي للكافر ﴿ما تمنى﴾ من شفاعة الأصنام. ﴿فله الآخرة والأولى﴾ فلا يملك فيهما أحد شيئاً إلا بإذنه. وقيل: معناه بل للإنسان ما تمنى من غير جزاء، لا ليس الأمر كذلك، لأن الله الآخرة والأولى، يعطي منهما من يشاء، ويمنع من يشاء. وقيل: معناه ليس للإنسان ما تمنى من نعيم الدنيا والآخرة، بل يفعله الله تعالى بحسب المصلحة، ويعطي الآخرة للمؤمنين دون الكافرين. وهذا هو الوجه الأوجه، لأنه أعم فيدخل تحته الجميع^(٢).

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٣٨.

(٢) مجمع البيان: ج ٩، ص ٢٩٥.

س ٤: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي عَنْهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُرِضُ﴾ ﴿٢٦﴾ [سورة النجم: ٢٦]!

الجواب/ قال الطبرسي في (مجمع البيان): في قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ﴾ الآية، قال ابن عباس: يريد لا تشفع الملائكة إلا لمن رضي الله عنه، كما قال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾^(١).

وعن علي بن أبي طالب عليه السلام، وعن جابر الأنصاري، كليهما عن النبي صلى الله عليه وآله، قال: «أنا واركم على الحوض، وأنت يا علي الساقى، والحسن الرائد، والحسين الأمر، وعلي بن الحسين الفارط، ومحمد بن علي الناشر، وجعفر بن محمد السائق، وموسى بن جعفر محصي المحبين والمبغضين وقامع المنافقين، وعلي بن موسى مزين المؤمنين، ومحمد بن علي منزل أهل الجنة في درجاتهم، وعلي بن محمد خطيب شيعتهم ومزوجهم الحور، والحسن بن علي راج أهل الجنة، يستضيئون به، والهادي المهدي شفيعهم يوم القيامة، حيث لا يأذن إلا لمن يشاء ويرضى»^(٢).

س ٥: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْتَوُونَ أَللَّهُكَ تَسِيَةً الْأُنثَىٰ﴾ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَنْ مَن قَوْلِكَ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَا يُرِيدُ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَن اهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ

(١) مجمع البيان: ج ٩، ص ٢٦٨، والآية من سورة الأنبياء: ٢٨.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب: ج ١، ص ٢٩٢.

لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَتَوْا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَقِّ ﴿٦﴾

(سورة النجم: ٢٧ - ٣١)!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسي: ثم ذم سبحانه مقالتهم فقال: ﴿إن الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ أي لا يصدقون بالبعث والشواب والعقاب. ﴿ليسمون الملائكة تسمية الأنثى﴾ حين زعموا أنهم بنات الله ﴿وما لهم به﴾ أي بتلك التسمية ﴿من علم﴾ أي ما يستيقنون أنهم إناث، وليسوا عالمين. ﴿إن يتبعون إلا الظن﴾ الذي يجوز أن يخطئ ويصيب في قولهم ذلك ﴿وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً﴾ الحق هنا معناه العلم أي: الظن لا يغني عن العلم شيئاً، ولا يقوم مقام العلم. ثم خاطب نبيه ﷺ فقال: ﴿فأعرض﴾ يا محمد ﴿عن من تولى عن ذكرنا﴾ ولم يقر بتوحيدنا ﴿ولم يرد إلا الحياة الدنيا﴾ فمال إلى الدنيا ومنافعها أي: لا تقابلهم على أفعالهم واحتملهم، ولا تدع مع هذا وعظهم ودعاءهم إلى الحق ﴿ذلك مبلغهم من العلم﴾ أي: الإعراض عن التدبر في أمور الآخرة، وصرف الهمة إلى التمتع باللذات العاجلة، منتهى علمهم، وهو مبلغ خسيس لا يرضى به لنفسه عاقل لأنه من طباع البهائم أن يأكل في الحال، ولا ينتظر العواقب. وفي الدعاء: ﴿اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا﴾. ﴿إن ربك﴾ يا محمد ﴿هو أعلم﴾ منك، ومن جميع الخلق ﴿بمن ضل عن سبيله﴾ أي بمن جار وعدل عن سبيل الحق الذي هو سبيله ﴿وهو أعلم بمن اهتدى﴾ إليها، فيجاز كلا منهم على حسب أعمالهم^(١).

ثم أخبر سبحانه عن كمال قدرته، وسعة ملكه فقال: ﴿ولله ما في السماوات وما في الأرض﴾ وهذا اعتراض بين الآية الأولى، وبين قوله

(١) مجمع البيان: ج ٩، ص ٢٩٦.

﴿ليجزى الذين أسأؤوا بما عملوا﴾ واللام في ﴿ليجزى﴾ تتعلق بمعنى الآية الأولى، لأنه إذا كان أعلم بهم، جازى كلاً منهم بما يستحقه، وذلك لام العاقبة، وذلك أن علمه بالفريقين أدى إلى جزائهم باستحقاقهم. وإنما يقدر على مجازاة المحسن والمسيء، إذا كان كثير الملك، ولذلك أخبر به في قوله ﴿ولله ما في السماوات وما في الأرض ليجزي﴾ في الآخرة ﴿الذين أسأؤوا﴾ أي أشركوا بما عملوا من الشرك. ﴿ويجزى الذين أحسنوا﴾ أي وحدوا ربهم ﴿بالحسن﴾ أي الجنة. وقيل: إن اللام ﴿ليجزى﴾ يتعلق بما في قوله ﴿ولله ما في السماوات وما في الأرض﴾ لأن المعنى في ذلك: إنه خلقهم ليعبدهم، فمنهم المحسن، ومنهم المسيء. وإنما كلفهم ليجزي كلاً منهم بعلمه عمله. فتكون اللام للعرض^(١).

❁ س ٦: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَعْفَرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ آيَةً فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوْا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [سورة التنجيم: ٣٢]!

الجواب/ قال أبو جعفر الثاني عليه السلام: [«سمعت أبي يقول: سمعت أبي موسى بن جعفر عليه السلام يقول: دخل عمرو بن عبيد على أبي عبد الله عليه السلام، فلما سلّم وجلس تلا هذه الآية ﴿الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش﴾ ثم أمسك، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: ما أسكتك؟ قال: أحب أن أعرف الكبائر من كتاب الله عز وجل.

فقال: نعم - يا عمرو - وأكبر الكبائر الشرك بالله، يقول الله: ﴿ومن

يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة^(١)، وبعده اليأس من روح الله، لأن الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّهُمْ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٢) ثم الأمن من مكر الله، لأن الله عز وجل يقول: ﴿قَلَّا يَا مَنْ مَكَّرَ اللَّهُ إِلَّا الْقَوْمَ الْخَاسِرُونَ﴾^(٣)، ومنها عقوق الوالدين، لأن الله سبحانه جعل العاق جباراً شقيماً، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، لأن الله عز وجل يقول: ﴿فَجَزَاءُ مِنْهُمْ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾^(٤)، إلى آخر الآيات، وقذف المحصنة، لأن الله عز وجل يقول: ﴿لَمِنَّا فِي الذُّبَابِ وَالْآخِرَةِ وَلَمْ نَكُنْ عَدَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٥) وأكل مال اليتيم، لأن الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَخَّلْتُمْ سَوِيرًا﴾^(٦)، والفرار من الزحف، لأن الله عز وجل يقول: ﴿وَمَنْ يُؤْمَرْ بِرُؤُوسِهِمْ إِلَّا مَتَحَرِّفًا لِقَالٍ أَوْ مَتَحَرِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَكَتْ بِمَضْمُونِ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾^(٧)، وأكل الربا، لأن الله عز وجل يقول: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾^(٨)، والسحر، لأن الله عز وجل يقول: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾^(٩)، والزنا، لأن الله عز وجل يقول: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْمَكَادِبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخَلَّدُ فِيهِ مُهَانًا﴾^(١٠)، واليمين الغموس^(١١) الفاجرة، لأن الله عز وجل يقول: ﴿الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا

(١) المائدة: ٧٢، وفي المصحف هكذا (إنه من يشرك...).

(٢) يوسف: ٨٧ . (٣) الأعراف: ٩٩ .

(٤) النساء: ٩٣ . (٥) النور: ٢٣ .

(٦) النساء: ١ . (٧) الأنفال: ١٦ .

(٨) البقرة: ٢٧٥ . (٩) البقرة: ١٠٢ .

(١٠) الفرقان: ٦٨ ، ٦٩ .

(١١) اليمين الغموس: التي تغمس صاحبها في الإثم ثم في النار. «لسان العرب»: ج ٦،

أُولَئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ ﴿١١﴾، والغلول^(٢)، لأن الله عز وجل يقول: ﴿وَمَنْ يَغْلُ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(٣)، ومنع الزكاة المفروضة لأن الله عز وجل يقول: ﴿فَتَكُونُ بِهَا جَاهُهُمْ وَجُودُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾^(٤)، وشهادة الزور وكنمان الشهادة، لأن الله عز وجل يقول: ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾^(٥)، وشرب الخمر، لأن الله عز وجل نهى عنها، كما نهى عن عبادة الأوثان، وترك الصلاة متعمداً، أو شيئاً مما فرض الله، لأن رسول الله ﷺ قال: من ترك الصلاة متعمداً فقد برىء من ذمة الله وذمة رسوله، ونقض العهد وقطعية الرحم، لأن الله عز وجل يقول: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكٰفِرُونَ وَلَهُمُ السَّوْءُ النَّارُ﴾^(٦). قال: فخرج عمرو وله صراخ من بكائه، وهو يقول: هلك من يقول برأيه، ونازعكم في الفضل والعلم^(٧).

وقال محمد بن مسلم: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أرأيت قول الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾؟ قال: «هو الذنب يلم به الرجل، فيمكث ما شاء الله، ثم يلم [به] بعد»^(٨). وقال أبو عبد الله عليه السلام: «ما من مؤمن إلا وله ذنب يهجره زماناً ثم يلم به، وذلك قول الله عز وجل: ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾».

(١) آل عمران: ٧٧.

(٢) غل يغل غلواً: خان. «لسان العرب»: ج ١١، ص ٤٩٩.

(٣) آل عمران: ١٦١.

(٤) التوبة: ٣٥.

(٥) البقرة: ٢٨٣.

(٦) الرعد: ٢٥.

(٧) الكافي: ج ٢، ص ٢١٧، ح ٢٤.

(٨) الكافي: ج ٢، ص ٣٢٠، ح ١.

وسأله عن قول الله عز وجل: ﴿الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللطم﴾، قال: الفواحش: الزنا والسرقه، واللمم: الرجل يلم بالذنب فيستغفر الله منه^(١).

وقال أبو عبد الله عليه السلام، قال: «ما من ذنب إلا وقد طبع عليه عبد مؤمن، يهجره زماناً ثم يلم به، وهو قول الله عز وجل: ﴿الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللطم﴾، قال: اللطم: العبد الذي يلم بالذنب بعد الذنب، ليس من سليقته». أي من طبعه^(٢).

وقال ابن رثاب: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن المؤمن لا يكون سجيته الكذب والبخل والفجور، وربما ألم من ذلك شيئاً لا يدوم عليه». قيل: فيزني؟ قال: «نعم، ولكن لا يولد له من تلك النطفة»^(٣).

وقال زرار: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الكبائر؟ فقال: «هن في كتاب علي عليه السلام سبع: الكفر بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين، وأكل الربا بعد اليته، وأكل مال اليتيم ظلماً، والفرار من الزحف، والتعرب بعد الهجرة».

قال: قلت: هذا أكبر المعاصي؟ قال: «نعم».

قلت: فأكل درهم من مال اليتيم ظلماً أكبر، أم ترك الصلاة؟ قال: «ترك الصلاة».

قلت: فما عدت ترك الصلاة في الكبائر؟ فقال: «أي شيء أول ما قلت لك؟» [قال]: قلت: الكفر. قال: «فإن تارك الصلاة كافر». يعني من غير علة^(٤).

وقال أبو إسحاق الليثي، قال أبو جعفر عليه السلام، في حديث: «اقرأ يا

(١) الكافي: ج ٢، ص ٣٢٠، ح ٣. (٢) الكافي: ج ٢، ص ٣٢١، ح ٦.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ٣٢٠، ح ٥. (٤) الكافي: ج ٢، ص ٢١٢، ح ٨.

إبراهيم: ﴿الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة وهو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض﴾، يعني من الأرض الطيبة، والأرض المنتنة ﴿فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى﴾، منكم، يقول: لا يفتخر أحدكم بكثرة صلاته وصيامه وزكاته ونسكه، لأن الله عز وجل أعلم بمن اتقى منكم، فإن ذلك من قبل اللمم، وهو المزاج^(١).

أقول: يتحدث القرآن في ذيل الآية عن علم الله المطلق مؤكداً عدالته في مجازاة عباده حسب أعمالهم فيقول: ﴿هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم﴾^(٢).

وقوله ﴿أنشأكم من الأرض﴾ إما هو باعتبار الخلق الأول عن طريق آدم عليه السلام الذي خلقه من تراب، أو باعتبار أن ما يتشكّل منه وجود الإنسان كلّ من الأرض، حيث له الأثر الكبير في التغذية وتركيب النطفة، ثم بعد ذلك له الأثر في مراحل نمو الإنسان أيضاً.

وعلى كل حال، فإن الهدف من هذه الآية أنّ الله مطلع على أحوالكم وعليه بكم منذ كنتم ذرّات في الأرض ومن يوم انعقدت نطفتكم في أرحام الأمهات في أسجاف من الظلمات فكيف - مع هذه الحال - لا يعلم أعمالكم؟!

وقال جميل بن دراج: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى﴾، قال: «قول الإنسان: صليت البارحة، وصمت أمس، ونحو هذا».

ثم قال عليه السلام: «إن قوماً كانوا يصبحون فيقولون: صلينا البارحة، وصمنا أمس، فقال علي عليه السلام: لكنني أنام الليل والنهار، ولو أجد شيئاً بينهما

(١) علل الشرائع: ص ٦١٠، ح ٨١.

(٢) الأجنة: جمع جنين: الطفل الذي في بطن أمه...

لنتمته^(١).

س ٧: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴿٦٦﴾ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ﴿٦٧﴾ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى ﴿٦٨﴾

أَمْ لَمْ يَبْتَأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ﴿٦٩﴾ [سورة النجم: ٣٣ - ٣٦]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسي: ﴿فرايت الذي تولى﴾ أي أدبر عن الحق ﴿وأعطى قليلاً وأكدى﴾ أي أمسك عن العطية وقطع. وقيل: منع منعاً شديداً، ﴿اعنده علم الغيب﴾ أي ما غاب عنه من أمر العذاب. ﴿فهو يرى﴾ أي يعلم أن صاحبه يتحمل عنه عذابه ﴿أم لم يبتأ بما في صحف موسى﴾ أي بل ألم يخبر ولم يحدث بما في أسفار التوراة^(٢).

س ٨: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَأَبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴿٦٧﴾﴾ [سورة النجم: ٣٧]؟!

الجواب/ قال أبو حمزة: قلت لأبي جعفر (عليه السلام): ما عنى بقوله تعالى: ﴿إبراهيم الذي وفى﴾؟ قال: «كلمات بالغ فيهن».

قلت: وما هن؟ قال: «كان إذا أصبح، قال: أصبحت وربّي محمود، أصبحت لا أشرك بالله شيئاً، ولا أدعو معه إلهاً، ولا أتخذ من دونه ولياً، ثلاثاً، وإذا أمسى قالها ثلاثاً، قال: فأنزل الله تبارك وتعالى في كتابه: ﴿إبراهيم الذي وفى﴾»^(٣).

وقال علي بن إبراهيم: وفى بما أمره الله به من الأمر والنهي وذبح

ابنة^(٤).

(٣) الكافي: ج ٢، ص ٣٨٨، ح ٣٨.

(١) معاني الأخبار: ص ٢٤٣، ح ١.

(٤) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٣٨.

(٢) مجمع البيان: ج ٩، ص ٣٠٠.

❁ س ٩ : ما هو معنى قوله تعالى :

﴿أَلَا نُرِذُّ وَازِرَةً وِزْرًا نُفْرِنًا ۗ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ۗ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ۗ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ۗ﴾ [سورة النجم: ٣٨ - ٤١]؟!

الجواب/ قال جعفر بن محمد عليه السلام الأعمش، فيما وصف له من شرائع الدين: «إن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها، ولا يكلفها فوق طاقتها، وأفعال العباد مخلوقة خلق تقدير لا خلق تكوين، والله خالق كل شيء، ولا نقول بالجبر ولا بالتفويض، ولا يأخذ الله عز وجل البريء بالسقيم، ولا يعذب الله عز وجل الأبناء بذنوب الآباء قال في محكم كتابه: ﴿وَلَا نُزِذُّ وَازِرَةً وِزْرًا أُخْرَى﴾^(١) وقال عز وجل: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ .

ولله عز وجل أن يعفو وأن يتفضل، وليس له تعالى أن يظلم، ولا يفرض الله تعالى على عباده طاعة من يعلم أنه يغويهم ويضلهم، ولا يختار لرسالته، ولا يصطفي من عباده من يعلم أنه يكفر به ويعبد الشيطان دونه، ولا يتخذ على خلقه حجة إلا معصوماً^(٢).

وقال الطبرسي: ﴿وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ يُرَى﴾ يعني: إن ما يفعله الإنسان، ويسعى فيه، لا بد أن يرى فيما بعد بمعنى أنه يجازى عليه. وبين ذلك بقوله: ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾ أي يجازى على الطاعات بأوفى ما يستحقه من الثواب الدائم. والهاء في يجزاه عائد إلى السعي، والمعنى: إنه يرى العبد سعيه يوم القيامة، ثم يجزى سعيه أوفى الجزاء^(٣).

(١) الأنعام: ١٦٥.

(٢) التوحيد: ص ٤٠٦، ح ٥، الخصال: ص ٦٠٣، ح ٩.

(٣) مجمع البيان: ج ٩، ص ٣٠١.

❁ س ١٠ : ما هو معنى قوله تعالى :

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ أَلْسُنُكُمْ﴾ [سورة النجم: ٤٢]؟

الجواب/ قال سليمان بن خالد: قال أبو عبد الله عليه السلام : «يا سليمان إن الله عز وجل يقول: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾، فإذا انتهى إلى الله فأمسكوا»^(١).

وقال زرارة: قلت لأبي جعفر عليه السلام : إن الناس قبلنا قد أكثروا في الصفة، فما تقول؟ فقال: «مكروه، أما تسمع الله عز وجل يقول: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾، [تكلّموا فيما دون ذلك]»^(٢).

وقال أبو عبد الله عليه السلام : «إذا انتهى الكلام إلى الله فأمسكوا، وتكلّموا فيما دون العرش، فإن قوماً تكلّموا فيما فوق العرش فتأهت عقولهم، حتى كان الرجل ينادى من بين يديه فيجيب من خلفه، وينادى من خلفه، فيجيب من بين يديه»^(٣).

❁ س ١١ : ما هو معنى قوله تعالى :

﴿وَأَنََّّهُ هُوَ أَضْحَكٌ وَأَبْكِي﴾^(٤٣) وَأَنََّّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَلَعِينًا^(٤٤) وَأَنََّّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ^(٤٥) [سورة النجم: ٤٣ - ٤٥]؟

الجواب/ ١ - قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَأَنََّّهُ هُوَ أَضْحَكٌ وَأَبْكِي﴾ أضحك أمير المؤمنين وحمزة وعبيدة والمسلمين، وأبكى كفار مكة حتى قتلوا ودخلوا النار^(٤).

وقال علي بن إبراهيم، في قوله تعالى: ﴿وَأَنََّّهُ هُوَ أَضْحَكٌ وَأَبْكِي﴾،

(٣) تفسير القمي: ج ١، ص ٢٥.

(٤) المناقب: ج ٣، ص ١١٨.

(١) المحاسن: ص ٢٣٧، ح ٢٠٦.

(٢) التوحيد: ص ٤٥٧، ح ١٨.

قال: أبكى السماء بالمطر، وأضحك الأرض بالنبات، قال الشاعر:
كل يوم بأقحوان جديد تضحك الأرض من بكاء السماء^(١)
٢ - قال الشيخ الطبرسي (رحمه الله): (وأنه هو أمات وأحيا) أي خلق
الموت فأمات به الأحياء، لا يقدر على ذلك غيره، لأنه لو قدر على الموت،
لقدر على الحياة، فإن القادر على الشيء قادر على ضده، ولا يقدر أحد على
الحياة إلا الله تعالى. وخلق الحياة التي تحيا بها الحيوان، فأمات الخلق في
الدنيا، وأحياهم في العقبى للجزاء. (وأنه خلق الزوجين) أي الصنفين (الذكر
والأنثى) من كل حيوان.

س ١٢: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ﴿١٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْآخِرَى ﴿١٧﴾﴾ [سورة النجم: ٤٦ - ٤٧]!

الجواب/ ١ - قال علي بن إبراهيم: تتحول النطفة إلى الدم، فتكون أولاً
دماً، ثم تصير النطفة في الدماغ في عرق يقال له الوريد، وتمر في فقار
الظهر، فلا تزال تجوز فقرة فقرة حتى تصير في الحالبين، فتصير بيضاء، وأما
نطفة المرأة فإنها تنزل من صدرها^(٢).

٢ - قال الشيخ الطبرسي (رحمه الله تعالى): (وأن عليه النشأة الآخرة)
أي الخلق الثاني للبعث يوم القيامة، يعني عليه أن يبعث الناس أحياء للجزاء.
فإن قيل: إن لفظة (على) كلمة إيجاب فكيف يجب على الله سبحانه ذلك؟

فالجواب: إنه سبحانه إذا كلف الخلق، فقد ضمن الثواب. فإذا فعل
فيهم الألام، فقد ضمن العوض. فإذا لم يعوض في الدنيا، وخلق بين
المظلوم والظالم، فلا بد من دار أخرى يقع فيه الجزاء والإنصاف
والإنتصاف. وقد وعد سبحانه ذلك فيجب الوفاء به.

(٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٣٩.

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٣٩.

س ١٣ : ما هو معنى قوله تعالى :

﴿وَأَنْتَ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ [سورة النجم: ٤٨]؟

الجواب/ قال جعفر بن محمد، عن أبائه عليهم السلام :

قال أمير المؤمنين عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿وأنه هو أغنى وأقنى﴾،

قال: «أغنى كل إنسان بمعيشته، وأرضاه بكسب يده»^(١).

س ١٤ : ما هو معنى قوله تعالى :

﴿وَأَنْتَ هُوَ رَبُّ الشُّعْرَىٰ﴾ [سورة النجم: ٤٩] وَأَنْتَ أَهْلَكَ عَادَا الْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودًا ﴿٥١﴾ وَمَا أَقْبَىٰ ﴿٥٢﴾ وَوَمَوْجٌ مِّنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطَىٰ ﴿٥٣﴾

[سورة النجم: ٤٩ - ٥٢]؟

الجواب/ ١ - قال علي بن إبراهيم القمي: قوله: ﴿وأنه هو رب

الشعري﴾: هو نجم في السماء، يسمى الشعري، كانت قريش وقوم من

العرب يعبدونه، وهو نجم يطلع في آخر الليل^(٢).

٢ - قال الشيخ الطبرسي: ﴿وأنه أهلك عادا الأولى﴾ وهو عاد بن إرم،

وهم قوم هود أهلكهم الله بريح صرصر عاتية، وكان لهم عقب فكانوا عاداً

الأخرى. أهلكوا ببغي بعضهم على بعض، ففانوا بالقتل.

﴿وتمود﴾ أي وأهلك تمود ﴿فما أبقى﴾ ولا يجوز أن يكون منصوباً

بأبقى، لأن ﴿ما﴾ لا يعمل ما بعدها فيما قبلها، لا يقال: زيدا ما ضربت،

لأنها تجري مجرى الاستفهام في أن لها صدر الكلام.

وإنما فتحت أن في هذه المواضع كلها، لأن جميعها في صحف إبراهيم

وموسى، فكانه قال: أم لم ينبا بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفي بانه

(٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٣٩.

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٣٩.

إلا تزر وازرة وزر أخرى، وبأنه كذا وكذا. ﴿وقوم نوح من قبل﴾ أي: وأهلكنا قوم نوح من قبل عاد وثمود. ﴿إنهم كانوا هم أضلم وأطغى﴾ من غيرهم، لطول دعوة نوح، وعتوهم على الله في الكفر والتكذيب^(١).

❁ س ١٥: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى ﴿٥٢﴾ فَفَسَّنَهَا مَا عَشَّتْ ﴿٥١﴾﴾ [سورة النجم: ٥٣ - ٥٤]!

الجواب/ قال أبو بصير: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قوله عز وجل: ﴿والمؤتلفة أهوى﴾؟

قال: «هم أهل البصرة، هي المؤتلفة».

[قلت]: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى أَنَّهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾^(٢)؟

قال: «أولئك قوم لوط، اتفكت عليهم، أي انقلبت عليهم»^(٣).

وقال علي بن إبراهيم: قوله تعالى: ﴿والمؤتلفة أهوى﴾، قال:

المؤتلفة: البصرة، والدليل على ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام: «يا أهل البصرة، يا أهل المؤتلفة، يا جند المرأة، وأتباع البهيمة، رغا فأجبتهم، وعقر فانهمتم، ماؤمك زعاق^(٤)، وأديانكم^(٥) رقاق^(٦)، وفيكم ختم النفاق، ولعنتم

(١) مجمع البيان: ج ٩، ص ٣٠٥.

(٢) التوبة: ٧٠.

(٣) الكافي: ج ٨، ص ١٨، ح ٢٠٢.

(٤) ماء زعاق: مر غليظ لا يطاق شربه من أجوجته. «لسان العرب»: ج ١، ص ١٤١.

(٥) وقيل: أحلامكم.

(٦) الرقة: مصدر الرقيق عامٌ في كل شيء حتى يقال: فلان رقيق الدين. «لسان العرب»: ج ١٠، ص ١٢٢.

على لسان سبعين نبياً، إن رسول الله ﷺ أخبرني أن جبرئيل عليه السلام أخبره أنه طوى له الأرض، فرأى البصرة أقرب الأرضين من الماء، وأبعدها من السماء، وفيها تسعة أعشار الشرِّ والداء العُضال، المقيم فيها مذنب، والخارج منها [متدارك] برحمة [من ربه]، وقد اتفكت بأهلها مرتين، وعلى الله [تمام] الثالثة، وتمام الثالثة في الرجعة^(١).

وقال الطبرسي: ﴿فغشاها﴾ أي ألبسها من العذاب ما ألبس يعني الحجارة المسومة التي رموا بها من السماء. وقيل: إنه تفخيم لشأن العذاب الذي نالها من جهة إبهامه في قوله ﴿ما غشى﴾ فكأنه قال: قد حل بهم من العذاب والتنكيل ما يجلب عن البيان والتفصيل^(٢).

س ١٦: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿فَبِأَيِّ آءِ آلَاءِ رَبِّكَ تَمَارًا﴾ [سورة النجم: ٥٥]!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: أي بأي سلطان تخاصم^(٣).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «الشك على أربع شعب: على المرية، والتردد، والاستسلام، وهو قول الله عز وجل: ﴿فَبِأَيِّ آءِ آلَاءِ رَبِّكَ تَمَارًا﴾^(٤).

س ١٧: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذْرِ الْأُولَىٰ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ الْأَرْفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ

كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَئِن هَذَا لَلَّذِي تَتَّبِعُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَكُونُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنْتُمْ سَائِدُونَ ﴿٦١﴾

فَاتَّخِذُوا لِلَّهِ وَأَعْبُدُوا ﴿٦٢﴾﴾ [سورة النجم: ٥٦ - ٦٢]!

الجواب/ قال معمر: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل:

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٣٩. (٣) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٤٠.

(٢) مجمع البيان: ج ٩، ص ٣٠٥. (٤) الكافي: ج ٢، ص ٢٨٩، ح ١.

﴿هذا نذير من النذر الأولى﴾ ، قال : «إن الله تعالى لما ذرأ الخلق إلى الذر الأول، فأقامهم صفوفاً، وبعث الله محمداً ﷺ ، فأمن به قوم، وأنكره قوم، فقال الله عز وجل : ﴿هذا نذير من النذر الأولى﴾ يعني به محمداً ﷺ ، حيث دعاهم إلى الله عز وجل في الذر الأول»^(١).

وقال أبو عبد الله عليه السلام : «ما بعث الله نبياً أكرم من محمداً ﷺ ، ولا خلق قبله أحداً، ولا أنذر الله خلقه بأحد من خلقه قبل محمداً ﷺ ، فذلك قوله تعالى : ﴿هذا نذير الأولى﴾ ، وقال : ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾^(٢) فلم يكن قبله مطاع في الخلق، ولا يكون بعده إلى أن تقوم الساعة، في كل قرن إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها»^(٣).

وقال علي بن إبراهيم، في قوله تعالى : ﴿أزفت الأزفة﴾ قال : قربت القيامة ﴿ليس لها من دون الله كاشفة﴾ ، أي لا يكشفها إلا الله ﴿أفمن هذا الحديث تعجبون﴾ أي ما قد تقدم ذكره من الأخبار^(٤).

وقال الطبرسي : يعني بالحديث ما تقدم ذكره من الأخبار، عن الصادق عليه السلام^(٥).

وقال علي بن إبراهيم، في قوله تعالى : ﴿وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون﴾ ، أي ساهون - وقيل لاهون -^(٦).

أقول : ويقول القرآن في آخر آية من الآيات : ﴿فاسجدوا لله واعبدوا﴾ . فإذا أردتم أن تسيروا في الصراط المستقيم والسبيل الحق فاسجدوا لذاته المقدسة فحسب، إذ لله وحده تنتهي الخطوط في عالم الوجود، وإذا أردتم

(١) تفسير القمي : ج ٢، ص ٣٤٠. (٤) تفسير القمي : ج ٢، ص ٣٤٠.

(٢) الرعد : ٧. (٥) مجمع البيان : ج ٩، ص ٢٧٧.

(٣) الأمالي : ج ٢، ص ٢٨٢. (٦) تفسير القمي : ج ٢، ص ٣٤٠.

النجاة من العواقب الوخيمة التي أصابت الأمم السالفة لشركهم، وكفرهم فوقعوا في قبضة عذاب الله، فاعبدوا الله وحده.

الذي يجب النظر - كما جاء في روايات متعددة - أن النبي ﷺ عندما تلا هذه الآية وسمعها المؤمنون والكافرون سجدوا لها جميعاً.

ووفقاً لبعض الروايات أن الوحيد الذي لم يسجد لهذه الآية عند سماعها هو «الوليد ابن المغيرة» [لعله لم يستطع أن ينحني للسجود] فأخذ قبضة من التراب ووضعها على جبهته فكان سجوده بهذه الصورة.

تفسير
سورة القمر

رقم السورة - ٥٤ -

سورة القمر

❁ س ١: ما هو فضل سورة القمر؟!

الجواب/ من (خواص القرآن): روي عن النبي ﷺ، أنه قال: «من قرأ هذه السورة بعثه الله تعالى يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر، مسفراً على وجه الخلائق، ومن قرأها كل ليلة كان أفضل؛ ومن كتبها يوم الجمعة وقت الصلاة الظهر وجعلها في عمامته أو تعلقها، كان وجيهاً أينما قصد وطلب»^(١).

وقال الصادق عليه السلام: «من كتبها يوم الجمعة عند صلاة الظهر وعلقها على عمامته، كان عند الناس وجيهاً ومقبولاً، وسهلت عليه الأمور الصعبة بإذن الله تعالى»^(٢).

❁ س ٢: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿اَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَاَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿١﴾ [سورة القمر: ١ - ٢]؟!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: في قوله تعالى: ﴿اقتربت الساعة﴾، قربت القيامة، فلا يكون بعد رسول الله ﷺ إلا القيامة، وقد انقضت النبوة والرسالة، وقوله تعالى: ﴿وانشق القمر﴾، فإن قريشاً سألت رسول الله ﷺ،

(١) البرهان: ج ٩، ص ٢٨٥.

(٢) خواص القرآن: ص ٩ «مخطوط».

أن يريهم آية، فدعا الله فانشق القمر نصفين حتى نظروا إليه، ثم التأم، فقالوا: هذا سحر مستمر، أي صحيح^(١).

ثم قال علي بن إبراهيم: حدثنا يونس: قال [لي] أبو عبد الله عليه السلام: «اجتمع أربعة عشر رجلاً أصحاب العقبة ليلة أربع عشرة من ذي الحجة، فقالوا للنبي صلى الله عليه وآله: ما من نبي إلا وله آية، فما آيتك في ليلتك هذه؟ فقال [النبي صلى الله عليه وآله]: ما الذي تريدون؟ فقالوا: إن يكن لك عند ربك قدر فأمر القمر أن ينقطع قطعتين. فهبط جبرئيل عليه السلام، وقال: يا محمد، إن الله يقرتك السلام ويقول لك: إني قد أمرت كل شيء بطاعتك، فرفع رأسه فأمر القمر أن ينقطع قطعتين، فانقطع قطعتين، فسجد النبي صلى الله عليه وآله شكراً [لله]، وسجد شيعتنا، ثم رفع النبي صلى الله عليه وآله رأسه ورفعوا رؤوسهم، ثم قالوا: يعود كما كان. فعاد كما كان، ثم قالوا: ينشق رأسه! فأمره فانشق، فسجد النبي صلى الله عليه وآله شكراً لله، وسجد شيعتنا، فقالوا: يا محمد، حين تقدم سفارنا من الشام واليمن نسألهم ما رأوا في هذه الليلة، فإن يكونوا رأوا مثل ما رأينا، علمنا أنه من ربك، وإن لم يروا مثل ما رأينا، علمنا أنه سحر سحرتنا به! فأنزل الله: ﴿اقتربت الساعة﴾ إلى آخر السورة^(٢).

وقال الصادق عليه السلام: «لما ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله بالرسالة، ودعا الناس إلى الله تعالى، تحيرت قبائل قريش، وقال بعضهم لبعض: ما ترون [من الرأي في] ما يأتينا من محمد كرة بعد كرة مما لا يقدر عليه السحرة والكهنة؟ واجتمعوا على أن يسألوه شق القمر في السماء، وإنزاله إلى الأرض شعبتين، وقالوا: إن القمر ما سمعنا في سائر النبيين أحداً قدر عليه، كما قدر على الشمس، فإنها ردت ليوشع بن نون وصي موسى عليه السلام، وكان الناس يظنون

(٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٤١.

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٤٠.

أنها لا ترد عن موضعها. وأجمعوا أمرهم وجاءوا إلى النبي ﷺ، فقالوا: يا محمد، اجعل بيننا وبينك آية، إن أتيت بها آمناً بك وصدقناك. فقال لهم: سلوا، فإني أتاكم بكل ما تختارون. فقالوا: الوعد بيننا وبينك سواد الليل وطلوع القمر، وأن تقف بين المشعرين، فتسأل ربك الذي تقول إنه أرسلك رسولاً، أن يشق القمر شعبتين وينزله، من السماء حتى ينقسم قسمين، ويقع قسم على المشعرين وقسم على الصفا.

فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر، أنا وفي بالعهدي، فهل أنتم موفون بما قلتكم إنكم تؤمنون بالله ورسوله؟ قالوا: نعم يا محمد. وتسامع الناس، ثم تواعدوا سواد الليل. وأقبل الناس يهرعون إلى البيت وحوله حتى أقبل الليل وأسود، وطلع القمر وأنار، والنبي ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام ومن آمن بالله ورسوله، يصلّون خلف النبي ﷺ ويطوفون بالبيت.

وأقبل أبو لهب وأبو جهل وأبو سفيان على النبي ﷺ، فقالوا: الآن يبطل سحرك وكهانتك وحيلتك، هذا القمر، فأوف بوعدك. فقال النبي ﷺ: قم - يا أبا الحسن - فقف بجانب الصفا، وهرول إلى المشعرين، وناد نداء ظاهراً، وقل في ندائك: اللهم رب البيت الحرام، والبلد الحرام، وزمزم والمقام، ومرسل الرسول التهامي، ائذن للقمر أن ينشق وينزل إلى الأرض، فيقع نصفه على الصفا ونصفه على المشعرين، فقد سمعت سرنا ونجوانا وأنت بكل شيء عليم.

قال: فتضاحكت قريش فقالوا: إن محمداً قد استشفع بعلي، لأنه لم يبلغ الحلم ولا ذنب له، وقال أبو لهب: لقد أشمتني الله بك - يا بن أخي - في هذه الليلة. فقال رسول الله ﷺ: إخساً، يا من أتب الله يديه، ولم ينفعه ماله، وتبوأ مقعده من النار. قال أبو لهب: لأفضحتك في هذه الليلة بالقمر وشقه وإنزاله إلى الأرض، وإلا آلفت كلامك هذا وجعلته سورة، وقلت: هذا أوحى إلي في أبي لهب.

فقال النبي ﷺ: امض يا علي فيما أمرتك واستعد بالله من الجاهلين .
وهروا عليّ ﷺ من الصفا إلى المشعرين، ونادى وأسمع ودعا، فما استتم
كلامه حتى كادت الأرض أن تسيخ بأهلها، والسماء أن تقع على الأرض،
فقالوا: يا محمد، حيث أعجزك شق القمر أتيتنا بسحرك لتفتنا به . فقال النبي
(صلوات الله عليه وآله): هان عليكم ما دعوت الله به . فإن السماء والأرض
لا يهون عليهما ذلك، ولا يطيقان سماعه، فقفوا بأماكنكم وانظروا إلى القمر .
قال: ثم إن القمر انشق نصفين، قسم وقع على الصفا، وقسم وقع على
المشعرين، فأضاءت دواخل مكة وأوديتها وشعابها، وصاح الناس من كل
جانب آمنا بالله ورسوله . وصاح المنافقون: أهلكتنا بسحرك فافعل ما تشاء،
فلن نؤمن لك بما جئتنا به، ثم رجع القمر إلى منزله من الفلك، وأصبح
الناس يلوم بعضهم بعضاً، ويقولون لكبرائهم: والله لنؤمنن بمحمد،
ولنقاتلنكم معه مؤمنين به، فقد سقط الحجّة وتبينت الأعدار، وتبين الحق .
وأنزل الله عزّ وجل في ذلك اليوم سورة أبي لهب واتصلت به . فقال: آه
لمحمد، نظر ما قلته له في تأليفه هذا الكلام، والله إن محمداً ليعاديني لكفري
به وتكذيبي له، فإنه ليس من أولاد عبد المطلب، لما أتت أمه بتلك الفاحشة
وحرقها أبونا عبد المطلب على الصفا، وكان أشدهم له جحداً الحارث والزيبر
وأبو لهب، فحلفت باللات والعزى أنه من أيننا عبد المطلب حتى ألحقت عبد
الله بالنسب، فمن أجل ذلك شعر وألف هذا الذي زعم أنه سورة أنزلها الله
عليه في، فوحد اللات والعزى لو أتى محمد بما يملأ الأفق في من مدح ما
آمنت به، وحسبي أن أباين محمداً من أهل بيته فيما جاء به، ولو عذبنى رب
الكَعْبَةِ بالنار .

فأمن في ذلك اليوم ستمائة واثنا عشر رجلاً أسر أكثرهم إيمانه وكتمه
إلى أن هاجر رسول الله ﷺ، ومات أبو لهب على كفره، وقتل أبو جهل،

وَأَمَّنْ أَبُو سَفِيَانَ وَمَعَاوِيَةَ وَعْتَبَةَ يَوْمَ الْفَتْحِ، وَالْعَبَّاسَ وَزَيْدَ بْنَ الْخَطَّابِ وَعَقِيلَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّنْ كَثِيرٌ مِنْهُمْ تَحْتَ الْقَتْلِ، ثَمَانُونَ رَجُلًا، وَكَانُوا طُلُقَاءَ وَلَمْ يَنْفَعَهُمْ إِيْمَانُهُمْ^(١).

❁ س ٣: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ ۝١﴾ وَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٢ حِكْمَةٌ بَلِيغَةٌ فَمَا تُغْنِ التَّذْذِرُ ۝٣ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِيَ إِلَىٰ أَفْئِهِ تُكْذِرُ ۝٤ خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ۝٥﴾ [سورة القمر: ٣ - ٧]؟!!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم القمي: قوله تعالى: ﴿وكذبوا واتبعوا أهواءهم﴾ أي كانوا يعملون برأيهم، ويكذبون أنبياءهم [أقول: وبالنسبة لقوله تعالى: ﴿وكل أمر مستقر﴾، يعني أن كل إنسان يجازي بعمله وفعله، فالصالحون سيكون مستقرهم صالحاً، والأشرار سيكون مستقرهم الشر.

ويحتمل أن يكون المراد من هذا التعبير هو أن كل شيء في هذا العالم لا يفنى ولا يزول، فالأعمال الصالحة أو السيئة تبقى مع الإنسان حتى يرى جزاء ما فعل.

وقال: قوله: ﴿ولقد جاءهم من الأنبياء ما فيه مزدجر﴾، أي متعظ.

أقول: [ويضيف تعالى: ﴿حكمة بالغة فما تغن النذر﴾] فهذه الآيات حكم إلهية بليغة ومواعظ مؤثرة، إلا أنها لا تفيد أهل العناد. والآية التي بعدها تؤكد على أن هؤلاء ليسوا على استعداد لقبول الحق، فآتركهم لحالهم وأعرض عنهم وتذكر يوم يدعو الداعي الإلهي إلى أمر مخيف، وهو الدعوة

إلى الحساب، حيث يقول سبحانه: ﴿فتول عنهم يوم يدع الداع إلى شيء نكر﴾.

وعلى هذا تكون عبارة: ﴿يوم يدع الداع﴾ عبارة مستقلة ومنفصلة عن جملة: ﴿فتول عنهم﴾، لكن البعض يرى أن كل واحدة من الجملتين مكملة للأخرى، حيث يذهبون إلى أن قوله تعالى: ﴿فتول عنهم﴾ جاءت بصيغة الأمر للرسول ﷺ بالإعراض عن المشكرين الذين يرجون الشفاعة منه يوم القيامة عندما يدعوهم الداعي الإلهي للحساب. وهذا الرأي مستبعد جداً.

وهنا يثار السؤال التالي: هل الداعي هو الله سبحانه؟ أم الملائكة؟ أم إسرافيل الذي يدعو الناس ليوم الحشر عندما ينفخ في الصور؟ أم جميع هؤلاء؟

ذكر المفسرون احتمالات عدة للإجابة على هذا التساؤل، ولكن بالرجوع إلى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِمَنُوعٍ﴾^(١)، يرجح الرأي الأول. رغم أن الآيات اللاحقة تتناسب مع كون الداعي هم الملائكة المختصون بشؤون الحساب والجزاء.

أما المراد من ﴿شيء نكر﴾ فهو الحساب الإلهي الدقيق الذي لم ين معلوماً من حيث وقته قبل قيام الساعة، أو العذاب الذي لم يخطر على بالهم، أو جميع هذه الأمور، ذلك لأن يوم القيامة في جميع أحواله حالة غير مألوفة للبشر.

وقال علي بن إبراهيم: «الإمام عليه السلام [إذا خرج] يدعوهم إلى ما ينكرون»^(٢).

(١) الإسراء: ٥٢.

(٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٤١.

[أقول: وفي الآية اللاحقة يبين الله سبحانه وتعالى توضيحاً أكثر حول هذا الموضوع ويذكر أن هؤلاء يخرجون من القبور في حالة: ﴿خشعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر﴾.]

نسبة «الخشوع» هنا للأبصار لأن المشهد مرعب ومخيف إلى حد لا تستطيع الأنظار رؤيته، لذلك فإنها تتحول عنه وتطرّق نحو الأسفل.

والتشبيه هنا بـ ﴿الجراد المنتشر﴾ لأنّ النشور في يوم الحشر يكون بصورة غير منتظمة لحالة الهول التي تعترى الناس فيه، كما هي حركة انتشار الجراد التي تتمثل فيها الفوضى والاضطراب خلافاً للقسم الأكبر من حركة الطيور التي تطير وفق نظم خاصّة في الجو، مضافاً إلى أنّهم كالجراد من حيث الضعف وعدم القدرة.

نعم، إنّ حالة هؤلاء الفاقدين للعلم والبصيرة، حالة ذهول ووحشة وتخيّب في المسير كالسكارى يرتطم بعضهم ببعض فاقدين للوعي والإرادة كما في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ﴾^(١). والحقيقة أن هذا التشبيه هو ما ورد أيضاً في الآية (٤) من سورة القارعة حيث يقول سبحانه: ﴿يوم يكون الناس كالفراش المبثوث﴾.]

❁ س ٤: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكٰفِرُونَ هٰذَا يَوْمٌ عَرِيبٌ﴾^(٨) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمٌ نُوحٍ فكَذَّبُوا عِبَادَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدَجِرُوا^(٩) فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ^(١٠)

[سورة القمر: ٨ - ١٠]!

الجواب/ أقول: قوله تعالى: ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾ فإن كلمة «مهطعين» تأتي من مادة (هطاع) أي مذ الرقبة، والبعض يرجعها إلى النظر بانتباه أو

الكرض بسرعة نحو الشيء، ويحتمل أن تكون كل واحدة من هذه المعاني هي المقصودة، ولكن المعنى الأول هو الأنسب، لأن الإنسان عند سماعه لصوت موحش يمد رقبته على الفور وينتبه إلى مصدر الصوت، ويمكن أن تكون هذه المفاهيم مجتمعة في الآية الكريمة حيث أنّ بمجرد سماع صوت الداعي الإلهي تمدّ الرقاب إليه ثم يتبعه التوجّه بالنظر نحوه، ثم الإسراع إليه والحضور في المحكمة الإلهية العادلة عند دعوتهم إليها.

وقال ثوير بن أبي فاختة: سمعت علي بن الحسين عليهما السلام يحدث في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: «حدثني أبي أنه سمع أباه علي بن أبي طالب عليه السلام يحدث الناس، قال: إذا كان يوم القيامة بعث الله تبارك وتعالى الناس من حفرهم غرلاً بهماً^(١) جرداً مردأً في صعيد واحد يسوقهم النور، وتجمعهم الظلمة، حتى يقفوا على عقبة المحشر، فيركب بعضهم بعضاً، ويزدحمون دونها، فيمنعون من المضي، فتشتد أنفاسهم، ويكثر عرقهم، وتضيق بهم أمورهم، ويشتد ضجيجهم وترتفع أصواتهم. قال: وهو أول هول من أهوال يوم القيامة، قال: فيُشرف الجبار تبارك وتعالى عليهم من فوق عرشه [في ظلل من الملائكة فيأمر ملكاً من الملائكة، فينادي فيهم]: يا معشر الخلائق، أنصتوا واسمعوا منادي الجبار، قال: فيسمع آخرهم كما يسمع أولهم، قال: فتتكسر أصواتهم عند ذلك، وتخضع أبصارهم، وتضطرب فرائصهم، وتفرع قلوبهم، ويرفعون رؤوسهم إلى ناحية الصوت مهطعين إلى الداعي، قال: فعند ذلك يقول الكافرون هذا يوم عسر^(٢).

وقال علي بن إبراهيم: ثم حكى الله عز وجل هلاك الأمم الماضية،

(١) الغزل: جمع الأغزل، وهو الأقف. والبهيم: جمع بهيم، وهو في الأصل الذي لا يخالط لونه لون سواه، يعني ليس فيهم شيء من العاهات والأعراض التي تكون في الدنيا.

(٢) الكافي: ج ٨، ص ١٠٤، ح ٧٩.

فقال: ﴿كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر﴾ أي آذوه وأرادوا رجمه^(١).

أقول: ثم يضيف تعالى أن نوح عندما يشس من هداية قومه تماماً، ﴿فدعا ربه إني مغلوب فانتصر﴾ والغلبة الذكورة في الآية الكريمة لم تكن غلبة في الحجّة والدليل أو البرهان على عدم صحّة الدعوة، وإنما كانت تتجسد بالظلم والجناية والتكذيب والإنكار وأنواع الزجر والضغط... ولهذا فإن هؤلاء القوم لا يستحقّون البقاء، فانتقم لنا منهم وانصرنا عليهم.

وقال الطبرسي في (الاحتجاج): روي أن أمير المؤمنين عليه السلام كان جالساً في بعض مجالسه بعد رجوعه من النهران، فجرى الكلام حتى قيل له: لم لا حاربت أبا بكر وعمر كما حاربت طلحة والزبير ومعاوية؟

فقال علي عليه السلام: «إني كنت لم أزل مظلوماً مستأثراً على حقي». فقام إليه الأشعث بن قيس فقال: يا أمير المؤمنين. لم لم تضرب بسيفك، ولم تطلب بحقك؟ فقال: «يا أشعث، قد قلت قولاً فاسمع الجواب وعه، واستشعر الحجّة، إن لي أسوة بستة من الأنبياء (صلوات الله عليهم أجمعين).

أولهم: نوح حيث قال: ﴿وب أني مغلوب فانتصر﴾ فإن قال قائل: إنه قال هذا لغير خوف فقد كفر، وإلا فالوصي أعذر^(٢).

س ٥: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّثَهَّرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ الْأَلْوَجِ وُدُّسِرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّذَكِّرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ بَسْرْنَا

أَلْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَدَايَ وَيُنذِرِ ﴿١٨﴾ إِنَّا
 أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ [سورة القمر: ١١ - ١٩] الجواب/ قال علي بن إبراهيم، في قوله تعالى: ﴿ففتحننا أبواب السماء
 بماء منهمر﴾، قال: صبُّ بلا قطر ﴿وفجرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء﴾،
 قال: ماء السماء وماء الأرض ﴿على أمر قد قدر وحملناه﴾، يعني نوحاً
 ﴿على ذات ألواح ودسر﴾ قال: ذات ألواح: السفينة، والدُّسر: المسامير،
 وقيل: الدسر: ضرب من الحشيش، تشد به السفينة ﴿تجري بأعيننا﴾ أي
 بأمرنا وحفظنا.

وقصة نوح قد مضى الحديث فيها في سورة هود فلتؤخذ من هناك^(١).
 قوله تعالى: ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ أي يسرناه لمن
 نذكر، قوله تعالى: ﴿إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً﴾، أي باردة^(٢).
 وقد ذكرنا حديث الرياح الأربع في سورة الجاثية^(٣).

وسأل شامي أمير المؤمنين عليه السلام، فقال له: «أخبرني عن يوم الأربعاء
 والتطير منه ونفله، وأي أربعاء هو»، قال عليه السلام: «آخر أربعاء من الشهر، وهو
 المحاق، وفيه قتل قابيل وهابيل أخاه، ويوم الأربعاء أرسل الله عز وجل الرياح
 على قوم عاد»^(٤).

أقول: ومن هنا فإن الكثير من المفسرين يرتبون أثراً على هذه الزوايات،
 ويعتبرون أن آخر أربعاء من كل شهر هو يوم نحس، ويطلقون عليه «أربعاء لا

(١) تقدم في تفسير الآيات (٣٦ - ٤٩) من سورة هود.

(٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٤١.

(٣) تقدم في الحديث من تفسير الآيات (١ - ٥) من سورة الجاثية.

(٤) تفسير نور الثقلين: ج ٥، ص ١٨٣، ح ٢٥.

تدور ﴿ أي لا تتكرر .

وذكر عن الحسن بن مسعود أحد أصحاب الإمام علي الهادي عليه السلام أنه قال: دخلت على أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام ، وقد نكبت إصبعي، وتلقاني راكب فصدم كتفي، ودخلت في زحمة فخرقوا عليّ بعض ثيابي. فقلت: كفانا الله شرك من يوم فما أشامك!، فقال عليه السلام لي: «يا حسن هذا وأنت تغشانا ترمي بذنبك من لا ذنب له».

قال الحسن: فأنا ب إلي عقلي، وتبينت خطأي، فقلت يا مولاي؛ استغفر لي.

فقال عليه السلام: «يا حسن، ما ذنب الأيام حتى صرتم تتشاءمون منها إذا جوزيتم بأعمالكم».

قال الحسن: أنا أستغفر الله أبداً، وهي توبتي، يا ابن رسول الله.

قال عليه السلام: «والله ما ينفعكم ولكن الله يعاقبكم بذمها على ما لا ذم عليها فيه، أما علمت يا حسن أنّ الله هو المثيب والمعاقب والمجازي بالأعمال عاجلاً وآجلاً؟».

قلت: بلى يا مولاي.

قال عليه السلام: «لا تعد ولا تجعل للأيام صنماً في حكم الله».

قال الحسن: بلى يا ابن رسول الله^(١).

أقول: إن هذا الحديث الهامّ يشير إلى أنّ التأثير الممكن حصوله في الأيام مردّه إلى أمر الله تعالى، وليس للأيام تأثير مستقل على حياة الإنسان، ولا بدّ من استشعار لطف الله دائماً، الذي لا غنى لنا عنه أبداً، وبذلك لا

(١) تحف العقول، عن بحار الأنوار، ج ٥٩، ص ٢ باختصار.

ينبغي أن نتصور الحوادث التي هي بمثابة كفارة لأعمالنا وسيئاتنا غالباً على أنها مرتبطة بتأثير الأيام ونبرىء أنفسنا منها، ولعلّ هذا البيان أفضل طريق للجمع بين الأخبار المختلفة في هذا الباب.

❁ س ٦: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ [سورة القمر: ٢٠]!

الجواب/ قال وهب بن منبه: أن الريح العقيم تحت هذه الأرض التي تحت هذه الأرض التي نحن عليها، قد زمت بسبعين ألف زمام من حديد، قد وكل بكل زمام سبعون ألف ملك، فلما سلطها الله عز وجل على عاد، استأذنت خزنة الريح ربها عز وجل أن يخرج منها في مثل منخري الثور، ولو أذن الله عز وجل لها ما تركت شيئاً على ظهر الأرض إلا أحرقته، فأوحى الله عز وجل إلى خزنة الريح: أن أخرجوا منها مثل ثقب الخاتم فأهلكوا بها. وبها ينسف الله عز وجل الجبال نسفاً، والتلال الآكام والمدائن والقصور يوم القيامة، وذلك قوله عز وجل: ﴿وَسَنُلَوِّنَكُم مِّنَ الْجِبَالِ فَغُورًا يَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (١)، والسقاع: الذي لا نبات فيه، والصفصف: الذي لا عوج فيه، والأمت: المرتفع، وإنما سميت العقيم لأنها تلتقت بالعذاب، وتعقمت عن الرحمة كتعقم الرجل إذا كان عقيماً لا يولد له، وطحنت تلك القصور والمدائن والمصانع، حتى عاد ذلك كله رملاً رقيقاً تسفيه الريح، فذلك قوله عز وجل: ﴿مَا نَذُرُ مِن شَيْءٍ أَنتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَمَلَةٌ كَالرَّمِيمِ﴾ (٢).

وإنما كثر الرمل في تلك البلاد، لأن الريح طحنت تلك البلاد وعصفت

(١) طه: ١٠٥ - ١٠٧.

(٢) الذاريات: ٤٢.

عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوا، فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية، والحسوم: الدائمة، ويقال: المتتابعة الدائمة. وكانت ترفع الرجال والنساء فتهب بهم صعداً، ثم ترمي بهم من الجو، فيقعون على رؤوسهم منكسرين، تقلع الرجال والنساء من تحت أرجلهم، ثم ترفعهم، فذلك قوله عز وجل: ﴿تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر﴾، والتنزع: القلع، وكانت الريح تعصف الجبل كما تعصف المساكن فتطحنها، ثم تعود رملاً رقيقاً، فمن هناك لا يرى في الرمل جبل، وإنما سميت عاد إرم ذات العماد، من أجل أنهم كانوا يسلخون العمد من الجبال، فيجعلون طول العمد مثل طول الجبل الذي يسلخونه من أسفله إلى أعلاه، ثم يتقلون تلك العمد فينصبونها، ثم يبنون القصور عليها، فسميت ذات العماد لذلك^(١).

س ٧: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿كَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿١١﴾ وَلَقَدْ بَيَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿١٣﴾ فَقَالُوا أَبْنَا بِنَا وَإِجْدًا نَبَعُهُ إِيَّا إِذَا لَيْ سَلَئِلٍ وَسُعْرٍ ﴿١٤﴾ أَهْلِيكَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿١٥﴾ سَيَعْلَمُونَ عَذَابَ مِنَ الكَذَّابِ الْآثِرِ ﴿١٦﴾ إِيَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ فَنَنَّا لَهُمْ فَاتَّقِيهِمْ وَأَظْطَرُّ ﴿١٧﴾ وَيَنْتَهُم أَنْ الْمَاءَ فَسَمَّا بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرْبٍ مُخَضَّرٍ ﴿١٨﴾ فَادَّارُوا صَالِحٍم فَنَطْلُو فَمَقَرَّ ﴿١٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٢٠﴾ إِيَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صِبْغَةً وَجِدَّةً فَكَانُوا كَهَشِيرِ الْغَضَبِ ﴿٢١﴾﴾ [سورة القمر: ٢١ - ٣١]!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسي: ﴿فكيف كان عذابي ونذري﴾ وهو تعظيم العذاب النازل بهم، وتخويف لكفار مكة. ثم أقسم سبحانه فقال: ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ قد فسرناه. وقيل: إنه سبحانه إنما أعاد ذكر التيسير، لينبئ أنه يسره على كل حال، وكل وجه من وجوه التيسير،

(١) علل الشرائع: ص ٣٣، ح ١.

فسر الوجوه التي يسر الله تعالى بها القرآن، هو أن أبان عن الحكم الذي يعمل عليه، والمواعظ التي يرتدع بها، والمعاني التي تحتاج إلى التنبيه عليها، والحجج التي يميز بها بين الحق والباطل. . . ﴿كذبت ثمود بالنذر﴾ أي بالإنذار الذي جاءهم به صالح. ومن قال: إن النذر جمع نذير قال: معناه أنهم كذبوا الرسل بتكذيبهم صالحاً، لأن تكذيب واحد من الرسل، كتكذيب الجميع، لأنهم متفقون في الدعاء إلى التوحيد وإن اختلفوا في الشرائع. ﴿فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه﴾ أي أنتبع آدمياً مثلنا، وهو واحد ﴿إنا إذا لفي ضلال﴾ أي: نحن إن فعلنا ذلك، في خطأ وذهاب عن الحق ﴿وسعمر﴾ أي: وفي عناء وشدة عذاب، فيما يلزمننا من طاعته. وقيل: في جنون. والفائدة في الآية بيان شبهتهم الركيكة التي حملوا لتحمل أعباء الرسالة، لأن لم يصلح له غيره من جهة معرفته بربه، وسلامة ظاهره وباطنه، وقيامه بما كلف من الرسالة. ﴿ألقي الذكر عليه من بيننا﴾ هذا استفهام إنكار وجحود أي. كيف ألقي الوحي عليه، وخص بالنبوة من بيننا، وهو واحد منا. ﴿بل كذاب﴾ فيما يقول ﴿أشرك﴾ أي بطر متكبر، يريد أن يتعظم علينا بالنبوة. ثم قال سبحانه: ﴿سيعلمون غداً من الكذاب الأشرك﴾ وهذا وعيد لهم أي سيعلمون يوم القيامة إذا نزل بهم العذاب، أهو الكذاب أم هم في تكذبه، وهو الأشر البطر أم هم. فذكر مثل لفظهم مبالغة في توبيخهم وتهديدهم. لأنما قال ﴿غدا﴾ على وجه التقرير على عادة الناس في ذكرهم الغد، والمراد به العاقبة. قالوا: إن مع اليوم غداً. ﴿إنا مرسلو الناقة فتنة لهم﴾ أي نحن باعثو الناقة بإنشائها على ما طلبوها معجزة لصالح، وقطعاً لعذرهم، وامتحاناً واختباراً لهم. وههنا حذف، وهو أنهم تعنتوا على صالح، فسألوه أن يخرج لهم من صخرة ناقة حمراء عشراء، تضع. ثم ترد ماءهم فتشربه. ثم تعود عليهم بمثله لبناً، فقال سبحانه إنا باعثوها كما سألوها ﴿فتنة لهم﴾. ﴿فارتقبهم﴾ أي: انتظر أمر الله

فيهم . وقيل : فارتقبهم أي انتظر ما يصنعون . ﴿واصطبر﴾ على ما يصيبك من الأذى حتى يأتي أمر الله فيهم . ﴿ونبتهم﴾ أي أخبرهم ﴿إن الماء قسمة بينهم﴾ يوم للناقة، ويوم لهم ﴿كل شرب محتضر﴾ أي كل نصيب من الماء يحضره أهله، لا يحضر آخر معه، ففي يوم الناقة تحضره الناقة، وفي يومهم يحضرونه هم . وحضر واحتضر بمعنى واحد . وإنما قال ﴿قسمة بينهم﴾ تغليبا لمن يعقل . والمعنى : يوم لهم ويوم لها . وقيل : إنهم كانوا يحضرون الماء إذا غابت الناقة، ويشربونه . . إذا حضرت حضروا اللبن، وتركوا الماء لها . ﴿فنادوا صاحبهم﴾ أي دبروا في أمر الناقة بالقتل، فدعوا واحداً من أشرارهم، وهو قدار بن سالف، عاقر الناقة ﴿فتعاطى فعقر﴾ أي تناول الناقة بالعقر فعقرها . وقيل : إنه كمن لها في أصل صخرة، فرماها بسهم، فانتظم^(١) به عضلة ساقها . ثم شد عليها بالسيف، فكشف عرقوبها . وكان يقال له أحمر ثمود، وأحيمر ثمود، قال الزجاج : والعرب تغلط فتجعله أحمر عاد، فتضرب به المثل في الشؤم . قال زهير : وتنتج لكم غلمان أشام، كلهم، كأحمر عاد، ثم ترضع فتفطم ﴿فكيف كان عذابي ونذر﴾ أي : فانظر كيف أهلكتهم، وكيف كان عذابي لهم، وإنذاري إياهم . ﴿إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة﴾ يريد صيحة جبرائيل عليه السلام . وقيل : الصيحة العذاب ﴿فكانوا كهشيم المحتظر﴾ أي فصاروا كهشيم، وهو حطام الشجر المنقطع بالكسر والرض الذي يجمعه صاحب الحظيرة الذي يتخذ لغنمه حظيرة تمنعها من برد الريح . والمعنى . إنهم بادوا وهلكوا، فصاروا كيبس الشجر المفتت إذ انحطم . وقيل : معناه صاروا كالتراب الذي يتناثر من الحائط، فتصبيه الريح، فيتحظى مستديراً^(٢) .

(١) انتظم الصيد: طعنه، أو رماه حتى ينفذه.

(٢) مجمع البيان: ج ٩، ص ٣١٨ - ٣٢٠.

س ٨: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ بَشَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٣٧﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالَّذِينَ ﴿٣٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَامِئًا إِلَّا مَالَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴿٣٩﴾ نِعْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالَّذِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرٍ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ ﴿٤٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرٍ ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ بَشَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٥٠﴾﴾

[سورة القمر: ٣٢ - ٤٠]!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسي: ثم أقسم سبحانه فقال: ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ قال قتادة: أي فهل من طالب علم يتعلم ﴿كذبت قوم لوط بالنذر﴾ أي بالإنذار. وقيل: بالرسول على ما فسره ﴿إنا أرسلنا عليهم حاصبا﴾ أي ريحاً حصبتهم أي: رمتهم بالحجارة والحصباء. قال ابن عباس: يريد ما حصبوا به من السماء من الحجارة في الريح.

ثم استثنى آل لوط فقال: ﴿إلا آل لوط نجيناهم﴾ أي خلصناهم ﴿بسحر﴾ من ذلك العذاب الذي أصاب قومه ﴿نعمة من عندنا﴾ أي إنعاماً. فيكون مفعولاً له. ويجوز أن يكون مصدرأ، وتقديره: أنعمنا عليهم بذلك نعمة. ﴿كذلك﴾ أي كما أنعمنا عليهم ﴿نجزي من شكر﴾ قال مقاتل. يريد من وحد الله تعالى لم يعذب مع المشركين ﴿ولقد أنذرهم﴾ لوط. ﴿بطشتنا﴾ أي أخذنا إياهم بالعذاب ﴿فتماروا بالنذر﴾ أي تدافعوا بالإنذار على وجه الجدال بالباطل. وقيل: معناه فشكوا ولم يصدقوه، وقالوا. كيف يهلكنا وهو واحد منا، وهو تفاعلوا من المربة. ﴿ولقد راودوه عن ضيفه﴾ أي طلبوا منه أن يسلم إليهم أضيافه ﴿فطمسنا أعينهم﴾ أي محوناها. والمعنى: عميت أبصارهم.

أقول: قال أبو عبد الله عليه السلام: «فكاثروه حتى دخلوا البيت، فصاح به جبرائيل، فقال: يا لوط، دعهم يدخلوا، فلما دخلوا أهوى جبرئيل عليه السلام بإصبعه نحوهم، فذهبت أعينهم، وهو قول الله عز وجل: ﴿فطمسنا أعينهم﴾^(١).

وقيل: معناه أزلنا تخطيط وجوههم حتى صارت ممسوحة، لا يرى أثر عين، وذلك أن جبرائيل عليه السلام صفق أعينهم بجناحه صفقة، فأذهبها. والقصة المذكورة فيما مضى، وتم الكلام. ثم قال: ﴿فذوقوا عذابي ونذر﴾ أي: فقلنا لقوم لوط، لما أرسلنا عليهم العذاب. ذوقوا عذابي ونذري ﴿ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر﴾ أي أتاهم صباحاً عذاب نازل بهم، حتى هلكوا جميعاً. ﴿فذوقوا عذابي ونذر﴾ ووجه التكرار أن الأول عند الطمس، والثاني عند الانتفاك. فكلما تجدد العذاب، تجدد التقرع ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ مر معناه^(٢).

❁ س ٩: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ جَاءَ مَالِ فِرْعَوْنَ النَّذْرُ ﴿٤١﴾ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَهَذَا نَحْمُ أَحَدَ عَزِيْزٍ مُّقَدِّرٍ ﴿٤٢﴾ أَكْفَارَكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلِيَّتِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيْعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيَجْعَلُ لِبَعْضٍ مِنْ أُمَّمِنَّا دُؤْبًا وَمَا لَهُمْ لِنُؤْيِيَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوا أَهْلِيَهُمْ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة القمر: ٤١ - ٤٧]!

الجواب/أقول: قوله: ﴿ولقد جاء فرعون النذر﴾: أي ولقد جاء أهل بيته وعائلته وأتباعه - فرعون - معجزات موسى التسع.

(١) الكافي: ج ٥، ص ٥٤٨، ح ٦.

(٢) مجمع البيان: ج ٩، ص ٣٢٠، ومن أراد روايات أهل البيت عليهم السلام في ذكر قصة هود عليه السلام فليراجع الآيات (٦٩ - ٨٣) من سورة هود، و(٢٧ - ٣٥) من ورة العنكبوت، و(٢٤ - ٤٧) من سورة الذاريات.

وقوله: ﴿كذبوا بآياتنا كلها﴾: تكشف هذه الآية عن رد الفعل لآل فرعون من دعوة النبيين الإلهيين - موسى وهارون عليهما السلام -، والإنذارات التي وجهوها لهم حيث يقول الله سبحانه: ﴿كذبوا بآياتنا كلها﴾، نعم إن هؤلاء المغرورين من الجبابرة والمعاندين قد أنكروا كل الآيات الإلهية وبدون استثناء، وحسبوا سحراً وكذباً وصدفة.

وقال أبو حمزة: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: ﴿كذبوا بآياتنا كلها﴾ في بطن القرآن كذبوا بالأوصياء كلهم^(١).

وقال علي بن إبراهيم القمي: قوله تعالى: ﴿أكفاركم﴾ مخاطبة لقريش ﴿خير من أولئكم﴾ يعني هذه الأمم الهالكة ﴿أم لكم براءة في الزبر﴾ أي في الكتب لكم براءة أن لا تهلكوا كما هلكوا، فقالت قريش: قد اجتمعنا لنتنصر ونقتلك يا محمد، فأنزل الله: ﴿أم يقولون﴾ يا محمد ﴿نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾ يعني يوم بدر حين هزموا وأسروا وقتلوا، ثم قال: ﴿بل الساعة موعدهم﴾ يعني القيامة ﴿والساعة أدهى وأمر﴾ أي أشد وأغلظ [وأمر]، وقوله تعالى: ﴿إن المجرمين في ضلال وسعر﴾ أي في عذاب، وسعر: واد في جهنم عظيم^(٢).

● س ١٠: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿يَوْمَ يُتَجَبَّرُ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ دُورًا مِّنْ سَعَرٍ ۗ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْتُهُ بِقَدْرِ ۗ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ۗ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مَّذْكَرٍ ۗ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ۗ وَكُلَّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرًّا ۗ إِنَّ اللَّغْوَيْنِ فِي جَنَّتٍ وَنَهْرٍ ۗ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ ۗ﴾ [سورة القمر: ٤٨ - ٥٥]!

(٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٤٢.

(١) تفسير القمي: ج ١، ص ١٩٩.

الجواب/ قال الحسن بن علي عليه السلام سُئِلَ علي بن أبي طالب عليه السلام ،
عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾، فقال: «يقول الله عزّ
وجلّ: ﴿إنا كل شيء خلقناه﴾ لأهل النار ﴿بقدر﴾ أعمالهم»^(١).

وقال علي بن سالم: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الرّقى^(٢) أندفع من
القدر شيئاً؟ فقال: «هي من القدر».

وقال عليه السلام: «إن القدرية مجوس هذه الأمة، وهم الذين أرادوا أن
يصفوا الله بعدله، فأخرجوه من سلطانه، وفيهم نزلت هذه الآية: ﴿يوم
يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر إنا كل شيء خلقناه
بقدر﴾»^(٣).

وقال علي بن إبراهيم، في قوله تعالى: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾
قال: له وقت وأجل ومدة^(٤).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «وجدت لأهل القدر اسماً في كتاب الله قوله
تعالى: ﴿إن المجرمين في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم
ذوقوا مس سقر إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ وهم المجرمون».

قوله تعالى: ﴿وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر﴾ يعني بقول كن
فيكون، وقوله تعالى: ﴿ولقد أهلكنا أشياءكم﴾ أي أتباعكم وعبدة الأصنام
﴿وكل شيء فعلوه في الزبر﴾ أي مكتوب في الكتب ﴿وكل صغير وكبير﴾
يعني من ذنب ﴿مستطر﴾ أي مكتوب، ثم ذكر ما أعده للمتقين فقال: ﴿إن

(١) التوحيد: ص ٣٨٢، ح ٣٠.

(٢) الرقى جمع رقية: وهي العوذة التي يرقى بها. «النهاية: ج ٢، ص ٢٥٤».

(٣) التوحيد: ص ٣٨٢، ح ٢٩.

(٤) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٤٢.

المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر»^(١).

وعن محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن الماضي عليه السلام، قلت: «إن المتقين»؟ قال: «نحن والله وشيعتنا، ليس على ملة إبراهيم غيرنا، وسائر الناس منها برآء»^(٢).

وقال جابر بن عبد الله: كنا عند رسول الله ﷺ في المسجد، فذكر بعض أصحابه الجنة فقال النبي ﷺ: «إن أول أهل الجنة دخولاً إليها علي بن أبي طالب عليه السلام».

فقال أبو دجانة الأنصاري: يا رسول الله، [أليس] أخبرتنا أن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها، وعلى الأمم حتى تدخلها أمك؟ فقال ﷺ: «بلى، يا أبا دجانة، أما علمت أن لله عز وجل لواء من نور، وعموداً من نور، خلقهما الله تعالى قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفي عام، مكتوب على ذلك اللواء: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، خير البرية آل محمد، صاحب اللواء علي، وهو إمام القوم».

فقال علي عليه السلام: «الحمد لله الذي هدانا بك يا رسول الله، وشرفنا».

فقال [النبي] ﷺ: «أبشر يا علي، ما من عبد ينتحل مودتك إلا بعثه الله معنا يوم القيامة». وجاء في رواية أخرى: «يا علي أما علمت أنه من أحبنا وانتحل محبتنا أسكنه الله معنا». وتلا هذه الآية: «إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر»^(٣).

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٤٢.

(٢) الكافي: ج ١، ص ٣٦١، ح ٩١.

(٣) تأويل الآيات: ج ٢، ص ٦٢٩، ح ٢.

تفسير
سورة الرّحمن

رقم السورة - ٥٥ -

سورة الرّحمن

س ١: ما هو فضل سورة الرّحمن؟!

الجواب/ قال أبو عبد الله عليه السلام: «لا تدعوا قراءة سورة الرحمن والقيام بها، فإنها لا تقرّ في قلوب المنافقين، ويأتي [بها ربها] يوم القيامة في صورة آدمي، في أحسن صورة، وأطيب ريح، حتى تقف من الله موقفاً لا يكون أحد أقرب إلى الله منها، فيقول لها: من الذي كان يقوم بك في الحياة الدنيا، ويدمن قراءتك؟ فتقول: يا رب، فلان وفلان، فتبيضّ وجوههم، فيقول [لهم]: اشفعوا فيمن أحببتهم، فيشفعون، حتى لا يبقى لهم غاية [ولا أحد يشفعون له]، فيقول لهم: ادخلوا الجنة، واسكنوا فيها حيث شئتم»^(١).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «من قرأ سورة الرحمن، فقال عند كل آية ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾: لا بشيء من آلائك رب أكذب، فإن قرأها ليلاً ثم مات شهيداً، وإن قرأها نهاراً ثم مات شهيداً»^(٢).

ومن (خواص القرآن): روي عن النبي صلى الله عليه وآله، أنه قال: «من قرأ هذه السورة رحم الله ضعفه، وأدى شكر ما أنعم عليه، ومن كتبها وعلقها عليه هوّن الله عليه كل أمر صعب، وإن علقت على من به رمد برىء»^(٣).

وقال الصادق عليه السلام: «من كتبها وعلقها على الأرمذ زال عنه، وإذا

(١) ثواب الأعمال: ص ١١٦، بحار الأنوار: ج ٩٢، ص ٣٠٦.

(٢) ثواب الأعمال: ص ١١٦، بحار الأنوار: ج ٩٢، ص ٣٠٦.

(٣) نور الثقلين: ج ٥، ص ١٨٧.

كتبت جميعاً على حائط البيت منعت الهوام منه بإذن الله تعالى»^(١).

س ٢: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿الرَّحْمَنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤ الشَّمْسُ ۝٥ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٦ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٧ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝٨ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝٩ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ۝١٠ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنْبَاءِ ۝١١ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ۝١٢ وَلَقَدْ دُرُ الْأَعْيُنِ وَالرِّيْحَانَ ۝١٣ فَيَأْتِيءَ الْآلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٤﴾

[سورة الرحمن: ١ - ١٣]!

الجواب/ قال أبو عبد الله عليه السلام: «سورة الرحمن نزلت فينا من أولها إلى آخرها»^(٢). وقال الطبرسي: قال الصادق عليه السلام: «البيان: الاسم الأعظم الذي علم به كل شيء»^(٣).

وقال الحسين بن خالد: قال أبو الحسن الرضا عليه السلام، في قوله تعالى: «الرحمن علم القرآن»، قال عليه السلام: «الله علم [محمدًا] القرآن». قلت: «خلق الإنسان؟» قال: «ذلك أمير المؤمنين عليه السلام». قلت: «علمه البيان؟» قال: «علمه تبيان كل شيء يحتاج الناس إليه».

قلت: «الشمس والقمر بحسبان»، قال: «هما يعذبان». قلت: الشمس والقمر يعذبان؟ قال: «إن سألت عن شيء فأتقنه، إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، يجريان بأمره، مطيعان له، ضوءهما من نور عرشه، وجرمهما»^(٤)

(١) خواص القرآن: ص ٩ «مخطوط».

(٢) تأويل الآيات: ج ٢، ص ٦٣٠، ح ١.

(٣) مجمع البيان: ج ٩، ص ٢٩٩.

(٤) الجرم: الحر، فارسي معرب. «لسان العرب»: ج ١٢، ص ٢٩٥.

من جهنم، فإذا كانت القيامة عاد إلى العرش نورهما، وعاد إلى النار جرمهما، فلا يكون شمس ولا قمر، وإنما عناهما لعنهما الله، ليس قد روى الناس: أن رسول الله ﷺ قال: إن الشمس والقمر نوران [في النار]؟. قلت: بلى. قال: «وما سمعت قول الناس: فلان وفلان شمسا هذه الأمة ونورهما؟ فهما في النار، والله ما عنى غيرهما».

قلت: ﴿والنجم والشجر يسجدان﴾ قال: «النجم: رسول الله ﷺ، ولقد سمّاه الله في غير موضع، فقال: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾^(١)، وقال: ﴿وَعَلَّمَكُمُ رُبَّالنَّجْمِ هُمْ يَسْتَدُونَ﴾^(٢)، [فالعلامات: الأوصياء، والنجم: رسول الله ﷺ].

[وقال أبو عبد الله عليه السلام: «النجم: رسول الله ﷺ والشجر: أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام لم يعصوا الله طرفة عين»]^(٣). قلت: ﴿يسجدان﴾؟ قال: «يعبدان».

قلت: ﴿والسمااء رفعها ووضع الميزان﴾؟ قال: «السمااء: رسول الله ﷺ، رفعه الله إليه، والميزان: أمير المؤمنين عليه السلام، نصبه لخلقه».

قلت: ﴿ألا تطفئوا في الميزان﴾؟ قال: «لا تعصوا الإمام».

قلت: ﴿وأقيموا الوزن بالقسط﴾؟ قال: «أقيموا الإمام بالعدل».

قلت: ﴿ولا تخسروا الميزان﴾؟ قال: «لا تبخسوا الإمام حقّه، ولا تظلموه».

وقوله تعالى: ﴿والأرض وضعها للأنام﴾، قال: «للناس»، ﴿فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام﴾ قال: «يكبر ثمر النخل في القمع، ثم يطلع منه».

وقوله تعالى: ﴿والحب ذو العصف والريحان﴾، قال: «الحب: الحنطة

(٣) تأويل الآيات: ج ٢، ص ٦٣٢، ح ٥.

(١) النجم: ١.

(٢) النحل: ٦.

والشعير والحبوب، والعصف: التين، والرَّيحان: ما يؤكل منه، وقوله تعالى: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾، قال: «في الظاهر مخاطبة للجن والإنس، وفي الباطن فلان وفلان»^(١).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾، أي بأي نعمتي تكذبان»^(٢) بمحمد أم بعلي؟ فهما أنعمت على العباد»^(٣).

❁ سر ٣: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ۝ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ۝ فَبِأَيِّ آءَاءِ رَبِّكُمَا تُكذَّبَانِ ۝﴾ [سورة الرحمن: ١٤ - ١٦]!

الجواب/ ١ - قال علي بن إبراهيم القمي: الماء المتصلصل بالطين^(٤).

٢ - جاء في (تحفة الإخوان): بالإسناد، عن أبي بصير، عن الصادق عليه السلام، أنه قال: أخبرني عن خلق آدم عليه السلام، كيف خلقه الله تعالى، قال: «إن الله تعالى لما خلق نار السموم، وهي نار لا حر لها ولا دخان، فخلق منها الجان، فذلك معنى قوله تعالى: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْتَهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَّارِ السُّمُورِ﴾^(٥)، وسماه مارجاً وخلق منه زوجه وسماه مارجة، فواقعها فولدت الجان، ثم ولد الجان ولداً وسماه الجن، ومنه تفرعت قبائل الجن، ومنهم إبليس اللعين، وكان يولد للجان الذكر والأنثى، ويولد الجن كذلك توأمين،

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٤٣.

(٢) ورد في تفسير القمي: «قال أبو عبد الله عليه السلام: «قال الله: فبأي نعمتي تكفران، بمحمد أم بعلي» (ج ٢، ص ٣٤٤).

(٣) تأويل الآيات: ج ٢، ص ٦٣٣، ح ٦.

(٤) تفسير القمي: ج ١، ص ٣٧٥.

(٥) الحجر: ٢٧.

فصاروا تسعين ألفاً ذكراً وأنثى، وازدادوا حتى بلغوا عدد الرمال^(١).

٣ - أقول: وبعد أن تحدّث تعالى عن النعم التي كانت في بداية خلق الإنسان والجانّ يكرر تعالى قوله ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾.

س ٤: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَإِنِّي ءَأْتَاكَ آءَاءُ رَبِّكَ تَكْذِبَانَ ﴿١٨﴾﴾

(سورة الرحمن: ١٧ - ١٨)!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: مشرق الشتاء، ومشرق الصيف، ومغرب الشتاء، ومغرب الصيف^(٢).

ثم قال: وفي رواية سيف بن عميرة، عن إسحاق بن عمار، عن أبي بصير، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿رب المشرقين ورب المغربين﴾ قال: «المشرقين: رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمير المؤمنين عليه السلام، والمغربين: الحسن والحسين عليهما السلام، [وفي] أمثالهما تجري» ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾، قال: «برسول الله وأمير المؤمنين عليهما السلام»^(٣).

س ٥: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَإِنِّي ءَأْتَاكَ آءَاءُ رَبِّكَ تَكْذِبَانَ ﴿٢١﴾﴾

﴿يَجْرَحُ مِثْمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَاتِ ﴿٢٢﴾ فَإِنِّي ءَأْتَاكَ آءَاءُ رَبِّكَ تَكْذِبَانَ ﴿٢٣﴾﴾

(سورة الرحمن: ١٩ - ٢٣)!

الجواب/ قال يحيى بن سعيد القطان: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول في قول الله عز وجل: ﴿مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان﴾ قال: «علي وفاطمة عليهما السلام، [بحران من العلم عميقان لا يبغي أحدهما على صاحبه]

(١) تحفة الإخوان: ص ٦٢ مخطوط. (٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٤٤.

(٣) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٤٤.

﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾، الحسن والحسين عليهما السلام ^(١).

وقال جعفر الصادق عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿مرج البحرين يلتقيان﴾ قال: «علي وفاطمة بحران عميقان لا يبغى أحدهما على صاحبه».

وفي رواية: ﴿بينهما برزخ﴾ رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ قال: «الحسن والحسين عليهما السلام» ^(٢).

وقال ابن عباس: أن فاطمة عليها السلام، بكت للجوع والعري، فقال النبي صلى الله عليه وآله: «اقنعي - يا فاطمة - بزوجك، فوالله، إنه سيد في الدنيا وسيد في الآخرة»، وأصلح بينهما، فأنزل الله تعالى: ﴿مرج البحرين﴾، يقول [الله]: أنا أرسلت البحرين علي بن أبي طالب بحر العلم، وفاطمة بحر النبوة ﴿يلتقيان﴾ يتصلان، أنا الله أوقعت الرصلة بينهما.

ثم قال: ﴿بينهما برزخ﴾ مانع رسول الله، يمنع علي بن أبي طالب أن يحزن لأجل الدنيا، ويمنع فاطمة أن تخاصم بعلمها لأجل الدنيا، ﴿فبأي آلاء ربكما﴾ يا معشر الجن والإنس ﴿تكذبان﴾ بولاية أمير المؤمنين وحب فاطمة الزهراء، فاللؤلؤ: الحسن، والمرجان: الحسين، لأن اللؤلؤ الكبار، والمرجان الصغار، ولا غرو أن يكونا بحرین لسعة فضلهما، وكثرة خيرهما، فإن البحر إنما سمي بحراً لسعته، وأجرى النبي صلى الله عليه وآله فرساً، فقال: «وجدته بحراً» ^(٣).

وقال علي عليه السلام: ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾، قال: «من ماء السماء ومن ماء البحر، فإذا أمطرت فتحت الأصداف أفواهاها في البحر، فيقع فيها من ماء المطر، فتخرج اللؤلؤة الصغيرة من القطرة الصغيرة، واللؤلؤة الكبيرة من القطرة الكبيرة» ^(٤).

(٣) المناقب: ج ٣، ص ٣١٩.

(١) الخصال: ص ٦٥، ح ٩٦.

(٤) قرب الإسناد: ص ٦٤.

(٢) المناقب: ج ٣، ص ٣١٨.

❁ س٦: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٤﴾ فَإِنِّي ءَأْتِي ءَأَلَاءَ رَبِّكُمَا تَكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾﴾

[سورة الرحمن: ٢٤ - ٢٥]!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسي: ﴿وله الجوار﴾ أي السفن الجارية في الماء، تجري بأمر الله - أقول - قال علي عليه السلام - في هذه الآية -: «السفن»^(١).

﴿المنشآت في البحر﴾ أي المرفوعات، وهي التي رفع خشبها بعضها على بعض، وركب، حتى ارتفعت وطالت. وقيل: المبتدآت للسير، مرفعة القلاع. قال مجاهد. ما رفع له القلاع فهو منشأ، وما لم ترفع قلاعه، فليس بمنشأ. والقلاع: جمع قلع، وهو شراع السفينة ﴿كالأعلام﴾ أي كالجبال. قال مقاتل: شبه السفن في البحر بالجبال في البر. وقيل: المنشآت بكسر الشين، وهي أن ينشأ الموح بصدرها حيث تجري، فيكون الأمواج كالأعلام من الله سبحانه على عباده، بأن علمهم اتخاذ السفن ليركبوها، وأن جعل الماء على صفة تجري السفن عليه لأجلها^(٢).

❁ س٧: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَإِنِّي ءَأْتِي ءَأَلَاءَ رَبِّكُمَا

تَكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة الرحمن: ٢٦ - ٢٨]!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم القمي: قوله تعالى: ﴿كل من عليها فان﴾: من على وجه الأرض ﴿ويبقى وجه ربك﴾ قال: دين ربك، وقال علي بن الحسين عليه السلام: «نحن الوجه الذي يؤتى الله منه»^(٣).

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢، ص ٦٦، ح ٣٠٠.

(٢) مجمع البيان: ج ٩، ص ٣٣٦.

(٣) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٤٥.

وقال عبد السلام بن صالح الهروي، قلت لعلي بن موسى الرضا عليه السلام: يا بن رسول الله، فما معنى الخبر الذي رووه أن ثواب لا إله إلا الله النظر إلى وجه الله تعالى؟ فقال عليه السلام: «يا أبا الصلت، من وصف الله تعالى بوجهه كالوجه فقد كفر، ولكن وجه الله تعالى أنبيأؤه ورسله وحججه (صلوات الله عليهم)، هم الذين بهم يتوجه إلى الله عز وجل وإلى دينه ومعرفته، وقال الله تعالى: ﴿حَلَّ مِنْ عَلَيْهَا فَاِنْ وَيَقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ﴾ وقال عز وجل: ﴿حَلَّ شَيْءٌ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^(١).

وروي: إن رجلاً كان يصلي في محضر الرسول صلى الله عليه وسلم حيث دعا الله سبحانه كذلك: «اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان، بديع السماوات والأرض، ذو الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم».

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «أندرون بأي اسم دعا الله؟» فقالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: «والذي نفسي بيده، لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى»^(٢).

ثم يخاطب الخلائق مرة أخرى: ﴿هَبْأَيَّ آلَاءِ رَبِّكَمَا تَكْذِبَان﴾.

س ٨: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿يَسْئَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾^(٣) قَائِي ۚ آلَاءِ رَبِّكُمَا

تَكْذِبَانِ ﴿[سورة الرحمن: ٢٩ - ٣٠]؟!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: «يسئله من في السماوات والأرض كل

يوم هو في شأن» قال: يحيى ويميت، ويرزق ويزيد وينقص^(٣).

(١) أمالي الصدوق: ص ٣٧٢، ح ٧. (٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٤٥.

(٣) تفسير روح المعاني: ج ٢٧، ص ٩٥.

وقال علي عليه السلام : «إن النبي ﷺ قال : قال الله تعالى : ﴿ كل يوم هو في شأن ﴾ ، فإن من شأنه أن يغفر ذنباً ، ويفرج كرباً ، ويرفع قوماً ويضع آخرين »^(١) .

أقول : لا بد من الانتباه إلى نقطة مهمة جداً وهي : إن المقصود من (يوم) هو ليس (النهار) في مقابل (الليل) بل يشمل الأحقاب المتزامنة ، وكذلك الساعات واللحظات ، ومفهومه أن الله المتعال في كل زمان في شأن وعمل . كما أن البعض ذكروا شأناً نزولياً للآية ، وهو أنها نزلت رداً على قول اليهود الذين يعتقدون أن الله عز وجل يعطل كل الأعمال في يوم السبت ، ولا يصدر أي حكم^(٢) .

فالقرآن الكريم يقول : إن خلق الله وتدبيره ليس له توقف .

ومرة أخرى - بعد هذه النعم المستمرة والإجابة لاحتياجات جميع خلقه من أهل السماوات والأرض يكرر قوله سبحانه : ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ .

❁ ٩ : ما هو معنى قوله تعالى :

﴿ سَنَفَعُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ ﴾

(سورة الرحمن : ٣١ - ٣٢)!

الجواب/أقول : يقول سبحانه في البداية : ﴿ سنفرغ لكم أيه الثقلان ﴾ . نعم ، إن الله العالم القادر سيحاسب في ذلك اليوم الإنس والجن حساباً دقيقاً على جميع أعمالهم وأقوالهم ونياتهم ، ويعين لكل منهم الجزاء والعقاب . ومع علمنا بأن الله سبحانه لا يشغله عمل عن عمل ، وعلمه محيط بالجميع في آن واحد ، ولا يشغله شيء عن شيء ﴿ ولا يشغله شأن عن شأن ﴾ ولكننا نواجه التعبير في ﴿ سنفرغ ﴾ والتي تستعمل غالباً بالتوجه الحاد لعمل

(١) الأمالي : ج ٢ ، ص ١٣٥ .

(٢) مجمع البيان : ج ٩ ، ص ٢٠٢ .

ما، والانصراف الكلّي له، وهذا من شأن المخلوقات بحكم محدوديتها. إلا أنه استعمل هنا الله سبحانه، تأكيداً على مسألة حساب الله تعالى لعباده بصورة لا يغادر فيها صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، ولا يغفل عن مثقال ذرة من أعمال الإنسان خيراً أو شراً، والأظرف من ذلك أن الله الكبير المتعال هو الذي يحاسب بنفسه عبده الصغير، وعلينا أن نتصور كم هي مرعبة ومخيفة تلك المحاسبة.

﴿الثقلان﴾ من مادة ﴿ثقل﴾ على وزن ﴿كبر﴾ بمعنى الحمل الثقيل وجاءت بمعنى الوزن أيضاً، إلا أن ﴿ثقل﴾ على وزن (خبر) يقال عادة لمتاع وحمل المسافرين، وتطلق على جماعة الإنس والجنّ وذلك لثقلهم المعنوي، لأنّ الله تبارك وتعالى قد أعطاهم عقلاً وشعوراً وعلماً ووعياً له وزن وقيمة بالرغم من أن الثقل الجسدي لهم ملحوظ أيضاً كما قال تعالى: ﴿وأخرجت الأرض أثقالها﴾، حيث ورد أنّ أحد معانيها هو خروج الناس من القبور في يوم القيامة، إلا أن التعبير في الآية مورد البحث جاء باللحاظ المعنوي، خاصة وأن الجنّ ليس لهم ثقل مادي.

التأكيد على هاتين الطائفتين بالخصوص لأنّ التكاليف الإلهية مختصة بهما في الغالب.

وبعد هذا يكرر الله سبحانه سؤاله مرة أخرى: ﴿بأي آلاء ربكما تكذبان﴾. وقال علي بن إبراهيم، قوله تعالى: ﴿سنفرغ لكم أيه الثقلان﴾، قال عليه السلام: «نحن وكتاب الله، والدليل على ذلك قول رسول الله ﷺ: إني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي»^(١).

❁ س ١٠ : ما هو معنى قوله تعالى :

﴿يَمَعَشَرِ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٣٣﴾ فَإِنِّي إِذْ رَيْبِكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٣٤﴾﴾
[سورة الرحمن: ٣٣ - ٣٤]!

الجواب/ قال عمرو بن أبي شيبة، سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول ابتداءً منه : «إِنَّ الله إِذَا بَدَأَ لَهُ أَنْ يَبِينَ خَلْقَهُ وَيَجْمَعُهُمْ لِمَا لَا بَدَّ مِنْهُ، أَمْرٌ مَنَادِيًّا، فَيَجْتَمِعُ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ فِي أَسْرَعٍ مِنْ طَرْفَةِ عَيْنٍ، ثُمَّ أذُنٌ لِسَمَاءِ الدُّنْيَا فَتَنْزَلُ، وَكَانَ مِنْ وَرَاءِ النَّاسِ، وَأُذُنٌ لِسَمَاءِ الثَّانِيَةِ فَتَنْزَلُ، وَهِيَ ضَعْفُ الَّتِي تَلِيهَا، فَإِذَا رَأَى أَهْلَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قَالُوا: جَاءَ رَبِّنَا. قَالُوا: [لَا] وَهُوَ آتٍ، - يَعْنِي أَمْرُهُ - حَتَّى تَنْزَلَ كُلُّ سَمَاءٍ، [تَكُونُ] وَاحِدَةً [مِنْهَا] مِنْ وَرَاءِ الْأُخْرَى، وَهِيَ ضَعْفُ الَّتِي تَلِيهَا، ثُمَّ يَأْتِي أَمْرُ اللهِ فِي ظِلِّ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةِ وَقَضَى الْأَمْرَ وَالِىَ اللهُ تَرْجِعُ الْأُمُورَ، ثُمَّ يَأْمُرُ اللهُ مَنَادِيًّا يَنَادِي: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾».

قال: وبكى عليه السلام حتى إذا سكت، قلت: جعلني الله فداك، يا أبا جعفر، وأين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام وشيعته؟

فقال أبو جعفر عليه السلام: «رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي عليه السلام وشيعته، على كِثَابٍ مِنَ الْمَسْكِ الْأَدْفَرِ، عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ، يَحْزَنُ النَّاسُ وَلَا يَحْزَنُونَ، وَيَفْزَعُ النَّاسُ وَلَا يَفْزَعُونَ» ثم تلا هذه الآية: ﴿مَنْ جَاءَهُ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعِ يَوْمِئِذٍ مُبْتَرُونَ﴾^(١). «فالحسنة: ولاية علي عليه السلام» ثم قال: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَلَاقَتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾^(٢).

قوله تعالى: ﴿بسلطان﴾ أي بحجة^(١).

أقول: وقيل قوله: ﴿يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض﴾ للفرار من العقاب الإلهي ﴿فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان﴾ أي بقوة إلهية، في حين أنكم فاقدون لمثل هذه القوة والقدرة. ويخاطب سبحانه هاتين المجموعتين «الجن والإنس» بقوله: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾. والتهديد هنا لطف إلهي أيضاً، فبالرغم من أنه يحمل تهديداً ظاهرياً، إلا أنه عامل للتنبيه والإصلاح والتربية، حيث إن وجود المحاسبة في كل نظام هو نعمة كبيرة.

❁ س ١١: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْصِرَانِ﴾ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمَا تُكذَّبَانِ ﴿٣٦﴾ [سورة الرحمن: ٣٥ - ٣٦]!

الجواب/ أقول: ما ورد في الآية الأولى تأكيد لما تقدم ذكره في الآيات السابقة، والذي يتعلق بعدم قدرة الجن والإنس من الفرار من يد العدالة الإلهية حيث يقول سبحانه: ﴿يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران﴾.

«شواظ» كما ذكر الراغب في المفردات، وابن منظور في لسان العرب، وكثير من المفسرين أنه بمعنى (الشعلة العديمة الدخان) وفسرها آخرون بأنها (السنة النار) التي تقطع من النار نفسها حسب الظاهر، وتكون خضراء اللون. وعلى كل حال فإن هذا التعبير يشير إلى شدة حرارة النار.

«نحاس» بمعنى الدخان أو «الشعل ذات اللون الأحمر مصحوبة بالدخان» والتي تكون بلون النحاس، وفسرها البعض بأنها «النحاس

(١) تفسير القمي: ج ٢/ ٧٧، و ٣٤٥.

المذاب ﴿ وهي لا تتناسب في الظاهر مع ما ورد في الآية مورد البحث، لأنها تتحدث عن موجود يحيط بالإنسان في يوم القيامة ويمنعه من الفرار من حكومة العدل الإلهي.

ثم يضيف سبحانه قوله: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾. والكلام هنا عن النعم والآلاء من أجل ما ذكرنا من اللطف الإلهي أيضاً، فبالرغم من أنه يحمل تهديداً ظاهرياً، إلا أنه عامل للتبنيه والإصلاح والتربية.

❁ س ١٢: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿إِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءَ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾﴾

[سورة الرحمن: ٣٧ - ٣٨]!

الجواب/ قال أبو عبد الله عليه السلام لأبي بصير: «إذا كان يوم القيامة يدعى رسول الله ﷺ فيكسى حلة وردية».

فقلت: جعلت فداك، وردية؟ قال: «نعم، أما سمعت قول الله عز وجل: ﴿فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان﴾، ثم يدعى [علي] فيقوم على يمين رسول الله، ثم يدعى [من شاء الله فيقومون على يمين علي، ثم يدعى شيعتنا فيقومون على يمين من شاء الله»^(١).

ثم قال تعالى: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾...

❁ س ١٣: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا

تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة الرحمن: ٣٩ - ٤٠]!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: قوله: ﴿فيومئذ لا يسئل عن ذنبه﴾،

(١) المحاسن: ص ١٨٠، ح ١٧١.

قال: منكم، يعني من الشيعة ﴿إنس ولا جان﴾، قال: معناه أن من تولى أمير المؤمنين عليه السلام، وتبرأ من أعدائه، وأحل حلاله وحرم حرامه، ثم دخل في الذنوب ولم يتب في الدنيا، عذب عليها في البرزخ، ويخرج يوم القيامة وليس له ذنب يسئل عنه يوم القيامة^(١).

وقال ميسر: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول: «لا يرى منكم في النار اثنان، لا والله ولا واحد».

قال: قلت: فأين ذا من كتاب الله؟ فأمسك عني سنة، قال: فإنني معه ذات يوم في الطواف، إذ قال: «يا ميسرة، أذن لي في جوابك عن مسألتك كذا». قال: قلت: فأين هو من القرآن؟ قال: «في سورة الرحمن وهو قول الله عز وجل: ﴿فيومئذ لا يسئل عن ذنبه منكم إنس ولا جان﴾».

فقلت له: ليس فيها (منكم)؟ قال: «إن أول من غيرها ابن أروى^(٢)، وذلك أنها حجة عليه وعلى أصحابه، ولو لم يكن فيها (منكم) لسقط عقاب الله عز وجل عن خلقه، إذا لم يسئل عن ذنبه إنس ولا جان، فلمن يعاقب الله إذن يوم القيامة؟^(٣)».

وقال الطبرسي: روي عن الرضا عليه السلام، قال: (فيومئذ لا يسئل منكم عن ذنبه إنس ولا جان)^(٤).

ومرة أخرى يخاطب سبحانه عباده حيث يقول: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾.

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٤٥.

(٢) يزيد بن عثمان بن عفان، وأروى أمة.

(٣) فضائل الشيعة: ص ٧٦، ح ٤٣.

(٤) مجمع البيان: ج ٩، ص ٣١٢.

❁ س ١٤ : ما هو معنى قوله تعالى :

﴿يَعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ بِسِيئَتِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ (١) ﴿يَأْتِي ءَالَاهُ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانَ﴾ (٢)
 هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمَجْرُمُونَ ﴿٤٢﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤١﴾ يَأْتِي ءَالَاهُ
 رَبِّكُمْ تَكْذِبَانَ ﴿٤٥﴾ [سورة الرحمن : ٤١ - ٤٥]!

الجواب/ قال أبو عبد الله عليه السلام : لمعاوية الدهني، في قول الله تبارك وتعالى : ﴿يعرف المجرمون بسيئاتهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام﴾ ، فقال : «يا معاوية، ما يقولون في هذا؟» قلت : يزعمون أن الله تبارك وتعالى يعرف المجرمين بسيئاتهم في القيامة، فيأمر فيؤخذ بنواصيهم وأقدامهم، ويلقون في النار. فقال لي : «وكيف يحتاج [الجبار] تبارك وتعالى إلى معرفة خلق أنشأهم وهو خلقهم» .

فقلت : جعلت فداك، وما ذاك؟ قال : «ذلك لو قام قائمنا أعطاه الله السيماء، فيأمر بالكافر، فيؤخذ بنواصيهم وأقدامهم، ثم يخبط بالسيف خبطاً»^(١).

وقرأ أبو عبد الله عليه السلام : «هذه جهنم التي كنتما بها تكذبان تصليانها لا تموتان ولا تحيان» يعني الأولين^(٢).

وقال علي بن إبراهيم : قوله تعالى : ﴿يطوفون بينها وبين حميم ءان﴾ قال : لها أنين من شدة حرها^(٣).

وقال عبد السلام بن صالح الهروي، قلت للرضا عليه السلام : يا بن رسول الله، فأخبرني عن الجنة والنار، أهما اليوم مخلوقتان؟ فقال : «نعم، وإن

(١) بصائر الدرجات : ص ٣٧٦، ٨، ١٧، ٣٧٩، الاختصاص : ص ٣٠٤.

(٢) قرب الإسناد : ص ٩.

(٣) تفسير القمي : ج ٢، ص ٣٤٥.

رسول الله ﷺ قد دخل الجنة ورأى النار، لما عرج به إلى السماء.
 قال: فقلت له: إن قوماً يقولون: إنهما اليوم مقدرتان غير مخلوقتين؟
 فقال ﷺ: «لا هم منا ولا نحن منهم، من أنكر خلق الجنة والنار فقد كذب
 رسول الله وكذبتنا، وليس من ولايتنا على شيء، ويخلد في نار جهنم، قال
 الله تعالى: ﴿هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم
 آن﴾ وقد قال النبي ﷺ: لما عرج بي إلى السماء أخذ بيدي جبرئيل ﷺ
 فأدخلني الجنة، فناولني من رطبها فأكلته، فتحول ذلك نطفة في صلبي، فلما
 هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة، ففاطمة حوراء إنسية،
 فكلما اشتقت إلى رائحة الجنة تشممت رائحة ابنتي فاطمة»^(١).

ومرة أخرى بعد هذا التنبيه والتحذير الشديد الموقظ، الذي هو لطف
 من الله يقوله البارئ عز وجل: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾.

❁ س ١٥: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَلَمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴿١٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٧﴾﴾

[سورة الرحمن: ٤٦ - ٤٧]؟!

الجواب/ قال أبو عبد الله ﷺ، في قول الله عز وجل: ﴿ولمن خاف
 مقام ربه جنتان﴾. «من علم أن الله يراه، ويسمع ما يقول ويعلم ما يعلمه من
 خير وشر، فيحجزه ذلك عن القبيح من الأعمال، فذلك الذي خاف مقام ربه
 ونهى النفس عن الهوى»^(٢).

وقال أبو جعفر ﷺ: «إن الجنان أربع، وذلك قول الله عز وجل:
 ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾، وهو أن الرجل يهجم على شهوة من شهوات
 الدنيا وهي معصية، فيذكر مقام ربه، فيدعها من مخافتها، فهذه الآية فيه،

(١) أمالي الصدوق: ص ٣٧٣، ح ٧. (٢) الكافي: ج ٢، ص ٥٧، ح ١٠.

فهاتان جنتان للمؤمنين والسابقين (١).

ومرة أخرى: وبعد ذكر هذه النعمة العظيمة يخاطب الجميع بقوله:
﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾.

❁ س ١٦: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِعِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَّائِنُهَا مِنْ إِسْتَرْشَدٍ وَحَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾﴾ [سورة الرحمن: ٤٨ - ٥٥]!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسي: ثم وصف الجنتين فقال: ﴿ذواتا أفنان﴾ أي ذواتا ألوان من النعيم. وقيل: ذواتا ألوان من الفواكه، وقيل: ذواتا أغصان، أي: ذواتا أشجار، لأن الأغصان لا تكون إلا من الشجر. فدل بكثرة أغصانها على كثرة أشجارها، وبكثرة أشجارها على تمام حالها، وكثرة ثمارها، لأن البستان إنما يكمل بكثرة الأشجار. والأشجار لا تحسن إلا بكثرة الأغصان. ﴿فيهما عينان تجريان﴾ أي: في الجنتين عينان من الماء تجريان بين أشجارهما. وقيل: عينان إحداهما السلسيل، والأخرى التسنيم. وقيل: إحداهما من ماء غير آسن، والأخرى من خمر لذة للشاربين. ﴿فيهما من كل فاكهة زوجان﴾ أي: في كلتا الجنتين من كل ثمرة نوعان، وضربان متشاكلان، كتشاكل الذكر والأنثى. فلذلك سماهما زوجين، وذلك كالرطب واليابس من العنب والزبيب، والأخرى واليابس من التين، وكذلك سائر الأنواع لا يقصر يابسه عن رطبه في الفضل والطيب. وقيل: معناه فيهما من كل نوع من الفاكهة ضربان، ضرب معروف، وضرب من شكله غريب، لم

يعرفوه في الدنيا. ﴿متكئين﴾ حال ممن ذكروا في قوله: ﴿ولمن خاف مقام ربه﴾ أي قاعدين كالمملوك ﴿على فرش بطائنها من استبرق﴾ أي من ديباج غليظ. ذكر البطانة، ولم يذكر الظهارة، لأن البطانة تدل على أن لها ظهارة، والبطانة دون الظهارة. فدل على أن الظهارة فوق الاستبرق. وقيل: إن الظهائر من سندس، وهو الديباج الرقيق، والبطانة من استبرق. وقيل: الاستبرق الحرير الصيني وهو بين الغليظ والرقيق. وروي عن ابن مسعود أنه قال: هذه البطائن فما ظنكم بالظهائر؟ وقيل لسعيد بن جبير. البطائن من استبرق فما الظهائر؟ قال: هذا مما قال الله تعالى ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾. ﴿وجنى الجنتين دان﴾ الجنى الثمر المجتنى أي: تدنو الشجرة حتى يجتنئها ولي الله إن شاء قائماً، وإن شاء قاعداً. وقيل: ثمار الجنتين دانية إلى أفواه أربابها، فيتناولونها متكئين، فإذا اضطجعوا نزلت بإزاء أفواههم، فيتناولونها مضطجعين، لا يرد أيديهم عنها بعد، ولا شك^(١).

س ١٧: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ أَنْفٌ قَبْلَهُنَّ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾ فَيَأْتِي ٱلْآءَ رَبِّكُمَا تَكْذِبَانَ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْآقْرُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَيَأْتِي ٱلْآءَ رَبِّكُمَا تَكْذِبَانَ ﴿٥٩﴾﴾

[سورة الرحمن: ٥٦ - ٥٩]!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم القمي، في قوله تعالى: ﴿فيهِنَّ قاصرات الطرف﴾^(٢)، الحور العين يقصر الطرف عنها من ضوء نورها، وقوله تعالى:

(١) مجمع البيان: ج ٩، ص ٣٤٦.

(٢) «طرف» على وزن (حرف) بمعنى جانب العين، وبما أن الإنسان عندما يريد النظر يحرك أجفانه، لذا فقد استعمل هذا اللفظ كناية عن النظر، وبناء على هذا فإن التعبير بقاصرات الطرف إشارة إلى النساء اللواتي يقصرن نظراتهن على أزواجهن. ويعني أنهن يكنن الحب والود لأزواجهن فقط، وهذه هي إحدى ميزات الزوجة التي لا تفكر بغير زوجها ولا تضرر لسواه الود.

﴿لم يطمئنهم﴾، أي لم يمسهن [أحد]^(١). - قبلهم من إنس أو جان.

وقال أبو ذر الغفاري: (زوجة الجنة تقول لزوجها. . أقسم بعزة ربي أنني لم أجد شيئاً أفضل منك في الجنة، فالشكر لله وحده، الذي جعلني زوجة لك وجعلك زوجاً لي)^(٢).

أقول: وفي التعقيب على نعمة الجنة هذه يكرّر قوله تعالى: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾.

ثم يتطرق إلى المزيد من وصف الزوجات الموجودات في الجنة حيث يقول: ﴿كأنهن الياقوت والمرجان﴾ حيث تكون بشرتهن باحمرار وصفاء ولمعان الياقوت وبياض وجمال غصون المرجان، وعندما يختلط هذان الوصفان ﴿الأبيض والأحمر الشفاف﴾ فإنه يمنح روعة الجمال التي لا مثيل لها.

الياقوت: حجر معدني ويكون غالباً أحمر اللون.

والمرجان: هو حيوان بحري يشبه أغصان الشجر، يكون أبيض اللون أحياناً وأخرى أحمر وألوان أخرى، والظاهر أن المقصود به هنا هو النوع الأبيض.

ومرة أخرى، وبعد ذكر هذه النعمة يقول سبحانه: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾.

س ١٨: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ١٨﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِنَا نُنَكِّدُ بِإِن ١٩﴾

[سورة الرحمن: ٦٠ - ٦١]؟!

الجواب/ قال الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام: «جاء نفر من اليهود

(٢) مجمع البيان: ج ٩، ص ٢٠٨.

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٤٦.

إلى رسول الله ﷺ، فسأله أعلمهم، فقال له: أخبرني عن تفسير: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فقال النبي ﷺ: علم الله عز وجل أن بني آدم يكذبون على الله، فقال: سبحان الله، براءة مما يقولون، وأما قوله: الحمد لله، فإنه علم أن العباد لا يؤدون شكر نعمته، فحمد نفسه قبل أن يحمد العباد، وهو أول كلام، لولا ذلك لما أنعم الله عز وجل على أحد بنعمة وقوله: لا إله إلا الله، يعني وحدانيته، لا يقبل الله الأعمال إلا بها، وهي كلمة التقوى بثقل الله بها الموازين يوم القيامة، وأما قوله: الله أكبر، فهي كلمة أعلى الكلمات وأحبها إلى الله عز وجل، يعني ليس شيء أكبر من الله، ولا تفتتح الصلاة إلا بها لكرامتها على الله عز وجل، وهو الاسم الأعز الأكرم.

قال اليهودي: صدقت يا محمد، فما جزاء قائلها؟ قال: إذا قال العبد: سبحان الله، سبح معه ما دون العرش، فيعطى قائلها عشر أمثالها، وإذا قال: الحمد لله، أنعم الله عليه بنعيم الدنيا موصولاً بنعيم الآخرة، وهي الكلمة التي يقولها أهل الجنة إذا دخلوها، وينقطع الكلام الذي يقولونه في الدنيا ما خلا: الحمد لله، وذلك قوله عز وجل: ﴿دَعْوَتُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَاخِرُ دَعْوَتِهِمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١)، وأما قوله: لا إله إلا الله، فالجنة جزاؤه، وذلك قوله عز وجل: ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ يقول: هل جزاء من قال: لا إله إلا الله الجنة، فقال اليهودي: صدقت يا محمد^(٢).

وقال المفيد في (الاختصاص): قال أمير المؤمنين عليه السلام، في قول الله عز وجل: ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ قال: سمعت النبي ﷺ يقول:

(١) يونس: ١٠.

(٢) الاختصاص: ص ٣٤، أمالي الصدوق: ص ١٥٨، ح ١.

إن الله عز وجل يقول: ما جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة»^(١).
وقال علي بن سالم: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: [آية] في كتاب الله مسجلة. قلت: ما هي؟ قال: «قول الله تبارك وتعالى: ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ جرت في المؤمن والكافر والبر والفاجر، من صنع إليه معروف فعليه أن يكافئه به، وليست المكافأة أن يصنع كما صنع به، بل حتى يرى مع فعله لذلك: أن له فضل المبتدئ»^(٢).

أقول: وبناء على هذا فالجزء الإلهي في يوم القيامة يكون أكثر من عمل الإنسان في هذه الدنيا. وذلك تماثياً مع الاستدلال المذكور في الحديث الأخير.

يقول الراغب في المفردات: الإحسان فوق العدل وذاك أن العدل هو أن يعطي ما عليه ويأخذ ماله، والإحسان أن يعطي أكثر مما عليه ويأخذ أقل مما له فالإحسان زائد على العدل . . .

ويتكرر قوله سبحانه مرة أخرى: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾. وذلك لأن جزاء الإحسان بالإحسان بالإنسان نعمة كبيرة من قبل الله تعالى، حيث يؤكد سبحانه أن جزاءه مقابل أعمال عباده مناسب لكرمه ولطفه وليس لأعمالهم، مضافاً إلى أن طاعاتهم وعباداتهم إنما هي بتوفيق الله ولطفه، وبركاتها تعود عليهم.

س ١٩: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَأَيُّ الْآلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾﴾

[سورة الرحمن: ٦٢ - ٦٣]!

الجواب/ قال أبو جعفر عليه السلام: «.....»

وأما قوله: ﴿ومن دونهما جنتان﴾، يقول: من دونهما في الفضل، وليس من دونهما في القرب، وهما لأصحاب اليمين، وهي جنة النعيم وجنة المأوى، وفي هذه الجنان الأربع فواكه في الكثرة كورق الشجر والنجوم، وعلى هذه الجنان الأربع حائط محيط بها، طوله مسيرة خمس مائة عام، لبنة من فضة، ولبنة من ذهب، ولبنة من در، ولبنة من ياقوت، وملاطه المسك والزعفران، وشرفه فور يتلألأ، يرى الرجل وجهه في الحائط، وفي الحائط ثمانية أبواب، على كل باب مصراعان، عرضهما كحضر^(١) الفرس الجواد سنة^(٢).

وقال عثمان بن محمد بن عمران: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله جل ثناؤه: ﴿ومن دونهما جنتان﴾، قال: «خضراوان في الدنيا يأكل المؤمنون منها حتى يفرغ من الحساب»^(٣).

وقال أبو بصير: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك، أخبرني عن الرجل المؤمن، له امرأة مؤمنة، يدخلان الجنة، يتزوج أحدهما الآخر؟ فقال: «يا أبا محمد، إن الله حكم عدل، إذا كان هو أفضل منها خيره، فإن اختارها كانت من أزواجه، وإن كانت هي خيراً منه خيرها، فإن اختارته كان زوجاً لها»

قال: وقال أبو عبد الله عليه السلام: «لا تقولن جنة واحدة، إن الله يقول: ﴿ومن دونهما جنتان﴾، ولا تقولن درجة واحدة، إن الله تعالى يقول: ﴿درجات بعضها فوق بعض﴾ إنما تفاضل القوم بالأعمال».

(١) الحضير بالضم: العدو. «النهاية: ج ١، ص ٣٩٨».

(٢) الاختصاص: ص ٣٥٦.

(٣) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٤٥.

قال: وقلت له: إن المؤمنين يدخلون الجنة، فيكون أحدهما أرفع مكاناً من الآخر، فيشتهي أن يلقي صاحبه؟ قال: «من كان فوقه فله أن يهبط، ومن كان تحته لم يكن له أن يصعد، لأنه لم يبلغ ذلك المكان، ولكنهم إذا أحبوا ذلك واشتهوه التقوا على الأسرة»^(١).

وعن العلاء بن سيابة، عن أبي عبد الله عليه السلام، [قال]: قلت له: إن الناس يتمتعون منا إذا قلنا: يخرج قوم من النار فيدخلون الجنة، فيقولون لنا: فيكونون مع أولياء الله في الجنة؟ فقال: «يا علاء، إن الله تعالى يقول: ﴿ومن دونهما جنتان﴾، لا والله لا يكونون مع أولياء الله».

قلت: كانوا كافرين؟ قال عليه السلام: «لا والله، لو كانوا كافرين ما دخلوا الجنة».

قلت: كانوا مؤمنين؟ قال: «لا والله، لو كانوا مؤمنين ما دخلوا النار، ولكن بين ذلك»^(٢).

وعن أبي الحسن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن جدّه عليه السلام، قال: «قالت أم سلمة (رضي الله عنها) لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا أباي أنت وأمي، المرأة يكون لها زوجان فيموتون، ويدخلون الجنة، لأيهما تكون؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «يا أم سلمة، تخير أيهما أحسن خلقاً، وخيرهما لأهله. يا أم سلمة، إن حسن الخلق ذهب بخير الدنيا والآخرة»^(٣).

ثم يضيف سبحانه: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾.

(١) مجمع البيان: ج ٩، ص ٣١٨.

(٢) مجمع البيان: ج ٩، ص ٣١٨.

(٣) أمالي الصدوق: ص ٤٠٣، ح ٨.

س ٢٠: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿مُدَاهَمَاتَانِ ﴿٦٩﴾ فَيَأْتِي ۙ آلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾﴾ [سورة الرحمن: ٦٤ - ٦٥]؟

الجواب/ قال أبو عبد الله عليه السلام، في قول الله: ﴿مُدَاهَمَاتَانِ﴾: «تصل ما بين مكة والمدينة نخلاً»^(١).

أقول: «مُدَاهَمَاتَانِ»: من مادة (أدهمام) ومن أصل (دهمه) على وزن (تهمه) ومعناها في الأصل السواد وظلمة الليل، ثم أطلقت على الخضرة الغامقة المعتممة، ولأن مثل هذا اللون يحكي عن غاية النضرة للنباتات والأشجار، مما يعكس منتهى السرور والانشراح، لهذا فقد استعمل لهذا المعنى.

ويضيف سبحانه مرة أخرى: ﴿فَيَأْتِي ۙ آلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

س ٢١: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَاحَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَيَأْتِي ۙ آلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٧٨﴾ فَيَأْتِي ۙ آلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴿٨٠﴾ فَيَأْتِي ۙ آلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٨١﴾ لَرَّ بَطِيئَتُهُنَّ تُكَذِّبَانِ ﴿٨٢﴾ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَابِ ﴿٨٣﴾ فَيَأْتِي ۙ آلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٨٤﴾ لَرَّ بَطِيئَتُهُنَّ يُنْسَىٰ قَبْلَهُمْ وَلَا يَآنُجَانُ ﴿٨٥﴾ فَيَأْتِي ۙ آلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٨٦﴾ مُتَّكِفِينَ عَلَىٰ رَقَفٍ مِّمَّصٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٨٧﴾ فَيَأْتِي ۙ آلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٨٨﴾﴾ [سورة الرحمن: ٦٦ - ٧٧]؟

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَاحَتَانِ﴾: «فيهما عينان نضاختان» قال: نفوران، وقوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ قال: جوار نابتات على شط الكوثر، كلما أخذت منها واحدة نبتت مكانها أخرى، وقوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَابِ﴾ قال: يقصر الطرف عنها^(٢) - أي من شدة

(٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٤٦.

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٤٦.

ضوءها فهن محجوبات عن الآخرين ..

وقال الحلبي: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حَسَنَاتٌ﴾، قال: «هُنَّ صَوَالِحُ الْمُؤْمِنَاتِ الْعَارِفَاتِ».

قال: قلت: ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾؟ قال: «الْحُورُ: مِنَ الْبَيْضِ الْمَصُونَاتِ الْمَخْدَرَاتِ فِي خِيَامِ الدَّرِّ وَالْيَاقُوتِ وَالْمَرْجَانِ، لِكُلِّ خِيْمَةٍ أَرْبَعَةٌ أَبْوَابٌ، عَلَى كُلِّ بَابٍ سَبْعُونَ كَاعِباً حِجَاباً لِهِنَّ، وَيَأْتِيهِنَّ فِي كُلِّ يَوْمٍ كِرَامَةٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ ذِكْرَهُ، يَبْشُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِنَ الْمُؤْمِنَ»^(١).

وقال الحسين بن أعين أخى مالك بن أعين: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الرجل للرجل: جزاك الله خيراً، ما يُعنى به؟ قال: أبو عبد الله عليه السلام: «إِنْ خَيْرًا نَهَرَ فِي الْجَنَّةِ، مَخْرَجُهُ مِنَ الْكُوْثَرِ، وَالْكُوْثَرُ مَخْرَجُهُ مِنَ سَاقِ الْعَرْشِ، عَلَيْهِ مَنَازِلُ الْأَوْصِيَاءِ وَشِيعَتِهِمْ، عَلَى حَافَتِي ذَلِكَ النَّهْرِ جَوَارِ نَابِتَاتٍ، كُلَّمَا قَلَعْتَ وَاحِدَةً نَبَتَتْ أُخْرَى، سَمِي بِذَلِكَ^(٢) النَّهْرُ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حَسَنَاتٌ﴾، فَإِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِصَاحِبِهِ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا، فَإِنَّمَا يَعْنِي بِذَلِكَ تِلْكَ الْمَنَازِلَ الَّتِي أَعَدَّهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِصَفْوَتِهِ وَخَيْرَتِهِ مِنْ خَلْقِهِ»^(٣).

وقال أبو عبد الله عليه السلام - في حديث طويل -: «أَنَّ الْحُورَ الْعَيْنِ خَلَقَهُنَّ اللَّهُ فِي الْجَنَّةِ مَعَ شَجَرِهَا، وَحَبَسَهُنَّ عَلَى أَرْوَاجِهِنَّ فِي الدُّنْيَا، عَلَى كُلِّ وَاحِدَةٍ

(١) الكافي: ج ٨، ص ١٥٦، ح ١٤٧.

(٢) كذا، وفي معاني الأخبار: باسم ذلك، قال المجلسي (رحمه الله) قوله عليه السلام: «سَمِيَّ كَذَا فِي أَكْثَرِ النُّسخِ وَالظَّاهِرُ سَمِينٌ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَقْرَأَ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَعْلُومِ، أَي سَمَّاهُنَّ اللَّهُ بِهَا فِي قَوْلِهِ: ﴿خَيْرَاتٌ﴾، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمَشَارُ إِلَيْهِ النَّابِتِ، أَي سَمِي النَّهْرُ بِاسْمِ ذَلِكَ النَّابِتِ أَي الْجَوَارِي، لِأَنَّ اللَّهَ سَمَّاهُنَّ خَيْرَاتٍ. «مرآة العقول: ص ٢٦، ح ١٦٦».

(٣) تفسير أبو الفتح الرازي.

منهن سبعون حلة، يرى بياض سوقهن من وراء الحلل السبعين، كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء، والسلك الأبيض في الياقوتة الحمراء، يجامعها في قوة مائة رجل في شهوة أربعين سنة، ومن أترب أبكار عذارى، كلما نكحت صارت عذراء: ﴿لَوْ بَلَّيْتُهُنَّ إِسْتِ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانَ﴾^(١) يقول: لم يمسهن إنسي ولا جنني قط: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتُ حَسَانٍ﴾، يعني خيرات الأخلاق حسان الوجوه: ﴿كَأَنَّ أَلْيَاقُوتَ وَالْمَرْجَانَ﴾^(٢)، يعني صفاء الياقوت وبياض اللؤلؤ. قال: «وإن في الجنة لنهراً حافته الجواري - قال: - فيوحي إليهن الرب تبارك وتعالى: أسمعن عبادي تمجيدي وتسييحي وتحميدي؛ فيرفعن أصواتهن بالحان وترجيع لم يسمع الخلائق مثلها قط، فيطرب أهل الجنة»^(٣). أقول: وفي آخر وصف للنعم الموجودة في هذه الجنة يذكر سبحانه تعالى: ﴿متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان﴾.

«رفرف» في الأصل بمعنى الأوراق الواسعة للأشجار، ثم أطلقت على الأقمشة الملونة الزاهية التي تشبه مناظر الحدائق.

«عبقري» في الأصل بمعنى كل موجود قل نظيره، ولذا يقال للعلماء الذين يندر وجودهم بين الناس (عباقرة) ويعتقد الكثير أن كلمة (عبقري) كان في البداية اسماً لمدينة (بريان) انتخبه العرب لها، لأن هذه المدينة كانت في مكان غير معلوم ونادر. لذا فإن كل موضوع يقل نظيره ينسب لها ويقال «عبقري». وذكر البعض أن «عبقري» كانت مدينة تحاك فيها أفضل المنسوجات الحريرية^(٤). والمعنى الأصلي لهذه الكلمة متروك في الوقت الحاضر

(١) مختصر بصائر الدرجات: ص ٥٦.

(٢) الكافي: ج ٨، ص ٢٣٠، ح ٢٩٨، ومعاني الأخبار: ص ١٨٢، ح ١.

(٣) الرحمن: ٥٦، ٧٤.

(٤) الرحمن: ٥٨.

وتستعمل كلمة «عقبري» ككلمة مستقلة بمعنى نادر الوجود، وتأتي جمعاً في بعض الأحيان، كما في الآية مورد البحث.

﴿حسان﴾ جمع (حسن) على وزن «نصب» بمعنى جيد ولطيف.
وللمرة الأخيرة وهي (الحادية والثلاثون) يسأل سبحانه جميع مخلوقاته من الجن والإنس هذا السؤال: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾.

هل النعم المعنوية؟ أم النعم المادية؟ أم نعم هذا العالم؟ أم الموجودة في الجنة؟ إن كل هذه النعم شملت وجودكم وغمرتكم... إلا أنه - مع الأسف - قد أنساكم غروركم وغفلتكم هذه الألفاظ العظيمة، ومصدر عطائها وهو الله سبحانه الذي أنتم بحاجة مستمرة إلى نعمه في الحاضر والمستقبل... فأياً منها تنكرون وتكذبون؟.

❁ س ٢٢: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿بَنَزَكْ أَمْ رَبِّكَ ذِي الْمَلَكِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [سورة الرحمن: ٧٨]!

الجواب/ قال الباقر عليه السلام: «نحن جلال الله وكرامته التي أكرم الله تبارك وتعالى العباد بطاعتنا»^(١).

أقول: ومن الواضح أن أهل البيت عليهم السلام لا يدعون لغير الله، ولا يأمرون بغير طاعته وهم هداة الطريق إليه، وسفن النجاة في بحر الحياة المتلاطم. وبناء على هذا، فإنهم يمثلون مصاديق جلال الله وإكرامه، لأن الله تعالى قد شمل الناس بنعمة الهداية بواسطة أوليائه.

تفسير
سورة الواقعة

رقم السورة - ٥٦ -

سورة الواقعة

❁ س ١ : ما هو فضل سورة الواقعة؟!

الجواب/ قال أبو عبد الله عليه السلام : «من قرأ في كل ليلة جمعة الواقعة، أحبه الله وأحبه إلى الناس أجمعين، ولم ير في الدنيا بؤساً أبداً ولا فقراً ولا فاقة، ولا آفة من آفات الدنيا، وكان من رفقاء أمير المؤمنين عليه السلام، وهذه السورة لأمر المؤمنين عليه السلام خاصة، لم يشركه فيها أحد»^(١).

وقال أبو جعفر عليه السلام : «من قرأ الواقعة كل ليلة قبل أن ينام، لقي الله عز وجلّ ووجهه كالقمر ليلة البدر»^(٢).

ومن (خواص القرآن): روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «من قرأ هذه السورة لم يكتب من الغافلين، وإن كتبت وجعلت في المنزل نما الخير فيه، ومن أدمن على قراءتها زال عنه الفقر، وفيها قبول وزيادة حفظ وتوفيق وسعة في المال»^(٣).

وقال الصادق عليه السلام : «إن فيها من المنافع ما لا يحصى، فمن ذلك إذا قرئت على الميت غفر الله له، وإذا قرئت على من قرب أجله عند موته سهل الله عليه خروج روحه بإذن الله تعالى»^(٤).

(١) ثواب الأعمال: ص ١١٧.

(٢) ثواب الأعمال: ص ١١٧.

(٣) البرهان: ج ٩، ص ٢٣٦.

(٤) البرهان: ج ٩، ص ٢٣٦.

س ٢: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِرِوَقِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ﴿٤﴾ وَرُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ﴿٦﴾ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمِ ﴿٩﴾ وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾﴾

[سورة الواقعة: ١ - ١٢]

الجواب/ قال الزهري: سمعت علي بن الحسين عليه السلام يقول: «من لم يتعز بعزاء الله تقطعت نفسه على الدنيا حشرات، والله ما الدنيا والآخرة إلا ككفتي الميزان، فأيهما رجح ذهب بالآخر» ثم تلا قوله عز وجل: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ «يعني القيامة» «ليس لوقعتها كاذبة خافضة» خفضت والله أعداء الله إلى النار «رافعة» رفعت والله أولياء الله إلى الجنة^(١).

وقال علي بن إبراهيم، في قوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ لَيْسَ لِرِوَقِهَا كَاذِبَةٌ﴾، قال: [القيامة] هي حق، قوله تعالى: ﴿خَافِضَةٌ﴾، قال: لأعداء الله «رافعة»، قال: لأولياء الله «إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا» قال: يدق بعضها بعضاً «وَيُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا»، قال: قلعت الجبال قلعاً «فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا» قال: الهباء: الذي يدخل في الكوة من شعاع الشمس.

قوله تعالى: «وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً»، قال: يوم القيامة «فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ» وهم المؤمنون من أصحاب التبعات يوقفون للحساب «وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمِ وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ» الذين قد سبقوا إلى الجنة بلا حساب^(٢).

ثم قال علي بن إبراهيم: قال حذيفة بن اليمان: أن رسول الله ﷺ أرسل

(٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٤٦.

(١) الخصال: ص ٦٤، ح ٩٥.

إلى بلال، فأمره أن ينادي بالصلاة قبل وقت كل يوم في رجب لثلاث عشرة خلت منه، قال: فلما نادى بلال بالصلاة فرغ الناس من ذلك فرعاً شديداً وذعروا، وقالوا: رسول الله بين أظهرنا، لم يغيب عنا، ولم يمت! فاجتمعوا وحشدوا، فأقبل رسول الله ﷺ يمشي حتى انتهى إلى باب من أبواب المسجد، فأخذ بعضادتيه، وفي المسجد مكان يسمى السدة، فسلم ثم قال: «هل تسمعون، أهل السدة؟» فقالوا: سمعنا وأطعنا. فقال: «هل تبتغون؟» قالوا: ضمنا ذلك لك يا رسول الله. ثم قال رسول الله ﷺ: «أخبركم أن الله خلق الخلق قسمين، فجعلني في خيرهما قسماً، وذلك قوله: ﴿وَأَمْحَبُّ أَلْيَيْنِ﴾^(١) ﴿وَأَمْحَبُّ الشِّمَالِ﴾^(٢)، فأنا من أصحاب اليمين، وأنا خير أصحاب اليمين، ثم جعل القسمين أثلاثاً، فجعلني في خيرها ثلثاً، وذلك قوله: ﴿وَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمِ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾، فأنا من السابقين، وأنا خير السابقين، ثم جعل الأثلاث قبائل، فجعلني في خيرها قبيلة، وذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَى﴾^(٣)، فقبيلتي خير القبائل، وأنا سيد ولد آدم وأكرمهم على الله ولا فخر، ثم جعل القبائل بيوتاً، فجعلني في خيرها بيتاً، وذلك قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٤).

ألا وإن الله اختارني في ثلاثة من أهل بيتي، وأنا سيد الثلاثة وأتقاهم [ولا فخر] لله، اختارني وعلياً وجعفرأبني أبي طالب، وحمزة بن عبد المطلب، كنا رقوداً بالأبطح، ليس منا إلا مسجى بثوبه على وجهه، علي بن أبي طالب عن يميني، وجعفر عن يساري، وحمزة عند رجلي، فما نبهني عن

(٣) الحجرات: ١٣.

(١) الواقعة: ٢٧.

(٤) الأحزاب: ٣٣.

(٢) الواقعة: ٤١.

رقدتي غير حفيف أجنحة الملائكة، وبرد ذراع علي بن أبي طالب في صدري، فانتبهت من رقدتي وجبرئيل في ثلاثة أملاك، يقول له أحد الأملاك الثلاثة: يا جبرئيل إلى أي هؤلاء أرسلت، فركضني برجله، فقال: إلى هذا. قال: ومن هذا؟ يستفهمه، فقال: هذا محمد سيد النبيين، وهذا علي بن أبي طالب سيد الوصيين، وهذا جعفر بن أبي طالب له جناحان خضيبان يطير بهما في الجنة، وهذا حمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء^(١).

وقال الطبرسي: قال أبو جعفر عليه السلام: «السابقون أربعة: ابن آدم المقتول، وسابق أمة موسى عليه السلام وهو مؤمن آل فرعون، وسابق أمة عيسى عليه السلام وهو حبيب التجار، والسابق في أمة محمد عليه السلام وهو علي بن أبي طالب عليه السلام»^(٢).

وقال جابر الجعفي: قال أبو عبد الله عليه السلام: «يا جابر، إن الله تبارك وتعالى خلق الخلق ثلاثة أصناف، وهو قوله عز وجل: ﴿وكنتم أزواجا ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشمة ما أصحاب المشمة والسابقون السابقون أولئك المقربون﴾، فالسابقون هم رسل الله عليهم السلام، وخاصة الله من خلقه، جعل فيهم خمسة أرواح، أيدهم بروح القدس، فبه عرفوا الأشياء، وأيدهم بروح الإيمان، فبه خافوا الله عز وجل، وكرهوا معصيته، وجعل فيهم روح المدرج، الذي به يذهب الناس ويجيئون، وجعل في المؤمنين أصحاب الميمنة روح الإيمان، فبه خافوا الله، وجعل فيهم روح القوة، قدروا على طاعة الله، وجعل فيهم روح الشهوة فبه اشتها طاعة الله عز وجل، وجعل فيهم روح المدرج الذي به يذهب الناس ويجيئون»^(٣).

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٤٦.

(٢) مجمع البيان: ج ٩، ص ٣٢٥.

(٣) الكافي: ج ١، ص ٢١٣، ح ١.

وقال داود بن كثير الرقي: قلت لأبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام: جعلت فداك، أخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿والسابقون السابقون أولئك المقربون﴾. قال: «نطق الله بهذا يوم ذرأ الخلق في الميثاق، قبل أن يخلق الخلق بألفي سنة».

فقلت: فسر لي ذلك؟ فقال: «إن الله عز وجل لما أراد أن يخلق الخلق من طين، ورفع لهم ناراً، وقال لهم: ادخلوها، فكان أول من دخلها محمد عليه السلام وأمير المؤمنين والحسن والحسين وتسعة من الأئمة إماماً بعد إمام، ثم أتبعهم شيعتهم، فهم والله السابقون»^(١).

أقول: ثم يوضح - في جملة قصيرة - المقام العالي للمقربين حيث يقول سبحانه: ﴿في جنات النعيم﴾^(٢).

التعبير بـ ﴿جنات النعيم﴾ يشمل أنواع النعم المادية والمعنوية، ويمكن اعتبار هذا التعبير إشارة إلى أن بساتين الجنة هي وحدها مركز النعمة والراحة في مقابل بساتين الدنيا التي تحتاج إلى الجهد والتعب، كما أنّ حالة المقربين في الدنيا تختلف عن حالة المقربين في الآخرة، حيث أنّ مقامهم العالي في الدنيا كان توأمًا مع المسؤوليات والطاعات في حين أنّ مقامهم في الآخرة سبب للنعمة فقط.

ومن البديهي أن المقصود من «القرب» ليس «القرب المكاني» لأن الله ليس له مكان، وهو أقرب إلينا من أنفسنا، والمقصود هنا هو «القرب المقامي».

(١) الغيبة للنعمانى: ص ٩٠، ح ٢٠.

(٢) الجار والمجرور الموجود في الآية ﴿جنات النعيم﴾ ممكن أن يكون متعلق بما قبله يعني «المقربين»، أو مرتبطة بحال محذوف جاء للمقربين وتقديره ﴿كائنين في جنات النعيم﴾، أو يكون خبراً بعد خبر.

س ٣: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَىٰ ۚ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ۚ عَلَّ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُتَّكِيَةً عَلَيْهَا مُتَّقِيَلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَا يَصُدُّوْنَ عَنْهَا وَلَا يَنْزِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ [سورة الواقعة: ١٣ - ١٩]!

الجواب/ قال جعفر بن محمد عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿ثلاثة من الأولين﴾، قال: ﴿ثلاثة من الأولين﴾ ابن آدم الذي قتله أخوه، ومؤمن آل فرعون، وحبيب النجار صاحب يس: ﴿وقليل من الآخرين﴾ علي بن أبي طالب عليه السلام (١).

وقال علي بن إبراهيم، في قوله تعالى: ﴿ثلاثة من الأولين﴾: هم أتباع الأنبياء ﴿وقليل من الآخرين﴾ هم أتباع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿على سرر موضونة﴾، أي منصوبة.

[وقال أبو جعفر عليه السلام: «إِنَّ أَسْرَتَهَا مِنْ دَرِّ وَيَاقُوتِ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾، يَعْنِي أَوْسَاطُ السُّرْرِ [مِنْ] قَضْبَانِ الدَّرِّ وَالْيَاقُوتِ مَضْرُوبَةٍ عَلَيْهَا الْحِجَالُ، وَالْحِجَالُ مِنْ دَرِّ وَيَاقُوتِ، أَخْفَ مِنْ الرِّيشِ وَالْبَيْنِ مِنَ الْحَرِيرِ، وَعَلَى السُّرْرِ مِنَ الْفُرَشِ عَلَى قَدَرِ سَتِينِ غُرْفَةٍ مِنْ غُرْفِ الدُّنْيَا، بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَفُرَشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَلَى الْأَرَاكِ يَنْظُرُونَ﴾ (٢) يَعْنِي بِالْأَرَاكِ السُّرْرَ الْمَوْضُونَةَ عَلَيْهَا الْحِجَالُ» (٣).
﴿يطوف عليهم ولدان مخلدون، أي مسرورون﴾ (٤).

(١) تاويل الآيات: ج ٢، ص ٦٤٣، ح ٧.

(٢) المطففين: ٢٣، ٣٥.

(٣) الاختصاص: ص ٣٥٧.

(٤) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٤٨.

وقال الطبرسي، في معنى الولدان: عن علي عليه السلام: «أنهم أولاد أهل الدنيا، لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها، ولا سيئات فيعاقبوا عليها، فأنزلوا هذه المنزلة»^(١).

قال: وروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه سئل عن أطفال المشركين، فقال: «هم خدام أهل الجنة»^(٢).

أقول: ويضيف القرآن أن هؤلاء الولدان يقدمون لأصحاب الجنة أفداح الخمر وكؤوس الشراب المأخوذ من أنهار الجنة ﴿بأكواب وأباريق وكأس من معين﴾^(٣).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «حوضنا [مترع] فيه مشعبان»^(٤) ينصبان من الجنة: أحدهما من معنى، والآخر من معنى»^(٥).

أقول: وشرابهم هذا ليس من النوع الذي يأخذ لباب العقل والفكر، حيث يقول تعالى: ﴿لا يصدعون عنها ولا ينزفون﴾^(٦). إن الحالة التي

(١) مجمع البيان: ج ٩، ص ٣٢٧.

(٢) مجمع البيان: ج ٩، ص ٣٢٧.

(٣) أكواب جمع كوب بمعنى القدر أو الإناء الذي لا أعروة له، وأباريق جمع إبريق وهي في الأصل أخذت من الفارسية (أبريز) بمعنى الأواني ذات اليد من جهة، ومن الأخرى ذات أنبوب لصب السائل، وكلمة كأس تقال للإناء المملوء بالسائل لدرجة يفيض من جوانبه، ومعين من مادة (معن) على وزن (صحن) بمعنى الجاري.

(٤) المشعب: مجرى الماء من الحوض وغيره. «المعجم الوسيط»: ج ١، ص ٩٦.

(٥) الخصال: ص ٦٢٤، ح ١٠.

(٦) «يصدعون» من مادة «صداع» على وزن «حباب»، بمعنى وجع الرأس، وهذا المصطلح في الأصل من «صدع» بمعنى (الانفلاق) لأن الإنسان عندما يصاب بوجع رأس شديد فكأن رأسه يريد أن يتفلق من شدة الألم، لذا فإن هذه الكلمة قد استعملت في هذا المعنى. «ويتزفون» من أصل (نزف) على وزن (حذف) بمعنى سحب جمع مياه البشر بصورة تدريجية، وتستعمل أيضاً حول (السُّكْر) وفقدان العقل.

تنتابهم من النشوة الروحية حين تناولهم لهذا الشراب لا يمكن أن توصف، إذ تغمر كل وجودهم بلذة ليس لها مثل.

وقال علي بن إبراهيم القمي، في قوله تعالى: ﴿ولا ينزفون﴾، أي يطردون^(١).

❁ س ٤: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَفَاكِهِمْ مِمَّا يَسْتَحْبِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾﴾

[سورة الواقعة: ٢٠ - ٢١]!

الجواب/ أقول: ثم يشير سبحانه إلى رابع وخامس قسم من النعم المادية التي وهبها الله للمقربين في الجنة، حيث يقول سبحانه: ﴿وفاكهة مما يتخيرون﴾ ﴿ولحم طير مما يشتهون﴾.

وفاكهة ولحم كلاهما معطوف على أكواب وهذه الأشياء تهدي من قبل ﴿الولدان المخلدون﴾ إلى المقربين.

وإن تقديم الفاكهة على اللحم بلحاظ كون الفاكهة أفضل من الناحية الغذائية بالإضافة إلى نكهتها الخاصة عند أكلها قبل الطعام.

ويعتبر اللحم سيد الإدام في الدنيا والآخرة، كما جاء في الرواية التالية:

قال عبد الله بن سنان: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن سيد الإدام في الدنيا والآخرة. فقال: «اللحم، أما سمعت قول الله عز وجل: ﴿ولحم طير مما يشتهون﴾»^(٢).

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٢٢.

(٢) الكافي: ج ٦، ص ٣٠٨، ح ١.

س ٥: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٣﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٤﴾ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾

(سورة الواقعة: ٢٢ - ٢٤)!

الجواب/ قال أبو عبد الله عليه السلام: «ما من أحد يدخل الجنة إلا كان له من الأزواج خمسمائة حوراء، مع كل حوراء سبعون غلاماً وسبعون جارية، كأنهن اللؤلؤ المنشور، وكأنهن اللؤلؤ المكنون، وتفسير المكنون بمنزلة اللؤلؤ في الصدف، لم تمسه الأيدي ولم تره الأعين، وأما المنشور فيعني في الكثرة، وله سبعة قصور، في كل قصر سبعون بيتاً وفي كل بيت سبعون سريراً، على كل سرير سبعون فراشاً، عليها زوجة من الحور العين ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾^(١) أنهار من ماء غير آسن صاف ليس بالكدر ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ﴾ لم يخرج من ضروع المواشي ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ لم يخرج من بطون النحل ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ حَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾^(٢) لم يعصره الرجال بأقدامهم، فإذا اشتهوا الطعام جاءتهم طيور بيض يرفعن أجنحتهن، فيأكلون من أي الألوان اشتهوا، جلوساً إن شاءوا أو متكئين، وإن اشتهوا الفاكهة سعت إليهم الأغصان، فأكلوا من أيها اشتهوا، قال: ﴿وَاللَّيْكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهَا مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعَمَ عُقْبَى الَّذِينَ﴾^(٣) (٤).

أقول: وبعد الحديث عن هذه المنح، والعطايا المادية الستة، يضيف سبحانه: ﴿جزاء بما كانوا يعملون﴾^(٥) كي لا يتصور أحد أن هذه النعم تعطى

(١) الأعراف: ٤٣.

(٢) محمد صلى الله عليه وسلم: ١٥.

(٣) الرعد: ٢٣، ٢٤.

(٤) الاختصاص: ص ٣٥٢.

(٥) يلاحظ بأن (يعملون) فعل مضارع يعطي معنى الاستمرار.

جزافاً، بل إن الإيمان والعمل الصالح هو السبيل لنيلها والحصول عليها، حيث يلزم للإنسان الخالص حتى تكون هذه الألفاظ الإلهية من نصيبه .

❁ س ٦: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْيِيمًا ۗ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ (٢٦) وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا
 أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿٢٩﴾
 [سورة الواقعة: ٢٥ - ٢٩]!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْيِيمًا﴾ قال: الفحش والكذب والغناء، ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾، قوله تعالى: ﴿أَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾، قال: اليمين: علي أمير المؤمنين عليه السلام وأصحابه وشيعته، وقوله تعالى: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾، قال: شجر لا يكون له ورق ولا شوك فيه.

وقرأ أبو عبد الله عليه السلام: ﴿وطلع منضود﴾ قال: «بعضه على بعض»^(١).

وقال يعقوب بن شعيب: قلت لأبي عبد الله: ﴿وطلع منضود﴾ قال: لا، وطلع منضود»^(٢).

وجاء في حديث: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله ينفعنا بالأعراب ومسانئهم، أقبل أعرابي يوماً، فقال: يا رسول الله لقد ذكر الله في القرآن شجرة مؤذية وما كنت أرى أن في الجنة شجرة تؤذي صاحبها؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «وما هي»، قال: السدر، فإن لها شوكة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ليس يقول الله: في سدر مخضود، يخضده الله من شوكه فيجعل مكان كل شوكه ثمرة، إنها تثبت ثمراً يفتق الثمر منها عن اثنين

وسبعين لوناً من الطعام ما فيها لون يشبه الآخر^(١).

أقول: في قوله تعالى: ﴿إلا قبيلاً سلاماً سلاماً﴾، هل أن هذا السلام من قبل الله تعالى؟ أو أنه من قبل الملائكة؟ أو هو سلام متبادل بين أهل الجنة، أو كل هذه الأمور؟

الظاهر أن الرأي الأخير هو الأنسب، كما أشارت الآيات القرآنية الأخرى إلى ذلك^(٢).

نعم إنهم لا يسمعون شيئاً إلا السلام، سلام وتحتية من الله، رس الملائكة المقربين، وسلامهم وتحتيتهم لبعضهم البعض في تلك المجالس العامرة المملوءة بالصفاء والتي تفيض بالوَدِّ والأخوة والصدق.

إن محيطهم وأجواءهم المغمورة بالسلام والسلامة تسيطر على وجودهم، وإن أحاديثهم وحواراتهم المختلفة تنتهي إلى السلام والأخوة والصفاء، وأساساً فإن الجنة هي دار السلام وبيت السلامة والأمن والأمان. كما نقرأ في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾^(٣) (٤).

س ٧: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَلَطِيئَتُهُمْ فِيهَا غَدَاةٌ مُّتَدَوِّرَةٌ ﴿٢٥﴾ وَمَأْوَا مَسْكُوبٍ ﴿٢٦﴾ وَفَنَكِهِمْ كَثِيرٌ ﴿٢٧﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة الواقعة: ٣٠ - ٣٣]!

الجواب/ قال نصر بن قابوس: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز

(١) روح المعاني: ج ٢٧، ص ١٢٠، والدر المنثور: ج ٦، ص ١٥٦.

(٢) سورة يس: ٥٨، الرعد: ٢٤، يونس: ١٠.

(٣) يجب الانتباه إلى أن الاستثناء في الآية ﴿إلا قبيلاً سلاماً سلاماً﴾ هو استثناء منقطع وبعبارة للتأكيد.

(٤) الأنعام: ١٢٧.

وجلّ: ﴿وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة﴾ قال: «يا نصر، إنه والله ليس حيث يذهب الناس، إنما هو العلم وما يخرج منه».

وسألت عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَيُزِيْرُ مَعْطَلًا وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾^(١)، قال: «البر المعلقة: الإمام الصامت، والقصر المشيد: الإمام الناطق»^(٢).

وقال علي بن إبراهيم، قوله تعالى: ﴿وظل ممدود﴾ [قال: ظل ممدود] وسط الجنة في عرض الجنة، وعرض الجنة كعرض السماء والأرض، يسير الراكب في ذلك الظل مائة عام فلا يقطعه^(٣).

وقال أبو عبد الله عليه السلام - في حديث طويل -: «إذا انتهى - يعني المؤمن - إلى باب الجنة قيل له: هات الجواز، قال: هذا جوازي مكتوب فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا جواز جازئ من الله العزيز الحكيم لفلان بن فلان من رب العالمين، فينادي مناد يسمع أهل الجمع كلهم: ألا إن فلان بن فلان، قد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً، قال: فيدخل فإذا هو بشجرة ذات ظل ممدود، وماء مسكوب، وثمار مهدلة تسمى رضوان، يخرج من ساقها عينان تجريان، فينطلق إلى إحداهما كلما مرّ بذلك، فيغتسل منها، فيخرج وعليه نضرة النعيم، ثم يشرب من الأخرى، فلا يكون في بطنه مغص، ولا مرض ولا داء أبداً، وذلك قوله تعالى: ﴿وَسَقَنَّهُمْ رَبِّهِمْ سَرَابًا مُّهِورًا﴾^(٤).

ثم تستقبله الملائكة وتقول: طبت فادخلها مع الداخلين؛ فيدخل فإذا هو بسماطين من شجر، أغصانها اللؤلؤ، وفروعها الحلبيّ والحلل، ثمارها مثل ثدي الجوّاري الأبقار فتستقبله الملائكة معهم النوق والبراذين والحلي

(٣) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٤٨.

(١) الحج: ٤٥.

(٤) الإنسان: ٢١.

(٢) مختصر بصائر الدرجات: ٥٧.

والحلل، فيقولون: يا ولي الله، اركب ما شئت، [والبس ما شئت] وسل ما شئت، قال: فيركب ما اشتهى، ويلبس ما اشتهى وهو على ناقة أو برذون من نور، وثيابه من نور وحليته من نور، يسير في دار النور معه ملائكة من نور، وغلمان من نور، ووصائف من نور حتى تهابه الملائكة ما يرون من النور، فيقول بعضهم لبعض: تنحوا فقد جاء وفد الحليم الغفور.

قال: فينظر إلى أول قصر له من فضة، مشرفاً بالدر والياقوت، فتشرف عليه أزواجه، فيقلن: مرحباً مرحباً، انزل بنا؟ فيهم أن ينزل بقصره، قال: فتقول له الملائكة: سر - يا ولي الله - فإن هذا لك وغيره؛ حتى ينتهي إلى قصر من ذهب، مكمل بالدر والياقوت، [فتشرف عليه أزواجه، فيقلن: مرحباً مرحباً يا ولي الله، انزل بنا] فيهم أن ينزل بقصره، فتقول له الملائكة: سر يا ولي الله.

قال: ثم يأتي قصرأ من ياقوت أحمر، مكلاً بالدر والياقوت، فيهم بالنزول بقصره، فتقول له الملائكة سر - يا ولي الله - فإن هذا لك وغيره، قال: فيسير حتى يأتي تمام ألف قصر، كل ذلك ينفذ فيه بصره، ويسير في ملكه أسرع من طرفة العين، فإذا انتهى إلى أقصاها قصرأ نكس رأسه، فتقول الملائكة: ما لك يا ولي الله؟ قال: فيقول: والله لقد كاد بصري أن يختطف [فيقولون: يا ولي الله، أبشر فإن الجنة] ليس فيها عمى ولا صمم.

فيأتي قصرأ يرى ظاهره من باطنه، وباطنه من ظاهره لبنة من فضة، ولبنة من ذهب ولبنة من ياقوت ولبنة من در، ملاطه المسك، قد شرف بشرف من نور يتلأأ ويرى الرجل وجهه في الحائط، وذلك قوله تعالى: ﴿يَخْتَنُّهُ مَسَكٌ﴾^(١) يعني ختام الشرايب.

(١) المطففين: ٢٦.

ثم ذكر النبي ﷺ الحور العين، فقالت أم سلمة: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، أما لنا فضل عليهن؟ قال: بلى، بصلاتكن وصيامكن وعبادتكن لله؛ بمنزلة الظاهرة على الباطنة^(١).

وقال علي بن إبراهيم، قوله تعالى: ﴿وما مسكوب﴾ أي مرشوش، قوله تعالى: ﴿لا مقطوعة ولا ممنوعة﴾ أي لا تقطع، ولا يمنع أحد من أخذها^(٢).

وقال أبو جعفر عليه السلام: «قال رسول الله ﷺ: إن نخل الجنة جذوعها ذهب أحمر، وكرمها زبرجد أخضر، وشماريخها در أبيض، وسعفها حلل خضر ورطبها أشد بياضاً من الفضة، وأحلى من العسل، وألين من الزبد، ليس فيه عجم، طول العذق اثنا عشر ذراعاً، منضودة من أعلاه إلى أسفله، لا يؤخذ منه شيء إلا أعاده الله كما كان، وذلك قول الله: ﴿لا مقطوعة ولا ممنوعة﴾، وإن رطبها لأمثال القلال، وموزها أمثال الدلي، وأمشاطهم الذهب، ومجارهم^(٣) الدر^(٤)».

❁ س ٨: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَفُرُشٍ مَّرْقُوعَةٍ﴾ [سورة الواقعة: ٣٤]!

الجواب/ قال أبو جعفر عليه السلام: «قال علي عليه السلام: يا رسول الله، أخبرنا عن قول الله عز وجل: ﴿عُرْفٌ مِّنْ فَوْقِهَا عُرْفٌ﴾^(٥)، بماذا بنيت يا رسول الله؟

(١) الاختصاص: ص ٣٥٠.

(٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٤٨.

(٣) المجامر، جمع مجمر: وهو ما يوضع فيه الجمر مع البخور.

(٤) الاختصاص: ص ٣٥٧.

(٥) الزمر: ٢٠.

فقال: يا علي، تلك غرف بناها الله عز وجل لأوليائه بالدر والياقوت والزبرجد، سقفها الزبرجد محبوكة بالفضة، لكل غرفة، منها ألف باب من ذهب على كل باب ملك موكل به، فيها فرش مرفوعة بعضها فوق بعض من الحرير والديباج بألوان مختلفة، حشوها المسك والكافور والعنبر، وذلك قوله عز وجل: ﴿وفرش مرفوعة﴾^(١).

س ٩: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴿٢٥﴾ جَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٢٦﴾ عُرْيًا أَتْرَابًا ﴿٢٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾﴾

[سورة الواقعة: ٣٥ - ٣٨]!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم، قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً﴾، قال: الحور العين في الجنة ﴿فجعلناهن أبكارا عربيا﴾، قال: يتكلمون بالعربية، وقوله تعالى: ﴿أترابا﴾، أي مستويات السن ﴿لأصحاب اليمين﴾ أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام^(٢).

وقال أبو بصير، قال أبو عبد الله عليه السلام: «المؤمن يزوج ثمانمائة عذراء، وأربعة آلاف ثيب، وزوجتين من الحور العين».

قلت: جعلت فداك، ثمانمائة عذراء! قال: «نعم، ما يفترش منهن شيئا إلا وجدها كذلك».

قلت: جعلت فداك، من أي شيء خلقت الحور العين؟ قال: «من تربة الجنة النورانية، ويرى مخ ساقها من وراء سبعين حلة، كبدها مرآته، وكبده مرآتها».

قلت: جعلت فداك، ألهن كلام يكلمن به أهل الجنة؟ قال: «نعم، كلام

(٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٤٨.

(١) الكافي: ج ٨، ص ٩٧، ح ٦٩.

يتكلمن به لم يسمع الخلائق بمثله وأعذب منه».

قلت: ما هو؟ قال: «يقلن بأصوات رخيمة: نحن الخالدات فلا نموت، ونحن الناعمات فلا نياس، ونحن المقيمات فلا نظعن، ونحن الراضيات فلا نسخط، طوبى لمن خلق لنا، وطوبى لمن خلقنا له، ونحن اللواتي لو أن شعر إحدانا علق في جو السماء لأغشى نوره الأبصار»^(١).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «لو أن حوراء من الحور العين أشرفت على أهل الدنيا، وأبدت ذؤابة من ذوائبها، لأفتن أهل الدنيا - أو لأماتت أهل الدنيا - وإن المصلي ليصلي فإذا لم يسأل ربه أن يزوجه من الحور العين قلن: ما أزهد هذا فينا!»^(٢).

قال الطبرسي في (الاحتجاج): عن الصادق عليه السلام - في جوابه لسؤال زنديق - قال له: فمن أين قالوا: إن أهل الجنة يأتي الرجل منهم إلى ثمرة يتناولها، فإذا أكلها عادت كهيتها؟ قال عليه السلام: «نعم، ذلك على قياس السراج، يأتي القابس فيقتبس منه، فلا ينقص من ضوئه شيء وقد امتلأت الدنيا منه سراجاً».

قال: أليس يأكلون ويشربون، وتزعم أنه لا تكون لهم الحاجة؟ قال عليه السلام: «بلى، لأن غذائهم رقيق لا ثفل»^(٣) له، بل يخرج من أجسادهم بالعرق».

قال: فكيف تكون الحوراء في كل ما أتاها زوجها عذراء؟ قال عليه السلام: «لأنها خلقت من الطيب، لا تعثر بها عاة، ولا تخالط جسمها آفة، ولا

(١) تفسير التقي: ج ٢، ص ٨٢.

(٢) الزهد: ص ١٠٢، ح ٢٨٠.

(٣) الثفل: ما سفل من كل شيء. «لسان العرب: ص ١١، ح ٨٤».

يجري في ثقبها شيء ولا يندسها حيض، فالرحم ملتزقة ملدم^(١) إذ ليس فيه لسوى الإحليل مجرى».

قال: فهي تلبس سبعين حلة، ويرى زوجها مخ ساقها من وراء حللها [وبدنها]؟ قال ﷺ: «نعم، كما يرى أحدكم الدراهم إذا ألقيت في ماء صاف قدره قدر رمح».

قال: فكيف تنعم أهل الجنة بما فيها من النعيم، وما منهم أحد إلا وقد افتقد ابنه أو أباه أو حميمه أو أمه، فإذا افتقدوهم في الجنة، لم يشكوا في مصيرهم إلى النار، فما يصنع بالنعيم من يعلم أن حميمه في النار يعذب؟ قال ﷺ: «إن أهل العلم قالوا: ينسون ذكرهم، وقال بعضهم: انتظروا قدومهم، ورجوا أن يكونوا بين الجنة والنار في أصحاب الأعراف»^(٢).

❁ س ١٠: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَىٰ ۖ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ۗ وَأَصْحَابُ الْمَيْمَانِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمِ ۗ﴾

في سُورَةِ وَجْهِهِ ۗ وَظَلِيلٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۗ لَا يَأْوِيهِ وَلَا كَرِيمٌ ۗ﴾

[سورة الواقعة: ٣٩ - ٤٤]!

الجواب/ قال أبو سعيد المدائني: سألت أبا عبد الله ﷺ، عن قول الله عز وجل: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَىٰ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾، قال: «ثلاثة من الأولين» حزقييل مؤمن آل فرعون ﴿وثلثة من الآخرين﴾ علي بن أبي طالب ﷺ من هذه الأمة^(٣).

وقال علي بن إبراهيم، قوله تعالى: (ثلاثة من الأولين): من الطبقة

(١) في النسخ: ملزم، وما أثبتناه من المصدر، يقال: رجل ملدم، أي كثير اللحم ثقيل.

(٢) الاحتجاج: ص ٣٥١.

(٣) تأويل الآيات: ج ٢، ص ٦٤٣، ح ٨.

الأولى التي كانت مع النبي ﷺ (وثلة من الآخرين)، قال: بعد النبي ﷺ من هذه الأمة.

﴿وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال﴾، قال: أصحاب الشمال أعداء آل محمد ﷺ وأصحابهم الذين والوهم ﴿في سموم وحميم﴾، قال: السموم: اسم النار، والحميم: ماء قد حمي ﴿وظل من يحموم﴾ قال: ظلمة شديدة الحر ﴿لا بارد ولا كريم﴾، قال: ليس بطيب ﴿فشاربون شرب الهيم﴾ قال: من الزقوم، والهيم: الإبل^(١).

❁ س ١١: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿١٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿١٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَهَذَا مِثْنَا وَكَانَ شُرَكَائَنَا وَعِظْمًا يُونَا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٧﴾ أَوْ ءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٨﴾ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿١٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيعَدٍ يَوْمٍ مُّعْلَمٍ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْتَانَا الْمَسْأَلُونَ ﴿٢١﴾ الْمَكْذُوبُونَ ﴿٢٢﴾ لَأَكْفُرَنَّ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُكُومٍ ﴿٢٣﴾ قَالُونَ يَتَنَا الْبَطُونُ ﴿٢٤﴾﴾

[سورة الواقعة: ٤٥ - ٥٣]!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسي: ثم ذكر سبحانه أعمالهم التي أوجبت لهم هذا فقال: ﴿إنهم كانوا قبل ذلك مترفين﴾ أي كانوا في الدنيا متنعمين... وذلك أن عذاب المترف أشد المأ. وبين سبحانه أن الترف ألهاهم عن الانزجار، وشغلهم عن الاعتبار وكانوا يتركون الواجبات طلباً لراحة أبدانهم: ﴿وكانوا يصرون على الحنث العظيم﴾ أي الذنب العظيم... والإصرار: أن يقيم عليه، فلا يقطع عنه، ولا يتوب منه. وقيل: الحنث العظيم الشرك أي: لا يتوبون عنه... وقيل: كانوا يحلفون لا يبعث

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٤٩.

الله من يموت، وإن الأصنام أنداد الله... ﴿وكانوا يقولون﴾ إذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون ﴿أي ينكرون البعث والنشور، والشواب والعقاب، فيقولون مستبعدين لذلك، منكرين له:﴾ إذا خرجنا من كوننا أحياء، وصرنا تراباً أُنبعث. ﴿أو آباؤنا الأولون﴾ أي: أو يبعث آباؤنا الذين ماتوا قبلنا، ويحشرون. إن هذا لبعيد. ومن قرأ ﴿أو آباؤنا﴾ بفتح الواو، فإنها واو العطف، دخل عليها ألف الاستفهام. ﴿قل﴾ يا محمد لهم ﴿إن الأولين والآخرين﴾ أي الذين تقدموكم من آبائكم، وغير آبائكم، والذين يتأخرون عن زمانكم. ﴿لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم﴾ يجمعهم الله، ويبعثهم، ويحشرهم إلى وقت يوم معلوم عنده، وهو يوم القيامة.

﴿ثم إنكم أيها الضالون﴾ الذين ضللتهم عن طريق الحق، وجزتم عن الهدى. ﴿المكذبون﴾ بتوحيد الله، وإخلاص العبادة له، ونبوة نبيه. ﴿لآكلون من شجر من زقوم فمالثون منها البطون﴾ مفسر في سورة الصافات^(١).

❁ س ١٢: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ مِنَّا مِمَّا لَمْ يَأْتِكُمْ بِهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾

[سورة الواقعة: ٥٤ - ٥٥]!

الجواب/ أقول: بعد تناولهم الغذاء السيء يعطشون، ولكن ما هو شرابهم؟ يتبين ذلك في قوله تعالى: ﴿فشاربون عليه^(٢) من الحميم فشاربون شرب الهيم﴾.

(١) مجمع البيان: ج ٩، ص ٣٦٨.

(٢) الجدير بالذكر أن في الآية السابقة كان الضمير مؤنثاً (منها) يعود على ﴿شجر من زقوم﴾ وفي هذه الآية كان الضمير مذكراً (عليه) يعود على الشجر، وذلك لأن الشجر اسم جنس يستعمل للذكر والمؤنث، وكذلك ثمر، (مجمع البيان نهاية الآية مورد البحث).

﴿حميم﴾: بمعنى الماء الحار جداً والحارق، وتطلق عبارة ﴿ولي حميم﴾ على طبيعة العلاقة الصادقة الودية الحارة، و«حمام» مشتق من نفس المادة أيضاً.

وقال الحلبي: قال أبو عبد الله عليه السلام، قال: «ثلاثة أنفاس في الشرب أفضل من نفس واحد». وقال: «كان يكره أن يشبه بالهيم». قلت: وما الهيم؟ قال: «الرمل»^(١). وفي حديث آخر، قال: «هي الإبل»^(٢).

وقال سليمان بن خالد: سألت أبا عبد الله عليه السلام [عن] الرجل يشرب بالنفس الواحد؟ قال: «يكره ذلك، وذلك شرب الهيم»، قلت: وما الهيم؟ قال: «الإبل»^(٣).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «ثلاثة أنفاس أفضل من نفس واحد» وكان يكره أن يشبه بالهيم، وقال: «الهيم: الثيب»^(٤)،^(٥).

❁ س ١٣: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿هَذَا تَزَلُّمٌ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥١﴾ مَنُ خَلَقْتِكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْمَخْلُوقُونَ ﴿٥٩﴾ مَنُ قَدَرْنَا يَبْنِكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٥﴾ عَلَنَ أَنْ يَبْدَلَ مِنْتَكُمْ وَيُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَحْسَبُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُوبُونَ ﴿٦٨﴾ أَأَنْتُمْ تَرْزُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الرَّزَّاقُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلَمْتُمْ تَفَكُّهُونَ ﴿٧٥﴾ إِنَّا لَمَعْرُومُونَ ﴿٧٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٧٧﴾ أَفَرَأَيْتُمْ

(١) الهيم: هي الإبل العطاش، ويقال: الرَّمْلُ. [لسان العرب - هيم - ص ١٢، ح ٦٢٧].

(٢) معاني الأخبار: ص ١٤٩، ح ٣.

(٣) التهذيب: ج ٩، ص ٩٤، ح ١٤٥.

(٤) الثيب، جمع ناب: المُتَّة من الثَّوْق.

(٥) التهذيب: ج ٩، ص ٩٤، ح ١٤٦.

أَلَمْ آءَلَّذِي نَسْرُوبُونَ ﴿٧٦﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٧٧﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْتَهُ
أَجَاً فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴿سورة الواقعة: ٥٦ - ٧٠﴾!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسي (رحمه الله تعالى): قوله: ﴿هذا نزلهم يوم الدين﴾ النزول: الأمر الذي ينزل عليه صاحبه. والمعنى: هذا طعامهم وشرابهم يوم الجزاء في جهنم.

ثم احتج سبحانه عليهم في البعث بقوله: ﴿نحن خلقناكم﴾ أي نحن خلقناكم، ولم تكونوا شيئاً، وأنتم تعلمون ذلك... ﴿فلولا تصدقون﴾ أي فهلا تصدقون، ولم لا تصدقون بالبعث، لأن من قدر على الإنشاء والابتداء، قدر على الإعادة^(١). ثم نبههم سبحانه على وجه الاستدلال على صحة ما ذكره. فقال: ﴿أفرأيتم ما تمنون﴾ أي ما تقدفون وتصبون في أرحام النساء من النطف. فيصير ولداً ﴿ءأنتم تخلقونه﴾ أي ءأنتم تخلقون ما تمنون بشراً ﴿أم نحن الخالقون﴾ فإذا لم تقدرُوا أنتم وأمثالكم على ذلك، فاعلموا أن الله سبحانه الخالق لذلك. وإذا ثبت أنه قادر على خلق الولد من النطفة، وجب أن يكون قادراً على إعادته بعد موته، لأنه ليس بأبعد منه. ثم بين سبحانه أنه كما بدأ الخلق، فإنه يميتهم فقال: ﴿نحن قدرنا بينكم الموت﴾ التقدير: ترتيب الأمر على مقدار أي: نحن أجرينا الموت بين العباد على مقدار، كما تقتضيه الحكمة. فمنهم من يموت صبياً، ومنهم من يموت شاباً، ومنهم من يموت كهلاً وشيخاً وهرماً. وقيل: معناه قدرناه بأن سويناً فيه بين المطيع والعاصي، وبين أهل السماء والأرض. ﴿وما نحن بمسبوقين﴾ قيل: إنه من تمام ما قبله أي: لا يسبقنا أحد منكم على ما قدرناه من الموت، حتى يزيد

(١) قال علي بن الحسين عليه السلام: «عجب كل العجب لمن أنكر الموت وهو يرى من يموت كل يوم وليلة، والعجب كل العجب لمن أنكر النشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى» (الكافي: ج ٣، ص ٢٥٨، ح ٢٨).

في مقدار حياته . وقيل : إنه ابتداء كلام يتصل به ما بعده ، والمعنى : وما نحن بمغلوبين . ﴿ على أن نبدل أمثالكم ﴾ أي نأتي بخلق مثلكم بدلاً منكم ، وتقديره : نبدلكم بأمثالكم . . . قال الزجاج : معناه إن أردنا أن نخلق خلقاً غيركم ، لم يسبقنا سابق ، ولا يفوتنا .

﴿ وننشئكم فيما لا تعلمون ﴾ من الصور ، أي إن أردنا أن نجعل منكم القردة والخنازير ، لم نسبق ، ولا فاتنا ذلك ، وتقديره : كما لم نعجز عن تغيير أحوالكم بعد خلقكم ، لا نعجز عن أحوالكم بعد موتكم . وقيل : أراد النشأة الثانية أي : ننشئكم فيما لا تعلمون من الهيئات المختلفة . فإن المؤمن يخلق على أحسن هيئة ، وأجمل صورة . والكافر على أقيح صورة . وقيل : إنما قال ذلك ، لأنهم علموا حال النشأة الأولى ، كيف كانت في بطون الأمهات ، وليست الثانية كذلك لأنها تكون في وقت لا يعلمه العباد . ﴿ ولقد علمتم النشأة الأولى ﴾ أي المرة الأولى من الإنشاء ، وهو ابتداء الخلق حين خلقتم من نطفة ، وعلقة ، ومضغة . ﴿ فلولا تذكرون ﴾ أي فهلا تعتبرون وتستدلون بالقدرة عليها ، على الثانية . ﴿ أفرأيتم ما تحرثون ﴾ أي ما تعملون في الأرض ، وتلقون فيها من البذر . ﴿ ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ﴾ أي ءأنتم تنبتونه ، وتجعلونه زرعاً ، أم نحن المنبتون . فإن من قدر على إنبات الزرع من الحبة الصغيرة ، وأن يجعلها حبوباً كثيرة ، قدر على إعادة الخلق إلى ما كانوا عليه ، وروي عن النبي ﷺ أنه قال : (لا يقولن أحدكم زرعتم وليقل حرثتم) . ﴿ لو نشاء لجعلنا ﴾ أي جعلنا ذلك الزرع ﴿ حطاماً ﴾ أي هشياً لا ينتفع به في مطعم ولا غذاء . وقيل : تبناً لا قمح فيه ، ﴿ فظلمت تفكهن ﴾ أي : تتعجبون مما نزل بكم في زرعكم . وقيل : معناه تندمون وتتأسفون على ما أنفقتم فيه . وأصله من التفكه بالحديث وهو التلهي به ، فكأنه قال : فظلمت تتروحون إلى التندم ، كما يتروح الفكه إلى الحديث ، بما يزيل الهم . وقيل : معناه

يتلاومون، أي: يلوم بعضهم بعضاً على التفريط في طاعة الله. ﴿إنا لمغرمون﴾ أي تقولون: إنا لمغرمون. والمعنى: إنا قد ذهب مالنا كله، ونفقتنا، وضاع وقتنا، ولم نحصل على شيء. وقيل: معناه إنا لمعذبون مجدودون^(١) عن الحظ.

وفي رواية: إنا لمولح بنا. وفي رواية أخرى: إنا لملقون في الشبر. وقيل محارفون، ومن قرأ ﴿إنا﴾ على الاستفهام حمله على أنهم يقومون فيقولون منكرين لذلك. ومن قرأ ﴿إنا﴾ على الخير حمله على أنهم مخبرون بذلك عن أنفسهم. ثم يستدركون فيقولون: ﴿بل نحن محرومون﴾ أي مبخوسو الحظ، محارفون ممنوعون من الرزق والخير. ثم قال سبحانه، منبهاً على دلالة أخرى: ﴿أفرايتم الماء الذي تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن﴾ أي من السحاب ﴿أم نحن المنزلون﴾.

نعمة منا عليكم، ورحمة بكم، ثم قال: ﴿لو نشاء جعلناه أجاجا﴾ أي مرأً شديد المرارة^(٢). وقيل: هو الذي اشتدت ملوحته. ﴿فلولا تشكرون﴾ أي فهلا تشكرون على هذه النعمة السنية التي لا يقدر عليها أحد غير الله^(٣).

❁ س ١٤: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧٦﴾ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٧﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرًا وَرَمْتُمَا لِلْمُقِيمِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾
[سورة الواقعة: ٧١ - ٧٤]!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم القمي: في قوله تعالى: ﴿أفرايتم النار

(١) في سائر النسخ مجدودون بالمهملة. وجد النخل بالجيم أي: صرمه وقطعه. وحد الله عنا الشر أي: كفه وصرفه.

(٢) قال أبو جعفر عليه السلام، في قوله تعالى: (وهذا ملح أجاج): أي: المر.

(٣) مجمع البيان: ج ٩، ص ٣٧١ - ٣٧٣.

التي توروں ﴿ أي توروںها وتوقدونها وتتفعون بها ﴾ «أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة ﴿ لنار يوم القيامة ﴾ ومتاعاً للمفقرين ﴿، قال: المحتاجين^(١)».

أقول: يقول سبحانه في آخر آية مورد البحث: ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾.

نعم، إن الله الذي خلق كل هذه النعم، والتي كل منها تذكرنا بقدرته وتوحيده وعظمته ومعاده، لائق للتسبيح والتتزيه من كل عيب ونقص. إنه رب، وكذلك فإنه «عظيم» وقادر ومقتدر، وبالرغم من أن المخاطب في هذه الآية هو الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله إلا أن من الواضح أن جميع البشر هم المقصودون.

❁ س ١٥: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَطَّلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾

(سورة الواقعة: ٧٥-٧٦)!

الجواب/ قال أبو عبد الله عليه السلام، في قول الله عز وجل: ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾: «كان أهل الجاهلية يحلفون بها، فقال الله عز وجل: ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾». قال: «عظم أمر [من] يحلف بها».

قال: «وكانت الجاهلية يعظمون الحرم ولا يقسمون به ولا بشهر رجب، ولا يعرضون فيها لمن كان فيها ذاهباً أو جانياً، وإن كان [قد] قتل أباه، ولا لشيء [يُخرج] من الحرم دابة أو شاة أو بعير أو غير ذلك، فقال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وآله: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾^(٢)، قال: «فبلغ من جهلهم

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٤٩.

(٢) البلد: ١، ٢.

أنهم استحلوا قتل النبي ﷺ، وعظموا أيام الشهر حيث يقسمون به [فيفون] (١).

وقال المفضل بن عمر الجمفي: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول في قول الله عز وجل: ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسام لو تعلمون عظيم﴾: «يعني به اليمين بالبراءة من الأئمة عليهم السلام، يحلف بها الرجل، يقول: إن ذلك عند الله عظيم» (٢).

وقال الطبرسي: روي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام: «أن مواقع النجوم: رجومها للشياطين» (٣).

وقال الشيباني في (نهج البيان): روي عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام: أنه قال: «كان أهل الجاهلية يحلفون بالنجوم، فقال الله سبحانه: لا أحلف بها، وقال: ما أعظم إثم من يحلف بها، وإنه لقسام عظيم عند الجاهلية» (٤).

❁ س ١٦: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿إِنَّهُمْ لَقَوْمٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْتُوبٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُذْهِبُونَ ﴿٨١﴾﴾ [سورة الواقعة: ٧٧ - ٨١]؟!

الجواب/ ١ - قال إبراهيم بن عبد الحميد، عن أبي الحسن عليه السلام قال: «المصحف لا تمسه على غير طهر، ولا جنباً، ولا تمس خطه، ولا تعلقه، إن الله يقول: ﴿لا يمسّه إلا المطهرون﴾» (٥).

(١) الكافي: ج ٧، ص ٤٥٠، ح ٤.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٢٣٧، ح ١١٢٣.

(٣) مجمع البيان: ج ٩، ص ٣٤١.

(٤) نهج البيان: ج ٣، ص ٢٨٤ «مخطوط».

(٥) التهذيب: ج ١، ص ١٢٧، ح ٣٤٤.

وقال الطبرسي: لا يجوز للجنب والحائض والمحدث من المصحف، عن محمد بن علي الباقر عليه السلام في معنى الآية^(١).

٢ - أقول: قوله: ﴿تنزيل من رب العالمين﴾، إن الله المالك والبارئ لجميع الخلق، قد نزل هذا القرآن لهداية البشر، وقد أنزله سبحانه على قلبي النبي الطاهر، وكما أن العالم التكويني صادر منه وهو تعالى رب العالمين فكذلك الحال في المجال التشريعي، فكل نعمة وهداية فمن ناحيته ومن عطائه.

ثم يضيف سبحانه: ﴿أفيهذا الحديث أنتم مدهنون﴾ هل أنتم بهذا القرآن وبتلك الأوصاف المتقدمة تتساهلون، بل تنكرونه وتستصغرونه في حين تشاهدون الأدلة الصادقة والحقة بوضوح، وينبغي لكم التسليم والقبول بكلام الله سبحانه بكل جدية، والتعامل مع هذا الأمر كحقيقة لا مجال للشك فيها.

عبارة «هذا الحديث» في الآية الكريمة إشارة للقرآن الكريم، و«مدهنون» في الأصل من مادة «دهن» بالمعنى المتعارف عليه، ولأنّ الدهن يستعمل للبشرة وأمور أخرى، فإن كلمة «أدهان» جاءت بمعنى المداراة والمرونة، وفي بعض الأحيان بمعنى الضعف وعدم التعامل بجدية... ولأنّ المنافقين والكاذبين غالباً ما يتصفون بالمداراة والمصانعة، لذا استعمل هذا المصطلح أحياناً بمعنى التكذيب والإنكار، ويحتمل أن يكون المعنيان مقصودان في الآية.

والأصل في الإنسان أن يتعامل بجدية مع الشيء الذي يؤمن به، وإذا لم يتعامل معه بجدية فهذا دليل على ضعف إيمانه به أو عدم تصديقه.

❁ سر ١٧ : ما هو معنى قوله تعالى :

﴿ وَيَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تَكْذِبُونَ ﴾ (٨٢) فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ
تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ عَيْرَ
مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ ﴿ [سورة الواقعة : ٨٢ - ٨٧] ؟!

الجواب/ قال أبو عبد الرحمن السلمي : أن علياً عليه السلام قرأ بهم الواقعة (وتجعلون شكركم أنكم تكذبون) فلما انصرف، قال : «إني عرفت أنه سيقول قائل : لم قرأ هكذا، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها هكذا، وكانوا إذا مطروا قالوا : مطرنا بنوء^(١) كذا وكذا، فأنزل الله عليهم ﴿وتجعلون شكركم أنكم تكذبون﴾^(٢) .

وقال شرف الدين النجفي : جاء في تأويل أهل البيت الباطن، في حديث أحمد بن إبراهيم، عنهم عليهم السلام ﴿وتجعلون رزقكم﴾ أي شكركم النعمة التي رزقكم الله وما من عليكم بمحمد وآل محمد ﴿أنكم تكذبون﴾ بوصيته ﴿فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون﴾ إلى وصيه أمير المؤمنين عليه السلام بشر وليه بالجنة، وعدوه بالنار ﴿ونحن أقرب إليه منكم﴾ يعني أقرب إلى أمير المؤمنين منكم ﴿ولكن لا تبصرون﴾ أي لا تعرفون^(٣) .

وقال أبو بصير : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : ما معنى قول الله تبارك وتعالى : ﴿فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها إن كنتم صادقين﴾ .

(١) النوء : سقوط نجم من المنازل في المغرب مع الفجر وطلوع رقيه من المشرق يقابله من ساعته في كل ليلة إلى ثلاثة عشر يوماً، وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها. «الصحاح» : ج ١، ص ٧٩.

(٢) تفسير القمي : ج ٢، ص ٢٤٩.

(٣) تأويل الآيات : ج ٢، ص ٦٤٤، ح ٩.

قال: «إن نفس المحتضر إذا بلغت الحلقوم وكان مؤمناً، رأى منزله في الجنة، فيقول: ردوني إلى الدنيا حتى أخبر أهلها بما أرى، فيقال له: ليس إلى ذلك سبيل»^(١).

وقال علي بن إبراهيم: في قوله: «فلولا إذا بلغت الحلقوم» يعني النفس، قال: معناه: فإذا بلغت الحلقوم «وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون فلولا إن كنتم غير مدينين»، قال: معناه: فلو كنتم غير مجازين على أفعالكم «ترجعونها» يعني الروح إذا بلغت الحلقوم، تردونها في البدن «إن كنتم صادقين»^(٢).

س ١٨: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرِيحٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَعْصَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَّةٌ لَكَ مِنْ أَعْصَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَدِّبِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَرْلُزُ مِنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَنَصِيلَةٌ مِنْ حَمِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾ [سورة الواقعة: ٨٨ - ٩٤]!

الجواب/ قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام: «إذا مات المؤمن شيعة سبعون ألف ملك إلى قبره، فإذا أدخل قبره جاءه منكر ونكير فيقعدهانه، فيقولان له: من ربك، وما دينك، ومن نبيك؟ فيقول: ربي الله، ومحمد نبيي، والإسلام ديني، فيفسحان له في قبره مد بصره، ويأتيانه بالطعام من الجنة، ويدخلان عليه الروح والريحان، وذلك قوله عز وجل: «فأما إن كان من المقربين فروح وريحان» يعني في قبره «وجنات نعيم» يعني في الآخرة».

ثم قال عليه السلام: «إذا مات الكافر شيعة سبعون ألف من الزوانية إلى قبره، وإنه ليناشد حامله بصوت يسمعه كل شسء إلا الثقلين، ويقول: لو أن

(٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٥٠.

(١) الزهد: ص ٨٤، ح ٢٢٣.

لي كرة فأكون من المؤمنين؟ ويقول: ارجعوني لعلني أعمل صالحاً فيما تركت، فتجيبه الزبانية: كلا إنها كلمة هو قائلها، ويناديهم ملك: لو رد لعاد لما نهى عنه؛ فإذا أدخل قبره وفارقه الناس، أتاه منكر ونكير في أهول صورة فيقيمانه، ثم يقولان له: من ربك، وما دينك، ومن نبيك؟ فيتلجلج لسانه، ولا يقدر على الجواب، فيضربانه ضربةً من عذاب الله يذعر لها كل شيء، ثم يقولان [له]: من ربك، وما دينك، ومن نبيك؟ فيقول: لا أدري، فيقولان له: لا دريت ولا هديت ولا أفلحت؛ ثم يفتحان له باباً إلى النار، وينزلان إليه الحميم من جهنم، وذلك قول الله عز وجل: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ الصَّالِينَ فَنُزِّلْ مِنْ جَبْرِ﴾ يعني في القبر ﴿وَنَصْلَةٍ جَبْرِ﴾ يعني في الآخرة^(١).

وقال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام: «نزلت هاتان الآيتان في أهل ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ﴾ يعني في قبره ﴿وَحَنَّتْ نَعِيمٌ﴾ يعني في الآخرة ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ الصَّالِينَ فَنُزِّلْ مِنْ جَبْرِ﴾ يعني في قبره ﴿وَنَصْلَةٍ جَبْرِ﴾ يعني في الآخرة^(٢).

وقال أبو عبد الله عليه السلام، في قول الله عز وجل: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾: «قال رسول الله ﷺ لعلني عليه السلام: هم شيعتك، فسلم ولدك منهم أن يقتلوهم»^(٣).

وسئل أبو جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَاتُ نَعِيمٍ﴾، فقال: «هذا في أمير المؤمنين والأئمة من بعده (صلوات الله عليهم)»^(٤).

وقال محمد بن عمران: قلت لأبي جعفر عليه السلام: فقوله عز وجل:

(١) أمالي الصدوق: ص ٢٣٩، ح ١٢. (٣) الكافي: ج ٨، ص ٢٦٠، ح ٣٧٣.

(٢) أمالي الصدوق: ص ٣٨٣، ح ١١. (٤) ناول الآيات: ج ٢، ص ٦٥٢، ح ١٦.

﴿فأما إن كان من المقربين﴾؟ قال: «ذلك من [كانت له] منزلة عند الإمام». قلت: ﴿وأما إن كان من أصحاب اليمين﴾؟ قال: «ذلك من وصف بهذا الأمر».

قلت: ﴿وأما إن كان من المكذبين الضالين﴾؟ قال: «الجاحدين للإمام»^(١).

وقال الطبرسي في (جوامع الجامع): فروح بالضم، وهو المروي عن الباقر عليه السلام، أي فرحة لأن الرحمة كالحياة للمرحوم^(٢).

❁ س ١٩: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَلَاءً فَظَلَمْتَ فَكَفَّوْنَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَنَعْرِضُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ عَزُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتَ الْمَاءَ الَّذِي فَشَرْتُوهُ ﴿٦٨﴾ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [سورة الواقعة: ٦٥-٦٩]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسي: ﴿إن هذا لهو حق اليقين﴾ أضاف الحق إلى اليقين، وهما واحد للتأكيد أي: هذا الذي أخبرتك به من منازل هؤلاء الأصناف الثلاثة، هو الحق الذي لا شك فيه، واليقين الذي لا شبهة معه. وقيل: تقديره حق الأمر اليقين. ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ أي نزه الله سبحانه عن السوء والشرك، وعظمه بحسن الثناء عليه. وقيل: معناه نزه اسمه عما لا يليق به، فلا تضاف إليه صفة نقص أو عملاً قبيحاً. وقيل: معناه قولوا: سبحان ربي العظيم. والعظيم في صفة الله تعالى معناه: إن كل شيء سواه يقصر عنه، فإنه القادر العالم الغني، الذي لا يساويه شيء، ولا يخفى عليه شيء جلت آلاؤه، وتقدست أسماؤه^(٣).

(١) تأويل الآيات: ج ٢، ص ٦٥٣، ح ١٨. (٢) مجمع البيان: ج ٩، ص ٣٨٠.

(٢) جوامع الجامع: ص ٤٨٠.

تفسير
سورة الحديد

رقم السورة - ٥٧ -

سورة الحديد

س ١: ما هو فضل سورة الحديد؟!

الجواب/ قال أبو عبد الله عليه السلام: «من قرأ سورة الحديد، والمجادلة في صلاة فريضة أدامتها، لم يعذبه الله حتى يموت أبداً، ولا يرى في نفسه ولا أهله سوء أبداً، ولا خصاصة في بدنه»^(١).

وقال أبو جعفر عليه السلام: «من قرأ المسبحات كلها قبل أن ينام لم يمت حتى يدرك القائم عليه السلام، وإن مات كان في جوار رسول الله صلى الله عليه وآله»^(٢).

ومن (خواص القرآن): روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «من قرأ هذه السورة كان حقاً على الله أن يؤمنه من عذابه، وأن ينعم عليه في جنته. ومن أدام قراءتها وكان مقيداً مغلولاً مسجوناً، سهل الله خروجه، ولو كان ما كان عليه من الجنابات»^(٣).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من كتبها وعلقها عليه وهو في الحرب لم يصبه سهم ولا حديد، وكان قوياً القلب في طلب القتال، وإن قرئت على موضع فيه حديد خرج من وقته من غير ألم»^(٤).

(١) ثواب الأعمال: ص ١١٧.

(٢) مجمع البيان: ج ٩، ص ٣٤٥، (والمسبحات هي السور التي تبدأ ب (سبح الله، أو يسبح الله، وهي خمس سور: سورة الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن).

(٣) البرهان: ج ٩، ص ٣٧٤.

(٤) خواص القرآن: ص ٢٠، «مخطوط».

س ٢: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿١﴾ لَمْ تُكَلِّمَكَ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ
يُحْيِي، وَوُيِّتٌ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ [سورة الحديد: ١ - ٢]!

الجواب/ قال الشيخ الطوسي: يقول الله تعالى مخبراً أن جميع ما في السماوات والأرض يسبح له، وقد بينا في غير موضع معنى التسبيح وأنه التنزيه له عن الصفات التي لا تليق به. فمن كان من العقلاء عارفاً به فإنه يسبحه لفظاً ومعنى، وما ليس بعاقل من سائر الحيوان والجمادات فتسبيحها ما فيها من الآية الدالة على وحدانيته وعلى الصفات التي باين بها جميع خلقه، وما فيها من الحجج على أنه لا يشبه خلقه وأن خلقه لا يشبهه، ذلك بالتسبيح. وإنما كرر ذكر التسبيح في غير موضع من القرآن لانهقاده لمعان مختلفة لا ينوب بعضها مناب بعض، فمن ذلك قوله: ﴿وَإِن يَنْ شَاءِ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾^(١) فهذا تسبيح بحمد الله وأما ﴿سبح لله ما في السماوات والأرض﴾ فهو تسبيح بالله ﴿العزیز الحكيم﴾ فكل موضع ذكر فيه فلعقده بمعنى لا ينوب عنه غيره منابه، وإن كان مخرج الكلام على الإطلاق ﴿والعزیز الحكيم﴾ معناه المنيع بأنه قادر لا يعجزه شيء العليم بوجوه الصواب في التدبير، ولا تطلق صفة ﴿العزیز الحكيم﴾ إلا فيه تعالى، لأنه على هذا المعنى. وقوله ﴿له ملك السماوات والأرض﴾ إخبار بأن له التصرف في جميع ما في السماوات والأرض وليس لأحد منعه منه ولا أن أحداً ملكه ذلك وذاك هو الملك الأعظم، لأن كل ما عداه فما يملكه، فإن الله هو الذي ملكه إياه، وله منعه منه. وقوله ﴿يحيي ويميت﴾ معناه يحيي الموات، لأنه يجعل النطفة وهي جماد حيواناً ويحييها بعد موتها يوم القيامة، ويميت الأحياء إذا بلغوا آجاله

التي قدرها لهم ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ أي كل ما يصح أن يكون مقدوراً له، فهو قادر عليه^(١).

س ٣: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

[سورة الحديد: ٣]!

الجواب/ قال ابن أبي يعفور: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿هو الأول والآخرة﴾ وقلت أما الأول عرفناه، وأما الآخر فبئس لنا تفسيره؟!

فقال: «إنه ليس شيء إلا يبید أو يتغير، أو يدخله التغيير والزوال، أو ينتقل من لون إلى لون، ومن هيئة إلى هيئة، ومن صفة إلى صفة، ومن زيادة إلى نقصان، ومن نقصان إلى زيادة، إلا رب العالمين، فإنه لم يزل ولا يزال بحالة واحدة، هو الأول قبل كل شيء، وهو الآخر على ما لم يزل، ولا تختلف عليه الصفات والأسماء كما تختلف على غيره، مثل الإنسان الذي يكون تراباً مرة، ومرة لحمًا ودمًا، ومرة رفاتاً رميماً، وكالبسر الذي يكون مرة بلحاً، ومرة بسرًا، ومرة رطباً، ومرة تمرًا، فتتبدل عليه الأسماء والصفات، والله جلّ وعز بخلاف ذلك»^(٢).

وقال ميمون البان: سمعت أبا عبد الله عليه السلام، وقد سئل عن الأول والآخرة. فقال: «الأول لا عن أول قبله، ولا عن بدء سبقه، والآخرة لا عن نهاية كما يعقل من صفة المخلوقين، ولكن قديم، أول آخر، لم يزل ولا يزول بلا بدء ولا نهاية، لا يقع عليه الحدوث، ولا يحول من حال إلى حال،

(١) التبيان: ج ٩، ص ٥١٧.

(٢) الكافي: ج ١، ص ٨٩، ح ٥، والتوحيد: ص ٣١٤، ح ٢.

خالق كل شيء»^(١).

وقال علي بن محمد مرسلأً، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام - في حديث يفسر فيه أسماء الله تعالى - قال: «وأما الظاهر فليس من أجل أنه علا الأشياء بركوب فوقها، وعود عليها، وتسمن لذراها، ولكن ذلك لقهره ولغلبته الأشياء وقدرته عليها، كقول الرجل: ظهرت على أعدائي، وأظهرني الله على خصمي، يخبر عن الفلج والغلبة، فهكذا ظهور الله على الأشياء.

ووجه آخر أنه الظاهر لمن أراد، ولا يخفى عليه شيء، وأنه مدبر لكل ما برأ، فأبي ظاهر أظهر وأوضح من الله تبارك وتعالى؟ لأنك لا تعدم صنعته حيثما توجهت، وفيك من آثاره ما يغنيك، والظاهر منا البارز بنفسه والمعلوم بحده، فقد جمعنا الاسم ولم يجمعنا المعنى.

وأما الباطن فليس على معنى الاستبطان للأشياء، بأن يغور فيها، ولكن ذلك منه على استبطانه للأشياء علماً وحفظاً وتدبيراً، كقول القائل: أبطنته؛ يعني خبرته وعلمت مكتوم سره، الباطن منا الغائب في الشيء المستتر، وقد جمعنا الاسم واختلف المعنى»^(٢).

وقال جابر بن عبد الله: لقيت عماراً في بعض سكك المدينة، فسألته عن النبي صلى الله عليه وآله، فأخبر أنه في مسجده في ملا من قومه، وأنه لما صلى الغداة أقبل علينا، فبينما نحن كذلك وقد بزغت الشمس، إذا أقبل عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقام إليه النبي صلى الله عليه وآله، وقبل بين عينيه، وأجلسه إلى جنبه حتى مست ركبته ركبته، ثم قال: «يا عليّ، قم للشمس فكلمها، فإنها تكلمك». فقام أهل المسجد، فقالوا: أترى عين الشمس تكلم علياً؟ وقال بعض:

(١) الكافي: ج ١، ص ٩٠، ح ٦، والتوحيد: ص ٣١٣، ح ١.

(٢) الكافي: ج ١، ص ٩٥، ح ٢، التوحيد: ص ١٨٦، ح ٢.

لا يزال يرفع خسيصة ابن عمه وبنوه باسمه؛ إذ خرج علي عليه السلام فقال للشمس: «كيف أصبحت، يا خلق الله؟» فقالت: بخير يا أخا رسول الله، يا أول يا آخر، يا ظاهر يا باطن، يا من هو بكل شيء عليم.

فرجع علي عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم [فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم] فقال: «يا علي، تخبرني أو أخبرك؟» فقال: «منك أحسن، يا رسول الله». فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما قولها لك: يا أول، فأنت أول من آمن بالله، وقولها: يا آخر، فأنت آخر من تعابنتني على مغسلي، وقولها: يا ظاهر، فأنت أول من يظهر على مخزون سري، وقولها: يا باطن، فأنت المستبطن لعلمي، وأم العليم بكل شيء، فما أنزل الله تعالى علماً من الحلال والحرام والفرائض والأحكام والتنزيل والتأويل والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه والمشكل إلا وأنت به عليم، ولولا أن تقول فيك طائفة من أمتي ما قالت النصارى في عيسى، لقلت فيك مقالاً لا تُمرّ بملأ إلا أخذوا التراب من تحت قدميك يستشفون به».

قال جابر: فلما فرغ عمار من حديثه، أقبل سلمان، فقال عمار: وهذا سلمان كان معنا، فحدثني سلمان كما حدثني عمار^(١).

وقال أبو جعفر محمد بن علي عليه السلام: «بينما النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم رأسه في حجر علي عليه السلام، إذ نام رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يكن علي عليه السلام صلى العصر، فقامت الشمس تغرب، فانتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكر له علي عليه السلام شأن صلاته، فدعا الله فرد الله الشمس كهيئتها - [في وقت العصر] وذكر حديث رد الشمس - فقال له: يا علي، قم فسلم على الشمس، وكلمها فإنها تكلمك، فقال له: يا رسول الله، كيف أسلم عليها؟ قال: قل: السلام عليك يا خلق الله، فقام علي عليه السلام وقال: السلام عليك يا خلق الله. فقالت:

(١) تأويل الآيات: ج ٢، ص ٦٥٤، ح ١.

وعليك السلام يا أول يا آخر، يا ظاهر يا باطن، يا من ينتجي محبيه، ويوثق مبغضيه، فقال له النبي ﷺ: ما ردت عليك الشمس؟ فكان عليّ كاتماً عنه [فقال له النبي ﷺ: قل ما قالت لك الشمس؟ فقال له ما قالت].

فقال [النبي ﷺ]: إن الشمس قد صدقت، وعن أمر الله نطقت، أنت أول المؤمنين إيماناً، وأنت آخر الوصيين، ليس بعدي نبي، ولا بعدك وصي وأنت الظاهر على أعدائك، وأنت الباطن في العلم الظاهر عليه، ولا فوقك فيه أحد، أنت عيبة علمي وخزانة وحي ربي، وأولادك خير الأولاد، وشيعتك هم النجباء يوم القيامة^(١).

وقال علي بن إبراهيم، قوله تعالى: ﴿هو الأول﴾: قبل كل شيء ﴿والآخر﴾، قال: يبقى بعد كل شيء ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾^(٢)، قال: بالضمائر^(٣).

س ٤: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِيحُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝﴾ [سورة الحديد: ٤]!

الجواب/ ١ - قال علي بن إبراهيم، في قوله تعالى: ﴿هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام﴾ أي في ستة أوقات^(٤).

وقال عبد الله بن سنان: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن الله خلق الخير يوم الأحد، وما كان ليخلق الشر قبل الخير، وفي يوم الأحد والاثنتين خلق الأرضين، وخلق أقواتها في يوم الثلاثاء، وخلق السماوات يوم الأربعاء،

(١) تأويل الآيات: ج ٢ ص ٦٥٥، ح ٢. (٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٥٠.

(٣) الحديد: ٦. (٤) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٥٠.

ويوم الخميس، وخلق أوقاتنا يوم الجمعة، وذلك قول الله عز وجل: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ (١) (٢).

٢ - قال عبد الرحمن بن الحجاج: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ فقال: «استوى في كل شيء، فليس شيء أقرب إليه من شيء، لم يبعد منه بعيد ولم يقرب منه بقريب، استوى في كل شيء» (٣).

وقال أبو بصير: قال أبو عبد الله عليه السلام: «من زعم أن الله من شيء، أو في شيء أو على شيء، فقد كفر».

قلت فسّر لي. قال: «أعني بالحواية من الشيء له، أو بامساك له، أو من شيء سبقه».

وفي رواية أخرى: «من زعم أن الله من شيء فقد جعله محدثاً، ومن زعم أنه في شيء فقد جعله محصوراً، ومن زعم أنه على شيء فقد جعله محمولاً» (٤).

٣ - قال الشيخ الطوسي (رحمه الله تعالى): ثم قال: «يعلم ما يلج في الأرض» أي ما يدخل في الأرض ويستتر فيها، فالله عالم به لا يخفى عليه من شيء «وما يخرج منها» أي ويعلم ما يخرج من الأرض من سائر النبات والحيوان والجماد ولا يخفى عليه شيء ﴿وما ينزل من السماء﴾ أي ويعلم ما ينزل من السماء من مطر وغير ذلك من أنواع ما ينزل منها لا يخفى عليه شيء

(١) السجدة: ٤.

(٢) الكافي: ج ٨، ص ١٤٥، ح ١١٧.

(٣) الكافي: ج ١، ص ٩٩، ح ٨، التوحيد: ص ٣١٥، ح ٢.

(٤) الكافي: ج ١، ص ٩٩، ح ٩.

منها ﴿وما يعرج فيها﴾ أي ويعلم ما يعرج في السماء من الملائكة وما يرفع إليها من أعمال الخلق ﴿وهو معكم﴾ يعني بالعلم لا يخفى عليه ما لكم وما تعلمونه ﴿والله بما تعملون بصير﴾ من خير وشر أي عالم به^(١).

س ٥: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿لَمْ تَكُنْ لَكَ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [سورة الحديد: ٥]!

الجواب/ قال الشيخ الطوسي: ثم قال: ﴿له ملك السموات والأرض﴾ أي له التصرف فيهما على وجه ليس لأحد منعه منه ﴿وإليه ترجع الأمور﴾ يوم القيامة. والمعنى: أن جميع من ملكه شيئاً في دار الدنيا يزول ملكه ولا يبقى ملك أحد، ويتفرد تعالى بالملك، فذلك معنى قوله تعالى: ﴿وإليه ترجع الأمور﴾ كما كان كذلك قبل أن يخلق الخلق^(٢).

س ٦: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾

[سورة الحديد: ٦]!

الجواب/ ١ - قال أبو جعفر عليه السلام: «ما ينقص من الليل يدخل في النهار، وما ينقص من النهار يدخل في الليل».

٢ - أقول: ويضيف سبحانه في النهاية ﴿وهو عليم بذات الصدور﴾، فكما أن أشعة الشمس الباعثة للحياة والضوء تنفذ في أعماق ظلمات الليل، وتضيء كل مكان، فإن الله عز وجل ينفذ كذلك في كل زوايا قلب وروح الإنسان، ويطلع على كل أسراره.

والنقطة الجديرة بالملاحظة في الآيات السابقة هي الحديث عن علم الله

(٢) نفس المصدر السابق: ص ٥٢٠.

(١) التبيان: ج ٩، ص ٥١٩.

سبحانه ﴿لأعمالنا﴾ ﴿والله بصير عليم﴾ فهو عليم بأفكارنا وعقائدنا وما نكته صدورنا، ﴿وهو عليم بذات الصدور﴾ .

كلمة ﴿ذات﴾ في الاصطلاح الفلسفي تعني (عين الشيء وحقيقته) إلا أنها هنا لم تأت بهذا المعنى وكلمة ﴿ذات﴾ في اللغة بمعنى (صاحب الشيء) وبناء على هذا فإن ﴿ذات الصدور﴾ إشارة إلى النيات والاعتقادات التي استولت على قلوب البشر وحكمتها (يرجى ملاحظة ذلك) . . .

❁ س ٧: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا سِرًّا وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَسْرًا كَبِيرًا ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [سورة الحديد: ٧ - ٨]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطوسي: ثم أمر تعالى المكلفين فقال ﴿آمِنُوا بالله﴾ معاشر العقلاء وصدقوا نبيه وأقروا بوحدانيته وإخلاص العبادة له، وصدقوا رسوله، واعترفوا بنبوته ﴿وأنفقوا﴾ في طاعة الله والوجه التي أمركم الله بالإنفاق عليها ﴿مما جعلكم مستخلفين فيه﴾ قال الحسن: معناه ما استخلفكم فيه بورائتكم إياه عن من كان قبلكم. ثم بين ما يكافئهم به إذا فعلوا ذلك، فقال ﴿فالذين آمنوا منكم﴾ بما أمرتهم بالإيمان به ﴿وأنفقوا﴾ مما دعوتهم إلى الإنفاق فيه ﴿لهم مغفرة﴾ من الله لذنوبهم ﴿وأجر كبير﴾ أي وثواب عظيم. ثم قال الله تعالى على وجه التوبيخ لهم ﴿وما لكم﴾ معاشر المكلفين ﴿لا تؤمنون بالله﴾ وتعرفون بوحدانيته وإخلاص العبادة له ﴿والرسول يدعوكم﴾ إلى ذلك ﴿لتؤمنوا ببركم﴾ أي لتعترفوا به وتقروا بوحدانيته ﴿وقد أخذ ميثاقكم﴾ معناه إنه لما ذكر تعالى دعاء الرسول إلى الإيمان بين أنه قد أخذ ميثاقكم أيضاً به، ومعنى ميثاقكم أنه نصب لكم الأدلة

الدالة إلى الإيمان بالله ورسوله ورغبكم فيه وحثكم عليه وزهدكم في خلافه، ومعنى ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي إن كنتم مؤمنين بحق فالإيمان قد ظهرت أعلامه ووضحت براهينه^(١) . .

❁ س ٨: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَنْ عَبْدِهِ آيَاتِ بَيْنَتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ لَفْظٍ لَّزُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة الحديد: ١٩٤٩]

الجواب/ ١ - فسر البعض ﴿آيات بينات﴾ هنا بكل المعجزات، وقال قسم آخر إنه (القرآن الكريم) إلا أن مفهوم الآية الواسع يشمل كل ذلك، وبالرغم من أن التعبير ﴿ينزل﴾ يناسب (القرآن) أكثر، هذا الكتاب العظيم الذي يميز حجب ظلام الكفر والجهل والضلال ويشرق شمس الوعي والإيمان في النفوس، والذي هو رحمة ونعمة إلهية عظيمة.

٢ - قال أبو جعفر عليه السلام، في قول الله تعالى: ﴿ليخرجكم من الظلمات إلى النور﴾: «من الكفر إلى الإيمان، يعني إلى الولاية لعل عليه السلام»^(٢).

٣ - أقول: أما التعبير بـ ﴿لرؤوف رحيم﴾ فهو إشارة لطيفة إلى حقيقة أن هذه الدعوة الإلهية العظيمة إلى الإيمان والإنفاق، تمثل مظهراً من مظاهر الرحمة والنعمة الإلهية التي جاءت إليكم جميعاً، كما أن جميع بركاتها في هذا العالم والعالم الآخر ترجع إليكم.

وسؤال يشار هنا وهو: هل يوجد اختلاف بين ﴿الرؤوف﴾ وبين ﴿الرحيم﴾؟ وما هي خصوصيات كل منهما؟ أقول: ذكر المفسرون في ذلك آراء، والمناسب من بين كل الآراء التي ذكرت هو: أن كلمة ﴿الرؤوف﴾

(١) البيان: ج ٩، ص ٥٢١.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب: ج ٣، ص ٨٠.

جاءت هنا إشارة إلى محبته ولطفه الخاص بالنسبة إلى المطيعين، في الوقت الذي كانت كلمة ﴿الرحيم﴾ إشارة إلى رحمته بخصوص العاصين.

قال البعض: إن الرأفة تقال للرحمة قبل ظهورها، إلا أن الرحمة تعبير يطلق على الحالة بعد ظهورها.

س ٩: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ يَبْرُثُ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلَادِكُمْ أَكْثَرَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتْلُوا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنْتَفِعِينَ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (سورة الحديد: ١٠؟!)

الجواب/ قال الشيخ الطوسي: وقوله ﴿وما لكم أن لا تنفقوا في سبيل الله﴾ استبطأهم في الإنفاق في سبيل الله الذي رغبهم بالإنفاق فيها. وقوله ﴿ولله ميراث السماوات والأرض﴾ قد بينا أن جميع ما يملكونه في الدنيا يرجع إلى الله، ويزول ملكهم عنه، فإن أنفقوه كان ثواب ذلك باقياً لهم. وقوله ﴿لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل﴾ بين الله تعالى أن الإنفاق قبل الفتح في سبيل الله إذا انضم إليه الجهاد في سبيله أكثر ثواباً عند الله، والمراد بالفتح فتح مكة وفي الكلام حذف، لأن تقديره لا يستوي هؤلاء مع الذين أنفقوا بعد الفتح، والكلام يدل عليه. وإنما امتنع مساواة من أنفق بعده لمن أنفق قبله، لعظم العناية الذي لا يقوم غيره مقامه فيه، في الصلاح في الدين وعظم الانتفاع به، كما لا يقوم دعاء غير النبي ﷺ إلى الحق مقام دعائه ولا يبلغه أبداً، وليس في الآية دلالة على فضل إنسان بعينه ممن يدعى له الفضل، لأنه يحتاج أن يثبت أن له الإنفاق قبل الفتح، وذلك غير ثابت. ويثبت أن له القتال بعده. ولما يثبت ذلك أيضاً فكيف يستدل به على فضله. فأما الفتح فقال الشعبي: أراد فتح الحديدية. وقال زيد بن أسلم، وقاتلة: أراد

به فتح مكة . ثم سوى تعالى بين الكل في الوعد بالخير والجنة والثواب فيها - وإن تفاضلوا في مقاديره - فقال ﴿وكلا وعد الله الحسنى﴾ يعني الجنة والثواب فيها ﴿والله بما تعملون خبير﴾ لا يخفى عليه شيء من ذلك من إنفاقكم وقتالكم وغير ذلك فيجازيكم بحسب ذلك^(١) .

وقال الإمام الحسن عليه السلام - في خطبة خطبها عند صلح معاوية بمحضرة - قال عليه السلام فيها: «وكان أبي سابق السابقين إلى الله عزّ وجلّ، وإلى رسوله ﷺ وأقرب الأقربين، وقد قال الله تعالى: ﴿لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة﴾ .

فأبي كان أولهم إسلاماً وإيماناً، وأولهم إلى الله ورسوله هجرةً ولحوقاً، وأولهم على وجده ووسعه نفقة . . . إلى آخر الحديث^(٢) .

❁ س ١٠ : ما هو معنى قوله تعالى :

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُرْسِدُ اللَّهُ قَرْصًا حَسَنًا فَيَضَوِّفُهُ لَهُ وَلَهُ أَنْبَرُ كَرِيمٌ﴾
[سورة الحديد: ١١]!

الجواب/ قال إسحاق بن عمار: سألت أبا إبراهيم عليه السلام - عن هذه الآية - فقال عليه السلام : «نزلت في صلة الإمام»^(٣) .

وقال أبو الحسن الماضي عليه السلام : «صلة الإمام في دولة الفسقة»^(٤) .

وقال معاوية بن عمار سألت أبا عبد الله عليه السلام ، فقال عليه السلام : «ذاك [في] صلة الرّحم، والرّحم رحم آل محمد ﷺ خاصة»^(٥) .

وقال مُعَاذُ صَاحِبِ الْأَكْسِيَّةِ : سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ : «إِنَّ اللَّهَ

(١) التبيان: ج ٩، ص ٥٢٣ . (٤) الكافي: ج ٨، ص ٣٠٢، ح ٤٦١ .

(٢) الأمالي: الطوسي: ج ٢، ص ١٧٥ . (٥) تأويل الآيات: ج ٢، ص ٦٥٨، ح ٥ .

(٣) الكافي: ج ١، ص ٤٥١، ح ٤ .

لم يسأل خلقه ما في أيديهم قرصاً من حاجة به إلى ذلك، وما كان الله من حق فإنما هو لوليه»^(١).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: لمتاح: «يا متاح، درهم يوصل به الإمام أعظم وزناً من أحد»^(٢).

وقال عليه السلام أيضاً: «درهم يوصل به الإمام أفضل من ألفي درهم فيما سواه من وجوه البر»^(٣).

❁ س ١١: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يُشْرِكُهُمْ يَوْمَ جَنَّتْ

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

[سورة الحديد: ١٢]!

الجواب/ قال صالح بن سهل: سمعت أبا عبد الله عليه السلام وهو يقول: «نورهم يسمى»^(٤) بين أيديهم وبأيمانهم» قال: «نور أئمة المؤمنين يوم القيامة يسمى بين أيدي المؤمنين وبأيمانهم حتى ينزلوا بهم منازلهم في الجنة»^(٥).

وقال جابر بن عبد الله الأنصاري: كنت ذات يوم عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم، إذ أقبل بوجهه على علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال: «ألا أبشرك يا أبا الحسن؟» قال: «بلى يا رسول الله». قال: «هذا جبرئيل يخبرني عن الله جلّ جلاله أنه قد أعطى شيعتك ومحبيك سبع خصال: الرفق عند الموت، والأنس عند الوحشة، والنور عند الظلمة، والأمن عند الفزع، والقسط عند الميزان، والجواز على الصراط، ودخول الجنة قبل الناس، نورهم يسمى بين أيديهم وبأيمانهم»^(٦).

(١) الكافي: ج ١، ص ٤٥١، ح ٣. (٤) كذا، والآية «يسمى نورهم».

(٢) الكافي: ج ١، ص ٤٥٢، ح ٥. (٥) تأويل الآيات.

(٣) الكافي: ج ١، ص ٤٥٢، ح ٦. (٦) الخصال: ص ٤٠٢، ح ١١٢.

أقول: وهنا يصدر هذا النداء الملائكي بلغة الاحترام للمؤمنين:
﴿بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم﴾.

❁ س ١٢: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا
وَرَاءَكُمْ فَأَلْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنٌ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرٌ مِنْ قِبَلِهِ
الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكز فتنتم أنفسكم وتربصتم
وآزنتنم وعررتكم الأماني حتى جاء أمر الله وعرركم بالله الغرور ﴿١٤﴾ قالوا لا يؤخذ
منكم فدية ولا من الذين كفروا ماؤنكم النار هي موالنكم وبئس المصير ﴿١٥﴾
❁ ألم بأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا
يكونوا كالأولين أولئك اكتتب من قبل فقال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكبير منهم
فيثون ﴿١٦﴾ أعلموا أن الله يجي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم
تقولون ﴿١٧﴾ [سورة الحديد: ١٣ - ١٧]؟!

الجواب/ قال أبو عبد الله عليه السلام: «إن الناس يقسم بينهم يوم القيامة
على قدر إيمانهم، ويقسم للمنافق فيكون نوره على [قدر] إبهام رجله
اليسرى، فيطفؤ نوره، فيقول: مكانكم حتى أقتبس من نوركم. قيل - أي
المؤمنون لهم - : ﴿ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا﴾ يعني حيث قسم النار». قال:
«فيرجعون فيضرب بينهم السور [له باب]، فينادونهم من وراء السور - يا
مؤمنين - : ﴿الم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم﴾ - قال علي بن
إبراهيم: بالمعاصي - ﴿وتربصتم وآزنتنم﴾ - قال: شككتم وتربصتم -
﴿وعررتكم الأماني حتى جاء أمر الله وعرركم بالله الغرور فالיום لا يؤخذ منكم
فدية ولا من الذين كفروا ماؤنكم النار هي موالكم وبئس المصير﴾.

ثم قال: «يا أبا محمد، أما والله ما قال الله لليهود والنصارى، ولكنه عنى أهل القبلة»^(١).

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «لقد علم المستحفظون من أصحاب النبي محمد صلى الله عليه وآله أنه ليس فيهم رجل له منقبة إلا وقد شركته فيها وفضلته، ولي سبعون منقبة لم يشركني فيها أحد».

قال مكحول: قلت: يا أمير المؤمنين، فأخبرني بهنّ، فقال عليه السلام: - وذكر السبعين - قال: «وأما الثلاثون فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: تُحشر أمتي يوم القيامة على خمس رايات، فأول راية ترد علي راية فرعون هذه الأمة وهو معاوية، والثانية مع سامريّ هذه الأمة وهو عمرو بن العاص، والثالثة مع جاثليق هذه الأمة وهو أبو موسى الأشعري، والرابعة مع أبي الأعرور السلمي، وأما الخامسة فمعك يا علي، تحتها المؤمنون وأنت إمامهم، ثم يقول الله تبارك وتعالى للأربعة: ﴿ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة﴾، وهم شيعة، ومن والاني، وقاتل معي الفئة الباغية والناكبة عن الصراط، وباب الرحمة هم شيعة، فينادي هؤلاء ﴿ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأمانى﴾ في الدنيا ﴿حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور فالיום لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير﴾، ثم ترد أمتي وشيعة، فيروون من حوض محمد صلى الله عليه وآله، وبيدي عصا عوسج، أطردها أعدائي طرد غريبة الإبل»^(٢).

وقال سلام بن المستنير: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله

(٢) الخصال: ص ٥٧٥، ح ١.

(١) الزهد: ص ٩٣، ح ٢٤٩.

العذاب ينادونهم ألم نكن معكم».

قال: فقال: «أما إنها نزلت فينا وفي شيعتنا وفي الكفار، أما إنه إذا كان يوم القيامة وحبس الخلائق في طريق المحشر، ضرب الله سوراً من ظلمة، فيه باب باطنه فيه الرحمة - يعني النور - وظاهره من قبله العذاب - يعني الظلمة - فيصيرنا الله وشيعتنا في باطن السور الذي فيه الرحمة والنور، ويصير عدونا والكفار في ظاهر السور الذي فيه الظلمة، فيناديكم أعداؤنا وأعداؤكم من الباب الذي في السور ظاهره العذاب: ألم نكن معكم في الدنيا، نبينا ونبيكم واحد، وصلاتنا وصلاتكم [واحدة]، وصومنا وصومكم واحد، وحبنا وحبكم واحد؟».

قال: «فيناديهم الملك من عند الله: بلى، ولكنكم فتنتم أنفسكم بعد نبیکم، ثم توليتهم، وتركتهم اتباع من أمركم به نبیکم، وتربصتم به الدوائر، واربتهم فيما قال فيه نبیکم، وغرتكم الأمانى وما اجتمعتم عليه من خلافكم لأهل الحق، وغرّكم حلم الله عنكم في تلك الحال، حتى جاء الحق - يعني بالحق ظهور علي بن أبي طالب عليه السلام - ومن ظهر من بعده من الأئمة عليهم السلام بالحق - وقوله عز وجل: ﴿وغرکم باللہ الغرور﴾ يعني الشيطان ﴿فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا﴾ أي لا توجد لكم حسنة تغدون بها أنفسكم ﴿مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير﴾»^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «أنا السور، وعلي الباب، وليس يؤتى السور إلا من قبل الباب»^(٢).

وقال علي بن إبراهيم، قوله تعالى: ﴿فاليوم لا يؤخذ منكم فدية﴾، قال: والله ما عنى بذلك اليهود ولا النصارى، وإنما عنى بذلك أهل القبلة،

(١) تأويل الآيات: ج ٢، ص ٦٦٠، ح ١١. (٢) تأويل الآيات: ج ٢، ص ٦٦٢، ح ١٣.

ثم قال: ﴿مأواكم النار هي مولاكم﴾ يعني هي أولى بكم، وقوله تعالى: ﴿ألم يأن للذين ءامنوا﴾ يعني ألم يجب. قوله تعالى: ﴿أن تخشع قلوبهم﴾ يعني الزَّهْب ﴿لذكر الله﴾^(١).

وقال الشيخ المفيد: بإسناده، عن محمد بن همام، عن رجل من أصحاب أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: «نزلت هذه الآية: ﴿ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون﴾، في أهل زمان الغيبة، والأمد أمد الغيبة» كأنه أراد عز وجل، يا أمة محمد، أو يا معشر الشيعة، لا تكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد. فتأويل هذه الآية جارٍ [في أهل] زمان الغيبة وأيامها دون غيرهم^(٢).

وقال أبو إبراهيم عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿يحيي الأرض بعد موتها﴾، قال: «ليس يحييها بالقطر، ولكن يبعث الله عز وجل رجلاً، فيحيون العدل، فتحيا الأرض لإحياء العدل، وإقامة الحد لله أنفع في الأرض من القطر أربعين صباحاً»^(٣).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «العدل بعد الجور»^(٤).

وقال أبو جعفر عليه السلام: «يعني بموتها، كفر أهلها، والكافر ميت، فيحييها الله بالقائم عليه السلام فيعدل فيها، فتحيا الأرض ويحيها أهلها بعد موتهم»^(٥).

أقول: قال بعض المفسرين: إن هذه الآية تشير إلى إحياء الأراضي

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٥١. (٤) الكافي: ج ٨، ص ٢٦٧، ح ٣٩٠.

(٢) تأويل الآيات: ج ٢، ص ٦٦٢، ح ١٤. (٥) تأويل الآيات: ج ٢، ص ٦٦٣، ح ١٥.

(٣) الكافي: ج ٧، ص ١٧٤، ح ٢.

بوسيلة المطر، كذلك فإن إحياء القلوب الميتة يكون بواسطة ذكر الله وقراءة القرآن المجيد الذي نزل من سماء الوحي على القلب الطاهر للنبي محمد صلى الله عليه وآله وكلاهما لا يتقان للتدبر والتعقل، لذا أشير في الروايات السابقة إلى كليهما: ونقرأ في حديث للإمام الكاظم عليه السلام: «فإن الله يحيي القلوب الميتة بنور الحكمة كما تحيا الأرض الميتة بوابل المطر»^(١).

س ١٣: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿إِنَّ الْمُضْطَرِفِينَ وَالْمُغْرِبِينَ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (سورة الحديد: ١٨)؟! ولماذا طرحت مسألة الإنفاق بعنوان القرض الحسن لله سبحانه؟ ولماذا كان الجزاء المضاعف الأجر الكريم؟!
الجواب/ ١ - قال أبو عبد الله عليه السلام: «إن الله عز وجل فرض [للفقراء]

في أموال الأغنياء فريضة لا يحمدون إلا بأدائها، وهي الزكاة، بها حقنوا دعاءهم، وبها سموا مسلمين، ولكن الله عز وجل فرض في أموال الأغنياء حقوقاً غير الزكاة، فقال عز وجل: ﴿فِي أَنْفُسِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ﴾^(٢) فالحق المعلوم [من] غير الزكاة - إلى أن قال -: وقد قال الله عز وجل أيضاً: ﴿أَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾^(٣).

وقال الصادق عليه السلام: «على باب الجنة مكتوب: القرض بشمانية عشر، والصدقة بعشرة، وذلك أن القرض لا يكون إلا لمحتاج، والصدقة ربما وقعت في يد غير محتاج»^(٤).

٢ - وللجواب على السؤال الثاني: أقول: في الحقيقة إنه تعبير عجيب،

(١) بحار الأنوار: ج ٧٨، ص ٣٠٨. (٢) الكافي: ج ٣، ص ٤٩٨، ح ٨.

(٣) المعارج: ٢٤. (٤) الكافي: ج ٤، ص ٣٣، ح ١.

حيث إن الله الواهب لكل النعم وجميع ذرات وجودنا - جزءاً جزءاً - هي من بحر فيضه اللامتناهي، بالإضافة إلى مملوكيتنا له يعبر عنا سبحانه بأننا أصحاب الأموال، ويدعوننا لإقراضه ضمن شروط مغرية، حيث إن من المعروف السائد أن الديون العادية تسترجع بنفس مقاديرها إلا أنه سبحانه - بفضل منه - يضاعفها لنا بالمئات أحياناً وبالآلاف أحياناً أخرى.

وإضافة إلى ذلك فإنه قد وعدنا بأجر كريم أيضاً، وهو جزاء عظيم لا يعلمه إلا هو.

واحتمل البعض أن المقصود من القرض الحسن لله في هذه الآيات والآيات المشابهة^(١) بمعنى الإقراض للعباد، لأن الله تعالى ليس بحاجة للقرض، بل إن العباد المؤمنين هم الذين بحاجة إلى القرض، وبملاحظة سياق الآيات يفهم أن المقصود من القرض الحسن في كل هذه الآيات هو الإنفاق في سبيل الله، بالرغم من أن القرض لعباد الله هو من أفضل الأعمال أيضاً ولا نقاش في ذلك.

ويشير الفاضل المقداد أيضاً في كنز العرفان لتفسير القرض الحسن بأنه كل الأعمال الصالحة^(٢).

س ١٤: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِآلِهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾﴾

[سورة الحديد: ١٩]!

الجواب/ عن علي بن الحسين عليه السلام - في حديث ذكر فيه الشهداء -:

(١) تراجع الآية (٢٤٥) من سورة البقرة، (الحديد: ١١) و(التغابن: ١٧) و(المزمل: ٢٠).

(٢) كنز العرفان: ج ٢، ص ٥٨.

فقال بعض أصحابه: في المبطون، وقال بعضهم في الذي يأكله السبع، وقال بعضهم غير ذلك مما يذكر في الشهادة. فقال إنسان: ما كنت أدري أن الشهيد إلا من قتل في سبيل الله.

فقال علي بن الحسين عليهما السلام: «إن الشهداء إذا لقليل» ثم قرأ [هذه] الآية: ﴿والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم﴾ ثم قال: «هذه لنا ولشيعتنا»^(١).

وقال زيد بن أرقم: قال الحسين بن علي عليهما السلام: «ما من شيعتنا إلا صديق شهيد».

قال: قلت: جعلت فداك، أنى يكون ذلك وعامتهم يموتون على فرشهم؟ فقال: «أما تلتو كتاب الله في الحديد: ﴿والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم﴾ قال: فقلت: كأنى لم أقرأ هذه الآية من كتاب الله عز وجل قط. قال: «لو كان ليس إلا كما تقولون كان الشهداء قليلاً»^(٢).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الصديقون ثلاثة: حزقيل مؤمن آل فرعون، وحبیب صاحب آل يس، وعلي بن أبي طالب عليه السلام، وهو أفضل الثلاثة»^(٣).

وقال الحسين بن أبي حمزة، عن أبيه: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك، قد كبر سني، ودق عظمي، واقترب أجلي، وقد خفت أن يدركني قبل هذا الأمر الموت.

قال: فقال لي «يا أبا حمزة، [أو ما ترى الشهيد إلا من قتل؟] قلت: نعم، جعلت فداك. فقال لي: «يا أبا حمزة، [من آمن بنا، وصدق حديثنا،

(١) التهذيب: ج٦، ص١٦٧، ح٣١٨. (٢) تأويل الآيات: ج٢، ص٦٦٤، ح١٧.

(٢) المحاسن: ص١٦٣، ح١١٥.

وانتظر أمرنا، كان كمن قتل تحت راية القائم عليه السلام، بل والله تحت راية رسول الله ﷺ»^(١).

وقال أبو بصير: قلت: لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك، الراد علي هذا الأمر فهو كالراذ عليك؟ فقال: يا أبا محمد، من ردّ عليك هذا الأمر فهو كالراذ على رسول الله ﷺ وعلى الله تبارك وتعالى: يا أبا محمد، إن الميت منكم على هذا الأمر شهيد» [قال]: قلت: وإن مات على فراشه؟ فقال: «إي والله وإن مات على فراشه حي [عند ربه] يرزق»^(٢).

وقال مالك الجهني: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «يا مالك، أما ترضون أن تقيموا الصلاة، وتؤتوا الزكاة، وتكفوا أيديكم وأستكم وتدخلوا الجنة، يا مالك، إنه ليس من قوم ائتموا بإمام في الدنيا إلا جاء يوم القيامة يلعنهم ويلعنونه إلا أنتم ومن كان على مثل حالكم، يا مالك، إن الميت منكم والله على هذا الأمر لشهيد بمنزلة الضارب بسيفه في سبيل الله»^(٣).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: حدثني أبي، عن جدي، عن أبائه عليهم السلام: «إن أمير المؤمنين عليه السلام علم أصحابه في مجلس واحد أربعمئة باب من العلم، منها قوله عليه السلام: احذروا السفلة، فإن السفلة من لا يخاف الله عز وجل، لأن فيهم قتلة الأنبياء، وفيهم أعداؤنا.

إن الله تبارك وتعالى إطلع على الأرض فاختارنا، واختار لنا شيعة ينصروننا ويفرحون لفرحنا، ويحزنون لحزننا، ويذلون أموالهم وأنفسهم فينا [أولئك منا] وإلينا، وما من الشيعة عبد يقارف أمراً نهيناه عنه فلا يموت حتى يتلى ببلىة تمحص فيها ذنوبه، إما في ماله، أو ولده، أو في نفسه حتى يلقي

(١) تأويل الآيات: ج ٢، ص ٦٦٥، ح ٢١. (٢) الكافي: ج ٨، ص ١٤٦، ح ١٢٢.

(٢) الكافي: ج ٨، ص ١٤٦، ح ١٢٠.

الله عزّ وجلّ وما له ذنب، وإنه ليبقى عليه الشيء من ذنوبه فيشدد [به] عليه عند موته، والميت من شيعتنا صديق شهيد صدق بأمرنا، وأحبّ فينا، وأبغض فينا، يريد بذلك وجه الله عزّ وجلّ، مؤمن بالله ورسوله، قال الله عزّ وجلّ: ﴿والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم﴾^(١).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال لأصحابه: «الزموا الأرض، واصبروا على البلاء، ولا تحركوا بأيديكم وسيوفكم وألستكم، ولا تستعجلوا بما لم يعجله الله لكم، فإن من مات منكم على فراشه وهو على معرفة حق ربه وحق رسوله وأهل بيته، مات شهيداً ووقع أجره على الله، واستوجب ما نوى من صالح عمله، وقامت النية مقام مقاتلته بسيفه»^(٢).

وقال ابن عباس: ﴿والذين آمنوا﴾ [يعني صدّقوا] «بالله» أنه واحد: علي بن أبي طالب عليه السلام وحمزة بن عبد المطلب وجعفر الطيار «وأولئك هم الصديقون»، قال: [رسول الله صلى الله عليه وآله]: «صديق هذه الأمة علي بن أبي طالب، وهو الصديق الأكبر والفاروق الأعظم»^(٣).

ثم قال: «والشهداء عند ربهم»: وهم علي وحمزة وجعفر، فهم صديقون وهم شهداء الرسل على أممهم، إنهم قد بلغوا الرسالة، ثم قال: ﴿لهم أجرهم﴾ عند ربهم على التصديق بالنبوة «ونورهم» على الصراط^(٤).

وموفق بن أحمد: يرفعه إلى ابن عباس، قال: سألت قوم النبي صلى الله عليه وآله: فيمن نزلت هذه الآية؟ قال: «إذا كان يوم القيامة عقد لواء من نور أبيض،

(١) الخصال: ص ٦٣٥، ح ١٠، تأويل الآيات: ج ٢، ص ٦٦٧، ح ٢٥.

(٢) نهج البلاغة: ص ٢٨٢ الخطبة ١٩٠، تأويل الآيات: ج ٢، ص ٦٦٨، ح ٢٦.

(٣) الطوائف: ج ٩٤، ص ١٣٢.

(٤) المناقب لابن شهر آشوب: ج ٣، ص ٨٩.

كما يزول اللعب واللهو ﴿وزينة﴾ تزينون بها في الدنيا ﴿وتفاخر بينكم﴾ يفتخر بعضكم على بعض ﴿ونكاثر في الأموال والأولاد﴾ أي كل واحد يقول ما لي أكثر وأولادي أكثر. ثم شبه ذلك بأن قال مثله في ذلك ﴿كمثل غيث﴾ يعني مطراً ﴿أعجب الكفار نباته﴾ أي أعجب الزراع ما نبت بذلك الغيث فالكفار الزراع. وقال الزجاج: ويحتمل أن يكون المراد الكفار بالله لأنهم أشد إعجاباً بالدنيا من غيرهم ﴿ثم يهيج﴾ أي يبيس فيسمع له لما تدخله الريح صوت الهائج ﴿فتراه مصفراً﴾ وهو إذا قارب اليبس ﴿ثم يكون حطاماً﴾ أي هشياً بأن يهلكه الله مثل أفعال الكافر بذلك، فإنها وإن كانت على ظاهر الحسن فإن عاقبتها إلى هلاك ودمار مثل الزرع الذي ذكره. ثم قال وله مع ذلك ﴿وفي الآخرة عذاب شديد﴾ من عذاب النار للعصاة والكفار ﴿ومغفرة من الله ورضوان﴾ للمؤمنين المطيعين. ثم قال ﴿وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ معناه العمل للحياة الدنيا متاع الغرور وإنها كهذه الأشياء التي مثل بها في الزوال والفناء، والغرور - بضم الغين - ما يغر من متاع الدنيا وزينتها^(١).

❁ س ١٦: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ. ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [سورة الحديد: ٢١]؟

الجواب/ قال أبو عمرو الزبيري: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن للإيمان درجات ومنازل، يتفاضل المؤمنون فيها عند الله؟ قال: «نعم».

قلت: صفه لي رحمك الله حتى أفهمه؟

قال: «إن الله سبق بين المؤمنين كما يسبق بين الخيل يوم الرهان، ثم

فضلهم على درجاتهم في السبق إليه، فجعل لكل امرئ منهم على درجة سبقه لا يتقصه فيها من حقّه، ولا يتقدم مسبق سابقاً، ولا مفضل فاضلاً، تفاضل بذلك أوائل هذه الأمة وأواخرها، ولو لم يكن للسابق إلى الإيمان فضل على المسبق إذن للحق آخر هذه الأمة أولها، نعم ولتقدموه إذا لم يكن لمن سبق إلى الإيمان الفضل على من أبطأ عنه، ولكن بدرجات الإيمان قدم الله السابقين، وبالإبطاء عن الإيمان أخر الله المقصرين، لأننا نجد من المؤمنين من الآخرين من هو أكثر عملاً من الأولين، وأكثرهم صلاة وصوماً وحباً وزكاةً وجهاداً وإنفاقاً، ولو لم يكن سوابق يفضل بها المؤمنون بعضهم بعضاً عند الله لكان الآخرون بكثرة العمل متقدمين على الأولين، [لكن] أبى الله عزّ وجلّ أن يدرك آخر درجات الإيمان أولها، ويقدم فيها من أخر الله، أو يؤخر فيها من قدّم الله.

قلت: أخبرني عما ندب الله عزّ وجلّ المؤمنين إليه من الاستباق إلى الإيمان. فقال: «قول الله عزّ وجلّ: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسَلِهِ﴾، وقال: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾^(١)، وقال: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾^(٢)، فبدأ بالمهاجرين والأنصار، ثم ثنى بالأنصار، ثم ثلث بالتابعين لهم بإحسان، فوضع كل قوم على قدر درجاتهم ومنازلهم عنده، ثم ذكر ما فضل الله عزّ وجلّ به أوليائه بعضهم على بعض، فقال عزّ وجلّ: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُم عَلَىٰ بَعْضٍ مِّن كَلِمِ اللَّهِ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾^(٣) إلى آخر الآية، وقال: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾^(٤)،

(١) الواقعة: ١٠، ١١.

(٢) البقرة: ٢٥٣.

(٣) التوبة: ١٠٠.

(٤) الإسراء: ٥٥.

وقال: ﴿أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾^(١)، وقال: ﴿هُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾^(٢)، وقال: ﴿بِئْسَ كُلُّ ذِي فَضْلٍ فَضِلَهُ﴾^(٣)، وقال: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُتْمَلَرُوا وَأَنْفُسُهُمْ أَكْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ﴾^(٤)، وقال: ﴿وَقَسَلَّ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْفَاطِمِيِّينَ أَجْرًا عَظِيمًا دَرَجَتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾^(٥)، وقال: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلِ أَوْلِيكَ أَكْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا﴾^(٦)، وقال: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْوَلَدَ دَرَجَتٍ﴾^(٧)، وقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُضَيِّبُهُمْ ظُلْمًا وَلَا نَفْسٌ وَلَا حَمَمَةٌ وَلَا حَمَمَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْفُونَ مَوَاطِنًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كَيْبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾^(٨)، وقال: ﴿وَمَا لَقَّيْتُمَا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ حَيْرٍ تَحْدَرُ عِنْدَ اللَّهِ﴾^(٩)، وقال: ﴿فَمَنْ يَمَلَّ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ حَيْرًا يَرَهُ جَاءَتْهُمْ الْيَبْتُةُ وَمَا أُرْوًا إِلَّا لِيَعْبُدُوا﴾^(١٠) فهذا ذكر درجات الإيمان ومنازله عند الله تعالى^(١١).

وقال الرضوي في (الخصائص): بإسناد مرفوع إلى أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام، قال: «قدم أسقف نجران على عمر بن الخطاب، فقال: يا أمير المؤمنين، إن أرضنا أرض باردة شديدة المؤونة لا تحتل الجيش، وأنا ضامن لخراج أرضي أحمله إليك في كل عام كملًا، فكان يقدم هو بالمال بنفسه ومعه أعوان له حتى يوفيه بيت المال، ويكتب له عمر البراءة».

-
- | | |
|---------------------|------------------------------|
| (١) الإسراء: ٢١. | (٧) المجادلة: ١١. |
| (٢) آل عمران: ١٦٣. | (٨) التوبة: ١٢٠. |
| (٣) هود: ٣. | (٩) البقرة: ١١٠. |
| (٤) التوبة: ٢٠. | (١٠) الزلزلة: ٧، ٨. |
| (٥) النساء: ٩٥، ٩٦. | (١١) الكافي: ج ٢، ص ٣٤، ح ١. |
| (٦) الحديد: ١٠. | |

قال: «فقدم الأسقف ذات عام، وكان شيخاً جميلاً، فدعاه عمر إلى الله وإلى دين رسول الله ﷺ، وأنشأ، يذكر فضل الإسلام، وما يصير إليه المسلمون من النعيم والكرامة، فقال له الأسقف: يا عمر، أنتم تقرأون في كتابكم أن [الله] جنة عرضها كعرض السماء والأرض، فأين تكون النار؟ قال: فسكت عمر، ونكس رأسه، فقال أمير المؤمنين عليه السلام - وكان حاضراً -: أجب هذا النصراني. فقال له عمر: بل أجه أنت. فقال عليه السلام له: يا أسقف نجران، أنا أجيبك أرايت، إذا جاء النهار أين يكون الليل، وإذا جاء الليل أين يكون النهار؟ فقال الأسقف: ما كنت أرى [أن] أحداً يجيبني عن هذه المسألة. ثم قال: من هذا الفتى، يا عمر؟ قال عمر: هذا علي بن أبي طالب، ختن رسول الله ﷺ وابن عمه وأول مؤمن معه، هذا أبو الحسن والحسين.

قال الأسقف: أخبرني - يا عمر - عن بقعة في الأرض طلعت فيها الشمس ساعة، ولم تطلع فيها قبلها ولا بعدها؟ قال عمر: سل الفتى، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أنا أجيبك، هو البحر حيث انفلق لبني إسرائيل، فوقعت الشمس فيه، ولم تقع فيه قبله ولا بعده، قال الأسقف: صدقت يا فتى.

ثم قال الأسقف: أخبرني - يا عمر - عن شيء في أيدي أهل الدنيا شبيه بشار أهل الجنة؟ فقال: سل الفتى. فقال عليه السلام: أنا أجيبك: هو القرآن، يجتمع أهل الدنيا عليه، فيأخذون منه حاجتهم، ولا ينقص منه شيء، وكذلك ثمار الجنة. قال الأسقف: صدقت يا فتى.

ثم قال الأسقف: يا عمر، أخبرني هل للسموات من أبواب؟ فقال عمر: سل الفتى، فقال عليه السلام: نعم يا أسقف، لها أبواب. فقال: يا فتى هل لتلك الأبواب من أقفال؟ فقال عليه السلام: نعم يا أسقف، أقالها الشرك بالله. قال الأسقف: صدقت يا فتى. فما مفتاح تلك الأقفال؟ فقال عليه السلام: شهادة أن لا

إله إلا الله، لا يحجبها شيء دون العرش، فقال: صدقت يا فتى.

ثم قال الأسقف: يا عمر، أخبرني عن أول دم وقع على وجه الأرض، أي دم كان فقال: سل الفتى. فقال عليه السلام: أنا أجيبك يا أسقف نجران، أما نحن فلا نقول كما تقولون أنه دم ابن آدم الذي قتله أخوه؛ وليس هو كما قلتم، ولكن أول دم وقع على وجه الأرض مشيمة حواء حين ولدت قابيل بن آدم. قال الأسقف: صدقت يا فتى.

ثم قال الأسقف: بقيت مسألة واحدة، أخبرني أنت - يا عمر - أين الله تعالى؟ قال: فغضب عمر، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أنا أجيبك وسل عما شئت، كنا عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذا أتاه ملك فسلم، فقال له رسول الله ﷺ: من أين أرسلت؟ قال: من سبع سماوات من عند ربي. ثم أتاه ملك آخر، فسلم، فقال له رسول الله ﷺ: من أين أرسلت؟ قال: من سبع أرضين من عند ربي. ثم أتاه ملك آخر فسلم، فقال له رسول الله ﷺ: من أين أرسلت؟ قال: من مشرق الشمس من عند ربي. ثم أتى ملك آخر، فقال له رسول الله ﷺ: من أين أرسلت؟ فقال: من مغرب الشمس من عند ربي. فالله ها هنا وها هنا، في السماء إله، وفي الأرض إله، وهو الحكيم العليم.

قال أبو جعفر عليه السلام: «معناه من ملكوت ربي في كل مكان، ولا يعزب عن علمه شيء تبارك وتعالى»^(١).

وقال السيد الرضوي، في (فضائل العترة): عن أمير المؤمنين عليه السلام - في حديث - وقد سأله جاثليق: أخبرني عن الجنة والنار، أين هما؟ قال عليه السلام: «الجنة تحت العرش في الآخرة، والنار تحت الأرض السابعة السفلى» فقال الجاثليق: صدقت.

(١) خصائص الأئمة عليه السلام: ص ٩٠.

وقال ابن شهر آشوب: عن الباقر والصادق عليهما السلام، في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ من عباده، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾^(١): «إنهما نزلتا في أمير المؤمنين عليه السلام»^(٢).

❁ س ١٧: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [سورة الحديد: ٢٢]!

الجواب/ ١ - قال أبو عبد الله عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾: «صدق الله وبلغت رسله، كتابه في السماء علمه بها، وكتابه في الأرض إعلامنا في ليلة القدر وفي غيرها ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾»^(٣).

وقال الصادق عليه السلام: «لَمَّا أَدْخَلَ رَأْسَ الْحُسَيْنِ عليه السلام عَلَى يَزِيدَ لَعَنَهُ اللَّهُ، وَأَدْخَلَ عَلَيْهِ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عليهما السلام وَبَنَاتِ امِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليهما السلام، وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليهما السلام مَقِيداً مَغْلُولاً، فَقَالَ يَزِيدُ: يَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَتَلَ أَبَاكَ. فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليهما السلام: لَعَنَ اللَّهُ مَنْ قَتَلَ أَبِي. قَالَ: فَغَضِبَ يَزِيدُ وَأَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ عليه السلام فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليهما السلام: فَإِذَا قَتَلْتَنِي فَبَنَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ يَرْدَهْنَ إِلَى مَنَازِلَهْنَ، وَلَيْسَ لَهْنَ مُحْرَمٌ غَيْرِي؟ فَقَالَ: أَنْتِ تَرْدَهْنَ إِلَى مَنَازِلَهْنَ، ثُمَّ دَعَا بِمَبْرَدٍ، فَأَقْبَلَ بِرِدِ الْجَامِعَةِ مِنْ عُنُقِهِ بِيَدِهِ.

ثم قال: يا علي بن الحسين، أتدري ما الذي أريد بذلك؟ قال: بلى، تريد أن لا يكون لأحدٍ عليّ منة غيرك. فقال يزيد: هذا والله [ما] أردت. ثم قال: يا علي بن الحسين ﴿وَمَا أَصْبَحْتُمْ مِنْ مُؤْمِنِينَ فِيمَا كَسَبَتْ

(٣) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٥١.

(١) النساء: ٣٢.

(٢) المناقب: ج ٣، ص ٩٩.

أَيُّبِكُمْ»^(١) فقال علي بن الحسين عليهما السلام : كلا ما هذه فينا نزلت، إنما نزلت فينا: ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم﴾ الآية؛ فنحن الذين لا نأسى على ما فاتنا، من الدنيا ولا نفرح بما آتانا منها»^(٢).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : «تعنلج»^(٣) النطفتان في الرحم، فأبتهما كانت أكثر جاءت تشبهها، فإن كانت نطفة المرأة أكثر جاءت تشبه أخواله، وإن كانت نطفة الرجل أكثر جاءت تشبه أعمامه».

وقال: «تحول النطفة في الرحم أربعين يوماً، فمن أراد أن يدعو الله عز وجل ففي تلك الأربعين قبل أن تخلق، ثم يبعث الله عز وجل ملك الأرحام إليها، فيأخذها، فيصعد بها إلى الله عز وجل، فيقف حيث يشاء الله، فيقول: يا إلهي، أذكر أم أنثى؟ فيوحى الله تعالى ما يشاء، ويكتب الملك، ثم يقول: يا إلهي أشقي أم سعيد؟ فيوحى الله عز وجل من ذلك ما يشاء، ويكتب الملك، ويقول اللهم كم رزقه، وما أجله؟ ثم يكتبه ويكتب كل شيء يصيبه في الدنيا بين عينيه، ثم يرجع به فيرده في الرحم، فذلك قوله عز وجل: ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها﴾»^(٤).

س ١٨: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [سورة الحديد: ٢٣]!

الجواب/ روي: إن رجلاً سأل علي بن الحسين عليهما السلام عن الزهد فقال:

(١) الشورى: ٣٠.

(٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٥٢.

(٣) اعتلجت الأمواج: إذا التطمت. «النهاية: ج ٣، ص ٢٨٦».

(٤) علل الشرائع: ص ٩٥، ح ٤.

«عشرة أشياء، فأعلى درجة الزهد أدنى درجة الورع، وأعلى درجة الورع أدنى درجة اليقين، وأعلى درجة اليقين أدنى درجة الرضا، [ألا] وإن الزهد كله في آية من كتاب الله عز وجل: ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾^(١).

وقال حفص بن غياث: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك، فما حد الزهد في الدنيا؟ قال: فقال: «قد حد الله في كتابه، فقال عز وجل: ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾ إن أعلم الناس بالله أخوفهم لله، وأخوفهم له أعلمهم به، وأعلمهم به أزهدهم فيها».

فقال له رجل: يا ابن رسول الله، أوصني. فقال: «اتق الله حيث كنت، فإنك لا تستوحش عنه»^(٢).

وقال أبو جعفر الثاني عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم﴾، قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام: سألت رجلاً أباي عليه السلام عن ذلك، فقال: نزلت في أبي بكر وأصحابه، واحدة مقدمة وواحدة مؤخرة ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم﴾ من الفتنة التي عرضت لكم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال الرجل: أشهد أنكم أصحاب الحكم الذي لا اختلاف فيه، ثم قام الرجل فذهب فلم أره»^(٣).

أقول: قوله تعالى: ﴿إن الله لا يحب كل مختال فخور﴾: ﴿مختال﴾ أخذت من مادة (خيال) بمعنى متكبر، لأن التكبر من التخييل أي من تخيل الإنسان الفضل لنفسه، وتصوره أنه أعلى من الآخرين. و﴿فخور﴾ صيغة مبالغة من مادة (فخر) بمعنى الشخص الذي يفتخر كثيراً على الآخرين.

(٣) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٥١.

(١) الكافي: ج ٢، ص ١٠٤، ح ٤.

(٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ١٤٦.

والشخص الذي يتلى بهذه الحالات هو المغرور الذي أسكرته النعم، ولم توظفه المصائب والآفات عن هذا السكر والغفلة وتهديه إلى سير التكامل.

❁ س ١٩: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ

الْحَمِيدُ﴾ [سورة الحديد: ٢٤]!

الجواب/ قال الشيخ الطوسي: ثم بين صفة المختال الفخور، فقال ﴿الذين يبخلون﴾ بما أوجب الله عليهم من الحقوق في أموالهم ﴿ويأمرون الناس بالبخل﴾ أيضاً. وقيل: نزلت في اليهود الذين بخلوا بذكر صفة النبي على ما وجدوه في كتبهم وأمروا غيرهم بذلك. والبخل هو منع الواجب. ثم قال ﴿ومن يتول﴾ يعني ومن يعرض عما ذكره الله وخالف ﴿فإن الله هو الغني الحميد﴾ ومعناه إنه تعالى الغني عن جميع خلقه محمود في جميع أفعاله، فمنع هؤلاء حقوق الله لا يضره، وإنما ضرر ذلك عليهم^(١).

❁ س ٢٠: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ

بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَصْرِفُهُ

وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [سورة الحديد: ٢٥]!

الجواب/ قال أبو عبد الله عليه السلام: «أوصى موسى عليه السلام إلى يوشع بن نون، وأوصى يوشع بن نون إلى ولد هارون، ولم يوص إلى ولده، ولا إلى ولد موسى، إن الله عز وجل له الخيرة، يختار ما يشاء ممن يشاء، وبشر موسى ويوشع بالمسيح عليه السلام، فلما أن بعث الله عز وجل المسيح عليه السلام، قال

المسيح ﷺ لهم: إنه سوف يأتي من بعدي نبي اسمه أحمد من ولد إسماعيل ﷺ، يجيء بتصديقي وتصديقكم وعذري وعذرکم، وجرت من بعده في الحوارين في المستحفظين، وإنما سماهم الله عز وجل المستحفظين لأنهم استحفظوا الاسم الأكبر، وهو الكتاب الذي يعلم به علم كل شيء، الذي كان مع الأنبياء (صلوات الله عليهم) يقول الله عز وجل: (ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وأنزلنا معهم الكتاب والميزان)^(١) الكتاب: الاسم الأكبر، وإنما عرف مما يدعى الكتاب التوراة والإنجيل والفُرقان، فيها كتاب نوح ﷺ، وفيها كتاب صالح وشعيب وإبراهيم ﷺ فأخبر الله عز وجل: ﴿إِنَّ هَذَا لَأَنى الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَتُوسَى﴾^(٢) وأين صحف إبراهيم؟ إنما صحف إبراهيم الاسم الأكبر، وصحف موسى الاسم الأكبر.

فلم تزل الوصية في عالم بعد عالم، حتى دفعوها إلى محمد ﷺ، فلما بعث الله عز وجل محمداً ﷺ أسلم له العقب من المستحفظين، وكذبه بنو إسرائيل، ودعا إلى الله عز وجل، وجاهد في سبيله، ثم أنزل الله جل ذكره عليه: أن أعلن فضل وصيتك. فقال: [رب] إن العرب قوم جفأة، لم يكن فيهم كتاب، ولم يبعث إليهم نبي، ولا يعرفون نبوة الأنبياء ولا شرفهم، ولا يؤمنون بي إن أنا أخبرتهم بفضل أهل بيتي، فقال الله جل ذكره: ﴿وَلَا تَحْتَرَنَّ عَلَيْهِمْ﴾^(٣) ﴿وَقُلْ سَلِّمْ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾^(٤) فذكر من فضل وصيته ذكراً، فوقع النفاق في قلوبهم، فعلم رسول الله ﷺ ذلك وما يقولون، فقال الله جل ذكره: ﴿ولقد نعلم أنه يضيق صدرك بما يقولن فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين

(١) لم ترد هذه الآية بهذا الوجه في القرآن.

(٢) الأعلى: ١٨، ١٩.

(٣) النحل: ١٢٧.

(٤) الزخرف: ٨٩.

بآيات الله يجحدون^(١) لكنهم يجحدون بغير حجة لهم .

وكان رسول الله ﷺ يتألفهم ويستعين ببعضهم على بعض، ولا يزال يخرج لهم شيئاً في فضل وصيته حتى [نزلت] هذه السورة، فاحتج عليهم حين أعلم بموته ونعيت إليه نفسه، فقال الله عز ذكره: ﴿إِذَا فُوتَتْ فَأَنْصَبْ وَلِلَّهِ رَبُّكَ فَأَرْزَبْ﴾^(٢) يقول: إذا فرغت فانصب علمك وأعلن وصيك، فأعلمهم فضله علانية، فقال ﷺ: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه - ثلاث مرات - ثم قال: لأبعثن رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، ليس بفرار - يعرض بمن رجع يجبن أصحابه ويجبنونه - وقال ﷺ: علي سيد المؤمنين. وقال: علي عمود الدين، وقال: هذا هو الذي يضرب الناس بالسيف على الحق بعدي. وقال: الحق مع علي أينما مال. وقال: إني تارك فيكم أمرين، إن أخذتم بهما لن تضلوا: كتاب الله عز وجل، وأهل بيتي عترتي. أيها الناس: اسمعوا وقد بلغت، إنكم ستردون علي الحوض، فأسألکم عما فعلتم في الثقلين، [و] الثقلان: كتاب الله جل ذكره وأهل بيتي، فلا تسبقوهم فتهلكوا، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم. فوقعت الحجة بقول النبي ﷺ وبالكتاب الذي يقرأه الناس.

فلم يزل يلقي فضل أهل بيته بالكلام ويبين لهم بالقرآن: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(٣)، وقال عز ذكره:

(١) لم ترد هذه الآية بهذا الوجه في القرآن، بل الذي في سورة الحجر الآية ٩٧ و٩٨: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾، وفي سورة الأنعام الآية ٣٣: ﴿قَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُ لِيَحْزَنَكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيات الله يجحدون﴾.

(٢) الانشراح: ٨٠٧.

(٣) الأحزاب: ٣٣.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ إِلَهَكُمْ خُصْمٌ وَالرَّسُولُ رِزْقٌ وَالْقُرْآنُ﴾^(١)، ثم قال جل ذكره: ﴿وَمَاتَ ذَا الْقُرْبَى حَقًّا﴾^(٢)، وكان علي عليه السلام وكان حقه الوصية التي جعلت له، والاسم الأكبر، وميراث العلم، وآثار علم النبوة، فقال: ﴿قُلْ لَا أَشْتَكُرُ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(٣)، ثم قال: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾^(٤)، يقول: أسألكم عن المودة التي أنزلت عليكم فضلها، مودة القربى، بأي ذنب قتلتموهم؟

وقال جل ذكره: ﴿فَتَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٥)، قال:

(١) الأنفال: ٤١.

(٢) الإسراء: ٢٦.

(٣) الشورى: ٢٣.

(٤) التكويد: ٨، ٩. قال المجلسي: قوله: «وإذا المودة سئلت»، أقول: القراءة المشهورة: الموءودة بالهمزة، قال الطبرسي: الموءودة: هي الجارية المدفونة حية، وكانت المرأة إذا حان وقت ولادتها حفرت حفرة وقعدت على رأسها، فإن ولدت بتأ رمتها في الحفرة، وإن ولدت غلاماً حبسته، أي تسئل فيقال لها: بأي ذنب قتلت؟ ومعنى سؤالها توبيخ قاتلها، وقيل: المعنى: يسئل قاتلها، بأي ذنب قتلت؟

وروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام: «وإذا الموءودة سئلت» بفتح الميم والواو. وروي عن ابن عباس أنه قال: هو من قتل في مودتنا أهل البيت. وعن أبي جعفر عليه السلام: «يعني قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله ومن قتل في جهاد» وفي رواية أخرى، قال: «هو من قتل في مودتنا وولايتنا» انتهى.

وأقول: الظاهر أن أكثر تلك الأخبار منبئة على تلك القراءة الثانية، إما بحذف المضاف، أي أهل المودة يسئلون بأي ذنب قتلوا، أو بإسناد القتل إلى المودة مجازاً، والمراد قتل أهلها، أو بالنجوز في القتل، والمراد تضييع مودة أهل البيت عليهم السلام وإبطالها وعدم القيام بها وبحقوقها، وبعضها على القراءة الأولى المشهورة بأن يكون المراد بالموءودة النفس المدفونة في التراب مطلقاً أو حية، إشارة إلى أنهم لكونهم مقتولين في سبيل الله تعالى، ليسوا بأموات، بل أحياء عند ربهم يرزقون، فكانهم دفنوا أحياء، وفيه من اللطف ما لا يخفى، وهذا الخبر يؤيد الوجه الأول لقوله: «قتلتموهم». «مرآة العقول: ج ٣، ص ٢٨١».

(٥) النحل: ٤٣، الأنبياء: ٧.

الكتاب [هو] الذِّكْر، وأهله آل محمد ﷺ، أمر الله عز وجل بسؤالهم، ولم يأمر بسؤال الجهال، وسمى الله عز وجل القرآن ذكراً، فقال تبارك وتعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(١)، وقال عز وجل: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾^(٢).

وقال عز وجل: ﴿أُولِعُمُوا أَنَّهُ وَأُولِعُمُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾^(٣)، وقال عز وجل: ﴿وَلَوْ رَدُّهُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهِ وَالرَّسُولَ وَالَّذِي أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنَاطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَا يُؤَلَّوْا﴾^(٤) فردَّ الله أمر الناس إلى أولي الأمر منهم، الذين أمر بطاعتهم وبالرد إليهم.

فلما رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع نزل عليه جبرئيل عليه السلام وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَمُصُّكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(٥)، فنادى الناس فاجتمعوا، وأمر بسمرات فقم^(٦) شوكهن، ثم قال ﷺ: يا أيها الناس، من وليكم وأولى بكم من أنفسكم؟ فقالوا: الله ورسوله. فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه - ثلاث مرات - فوقعت حسكة النفاق في قلوب القوم، وقالوا: ما أنزل الله جل ذكره هذا على محمد قط، وما يريد إلا أن يرفع بضيع^(٧) ابن عمه.

(١) النحل: ٤٤.

(٢) الزخرف: ٤٤.

(٣) النساء: ٥٩.

(٤) النساء: ٨٣.

(٥) المائدة: ٦٧.

(٦) السمر: نوع من الشجر، وقم: كس.

(٧) الضيع: ما بين الإبط إلى نصف العضد من أعلاها. «المعجم الوسيط - ضيع - ج ١،

فلما قدم المدينة أنه الأنصار، فقالوا: يا رسول الله، إن الله جل ذكره قد أحسن إلينا وشرفنا بك وبنزولك بين ظهرائنا، فقد فرح الله صديقنا وكتب عدونا، وقد يأتيك وفود فلا تجد ما تعطيه، فيشمت بك العدو، فنحب أن تأخذ ثلث أموالنا حتى إذا قدم عليك وفد مكة وجدت ما تعطيه. فلم يرد رسول الله ﷺ عليهم شيئاً، وكان ينتظر ما يأتيه من ربه، فنزل عليه جبرئيل عليه السلام وقال: ﴿قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾، ولم يقبل أموالهم، فقال المنافقون: ما أنزل هذا على محمد، وما يريد إلا أن يرفع بضبع ابن عمه، ويحمل علينا أهل بيته، يقول أمس: من كنت مولاه فعلي مولاه، واليوم: ﴿قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾، ثم نزلت عليه آية الخمس، فقالوا: يريد أن يعطيهم أموالنا وفيتنا. ثم أتاه جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد، إنك قد قضيت نبوتك، واستكملت أيامك، فاجعل الاسم الأكبر وميراث العلم وأثار علم النبوة عند علي، فإني لم أترك الأرض إلا وفيها عالم، تعرف به طاعتي، وتعرف به ولايتي، ويكون حجة لمن يولد بين قبض النبي إلى خروج النبي الآخر. قال: فأوصى إليه بالاسم الأكبر وميراث العلم وأثار علم النبوة وأوصى إليه بألف كلمة وألف باب، تفتح كل كلمة وكل باب ألف كلمة وألف باب^(١).

وقال سعد بن طريف، كنا عند أبي جعفر عليه السلام، ثمانية رجال، فذكرنا رمضان، فقال: «لا تقولوا هذا رمضان، [ولا ذهب رمضان] ولا جاء رمضان، [فإن رمضان اسم من أسماء الله لا يجيء ولا يذهب. وإنما يجيء ويذهب الزائل ولكن قولوا: شهر رمضان]، فالشهر المضاف إلى الاسم [والاسم] اسم الله، وهو الشهر الذي أنزل فيه القرآن، جعله الله - سقط في

(١) الكافي: ج ١، ص ٢٣٢، ح ٣.

هذا المكان في الأصل - لا يفعل الخروج في شهر رمضان لزيارة الأئمة عليهم السلام وعيداً، ألا ومن^(١) خرج في شهر رمضان من بيته في سبيل الله، ونحن سبيل الله الذي من دخل فيه يطاف بالحصن، والحصن هو الإمام، فيكبر عند رؤيته كانت له يوم القيامة صخرة في ميزانه أثقل من السماوات السبع والأرضين السبع وما فيهن وما بينهن وما تحتهن.

قلت: يا أبا جعفر، وما الميزان؟ فقال: «إنك قد ازددت قوةً ونظراً يا سعد، رسول الله صلى الله عليه وسلم الصخرة، ونحن الميزان، وذلك قول الله عز وجل في الإمام: ﴿ليقوم الناس بالقسط﴾، ومن كبر بين يدي الإمام وقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له. كتب الله له رضوانه الأكبر، ومن كتب له رضوانه الأكبر يجمع بينه وبين إبراهيم ومحمد عليهم السلام والمرسلين في دار الجلال».

فقلت: وما دار الجلال؟ فقال: «نحن الدار، وذلك قول الله عز وجل: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾^(٢) [فنحن العاقبة يا سعد، وأما مودتنا للمتقين] فيقول الله عز وجل: ﴿بَرَكَ أَنْتُمْ رَبِّكَ ذِي الْمَلَكِ وَالْإِكْرَامِ﴾^(٣) فنحن جلال الله وكرامته التي أكرم الله تبارك وتعالى العباد بطاعتنا^(٤).

٢ - قال الطبرسي في (الاحتجاج): عن أمير المؤمنين عليه السلام - في حديث - وقال: ﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد﴾ فإنزاله ذلك: خلقه [إياه]^(٥).

(١) في البحار: جعله الله مثلاً وعيداً، ألا ومن.

(٢) الفصص: ٨٣.

(٣) الرحمن: ٧٨.

(٤) مختصر بصائر الدرجات: ص ٥٦، بحار الأنوار: ج ٢٤، ص ٣٩٦، ح ١١٦.

(٥) الاحتجاج: ص ٢٥٠.

وقال ابن عباس، في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ قال: أنزل الله آدم معه من الجنة سيف ذي الفقار، خلق من ورق آس الجنة، ثم قال: ﴿فيه بأس شديد﴾، فكان به يحارب آدم أعداءه من الجن والشياطين، وكان عليه مكتوباً: لا يزال أنبيائي يحاربون به، نبي بعد نبي، وصديق بعد صديق، حتى يرثه أمير المؤمنين فيحارب به عن النبي الأمي، ﴿ومنافع للناس﴾ لمحمد وعلي ﴿إن الله قوي عزيز﴾ منيع بالنعمة من الكفار بعلي بن أبي طالب عليه السلام.

قال: وقد روى كافة أصحابنا أن المراد بهذه الآية ذو الفقار، أنزل من السماء على النبي صلى الله عليه وآله فأعطاه علياً عليه السلام ^(١).

❁ س ٢١: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّسُوءَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ
وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [سورة الحديد: ٢٦]؟!

الجواب/ عن الريان بن الصلت، عن الرضا عليه السلام - في حديث المأمون مع العلماء، وقد أشرنا له غير مرة - قالت العلماء: أخبرنا - يا أبا الحسن - عن العترة، أهم الآل أم غير الآل؟ فقال الرضا عليه السلام: «هم الآل».

فقلت العلماء: فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله يؤثر عنه أنه قال: «أمتي آلي» وهؤلاء أصحابه يقولون بالخبر المستفاض الذي لا يمكن دفعه: آل محمد: أمته.

فقال أبو الحسن عليه السلام: «أخبروني هل تحرم الصدقة على الآل؟ قالوا: نعم. قال: «فتحرم على الأمة؟ قالوا: لا. قال: «هذا فرق بين الآل والأمة، ويحكم أين يذهب بكم؟ أضربتم عن الذكر صفحاً أم أنتم قوم مسرفون؟ أما

علمتم أنه وقعت الوراثة والطهارة على المصطفين المهتدين دون سائرهم؟ قالوا: ومن أين، يا أبا الحسن؟ فقال عليه السلام: «من قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ فصارت وراثة النبوة والكتاب للمهتدين دون الفاسقين. أما علمتم أن نوحاً عليه السلام حين سأل ربه تعالى ذكره، فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي مِنْ أَهْلِ وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾^(١) وذلك أن الله عز وجل وعده أن ينجيهم وأهلهم، فقال له ربه عز وجل: ﴿يَسْئَلُكَ إِنَّهُ لَيَسَّ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ صَبْرٌ مُبْتَلٍ فَلَا تَنْتَلِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطِكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾^{(٢)؟}^(٣).

س ٢٢: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَانَةٌ اتَّبَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا آتِيعَةَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [سورة الحديد: ٢٧]!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسي: ﴿ثم قفينا على آثارهم برسولنا﴾ أي: ثم أتبعنا بالإرسال على آثار من ذكرناهم من الأنبياء، برسول آخرين إلى قوم آخرين، وأنفذناهم رسولا بعد رسول. ﴿وقفينا بعيسى بن مريم﴾ بعدهم. فأرسلناه رسولا. ﴿وآتيناه الإنجيل﴾ أي وأعطينا عيسى بن مريم الإنجيل ﴿وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه﴾ في دينه، يعني الحواريين، وأتباعهم، اتبعوا عيسى ﴿رأفة﴾ وهي أشد الرقة ﴿ورحمة﴾ وإنما أضاف الرأفة والرحمة إلى

(١) هود: ٤٥.

(٢) هود: ٤٦.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١، ص ٢٢٩، ح ١.

نفسه، لأنه سبحانه جعل في قلوبهم الرأفة والرحمة بالأمر به، والترغيب فيه، ووعد الثواب عليه. وقيل: لأنه خلق في قلوبهم الرأفة والرحمة، وإنما مدحهم على ذلك، وإن كان من فعله، لأنهم تعرضوا لهما. ﴿ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم﴾ وهي الخصلة من العبادة، يظهر فيها معنى الرهبة، إما في كنيسة، أو انفراد عن الجماعة، أو غير ذلك من الأمور التي يظهر فيها نسك صاحبه، والمعنى: ابتدعوا رهبانية لم نكتبها عليهم. وقيل: إن الرهبانية التي ابتدعوها هي رفض النساء، واتخاذ الصوامع، عن قتادة قال: وتقديره ورهبانية ما كتبناها عليهم ﴿إلا﴾ أنهم اتبعوها ﴿ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها﴾ وقيل: إن الرهبانية التي ابتدعوها لحاقهم بالبراري والجبال في خبر مرفوع عن النبي ﷺ، فما رعاها الذين بعدهم حق رعايتها، وذلك لتكذيبهم بمحمد ﷺ... وقيل: إن الرهبانية هي الانقطاع عن الناس للانفراد بالعبادة. ما كتبناها أي: ما فرضناها عليهم. وقال الزجاج: إن تقديره ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله، وابتغاء رضوان الله: اتباع ما أمر به. فهذا وجه، قال: وفيها وجه آخر، جاء في التفسير أنهم كانوا يرون من ملوكهم ما لا يصبرون عليه، فاتخذوا أسراباً وصوامع، وابتدعوا ذلك. فلما ألزموا أنفسهم ذلك التطوع، ودخلوا عليه، لزمهم تمامه، كما أن الإنسان إذا جعل على نفسه صوماً، لم يفرض عليه. لزمه أن يتمه. قال: وقوله ﴿فما رعوها حق رعايتها﴾ على ضربين أحدهما: أن يكونوا قصرُوا فيما ألزموا أنفسهم. والآخر: وهو الأجود أن يكونوا حين بعث النبي ﷺ، فلم يؤمنوا به، كانوا تاركين لطاعة الله، فما رعوها تلك الرهبانية حق رعايتها. ودليل ذلك قوله: فأبتنا الذين آمنوا منهم أجرهم﴾ يعني الذين آمنوا بالنبي ﷺ. وكثير منهم فاسقون﴾ أي كافرون. انتهى كلام الزجاج. ويعضد هذا ما جاءت به الرواية، عن ابن مسعود قال: كنت رديف رسول الله ﷺ على حمار، فقال: يا بن أم

عبدا هل تدري من أين أحدثت بنو إسرائيل الرهبانية؟ فقلت: الله ورسوله أعلم. فقال: ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى، يعملون بمعاصي الله، فغضب أهل الإيمان، فقاتلوهم فهزم أهل الإيمان ثلاث مرات، فلم يبق منهم إلا القليل فقالوا: إن ظهرنا لهؤلاء أفنونا، ولم يبق للدين أحد يدعو إليه، فتعالوا تفرق في الأرض إلى أن يبعث الله النبي الذي وعدنا به عيسى عليه السلام، يعنون محمداً صلى الله عليه وآله. فتفرقوا في غيران الجبال، وأحدثوا رهبانية، فمنهم من تمسك بدينه، ومنهم من كفر. ثم تلا هذه الآية: ﴿ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم﴾ إلى آخرها. ثم قال: يا بن أم عبد! أتدري ما رهبانية أمتي؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: الهجرة، والجهاد، والصلاة، والصوم، والحج، والعمرة. وعن ابن مسعود قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا بن مسعود! اختلف من كان قبلكم على اثنتين وسبعين فرقة، نجا منها اثنتان، وهلك سائرهن. فرقة قاتلوا الملوك على دين عيسى عليه السلام، فقتلوهم. وفرقة لم تكن لهم طاقة لموازاة الملوك، ولا أن يقيموا بين ظهرانيهم، يدعونهم إلى دين الله تعالى، ودين عيسى عليه السلام، فساحوا في البلاد، وترهبوا، وهم الذين قال الله لهم ﴿ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم﴾ ثم قال النبي صلى الله عليه وآله: «من آمن بي، وصدقني، واتبعني، فقد رعاها حق رعايتها، ومن لم يؤمن بي، فأولئك هم الهالكون»^(١).

س ٢٣: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفَايَاتٍ مِنْ رَحْمَتِهِ وَجَعَلَ لَكُمْ تُورًا تَمَشُونَ بِهِ وَتَعْلَمُونَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة الحديد: ٢٨]!

الجواب/ قال أبو الجارود: قلت لأبي جعفر عليه السلام: لقد أتى الله أهل

الكتاب خيراً كثيراً، قال: «وما ذاك؟ قلت: قول الله عز وجل: ﴿الذين آمنوا واتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾^(١).

قال: فقال: «قد آتاكم الله كما آتاهم»، ثم تلا: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وامنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به﴾ يعني إماماً تأتمون به^(٢).

وقال أبو جعفر عليه السلام، في قول الله عز وجل: ﴿يؤتكم كفلين من رحمته﴾، قال: «الحسن والحسين عليهما السلام». «ويجعل لكم نورا تمشون به»، قال: «يجعل لكم إمام عدل تأتمون به، وهو علي بن أبي طالب عليه السلام»^(٣).

وقال علي بن إبراهيم القمي: في قوله تعالى: ﴿يؤتكم كفلين من رحمته﴾: نصيبين من رحمته: أحدهما أن لا يدخله النار، والثانية أن يدخله الجنة، وقوله تعالى: ﴿ويجعل لكم نورا تمشون به﴾، يعني الإيمان^(٤).

أقول: وأخيراً فإن جزاء المؤمنين المتقين هو (غفران الذنوب) لأن بدونها لا يكون للإنسان هناء بأي نعمة تفضل بها الله عليه، حيث يجب أن يكون في البداية في مأمن من العذاب الإلهي ثم ينتقل إلى المسير في طريق النور والتقوى لينال الرحمة الإلهية المضاعفة.

س ٢٤: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلَ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [سورة الحديد: ٢٩]!

الجواب/ قال الشيخ الطوسي: وقوله ﴿لئلا يعلم أهل الكتاب أن لا

(١) القصص: ٥٢ - ٥٤.

(٢) تاويل الآيات: ج ٢، ص ٦٦٩، ح ٢٩.

(٣) الكافي: ج ١، ص ١٥٠، ح ٣.

(٤) تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٥٢.

يقدرون على شيء من فضل الله ﴿ معناه ليعلم أهل الكتاب الذين يتشبهون بالمؤمنين منهم ﴾ بأن لا يقدرون ﴿ أي أنهم لا يقدرون ﴾ على شيء من فضل الله . . . وقيل : معناه ليعلم أهل الكتاب الذين حسدوا المؤمنين بما وعدوا أنهم لا يقدرون على شيء من فضل الله ، فيصرفوا النبوة عن محمد عليه السلام إلى من يحبونه . . .

وقوله : ﴿ وإن الفضل بيد الله ﴾ معناه ليعلموا أن الفضل بيد الله ﴿ يؤتية من يشاء ﴾ أي يعطيه من يحب ﴿ من عباده ﴾ ممن يعلم أنه يصلح له . ثم قال ﴿ والله ذو الفضل العظيم ﴾ معناه ذو تفضل على خلقه وإحسان على عباده تعظيم لا يحصى كثرة ولا يعد^(١) .

فهرس

سورة الشورى

| | |
|---------|----------------------------|
| ٥..... | ما هو فضل سورة الشورى؟!؟ |
| ٦ | [سورة الشورى : ١ - ٢]؟!؟ |
| ٦..... | [سورة الشورى : ٣ - ٤]؟!؟ |
| ٨ | [سورة الشورى : ٥]؟!؟ |
| ٨ | [سورة الشورى : ٦]؟!؟ |
| ٩... | [سورة الشورى : ٧ - ٨]؟!؟ |
| ١٥ | [سورة الشورى : ٩ - ١٨]؟!؟ |
| ٢٠ | [سورة الشورى : ١٩ - ٢٠]؟!؟ |
| ٢١..... | [سورة الشورى : ٢١ - ٢٦]؟!؟ |
| ٢٩ | [سورة الشورى : ٢٧]؟!؟ |
| ٣٠ | [سورة الشورى : ٢٨ - ٢٩]؟!؟ |
| ٣١ | [سورة الشورى : ٣٠]؟!؟ |
| ٣٢..... | [سورة الشورى : ٣١ - ٣٥]؟!؟ |
| ٣٤ | [سورة الشورى : ٣٦]؟!؟ |
| ٣٥ | [سورة الشورى : ٣٧]؟!؟ |
| ٣٥ | [سورة الشورى : ٣٨ - ٤٠]؟!؟ |
| ٣٦ | [سورة الشورى : ٤١ - ٤٦]؟!؟ |
| ٣٧ | [سورة الشورى : ٤٧ - ٤٨]؟!؟ |
| ٣٨ | [سورة الشورى : ٤٩ - ٥٠]؟!؟ |

٣٩. [سورة الشورى : ٥١] ١٩

٤١. [سورة الشورى : ٥٢ - ٥٣] ١٩

فهرس سورة الزخرف

٤٥. ما هو فضل سورة الزخرف ١٩

٤٥. [سورة الزخرف : ١ - ٤] ١٩

٤٦. [سورة الزخرف : ٥ - ١٢] ١٩

٤٧. [سورة الزخرف : ١٣ - ١٤] ١٩

٤٩. [سورة الزخرف : ١٥ - ٢٠] ١٩

٥١. [سورة الزخرف : ٢١ - ٢٧] ١٩

٥٣. [سورة الزخرف : ٢٨ - ٣٠] ١٩

٥٥. [سورة الزخرف : ٣١ - ٣٢] ١٩

٥٩. [سورة الزخرف : ٣٣ - ٣٧] ١٩

٦٠. [سورة الزخرف : ٣٨ - ٣٩] ١٩

٦١. [سورة الزخرف : ٤٠ - ٤٢] ١٩

٦٣. [سورة الزخرف : ٤٣ - ٤٤] ١٩

٦٣. [سورة الزخرف : ٤٥] ١٩

٦٦. [سورة الزخرف : ٤٦ - ٤٨] ١٩

٦٨. [سورة الزخرف : ٤٩ - ٥٤] ١٩

٧٠. [سورة الزخرف : ٥٥ - ٥٦] ١٩

٧١. [سورة الزخرف : ٥٧ - ٦٠] ١٩

٧٣. [سورة الزخرف : ٦١ - ٦٢] ١٩

٧٤. [سورة الزخرف : ٦٣ - ٦٥] ١٩

٧٥. [سورة الزخرف : ٦٦] ١٩

٧٥. [سورة الزخرف : ٦٧] ١٩

| | |
|--------------|----------------------------|
| ٧٨ . | [سورة الزخرف : ٦٨] ؟! |
| ٧٨ . | [سورة الزخرف : ٦٩ - ٧٦] ؟! |
| ٧٩ | [سورة الزخرف : ٧٧ - ٧٨] ؟! |
| ٨٠ . | [سورة الزخرف : ٧٩ - ٨٠] ؟! |
| ٨١ . | [سورة الزخرف : ٨١] ؟! |
| ٨٢ . | [سورة الزخرف : ٨٢] ؟! |
| ٨٣ . | [سورة الزخرف : ٨٣] ؟! |
| ٨٣ . | [سورة الزخرف : ٨٤] ؟! |
| ٨٤ | [سورة الزخرف : ٨٥] ؟! |
| ٨٥ | [سورة الزخرف : ٨٦ - ٨٩] ؟! |

فهرس سورة الدخان

| | |
|---------------|--|
| ٨٩ | ما هو فضل سورة الدخان ؟! |
| ٨٩ . | [سورة الدخان : ١ - ٩] ؟! |
| ٩٢ . | [سورة الدخان : ١٠ - ٢٨] ؟! |
| ٩٥ . | [سورة الدخان : ٢٩] ؟! |
| ٩٦ . | [سورة الدخان : ٣٠ - ٣٦] ؟! |
| ٩٩ . | [سورة الدخان : ٣٧ - ٣٩] ؟! ومن هم قوم نبع ؟! |
| ١٠٤ | [سورة الدخان : ٤٠ - ٤٢] ؟! |
| ١٠٥ . | [سورة الدخان : ٤٣ - ٥٠] ؟! |
| ١٠٦ . | [سورة الدخان : ٥١ - ٥٩] ؟! |

فهرس سورة الجاثية

| | |
|-------|---------------------------|
| ١١٣ . | ما هو فضل سورة الجاثية ؟! |
| ١١٣ . | [سورة الجاثية : ١ - ٥] ؟! |

| | |
|----------|----------------------------|
| ١١٧..... | [سورة الجاثية : ١٤[٦ |
| ١١٨... | [سورة الجاثية : ٧ - ١٣[١٤ |
| ١١٩..... | [سورة الجاثية : ١٤[١٤ |
| ١٢٠..... | [سورة الجاثية : ١٥[١٤ |
| ١٢٠..... | [سورة الجاثية : ١٦ - ٢٠[١٤ |
| ١٢٢..... | [سورة الجاثية : ٢١ - ٢٤[١٤ |
| ١٢٤..... | [سورة الجاثية : ٢٥ - ٢٩[١٤ |
| ١٢٧..... | [سورة الجاثية : ٣٠ - ٣٣[١٤ |
| ١٢٨..... | [سورة الجاثية : ٣٤ - ٣٧[١٤ |

فهرس سورة الأحقاف

| | |
|----------|----------------------------|
| ١٣١..... | ما هو فضل سورة الأحقاف؟ |
| ١٣٢..... | [سورة الأحقاف : ١ - ٤[١٤ |
| ١٣٣..... | [سورة الأحقاف : ٥ - ٨[١٤ |
| ١٣٤..... | [سورة الأحقاف : ٩[١٤ |
| ١٣٥..... | [سورة الأحقاف : ١٠[١٤ |
| ١٣٦..... | [سورة الأحقاف : ١١ - ١٤[١٤ |
| ١٣٧..... | [سورة الأحقاف : ١٥[١٤ |
| ١٣٩..... | [سورة الأحقاف : ١٦[١٤ |
| ١٤٠..... | [سورة الأحقاف : ١٧ - ١٨[١٤ |
| ١٤١..... | [سورة الأحقاف : ١٩[١٤ |
| ١٤٢..... | [سورة الأحقاف : ٢٠[١٤ |
| ١٤٤..... | [سورة الأحقاف : ٢١[١٤ |
| ١٤٧..... | [سورة الأحقاف : ٢٢ - ٣٢[١٤ |
| ١٥٠..... | [سورة الأحقاف : ٣٣ - ٣٤[١٤ |

١٥١ [سورة الأحقاف : ٣٥] ١٩

فهرس سورة محمد

| | |
|-----------|--------------------------|
| ١٥٥ . | ما هو فضل سورة محمد؟ ١٩ |
| ١٥٦ . | [سورة محمد : ١] ١٩ |
| ١٥٧ . | [سورة محمد : ٢ - ٦] ١٩ |
| ١٥٩ | [سورة محمد : ٧] ١٩ |
| ١٥٩ . | [سورة محمد : ٨ - ٩] ١٩ |
| ١٦٠ . | [سورة محمد : ١٠ - ١٤] ١٩ |
| ١٦٢ | [سورة محمد : ١٥ - ١٧] ١٩ |
| ١٦٣ | [سورة محمد : ١٨] ١٩ |
| ١٦٧ .. | [سورة محمد : ١٩] ١٩ |
| ١٦٩ | [سورة محمد : ٢٠] ١٩ |
| ١٧٠ | [سورة محمد : ٢١] ١٩ |
| ١٧١ .. | [سورة محمد : ٢٢ - ٢٣] ١٩ |
| ١٧٢ .. | [سورة محمد : ٢٤] ١٩ |
| ١٧٢ | [سورة محمد : ٢٥ - ٢٨] ١٩ |
| ١٧٤ | [سورة محمد : ٢٩ - ٣٠] ١٩ |
| ١٧٦ .. | [سورة محمد : ٣١] ١٩ |

فهرس سورة الفتح

| | |
|--------|---------------------------|
| ١٨١ . | ما هو فضل سورة الفتح؟ ١٩ |
| ١٨٢ . | [سورة الفتح : ١ - ٣] ١٩ |
| ١٩٢ .. | [سورة الفتح : ٤ - ١٠] ١٩ |
| ١٩٥ .. | [سورة الفتح : ١١ - ١٧] ١٩ |

| | |
|----------|---------------------------|
| ١٩٨..... | [سورة الفتح : ١٨ - ٢٥] ١٩ |
| ٢٠٣..... | [سورة الفتح : ٢٦] ١٩ |
| ٢٠٥..... | [سورة الفتح : ٢٧] ١٩ |
| ٢٠٦..... | [سورة الفتح : ٢٨] ١٩ |
| ٢٠٧..... | [سورة الفتح : ٢٩] ١٩ |

فهرس سورة الحُجرات

| | |
|----------|------------------------------|
| ٢١٣..... | ما هو فضل سورة الحُجرات ١٩ |
| ٢١٣..... | [سورة الحُجرات : ١] ١٩ |
| ٢١٤..... | [سورة الحُجرات : ٢ - ٥] ١٩ |
| ٢١٥..... | [سورة الحُجرات : ٦] ١٩ |
| ٢١٨..... | [سورة الحُجرات : ٧] ١٩ |
| ٢١٩..... | [سورة الحُجرات : ٨] ١٩ |
| ٢٢٠..... | [سورة الحُجرات : ٩] ١٩ |
| ٢٢١..... | [سورة الحُجرات : ١٠] ١٩ |
| ٢٢٢..... | [سورة الحُجرات : ١١] ١٩ |
| ٢٢٣..... | [سورة الحُجرات : ١٢] ١٩ |
| ٢٢٦..... | [سورة الحُجرات : ١٣] ١٩ |
| ٢٣٠..... | [سورة الحُجرات : ١٤ - ١٥] ١٩ |
| ٢٣٥..... | [سورة الحُجرات : ١٦ - ١٨] ١٩ |

فهرس سورة ق

| | |
|----------|-------------------------|
| ٢٣٩..... | ما هو فضل [سورة : ق] ١٩ |
| ٢٣٩..... | [سورة ق : ١ - ٩] ١٩ |
| ٢٤٢..... | [سورة ق : ١٠ - ١١] ١٩ |

| | |
|----------|---------------------|
| ٢٤٢..... | [سورة ق: ١٢ - ١٤]!؟ |
| ٢٤٦ | [سورة ق: ١٥]!؟ |
| ٢٤٧ | [سورة ق: ١٦]!؟ |
| ٢٤٨.. | [سورة ق: ١٧ - ١٨]!؟ |
| ٢٥٠ | [سورة ق: ١٩ - ٢٠]!؟ |
| ٢٥١ | [سورة ق: ٢١ - ٢٣]!؟ |
| ٢٥٢..... | [سورة ق: ٢٤]!؟ |
| ٢٥٦ | [سورة ق: ٢٥ - ٢٩]!؟ |
| ٢٥٧.. | [سورة ق: ٣٠]!؟ |
| ٢٥٨..... | [سورة ق: ٣١]!؟ |
| ٢٥٨.. | [سورة ق: ٣٢ - ٣٤]!؟ |
| ٢٥٩.. | [سورة ق: ٣٥ - ٣٧]!؟ |
| ٢٦٢..... | [سورة ق: ٣٨]!؟ |
| ٢٦٢ | [سورة ق: ٣٩]!؟ |
| ٢٦٣.. | [سورة ق: ٤٠]!؟ |
| ٢٦٣.. | [سورة ق: ٤١ - ٤٥]!؟ |

فهرس سورة الذاريات

| | |
|----------|----------------------------|
| ٢٦٩..... | ما هو فضل سورة الذاريات!؟ |
| ٢٧٠.. | [سورة الذاريات: ١ - ٦]!؟ |
| ٢٧١..... | [سورة الذاريات: ٧ - ٩]!؟ |
| ٢٧٢ | [سورة الذاريات: ١٠ - ١٤]!؟ |
| ٢٧٣..... | [سورة الذاريات: ١٥ - ٢١]!؟ |
| ٢٧٦..... | [سورة الذاريات: ٢٢ - ٢٣]!؟ |
| ٢٧٧..... | [سورة الذاريات: ٢٤ - ٣٧]!؟ |

| | |
|-----------|------------------------------|
| ٢٨٠ | [سورة الذاريات : ٣٨ - ٤٦] ١٩ |
| ٢٨١ | [سورة الذاريات : ٤٧ - ٤٨] ١٩ |
| ٢٨٢ | [سورة الذاريات : ٤٩] ١٩ |

فهرس سورة الطور

| | |
|-----------|---------------------------|
| ٢٨٧ | ما هو فضل سورة الطور؟ ١٩ |
| ٢٨٧ | [سورة الطور : ١ - ٤] ١٩ |
| ٢٨٨ | [سورة الطور : ٥ - ١٦] ١٩ |
| ٢٩٠ | [سورة الطور : ١٧ - ٢٠] ١٩ |
| ٢٩١ | [سورة الطور : ٢١] ١٩ |
| ٢٩٣ | [سورة الطور : ٢٢ - ٢٨] ١٩ |
| ٢٩٥ | [سورة الطور : ٢٩ - ٤٠] ١٩ |
| ٢٩٨ | [سورة الطور : ٤١ - ٤٧] ١٩ |
| ٣٠٠ | [سورة الطور : ٤٨ - ٤٩] ١٩ |

فهرس سورة النجم

| | |
|-----------|---------------------------|
| ٣٠٣ | ما هو فضل سورة النجم؟ ١٩ |
| ٣٠٣ | [سورة النجم : ١ - ٢٣] ١٩ |
| ٣١٤ | [سورة النجم : ٢٤ - ٢٥] ١٩ |
| ٣١٥ | [سورة النجم : ٢٦] ١٩ |
| ٣١٥ | [سورة النجم : ٢٧ - ٣١] ١٩ |
| ٣١٧ | [سورة النجم : ٣٢] ١٩ |
| ٣٢٢ | [سورة النجم : ٣٣ - ٣٦] ١٩ |
| ٣٢٢ | [سورة النجم : ٣٧] ١٩ |
| ٣٢٣ | [سورة النجم : ٣٨ - ٤١] ١٩ |

| | |
|----------|---------------------------|
| ٣٢٤ | [سورة النجم : ٤٢] ١٩ |
| ٣٢٤..... | [سورة النجم : ٤٣ - ٤٥] ١٩ |
| ٣٢٥ | [سورة النجم : ٤٦ - ٤٧] ١٩ |
| ٣٢٦ | [سورة النجم : ٤٨] ١٩ |
| ٣٢٦ | [سورة النجم : ٤٩ - ٥٣] ١٩ |
| ٣٢٧ | [سورة النجم : ٥٣] ١٩ |
| ٣٢٨ | [سورة النجم : ٥٥] ١٩ |
| ٣٢٨ | [سورة النجم : ٥٦ - ٦٢] ١٩ |

فهرس سورة القمر

| | |
|----------|---------------------------|
| ٣٣٣.. | ما هو فضل سورة القمر ١٩ |
| ٣٣٣ | [سورة القمر : ١ - ٢] ١٩ |
| ٣٣٧..... | [سورة القمر : ٣ - ٧] ١٩ |
| ٣٣٩..... | [سورة القمر : ٨ - ١٠] ١٩ |
| ٣٤١.. | [سورة القمر : ١١ - ١٩] ١٩ |
| ٣٤٤ | [سورة القمر : ٢٠] ١٩ |
| ٣٤٨..... | [سورة القمر : ٣٢ - ٤٠] ١٩ |
| ٣٤٩ | [سورة القمر : ٤١ - ٤٧] ١٩ |
| ٣٥٠ | [سورة القمر : ٤٨ - ٥٥] ١٩ |

فهرس سورة الرحمن

| | |
|-------|------------------------------|
| ٣٥٥ | ما هو فضل سورة الرَّحْمٰن ١٩ |
| ٣٥٦.. | [سورة الرحمن : ١ - ١٣] ١٩ |
| ٣٥٨ | [سورة الرحمن : ١٤ - ١٦] ١٩ |
| ٣٥٩ | [سورة الرحمن : ١٧ - ١٨] ١٩ |

| | |
|----------|----------------------------|
| ٣٥٩. | [سورة الرحمن : ١٩ - ٢٣] ١٩ |
| ٣٦١..... | [سورة الرحمن : ٢٤ - ٢٥] ١٩ |
| ٣٦١. | [سورة الرحمن : ٢٦ - ٢٨] ١٩ |
| ٣٦٢. | [سورة الرحمن : ٢٩ - ٣٠] ١٩ |
| ٣٦٣. | [سورة الرحمن : ٣١ - ٣٢] ١٩ |
| ٣٦٥..... | [سورة الرحمن : ٣٣ - ٣٤] ١٩ |
| ٣٦٦. | [سورة الرحمن : ٣٥ - ٣٦] ١٩ |
| ٣٦٧..... | [سورة الرحمن : ٣٧ - ٣٨] ١٩ |
| ٣٦٧..... | [سورة الرحمن : ٣٩ - ٤٠] ١٩ |
| ٣٦٩ | [سورة الرحمن : ٤١ - ٤٥] ١٩ |
| ٣٧٠ | [سورة الرحمن : ٤٦ - ٤٧] ١٩ |
| ٣٧١. | [سورة الرحمن : ٤٨ - ٥٥] ١٩ |
| ٣٧٢. | [سورة الرحمن : ٥٦ - ٥٩] ١٩ |
| ٣٧٣..... | [سورة الرحمن : ٦٠ - ٦١] ١٩ |
| ٣٧٥ | [سورة الرحمن : ٦٢ - ٦٣] ١٩ |
| ٣٧٨. | [سورة الرحمن : ٦٤ - ٦٥] ١٩ |
| ٣٧٨. | [سورة الرحمن : ٦٦ - ٧٧] ١٩ |
| ٣٨١..... | [سورة الرحمن : ٧٨] ١٩ |

فهرس سورة الواقعة

| | |
|------|-----------------------------|
| ٣٨٥ | ما هو فضل سورة الواقعة؟ ١٩ |
| ٣٨٦ | [سورة الواقعة : ١ - ١٢] ١٩ |
| ٣٩٠. | [سورة الواقعة : ١٣ - ١٩] ١٩ |
| ٣٩٢ | [سورة الواقعة : ٢٠ - ٢١] ١٩ |
| ٣٩٣ | [سورة الواقعة : ٢٢ - ٢٤] ١٩ |

| | |
|-----|----------------------------|
| ٣٩٤ | [سورة الواقعة : ٢٥ - ٢٩]؟! |
| ٣٩٥ | [سورة الواقعة : ٣٠ - ٣٣]؟! |
| ٣٩٨ | [سورة الواقعة : ٣٤]؟! |
| ٣٩٩ | [سورة الواقعة : ٣٥ - ٣٨]؟! |
| ٤٠١ | [سورة الواقعة : ٣٩ - ٤٤]؟! |
| ٤٠٢ | [سورة الواقعة : ٤٥ - ٥٣]؟! |
| ٤٠٣ | [سورة الواقعة : ٥٤ - ٥٥]؟! |
| ٤٠٤ | [سورة الواقعة : ٥٦ - ٧٠]؟! |
| ٤٠٧ | [سورة الواقعة : ٧١ - ٧٤]؟! |
| ٤٠٨ | [سورة الواقعة : ٧٥ - ٧٦]؟! |
| ٤٠٩ | [سورة الواقعة : ٧٧ - ٨١]؟! |
| ٤١١ | [سورة الواقعة : ٨٢ - ٨٧]؟! |
| ٤١٢ | [سورة الواقعة : ٨٨ - ٩٤]؟! |
| ٤١٤ | [سورة الواقعة : ٦٥ - ٩٦]؟! |

فهرس سورة الحديد

| | |
|-----|-------------------------|
| ٤١٧ | ما هو فضل سورة الحديد؟! |
| ٤١٨ | [سورة الحديد : ١ - ٢]؟! |
| ٤١٩ | [سورة الحديد : ٣]؟! |
| ٤٢٢ | [سورة الحديد : ٤]؟! |
| ٤٢٤ | [سورة الحديد : ٥]؟! |
| ٤٢٤ | [سورة الحديد : ٦]؟! |
| ٤٢٥ | [سورة الحديد : ٧ - ٨]؟! |
| ٤٢٦ | [سورة الحديد : ٩]؟! |
| ٤٢٧ | [سورة الحديد : ١٠]؟! |

| | |
|-----------|----------------------------|
| ٤٢٨ | [سورة الحديد : ١١] ١٩ |
| ٤٢٩ | [سورة الحديد : ١٢] ١٩ |
| ٤٣٠ | [سورة الحديد : ١٣ - ١٧] ١٩ |
| ٤٣٤ | [سورة الحديد : ١٨] ١٩ |
| ٤٣٥ | [سورة الحديد : ١٩] ١٩ |
| ٤٣٩ | [سورة الحديد : ٢٠] ١٩ |
| ٤٤٠ | [سورة الحديد : ٢١] ١٩ |
| ٤٤٥ | [سورة الحديد : ٢٢] ١٩ |
| ٤٤٦ | [سورة الحديد : ٢٣] ١٩ |
| ٤٤٨ | [سورة الحديد : ٢٤] ١٩ |
| ٤٤٨ | [سورة الحديد : ٢٥] ١٩ |
| ٤٥٥ | [سورة الحديد : ٢٦] ١٩ |
| ٤٥٦ | [سورة الحديد : ٢٧] ١٩ |
| ٤٥٨ | [سورة الحديد : ٢٨] ١٩ |
| ٤٥٩ | [سورة الحديد : ٢٩] ١٩ |